سيرة

عنترة بن شداد

فارس الطراد وحبيبة بطن الواد
الأمير عنتر ابن شداد

المجلد الثامن

التزام مكتبة الجمهورية العربية

سيرة

عنترة بن شداد

وهو الفارس المشهور والبطل الجسور . سيد الشجعان وقاهر الاقران عنترة بن شداد من شعراء الطبقة الأولى — وكان من أحسن الشعراء شيمة . وأعلاهم همة . وأعزهم نفسا . وأقواهم بطشا وفتكا . وكان مع هذه الشجاعة التي ضربت بها الأمثال لين العريكة سهل الأخلاق شديد النخوة . رقيق الشعر . وقد عمر تسعين سنة ومات مقتولا — وفي سيرته من آثار البطولة وآيات الشجاعة مالا يندثر بل يبقى على مر الأيام وتدوم سيرته مادامت العصور — وفيها يجد القارىء من الوقائع والحرب معارك مسترسلة في ميادين القتال

الجزء التاسع والاربعون

يطلب من

مكتبة الجمهورية المصرية

لصاحبها : عبد الفتاح عبد الحميد مراد

شارع الصنادقية بجوار الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) والاعراب لم يسلم منهم الا من القى نفسه فى البحر من هول هذا الامر وكذلك قاتلت الروم قتالا غير مذموم وصبحوا الافرنج صباحا ميشوم وعنتر بن شداد فى شدة القتال وهرقل ينادى يا أبا الفوارس قد ملكت المراكب بلا محال فالتفت اليهم وإذا معهم دون الالف فارس رجال الافرنج كالاطواد ومن بقى من قوم عاد فعند ذلك انطبق عليهم عنتر بن شداد وهو ينادى يا لعبس الاجواد بيده سيفه الصامى الذى لو ضرب به جبل قده هذا وقد طابته الابطال وهجمت عليه الرجال وطلعت عليه طائفة أخرى وهم الف بطريق بكل سيف ثقيل وترس وثيق هنالك عمل الحسام وانفلق الهام وكسرت العظام وانقطع الكلام وعنتر وقد وقف وقفه كريم النسب من أشرف سادات العرب وطلب منهم القتال والعمل وبطلت الحيل وطلع الزبد على أشدافه وصار يتساقط زبد فه تقطيرا واحمرت أماقبه وكثر العدد عليه وقصدوا الالف بطريق بالسيوف إليه هذا والملك هرقل خاف من العطب ومال من خوفه إلى آخر المركب والمركب يموج فى لجج البحر الزاخر كموجات الطائر فى جو السحاب وعنتر يطوقهم بالدم الاحمر والدم من أجسادهم دافق على أقدامهم والمفارق وبعضهم رمى نفسه فى البحر فصار غارق ولروحه مفارق وسيف عنتر فيهم ماحق ورمحه خارق وجنانه منطلق دافق وما أتى آخر النهار وأقبل الليل باعتكار حتى رأت الجمع مفرق والعدد وقد تمزق ونظرت باقى مراكب الليلمان إلى ذلك وما حل بها من المهالك فرجعوا إلى حول المراكب من كل جانب (قال الاصمعى) ولقد سألت شيبوب بنفسى وقلت كم دخل إلى عنتر بهذه المراكب من الرجال فقال رذمة العرب خمسة الاف وستين رجلا من الابطال والذى قتلوا ورموا أرواحهم إلى البحر من خوف سيف أخى عنتر كانوا مثلهم ثلاثة أمثال وصارت المراكب تنظر إلى مركبنا حذرا وترمقها شذرا ولقد عاينت من أخى الهول المنكر هذا وعنتر يجول على ظهر المراكب ويتذكر ما جرى عليه وما قد وصل إليه وتذكر عبلة والديار وما جرى عليه من قيس من الامور والاخطار فهزه الشوق فانشد يقول :

أياطير أخبر لقيس وقل له ... بأنى ليث الحرب فى البر والبحر

وخبره فعلى بالقوم وقل له ... رفيقى سيفى والفرنج لحمى ظهرى

ويخبر أمواجا من الماحة ... وامواج دم فوق مركبنا تجرى

وأرديت أنا مائتين وألفين بعدهم ... وخلفتهم فى البحر صرعا إلى الحشرى
ومن يك مثلى يحتمل سائر الأذى ... ويصبح فى أرض مهانا بلا شكرى
ولا ذنب لى إلا بانى حافظ ... وارعاهم وجهدى ويسعون فى ضرى

(قال الراوى) فقال له الملك لافض الله فاك ولا كان من يشناك فلله درك من بطل همام خطير وفارس نحرير وصاحب المواقف المشهورة والمقامات المذكورة والخصائل المنشورة والأحاديث المخبورة وما أحوالك عن الخلق مستورة بل هى فى الآفاق منشورة فضحك عنتر من قول هرقل بن الملك قيصر من وصفه إليه وشكره وأثنى عليه هذا والملك هرقل قد تحير من عظم فعال عنتر وما عاين منه من ذلك الأمر ثم إن عنتر قال للملك هرقل والله يا ابن الملوك الكرام وحق الرب القديم العلام لو كنت على وجه الأرض وأنا على ظهر الجواد كنت نظرت ما أفعل بهؤلاء الأوغاد المخلقين اللئام أولاد اللئام كيف أحلق رؤسهم بالحسام فصدقه الملك هرقل فى مقاله لما شد أفعاله وزادت فرحته به وما قاله هذا وقد هجم الليل وراق وطبق بظلامه الآفاق وقد أوقدت النيران فى المراكب وتحارسوا وتصايحوا من كل جانب إلى إن مالت الكواكب إلى الزوال وطلع الفجر وزالت الغياهب وكان قتال المراكب فى هذه الثلاثة أيام من مشاهدة الملك الليلمان إلا أنه سمع عنتر يخنق عليه ومنه تسكدر ولما أن رأى من عنتر ما أهاله تغيرت عند ذلك أحواله وعظمت عليه أموره وزاد بلباله فصاح فى رجاله وأبطاله وقد أمر أصحاب المراكب جميعها الحملة أمندها ضجت القسوس والرهبان بقراءة الإنجيل ورفعت الصلبان وانطبقت المراكب التى للملك الليلمان على مراكب الملك هرقل ابن الملك قيصر وضيقت عليهم من كل جانب هذا والبحر من تحتهم قد علا وايد فرادت المصائب وضرب الموج مراكب الإفرنج فقاض الماء إلى وشط المراكب هذا وقد زحزح عنتر بحسامه الجماجم والرقاب وقاتل قتال الكرام أولوا الألباب وفعل من الأهوال ما رأى أجد مثله من الأهوال هذا وشيبوب قد حاروا نذهل والخذروف قد طاش عقله وتحبل ونادى بابيه شيبوب يا أبت بالنا نذور مثل الرحا ونتنقل وقلبى خائف وقد ضاقت بى الحيل هذا والإفرنج قد بضعت الروم وقرب منهم الأجل واخرقت بقنطاريا تهاصدورها فالمقل وقد ضربت بالسيوف وطعنت بالرمح ودق المرتحل هذا وعنتر رمى رؤسهم مثل الحنظل وقد هتك ستر الملبوس وسل من الأجساد النفوس هذا كله يجرى وعنتر يقاتل قتال التحرير إلا ان الخلق عليه كثير والجمع غزير وقد صارت المراكب كلها محاطه بمركبة وصارت الأعداء من حوله كانها الحلقة الدائرة وقد ضايقوه أشد مضايقة وصارت الأرواح للأجساد مفارقه وغربان المنايا عليهم ناعقة وطيور الحمام عليهم زاعقة وهو يحمى وينخى الرجال الذين معه فى المراكب ويتحسر مما قد عاين من قتال البحر هذا وقد

ملكت الافرنج من مراكب الملك قيصر ثلاثة مراكب قوة وقهراً وحرقوا بالنفط مركبا آخر ومركبين قد أشرفوا على الاسر هذا والملك اليلمان يحرض الابطال على القتال وينخى الرجال فترمى أرواحها على الهلاك والوبال وقد داخلهم الطمع فى مركب هرقل بن قيصر وأرادوا أن ياخذوا الملك هرقل أسير وقد لاح لهم غلائم النصر والظفر فقال الخدروف لابيه شيبوب والله يا أبتاه إن قلبى قد خفق وما رأيت عمرى مثل هذا اليوم الذى اتفق لان نفسى قد صارت مثل العلق فقال له أبوه وأنا والله ما بقى فى رئة حفت على نفسى ألف مرة من الغرق فيا ليتنا كنا على البر ودع السماء على الأرض تنطبق حتى كنا نقاسى مع الريح حتى يعلم أينا أسبق فبينما هم على ما هم عليه من الحزن والقلق وإذا بالبحر قد هاج عليهم أعظم هياج وقد تلاطم بالامواج وأظلم حتى كانه الليل الداج ولا بقى يبان من المراكب لا لوح ولا سياج فعندها احتاجوا الجميع إلى ضوء السراج وقد تباكت الروم والإفرنج الاعلاج وتخلوا عن الحرب والقتال صاروا بين أمواج كانها الجبال فعند ذلك تغيرت منهم الاحوال وخابت الآمال وقصرت الآجال وطال عليهم المطال وعلى عليهم البحر كغليان المرجل وبطل القتال والعمل وصار الظلام كانه السرادق وقد سربعه الامواج المراكب ففرقتها عن بعضها بعض وصارت تلعب فى البحر طولا وعرض وقد اشتغل كل واحد منهم بنفسه عن أبناء جنسه ولم يزل الظلام دائم عليهم وهو جات البحر زاخرة وواصلة إليهم مدة ثلاثة أيام بلياليها على التمام وشيبوب يقول لأخيه عنتر وحق خالق البشر رب الأواخر والاوائل يا ابن الام ما أظن إننا بقينا نسلم من هذا البلاء النازل ولا نرجع نرى الديار والمنازل ولا فعل أحد ما فعلتا بارواحنا وأنفسنا بمجيئنا إلى هذه الديار وحق خالق الخلق ورازق العباد وما تاسفى على روحى ولا على أولادى إلا كيف تموت نطيس فى الماء ويشتفوا منا بنى زياد والربيع وأخيه عمارة القواد فقال له عنتر وقد تنهد وتحير وأظهر الجلد لا تخاف يا شيبوب وكن جليد وخل عنك كلام كل بليد وان كان لك أجل مديد ما تعمل فى جسدك الصوارم الجديد ومازال الربح عليهم عمال وهو هو قائم والعقل منهم هائم تمام الثلاثة أيام فلما إن كان فى اليوم الرابع انجلى ذلك الظلام وسكن هيجان البحر والغليان اذن الله الواحد الديان المنان الذى لا يشغله شان عن شان وقد انكشف البحر وبان علم يرمى تلك البحر والاقارب بل إن الربح شتتهم وبعضهم ضربتهم أمواج البحر ففرقتهم وقد الصقوا عند ذلك بعض مراكبهم إلى البر وأنزلوا خيولهم وأموالهم ورجالهم وأثقالهم ونزل عنتر وقد افتقد ما معه من المراكب فوجد قد عدم منهم ستين مركب بما فيها من الرجال والاموال والاهل والاقارب ومراكب سالمين من المعاطب وكذلك مراكب الخيل والجنائب فعند ذلك فرحوا ورموا مراسيهم وأوثقوا حبالهم وقد نزلوا الجميع على البر وضربت لهم

السرادقات والخيام ونشروا الرايات والأعلام وقد رفعت الصلبان وصليت القسس والرهبان وعظمت عندهم الفرحات ودقت الطبول حتى أزعجت البروروزنت الكاسات ونعرت البوقات والزمور من انزعاج البحر والغلياز وقد أقاموا خمسة أيا بليا ليهم وما كان في اليوم السادس شاور الملك هرقل الأمير عنتر في الرحيل إلى ديار الأعداء الشام فانعم بذلك وأجاب فدقت الطبول والكؤسات ونشرت عليهم الأعلام وخفقت الجنود والرايات وصهلت الخيول الصافنات وتقدمت من الفرسان السادات وقد ساروا وعنتر سائر قدم القادات ومن لهم بالحروب عادات وقد ساروا وعنتر سائر وخلفه الحفظ المراكب بعض الفرسان وسار عنتر في مقدمة الجيش وأخيه شيبوب وولده الخذروف بين يديه فعند ذلك تذكر عنتر ما جرى له من نوائب الزمان والضير وما فعل معه بنو عبس بعد ذلك الصنيع الذي صنعه فعندها تحسر وفي كياد بني فزاره يفكر فجرت دموعه على خدوده كالمطر وقد افتكر عبلة فزادت بلابله وأنشد يقول هذه الأبيات :

كم توردوني عتابا غير مسمعي ... وأنفق العمر بين الناس والطمع
وكم أجد عد الأيام معترضا ... ما يحدث الدهر والأيام من فزع
ولست أحيد عن صبري وعن جلدي ... لو داس من فوق أنفي الموت لم يدع
أقيل النقص والايام مقبلة ... والبيت في دورة العلياء مرتفع
لا ركبين من الاهوال أعظمها ... وكلما يحفظ الرحمن لا يضع
وكم أكون كمن يسعى وغايته ... ومنتهى سعيه المردى والتبع
أيذهب العمر لا يزال معاندي ... خصمي وجاري بقربي غير منقشع
وبين جنبي عزم يقتضي همما ... لو ضمها صدر هذا البحر لم يسع
فلا رعى الله أرضا لا أكون بها ... وكم لمست يصبري من اسى وجع
كم عاين من ضميري مكتمل ... وليس يوجد صفو العيش في الجزع
وكم سقا بي من كاس على طما ... أمر في الطعم من سيري ومن شلع
وما رماني بسهم من نوائبه ... الا ملكت بصبري هامة الدرع
سل الاخلاء عمن صحبتهموا ... يوما من الدهر إلا والوغا تبع
القا مسيئهم متبســـما ... حتى كان لم يخن دهري ولا يضع
وسلمهموا عن وفاء ثقاتهموا ... خبر ولم بشر في عرضي ولم يبع
وقد تفكرت في شاني وشانهموا ... فبان لي ذنبي عندهم ورع
فآه من ذفراني كلما صعدت ... في الصدر كانت كوقد النار في الضلع
يسوقه آسفا قد بان من ندم ... شيء على وصم المغبون في الطمع

وليس ذلك فى عام أقمت به ... حيا وأفناه صرف الدهر والجزع
ولا على شدتى أخشى عواقبها ... والناس قسمان ذو بأس وذو ورع
لكن على درة تزهر جواهرها ... فى عقد كل نظام غير منقطع
كم لمت قومى لا بل كم أنذرهم ... من اقتراحى وأحلامى لم تتبع
فلم أجد بإياس غير مرتحل ... عنهم لهم أسوة بالغير مبتدع

(قال الراوى) فلما فرغ الامير عنتر من انشاده والنظام طربت الرجال وقد شكره الملك هرقل ومن كان حوله من الابطال وقد ساروا طالبين ديار الملك الليلمان وقد كانوا جدوا فى ذلك الاهتمام لاجل الحرب والصدام فهذا ما كان منهم من الكلام وأما ما كان من الليلمان نسل الحرام فانه لما قامت تلك الروابع عرق مراكبه شىء كثير من كثرة ما نالهم من الظلام والريح العسير وما سلم منهم إلا اليسير فعندها طلعوا من البحر وساروا إلى جزائرهم وقد كثر بينهم الكلام ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى جزيرة الكافور وقلعة البلور وقد التقى الملك الليلمان بولده سرجوان ولم يكن له ولد غيره فى ذلك الزمان فلما التقاه وقع فى صدره فعانقه وباس يديه وهناه بالسلامه من غير ندامه ثم إن الملك دخل إلى قصره وجلس على تخت مملكته وقد جمع حواليه أرباب دولته وقص عليهم قصته وما جرى على مراكبه من الغرق وقتل رجاله وعدم أجناده وما نالهم فى حربه مع عنتر ونزاله وكيف كانوا قد استظهروا عليه وأخذوا بعض مراكبه وكيف هاج عليهم البحر وأبدى عجائبه وقد ظلموا الجو وغابت كواكبه وكل مناقد آيس من الحياة وانقطعت مآربه وبعد ذلك يجب علينا أن نخبر الحمد ونذهب للتقى العداق الحرب والجلاد وكرات الاسود عنتر بن شداد ومن معه من العشائر والاجناد إن كانوا أسلموا من الغرق وأتوا إلى هذا المكان ثم بعد ذلك أمر الرجال باخذ الاهبة للحرب والقتال وقد سير المراكب إلى سائر البلاد والقلاع وقد جمع ملوك تلك الارض والبقاع وأمرهم أن يكونوا على أهبة الحرب والقتال والقراع فما كان أكثر من ثلاثة أيام حتى أقبلت العشائر وانقادت الساكر وهم مثل السيل إذا سال وقد أمر الليلمان باخراج الاقامات والعلوفات وتجهز فى مائه ألف عنان لابسين الحديد مدججين بالزرد النضيد وهم من فارس شديد وقدم عليهم بالسيوف الهندية والقنطاريات الافرنجية والبيض العادية والدروع الدوادية وتحتهم الخيول الغربية ورحلوا طالبين عشائر الملك قيصر وابنه هرقل وعنتر بن شداد فارس طائفة العبسية وقد ساروا ذلك اليوم والثانى والثالث وفى اليوم الرابع أشرفت عليهم غبائر وزوابع فتيقنوهم وإذا هم أصحاب البلاد والقلاع التى حولهم وهم هاجين خائفين وجيوش الروم لهم طالبين فاخبروا الملك الليلمان بذلك فامرهم باخذ الاهبة للقتال وركوب الاهوال فتأهبوا

كما أمرهم ونزلت الرجال للراحة وذلك بسبب الخيل لتعبهم وقت القتال فما لبثوا أكثر من ساعة حتى طلع عليهم الغبار وارتفع وثار وأظلمت منه الاقطار وانجلا ضوء النهار ساعة وقد بانت راية الملك قيصر واشتهر الامر وظهر وتقطع الغبار وبرق في الاقطار وصهلت الصافنات وعملت الرياح عمائلها في خفق البنود والرايات ودقت الطبول وضربت للنفارات ونعرت البوقات ودقت الكؤسات وركب الملك الليلمان وحوله القسس والرهبان وتبادرت الفرسان والشجعان وضربت كؤساته ونعرت بوقاته ولشرت أعلامه ورايانه وتقدمت حماته وكماته ولما وقعت العين وتقابلت الجيشين واصطدمت الفريقين وحان الحين وزعق عليهم غراب لبين ودقت النواقس من الطائفتين وضجت الرهبان وكل قسيس ومطران وقد ارتجت بهم الارض وجالوا طولا وعرض وصهلت الخيول ولمعت النصول وامتلات الطلول وجالت الفحول واشتاقت إلى القتال والرجال وهمهمت الابطال ونمى الصياح وقلعت الارواح وخافت منى القنال الاشباح ولمع السلاح وأخذوا في القتال والكفاح وتقدم اللليمان وقوى قلوب الشجعان ورتبها في الميدان وقل الكلام وقد أراد الليلمان أن يبرز إلى القتال والجولان فسبقه عنتر إلى ساحة الميدان وطلب براز الاقران فعندها برزت إليه الفرسان وصارت تخرج من تحت الاعلام والبنود وعنتر يفترسهم افتراس الاسود ويطعن فيهم بطعن لا تدركه الاوهام ولا يعرفه أحد من أهل هذا الزمان ولم يزل في الميدان ينهب أرواح الفرسان من الابدان حتى صارت الشمس في قنة الفلك وهو قد لاقى الاهوال والاخطار وقد أهلك ماتة فارس كرار وأرى ملك الافرنج عنترليثا مغوارا وأسدا هدارا فلما رأى ذلك غضب وصارت عيناه مثل النار وصرخ صرخة أرجف بها قلوب الحضار وأزعج خواطر النظار وعزم على البراز في بقية ذلك النهار إلا أن عنتر الليث الكرار لم تمهل عليه الافرنج دون أن حملت بحملتها وأقبلت بقنطالليتها وهم طالبين المجال كانهم قلل الجبال وجردوا مشرفياتهم فصرخ عند ذلك هرقل في أجناد الروم فارتجت تلك الارض وانزعجت سكان تلك التخوم وكان ذلك يوما يشوم وقدحت الخيل شرار النار وأظلم الجو وأسودت الاقطار وطلب الجبان الفرار وخاف الشجاع من النار والفضيحة والشار وندمت الرجال على فوات الاعمار وجرت الدماء شبه الانهار وباحث القلوب بالاسرار وتهتكت الاستار وقل الاصطبار وهانت المنية على الاحرار وولى منذل من خوف البوار وعميت الابصار وتسكدرت الاقطار واشتدت الاحطار وأقبل آخر النهار وشيبوب وولدة الخدروف يحمون جواده من الاضرار وهم كانهم شعل النار وقد تمنوا أن ذلك اليوم يدوم ولا يشاهدوا أمواج البحار ولم يزالوا يدورون حوله ويحمون ظهره كيف ما مال ودار حتى ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد خسرت خيالة الافرنج وتضعضعت وتأخرت وقد عاينوا من

عنتر العبوس ماشيب منهم الرؤس لانهم بلوا بفارس لا كالفرسان وشجاع قد ناق على الشجعان وكانت طعناته تهد الاساس وضرباته تضيق الانفاس وما ولى النهار وأقبل الليل حتى فعل عنتر فعال تحيرت منه الابصار وجرى له من الافرنج يوم يذكر ما بقيت الشمس والقمر وقتل من خيالة الافرنج خلق لبس عليهم من عيار ولو لا عنتر كانت عشائر الروم طلبت الفرار وهربت إلى سائر الاقطار وقد انفصلت الطوائف عند أقبال الظلام ونزلت فى مضاربها والخيام وقد حمل الليلمان من عنتر مالا تحمله الجبال وأطلق فى قلبه نار الاشتعال وعلم انه ويل من الاقيال لانه كان يقول إذا ما أحد من سائر الابطال يقدر يتقدم ويقف قدامه فى قتال ولا فى نزال فاقسم بالصليب والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل لا أحد يفتح باب الحرب غيره باكر النهار ولا يبرز لعنتر شواه ليأخذ الفرسان منه بالثار ثم أنه بات فى تلك الليلة وهو متفكر فى الحرب والكفاح وهو لا يصدق أن يصبح الصباح وما زال على ذلك الافتكار حتى بان ضياء النهار وركبت الجموع ولمعت الدرع واصطفت المواكب فرق ولمع صارم الحام وبرق وهم الليلمان بالخروج إلى الميدان من شدة الغيظ والحنق وإذا بعنتر إليه قد سبق وجال وصال وطلب القتال وسال البراز وطلب الانجاز واتكا على رمحه فى وسط الميدان وقد رمقته أعين الفرسان وأنشد يقول هذه الابيات الحسان :

الا يا كلاب اليوم دونكم حربى ... سأفنيكموا بالاسمر المران والغضب
دونكموا الليث الذى لا يرى له ... مثل ليوم الحرب والطعن والضرب
أنا عنتر المعروف فى كل موقف ... إذا أنفرت نفس الجبان من الحرب
رضيت ورب البيت أن يبرز لى ... الوف بطعن الرمح من الشرق والغرب
وانى فى الميدان كفؤ لجمعكم ... ملى وأن النصر من فارج الكرب

(قال الراوى) فما أتم عنتر هذه الابيات برزت اليه فارس كأنه الاسد الغضبان على جواد شديد الجريان أشقر اللون مليح الكون بصاص الشعرة سابل العرة وعلى الفارس درع مكوكب ذهب وفى صدره مراية من الجوهر نورها يأخذ بالبصر وكان فوقها ثوب أطلس أصفر مليح المنظر محشوا بالمسك والعنبر تغلب من حسن وصفه البشر واكمامه قد عقدها إلى وراه بشراريب إبريسم أحمر وقد أخرج الفارس يده من جلباب درعه وبقى فى ذلك الزى المنظر وعلى صدره صليت عجيب بالذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وله عينان كانهما عيون غزلان وعلى رأسه واكتافه خمس لؤلؤات كبار كل واحدة قدر مثقال تساوى كل واحد الف دينار من الذهب كل من رآهم يأخذ لنفسه العجب وكان هذا الفارس هو الملك الليلمان فتوسط الميدان ونادى يا أسود الجلد وبالون القطران ويا ولد الزنا ويا ابن الاما لقد أكثرت الكلام وأطلت المقام يا ولد الحرام دونك وضرب الحسام لاسقيك كاس

الحمام وأفصل لحمك من العظام فلما سمع عنتر هذا الكلام وماذكره الليلمان لم يخاطبه بلسان بل حمل عليه حملة الأسد الغضبان والنمر الحردان فالتقاه الملك الليلمان بقوة قلب وجنان إلا انهما لما تصادما ضرخا صرختين رفعت لهما الخيل رؤسها ولعبت باذنابها وارتجفت أجسادها وقد ارتعدت قلوب ركابها وظنت الطائفتين أن السماء قد فتحت أبوابها ونزلت عليهم عذابها ثم انفسحا بعد ذلك الصراخ والصياح كما تنفسح الكباش للبطاح وعادوا قد جردوا على الارض عوامل الرماح وتكافحا أشد كفاح وقد تحير من فعالهم العقول الصحاح وكان لهما ساعة تذهل منها الارواح إلا أن الملك الليلمان قد عاين من عنتر أنه فارس ليس كالفرسان وشجاع لا يقاس بالشجعان وبطل لا يمل من الجولان ونظر من نفسه التقصير وعرف عنتر منه ذلك معرفة خبير فجد معه فى المطاولة والمطابقة وأخذ فى الكر والفر واحتك الركاب بالركاب وبطل الخطاب وقل الجواب فقام عنتر فى مداده وتمطى فى ركابه وضربه بصارمه المهند ضربة بطل امجد طير رأسه عن الجسد فمال عن الجواد معفرا فى السبسب فلما نظرت الافرنج إلى ملكها قتيل وهو على الارض منطرح جديل حملت على عنتر بجملتها وقد أظهرت شدتها فامر هرقل الروم بالحملة والتقى حدتها هذا وعنتر انطبق على الافرنج وطعن فيهم طعنا أقوى من الصخر وجنان احرى من تيار البحر فما طلع فارس ارداه ولا شجاع إلا اعدمه الحياة وما أدرك بطلا إلا وعجل فناه فعندها ارتخت الافرنج وحملت وضربت طبولها وازعجت من البر نواتيها وإلى المعمعة طلبت وعلى الهلاك عولت ولكاسات الحمام نهلت وللسيوف ولرسل المنايا أرسلت وللاعلام الشرت والاسنة طرقت والرماح تحطمت والصدور تحسفت والدروع تمزقت وفرت والنفس ضجت والوحوش هجت والافرنج خسرت وعلى أنفاسها تحسرت وحملت الروم عليها بكليتها وصلبت على وجوهها من حنقها واتهلت سحائب الموت على الافرنج فاقتها ودخلت عين الزوايا عليها فارغمتها وحمل عنتر على الفرسان وهجم على الشجعان وصدمها بصدره وقت القتال وهاج فيهم كما تهيج فحول الجمال ونادى بأخيه شيبوب وهو فى أوائل المعمعة وقد تصوربهم ملك الموت بصورته الرائعة وكان عنتر ما لقى فارسا إلا وقمعه ولا شجاعا إلا وصرعه ولا رجل مذكور إلا رفى الحياة أفجعه ولا بطل هام إلا وبالحسام بضعه لأنه كان فى ذلك الزمان وسالف العصر والاوان لا رجل أشع منه ولا أجلد منه ولا أنجب ولا أفصح ولا أنجع ولا أقرس ولا أعبس من عنتر بن شداد لأنه كان يقتل الفارس والمائة والالف من القادات ويزجع سالما من الجراحات فلما كان ذلك اليوم لم يزل يقبض الارواح حتى تأخرت الافرنج وطلبت الرواح ورأت لانفسها الفرج من ذلك المضيق والحرج فلله در عنتر وما فعل لانه أخرج الصفوف وسقى الافرنج كاسات الحتوف وقطع منها الاجساد والكفوف وقد تكردست عليه المائة والالوف

وما تأخر الافرنج عن موضع الحرب والضرب وقد تخلصت من البلاء والكرب وكاه تأخرها سبب نجاتها فحملت اثقالها واثقالها واتبعت الهرب ورأت سلامة أرواحها أولى طلب وتبعها عنتر الجحجاح وكذلك الملك هرقل بعشائر الروم وهم يطعنون فى ظهورهم بالرماح الذابلات أو فى من ثلاث ساعات وعادوا وقد التقى هرقل بعنتر بن شداد فقبل صدره واثنى عليه وقد تذكر عنتر ملاقاة الابطال وقتاله للاقران وكيف قتل الملك الليلمان فانشد يقول هذه الابيات :

أنا العبسى قتـــال اللئام ... ولى فى الحرب أوقات كرام
ذكرت عبيلة فى وقت حرب ... فاصبح حبها بقلبى يرام
وها أنا عاشق إذا اشتعلت ... غداة البين عاودنى غرام
فتكسر أملها من نصل سبقى ... بقبضته مقاليد الحـــام
لقد كذبت نفسك فاصدقيها ... لها مثلى يـــدوم بها مقام
وفى حربى رددت الخيل عنها ... وهمت بها والقيت الزمام
فقلت لها أقصرى عنها وحيرى ... فقد تظم الركائب بالحزام
غداة الروع حين سمت الينا ... كتائب تبتغى رســـل الحمام
بأيديهم مهندات وسمر ... علوج حول رى ملك همام
فخلوا وتركوا حرب عون ... قلائـــدة سباسب كالخـــزام
ويكن كل صوت غير صوتى ... بوادرهـــا تشاريـــع السهام
وخيل سقتها بالرمح قسرا ... وبعضهموا ممضض باللجام
تركت نساءهم تبكى عليهم ... أخوة وأمه من نسل حام
كتائب جيش افرنج وروم ... كان جبينها حجر الظـــلام
يكر عليهموا مهر كريم ... غـــداة الروع أمثال النعام
وان وقوف مرجع مرتقيـــه ... تثير النقع بالموت الزؤام
يقدم وهو مضرب صروم ... حماة الروع فى رهـــج القتام
وراكبه ينادى بالعبس ... كان ضياها شعل الضرام
عجور من بنى حام بن نوح ... حريق فى حريق ضرام
وخيل تحمل الابطال شعثا ... وصوت مهندى عند الزحام
هناجيج تخب على رباها ... على طرف كبير حان الظلام
وهى خيل مسومة عليها ... يرددن التفجع وهو دام

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من أبياته طربت الشجعان غاية الطرب وقال له شيبوب لارد

الله ذاك ولا كان من يشناك ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى الخيام وقد انسدل الظلام هذا وهرقل يقبل صدر عنتر الهمام ويهنيه بالسلامة من القتال والصدام فأثنى عليه وشكره ونزلوا فى المضارب والخيام وأخذوا الراحة وأكلوا الطعام وعزموا على المنام بعدما أقاموا لهم حرسا من الأعداء اللئام ورقدوا إلى أن طلع الفجر وقد أقاموا ذلك اليوم كله يجمعون فى الأسلاب والخيل والذهاب وكل مال جسيم وملك عظيم وحولوا الجميع ثم أنفذوه إلى مواكب وعزموا على الرحيل طالبين جزيرة السكافور وقلعة البلور وقد أنجزت العشائر والفرسان طالبين أثر الليلمان وقد أمر عنتر الناس بالرحيل فدقت كؤسات الرحيل وأزعجت الخيل الأرض بالصهيل ونشرت الرايات ونعرب البوقات وضربت الكؤسات ورفعت الأعلام على رأس الملك هرقل وعنتر سائر فى المقدمة وبين يديه كبار الجحافل فجاشت عبلة بخاطره فزادت بلابله فأنشد يقول هذه الأبيات

طلل لعبلة بالحجاز مقيم ... فيظنها بالأنعمين رسوم
وسارعت نحو الديار تعاقد ... أفراح خيل فى الزحام قشور
وإنى فارس جلد على الأبطال ... الناطق بالمبروم والمجذوم
وكان ظعن الحى لما أقبلت ... على والحى ارتفعت لهن جروم
كسكارم عظم فى خليج لجم ... دخلت وفيها موقد مكتوم
وعشية فى الجيس أسلم جيشه ... الليلمان معفر مكدوم
ولقد أتى فى جحل ومثاله ... قد كان ذا رأى له وحريم
بلغت بهم أحلافهم ومعالهم ... والصرب بالهامات والتقديم
وهما حماة البحر حين توعدت ... روم وإفرنج للقتال تروم
مازلت أضرب ايهموا بمهند ... والمهر تحتى فى الدماء يعوم
حتى استقاموا فى الفرار هزائما ... وخيولهم بهم تقع وتقوم
هذا هو الشرف الذى من ناله ... بلغ العلا من ذاهب ومقيم

(قال الراوى) وسار عنتر والملك هرقل فى عشائر الروم طالبين جزيرة السكافور وقلعة البلور فهذا ما كان منهم وما جرى لهم وأما ما كان من عشائر الملك الليلمان فإنها لم تزل فى هزيمتها إلى أن وصلت إلى جزيرة السكافور وأعنوا بالويل والثبور وعظائم الأمور ودخلوا على سرجوان بن الملك الليلمان ونعوا إليه وأكابر قومه وذوبه وكان شرجوان هذا شيطان فى صورة إنسان عدو ولى عهد أبيه وصاحب حله وعقده والموصى له بالملك من بعده والحاكم على عشيرته وجنده فلما أن نعوا له أبيه بين قتلك الأجناد وأخبروه بأن الذى قتله عنتر بن شداد فعند غشى عليه واسودت الدنيا فى عينيه ونادى ياويلكم أخبروقى

بأمركم وما الذى تم لكم فقالوا يا ملك قتلت الرجال ونهبت الأموال والملك تركناه ملقى على وجه الارض والرمال فدع عنك السؤال وانتخ نخوة الرجال أصحاب المنازل العوال فقال لهم ويلكم أنتم سرتم فى مائتى ألف عنان والملك بشجاعته ورأيه الصائب كان فيكم وفى كم كانوا أعداكم فقالوا له يا ملك ما نظن أنهم يصلون إلى عشرين ألفا من من الرجال ولا قتل الملك وكسرنا الافارس أسود على جواد أدهم وفى يده صارم مهند إلا أنه ما حمل على جمع إلا تبدد وصارت الرجال بين يديه تشرد مثل الغنم قدام الأسد ومعه رجلين مثل العارضين يحمون جواده بالنبال ولم تخطى نبالهم عن الأكباد وهذا آخر حديثنا والمقال فدبر نفسك واعتد للقتال قال القوم لك قاصدين وإليك واردين وبعد يومين تراهم على جزيرتنا نازلين فلما سمع سرجوان مقال الفرسان علم أنه قد داخلهم الفزع والخذلان فنهض من وقته وساعته مثل الأسد الغضبان وقال وحق الصلبان وبيعة نجران ويوحنا والراهب شمعان وصلاة القديسين وما أنزل فى القربان من البركة والبرهان ما بقيت أرجع حتى ما أبقى من هذا الجيش من يركب على حصان وأفرى رؤسهم والابدان وأفودهم أسارى فى حبال الذل والهوان بعد قتلى لهذا الأسود الكشحان وأصلبه على قلعة البلور بعد ما أقطع منه اليدان وأتركه حتى تأكل محاجر عينيه النسور والعقبان وبعد ذلك أسير إلى القسطنطينية وأقتل الملك قيصر المهان وبعد ذلك يبان الملة النصرانية وأينا أعظم وأقدر شجاعة وأعلا مكان وبعد هذا المقال أمر العشائر بأخذ الأهبة للقتال وكان قد وصل إليه بعد مسير أبيه عشائر بعدد الرمال لأنهم قد اجتمعوا فى الجزائر وأتوا إليه على استعجال فعاوده قتل وعلى الأرض بجندل وقد وقع ما سمعتموه من الأقوال فعزوه فى أبيه وهنوه بالملك الذى صار فيه فاعرضوا العشائر ذلك اليوم عليه وكانوا مائة ألف جبار من الجبابرة الأعيان ففتح خزائن السلاح وفرق عليهم آلة الحرب والكفاح وخفقت الرايات ونعرت البوقات ودقت الكؤسات والطبول ورفعت الصلبان وظهرت البطارقة والقسوس وأمر البطرق بدق الناقوس بعد ما صلى عليهم صلاة الأموات وحرضهم على القتال والثبات وبرزت العشائر بعد ما أجلس كوبرت على كرسى البلد وترك عنده عشرة آلاف فارس من الفرسان القناعس وقد أوصاه بحفظ البلد وعلى ما فيها من النساء والصبيان ومن الخدعول على الرحيل وقطع ذلك البر الطويل ولم يزل سائرا إلى وقت الزوال فنزل هو ومن معه من الرجال لأجل الراحة والمنام ليريحوا نفوسهم والخيل لأجله ما تعينهم وقت الحرب والقتال وباتوا تلك الليلة وأصبح راحل طالب عشائر الملك هرقل ابن الملك قيصر وابن شداد عنتر ولم يزل فى جد السير إلى أن تضاحى النهار فثار من بين أيديهم غبار الأعداء فأمر عشائره بالنزول فى البيداء وقد اعجبه ذلك المكان وقال هذا يصلح للجولان وضربت السرادقات والاعلام والخيان وأركزت البيارق وركبوا ظهور الخيل

وتقدمت السادات والملك سرجوان راكب وقد اشتبكت حوله البطارقة وعلى رأسه الصلبان والرايات وانكشفوا لبعضهم الطائفتين وحققوا بعضهم برأى العين فعند ذلك لم يجدوا الجيشين ثبات لسبب الحقد والكسرات فحملت طائفة الافرنج بقلوب ونيات وعزمات صافيات والتقتها جيوش الملك هرقل بشدتها وأظهرت حدتها وسطوتها فقويت قلوبها بعنتر لأنه سيف نقمتها وشجيع مملكتها واصطدمت الجيشان وتقاتلت الفريقان ورفعت على رؤسهم الصلبان وضجت القسس والرهبان من كل جانب ومكان وأجرت الأرض بالدماء وفارت كالغدران تقابضت الرجال باللحا وتعلت الفرسان فما كنت ترى فى ذلك اليوم إلا رأس طائر ودماء فائر وجسان بصحابه غائر وشيخ مطروح وغلام مذبوح وفارس مجروح وفؤاد مقروح ودم مسفوح وهذا يغدو ويروح وهذا يبكى على نفسه وينوح هذا وعنتر قد اخرق الصفوف واورد الافرنج موارد الحتوف وطير بضرباته الجماجم والقحوف وطلب عنتر الملك سرجوان والرايات والاعلام عكوف وشيبوب بين يديه والخذروف وهم يرمون الاعداء بالنبال ويصيبون بها لبات الرجال ويحامون عن الابجر يمينا وشمال وعنتر طالب العلم الاخضر والصليب الجوهر ليقتل حامله وينال ماهو مؤمله وكان هذا رأى شيبوب فارتفعت عليهم الاصوات إلى العنان وخروا للاذقان وأشاروا إليه الافرنج بالدعاء والتبجيل والقوم يضجون من كل جانب وحملت الكتائب وتكردست المواكب وعزت المطالب وقاتل الملك سرجوان وقتل الابطال وجندل الفرسان وقد دارت به القسوس والرهبان والشمامسة والمطران والبخور قد عقد كالدخان بتلاوة الانجيل والتوراة ولم يزالوا سائرين سير هادىء قليل حتى جاء البطريق وقرب القربان وتوجل إلى الملك سرجوان ومسس على رأسه وصلى عليه صلاة الموت وتلا عليه من الانجيل بعد ما بجره بقطعة من رجيعة صغيرة وبجره ثلاث مرات ونهاه ذلك اليوم عن القتال وأمره بتبطل الحرب النزالفاجا به إلى ذلك وشمع منه المقال وافترق الخلق بعد ماوقع الانفصال ورجع عنتر وقد تماغيظه وزاد بسبب أنه ما نال مراد ولا شفى له فؤاد ورشيبوب يهون عليه الأمور وعشائر الملك هرقل ونزلت ودارت من حوله من كل مكان والمقسس قد نفرت ودقت نواقيسها وتلت تقديسها فقال عنتر لشيبوب ويلك يا ابن الام اخبرنى عن اصحابنا وما جرى على عشائر الافرنج مع الروم فقال يا ابا القوارس قد عزم اليترق أن يصلى عليهم صلاة الموت الميشوم لأنها صلاة قد اخترعها آباؤهم وهم متبعين ذلك الفعل المذموم فقال عنتر ويلك من يصلى عليهم صلاة الموت الميشوم ما يرجع يفلح ولا يقوم وحق والذى ملكه يدوم وما اظنه عليهم صلاة ميشوم على الافرنج ولا على الروم أذل الله سبالهم على قبيح فعالهم (قال الراوى) ولم يزالوا فى الخيام وتناول

الطعام حتى أقبل عليهم الظلام وقد عزموا على المنام وقد أضرموا الفريقين النيران إلى وقت الصباح فلما أضاء الفجر ولاح ركبت الابطال الجرد القداح وأشهروا فى أيديهم الصفاح وتفاخروا فى لبس السلاح ومدوا عوالى الرماح وطلبوا الحرب والكفاح واختلطت العشائر وارتفعت الغبائر وتقابلت الفرسان والجنود وصار الغبار مثل الرواق الممدود وتصادمت الافرنج والعلوج والروم قد حملت من كل فج وأظهرت العجائب وطعنت فى الصدور والجوانب وغاصت الاسنة فى الاحساء والترائب وكلت الزنود والسواعد والمناكب وقاتلت الافرنج ذلك اليوم قتال من كره طول الاعمار وعمل القتال إلى أن صار نصف النهار وعنتر يجول فيهم عرضا وطولا وإذا به التقى ببطريق الملك سرجوان فى وسط المعمعة يجول ويحرض أصحابه على القتال فحمل عليه عنتر حملة أسد قسور ليث غضنفر ووقع بينهم ضرب يعمى البصر ويحير النظر حتى حل بالبطريق العبر والعب والخذلان والضجر فعندها صاح عنتر عليه صيحة هائله وزعق عليه بصوت يفزع الأموات وحمل عليه حملة رجل جبار وطعنه بالرمح فى جانبه الايسر أطلع السنان يلمع من جانبه الايمن فمال عن الجواد كانه طود من الاطواد وصار يخبط على المهاد (قال الراوى) ولما نظرت إليه الافرنج وهو قتيل وعلى وجه الأرض جديل ماجت عند ذلك وأضطربت وعلى وجوهها صلبته وانطبقت على عنتر بن شداد واقتحمت وعليه هجمت وقد بطل المجال وجرى الدم وسال وحل بالجميع الوبال وزادت نيران الحرب اشتعال وكان حطبها أجساد الرجال والرماح وسرارها بريق السيوف الصقال ودخانها غبار المجال وقد انعقد لضيق المجال ومامعه أسنة تسبق الاجال قال الراوى وأنه ماجلا ذلك اليوم غبار وأجرى الدماء كالغيث المطال إلا أبا الفوارس عنتر الربال لانه أعطى بذلك النهار السيف حقه والرمح صدقه ولم يزل الطعن فى صدور الافرنج بالسنان ويجندل الابطال فى وسط المجال وقد حير بفعله عقول الرجال حتى قربت الشمس على الزوال وقد افترقت الطائفتين عن القتال وقد تحارسوا الفريقان وأوقدوا النيران وصاروا الافرنج يشكون حالهم إلى الملك سرجوان ابن الملك الليلمان أن وقد صاروا حيارى مما حل بهم من الخسارة فلزار سرجوان بعدهم بالنصر على أعدائهم لأنه عند الصباح يبرز إلى الميدان ويقتل عنتر الجحجاح ويأخذ منه بالثار ويكشف عنهم العار وشكره البطارقة والقسس والرهبان وعلموا عليه ثلاثة صلبان الواحد من الذهب الوهاج والثانى من خاص العاج والثالث مرصع بالدر والجواهر لم يوجد مثله عند قيصر وقد صلوا عليه صلاة الموت وداروا عليه القسس والرهبان من كل جانب ومكان وصاروا يبخروه ويقرؤا عليه الناس الاكبر وكل ذلك خوفا من أبا الفوارس عنتر وهم يتلون الانجيل وما زالوا على ذلك الرواح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح

فعند ذلك ركبت الفرسان على الجرد القداح واعتقلوا بعوامل الرماح وتقلدوا بالبيض الصفاح واصطفت الفريقان ورتبوا جيوشهم يمينا وشمال فعند ذلك خرج من عشائر الافرنج فارس على الحديد غاطس وعليه زرديه تردأ سباب المنيه بالذهب مطليه وهو راكب على جواد أشهب إذا صهل كاد أن يتكلم وله غرة كالدرهم فعند ذلك صال وجال حير عقول الابطال وصبر يتقلب على ظهر الجواد وحارت من فعله سائر الاجناد حتى توسط الميدان وصار بين الصفان ونظرت إليه الطائفتان فأعاذوه النصارى من نظر الاعيان وقد سأل البراز وطلب الانحاز ونادى بلسان عربى فصيح ولفظ مهذب مليح يا عشائر الروم هل مبارز هل من مناجز من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فانى خفا أنا الملك سرجوان بن الملك الليلمان الذى قتل أبى عبد شداد ولا بد أفيكم وآخذ منكم بالثأر وا كشف عنى العار فما أتم كلامه حتى برز عنتر إليه وصار قدامه وحمل عليه من غير شعر ولا نظام وتجاولا مع بعضهما فى الاكام وقد أحتارت من فعلهما سائر الشجعان وشخصت لهما الاعيان ومازالا فى كر وفر حتى بان من سرجوان التقصير وعرف عنتر ذلك منه معرفة خبير وهجم عليه ولا صقة وضايقه وطعنه بالرمح فى صدره خرج السنان يلمع من ظهره فوقع على الأرض جديلا معفرا فلما رأت عشائر الافرنج إلى ابن ملكهم سرجوان صار على الأرض والكثبان حملت على عنتر حملة رجل واحد وقالوا له شلت أنامك يا ولد الزنا وتربية الامة اللخنا وعنتر لا يفهم كلامهم ومال عليهم وحملت من ورائه عشائر الروم فى أوائلهم الملك هرقل بن الملك قيصر فعند ذلك صلبت الافرنج على وجهها ومالت بكليتها ووقع الضرب وقل الخطاب ومازال السيف يعمل والرجال تقتل ونار الحرب تشتعل إلى أن دخل الظلام وتفرقت الأفرنج فى هذا اليوم يمينا وشمال وتعجبوا من هذا المرام فلما أقبل عليهم الغيهب شكوا حالهم إلى أرباب المنصب فوقع بينهم الاتفاق ان يرحلوا تحت الغسق ويطلبوا بلد الكافور وقلعة البلور ويتحاربوا قدام المال والعيال وبذلك ينالوا ما يحبون ويختاروه فعند ذلك رحلوا من ساعتهم فى وسيع المهاد من خوفهم من فى الفوارس عنتر بن شداد فلما وصلوا إلى بلد الكافور وقلعة البلور التقاهم كوبرت بن الملك شهرمان وسألهم عن الشأن فعند ذلك أوضحوا له البيان وقالوا له قتل سرجوان ابن الملك الليلمان والذى قتله عبد أسود يسمى عنتر بن شداد فلما سمع كوبرت هذا الأمر والعناد أمر العشائر بالخروج خارج البلد ورتب الصفوف وفرق آلات الحرب والسيوف لأجل أن يأخذ ثاره وانكشف عاره وبعد ذلك فى مدة قريبه غير بعيدة طلع عليهم غبار وثار وسد منافس الافطار وانكشف الغبار عن أبى الروارس عنتر فلما رمقت بعضها بعض الطائفتان أبرز عنتر الخيام وصف عشائره وأجناده وجعل الملك هرهل تحت الرايات وبعد

ذلك برز إلى الميدان وطلب مبارزة الشجعان فبارز إليه أحد بل حملت الافرنج حملة واحدة وكوبرت يطعن الفرسان ويجندل الأقران وايضا عنتر حمل وخاض القسطل وكذلك الملك هرقل والروم قد حملت ومازل الدم يبذل والرجال تقتل وكان ذلك اليوم عنتر أظهر فروسيته وتعجبت الفرسان من فعاله ومراكب الافرنج كلت من أعماله وعملت على الانهزام والحصار من أبي الفوارس عنتر ولولا قدوم الظلام كانت جرت عليهم هذه اما حكام ولما تفرقوا اجتمعت الافرنج على الملك كوبرت بن شهربان وهم فى غاية الذل والهوان فعند ذلك وعدهم كوبرت بأخذ الثار وكشف العار وعند الصباح يبرز لعنتر الكشحان ويسقيه كاس الهوان ولما سمعوا الافرنج ذلك الكلام ثبتوا لتلك الاحكام ومازالوا على ذلك الايضاح حتى طلع الصباح فعند ذلك خرج من عشائر الافرنج فارس بالحديد غاطس راكب على جواد أبيض من الخيل الجياد ونادى لا يبرز لى الا عنتر بن شداد الذى قتل اخوتى وهم سوبرت ويوبرب وخليلجان وقد نشأت عند الملك قيصر برهة من الزمان وعرفتم ما اعطيت عنده من الرفعة وعلو الشأن فليبرز إلى فارسكم الأسود الذى طغى وتمرد (قال الراوى) فما أتم كلامه بذكر عنتر بن شداد حتى أنه قفز بجواده وصار قدامه وقطع عليه كلامه وأخفى غيظه وأظهر ابتسامه ولما رأى حسنة واعتدال قوامه استحى من صدامه وضحك خجلا وسال لعابه لما رأى جماله وحن اليه قلبه وانشد وقد انفرجت عنه الدبله لما رآه يشبه فى حسنة إلى بنت عمه عبلة فانشد وجعل يقول :

جفانى البكرى منذ جفانى الحبيب ... فدمعى يفيض وقلبى مريب
وطرفى براعى نجوم السماء ... كأنى عليه يمينى رقيب
وحبى كالبدر فى تمه ... وظبى عزيز وغصن رطيب
له بالجفون مواضى السهام ... ومقصد ماجئت يرمى الكثيب
اصاب فؤدى لما رانى ... وماهو فى هجره لى مصيب
فيامن تكامل فى حسنه ... أجرنى فحالى حال عجيب
وقد سار نحو الفتى الليلمان ... عليك همام عزيز نجيب
فجندلته هاويا فى الثرى ... تهب عليه الصبا بالنجيب
ترى السيف فى راحتى مجذب ... أفديه الهام قدا عجيب
فيا وقعة شب فيها الوليد ... إذا ماتداعت لديه النحيب
أنا اسد الحرب عند الهيجاء ... اذ لاح وسط العجاج القريب
وتنظر لعبس سراة الوغى ... وفعلهم نجم لاتغيب

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره انطبق على كوبرت أسرع من الحمام وتقاتلا الاثنان

وتضاربا بالسيفان وما زالا على هذا الشأن إلى أن كلت من كوبرت اليدان وصعفت منه الزندان ونظر منه عنتر حالته وقد ضعفت قوته فصار يترفق به ويلين له العنان ويمزح معه في الميدان ويعف كأنه بعض النسوان ثم طعنه بعد ما خرج من خلف لأنه صرخ فيه أذهلة وحيرة وأضجره وأبهره وطلبه طلب شجاع قسور ثم أقلب سنان الرمح إلى ورائه وطعنه كما ذكرنا خلفه في تلك الفلاة وقد طار من فوق سوجه إلى فوق ثلاثة أذرع وهمز عنتر وخطفه من الهواء التقاه على زندة فاخذه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه إلى شيبوب فشده كتاف وبعد ذلك أخذه وأخرجه مع المعمعة وهو مشرف على التلاف فعند ذلك ولت الجيوش متفرقين حتى وصلوا إلى البلد وأغلقوا الأبواب وصعدوا إلى الاسوار ونزلت عشائر الملك قيصر وعنتر حول الجزيرة وضربوا خيامهم هذا وعنتر فرحان بتسهيل الأمر إلا أن البلد عشرة أيام وفي ليلة الحادي عشرة أيام وفي ليلة الحادي عشر اخذ عنتر في ذلك الواسواس حتى ضاقت منه الانفاس لاجل بعده عن الديار فقال له شيبوب ويلك يا ابن الام قدم لي جوادي الابجر فقد زاد على فؤادي الفكر فقدم له جواده وخرج بجرسهم والليل قد بدأ سواده وشيبوب وولده والفكر قد غلب عليه وهو يحدث أخيه فبينما هما في الكلام وإذ قد لاح لهما ضوء مصباح وهي نار بعيدة تارة تخفى وتارة تظهر فقال عنتر وذمة العرب الأخيار قد اشتغلت مني الأسرار لرؤيتي هذه النار لأن بلد أعدائنا حصين وها أنت نرى ما فيهم من الحذر والسماع ما يغني عن النظر والنار هذا الوقت تزيل الفكر فقال شيبوب وأي شيء هذا النار ونحن عربة في هذه الديار ومن حصل أين لك افتكار فقال عنتر يا مذلول الشارب نخاف من مكيدة أو حيلة أما تذكر ما جرى لنا في بلاد اليمن على مياه عراعر وما الذي دبرت لنا الساحرة نسل الفواجر فقال شيبوب وحق الاله القادر الساعة تعرف أن مالك معاند في هذه البلاد فاصرف هذا الهم عن قلبك فقال عنتر لا شك أن هذه النار لبعض السحرة وقد خفت أن يحصل لنا أمر يضيقنا فسر أنت يا شيبوب بين يدي الآن واطلب النار وأنا لا بد لي ما اكشف ما عند هذه النار من الأخبار فعند ذلك سار شيبوب وابنه بين يديه وقد قطعا عليه الكلام وعنتر وراءهما حتى انتهى بهم المسير إلى أجمة مشتبكة بالشجر وقد سار وقت السحر فاذا هو بمرج راسع وذلك المرج قد فتح فيه عيون النرجس كأنه مقلة سكن القمر قد اشرق واضاء كما قال فيه الشاعر هذه الأبيات

انظر إليه كزورق من فضة ... قد أشغلته حمولة من عنبر
والروض منتظم النبات كأنه ... حل العقود وذرة كالأصفر
اما غيث قد تقاطر بله ... من لؤلؤ مثل العقيق الأحمر

(قال الراوى) ولم يزل شيبوب وابنه يسعيان فى الشجر وعنتر وراوهما فى الاثر حتى خرج من تلك الأشجار إلى مرج قد أشرفت جنباته وتكاملت صفاته وتمايلت أغصانه وقد فرشت أرضه بالبهار وقد حوى ذلك المرج ما حير الأبصار وفى وسطه نهر جار وعلى جانب النهر قصر عالى البنيان وله باب بمصراعين حديد وشباك ضيق العيون حديد فتقدم عنتر وأخوه إلى جانب النهر وإذا بجسر منصوب فترجل عنتر عن الابجر وربطه بعدما أن شد لسانه بشعره حتى لا يصهل ثم قال لأخيه أعبر يا أخى حتى أكون لك تابع ومحامى ففعل شيبوب ولم يتأخر وتبعه أخيه عنتر وقد حدثته أنه بقى وحده (قال الراوى) ثم أنهم دنوا من الشباك فسمعوا من داخله كلام عربى فصيح وهو يقول وحق المسيح والسيدة ذات الوجه المليح لقد اجتمع على قلبى هم عظيم وأصابنى خطب جسيم فلما سمع عنتر وأخيه ذلك الكلام والخطاب تقدما إلى عند الباب حتى يكشفا الخبر لأجل أن يعلم أن كان المتكلم أنثى أم ذكر وإذا بقائل يقول للمتكلم الأول يا ملكة نحن قد عرفنا أن قلبك مشغول لأجل الملك كوبرت وما جرى عليه من الأعداء فعلم عنتر أن المتكلمة امرأة تجاوبها فقالت لها وحق المسيح ما عندى من أمر الملك كوبرت لا هم ولا غم إلا أن وجدى زائد والهم إلى قلبى وارد وعائق من قتل الملك صافات صاحب جزيرة الواحات لا يغره الطمع فينا ويروم أخذ الملك من أيدينا لأنه ملك عظيم وجبار رجيم وحاكم على جزائر وأقاليم من حد الاندلس الجزائر الخالدات إلى مقاطع بحر الظلمات وأما أسر الملك كوبرت فما جلب لقلبى مضرة ولا آيست منه فى هذه المرة لأنى وحق المسيح قادرة أخلصه من يد قناصه قبل طلوع الفجر وتريه عندى فى داخل هذا القصر فقالت لها تجاوبتها فكيف تقدرين على ذلك وهو الآن فى قبضة هرقل بر الملك قيصر فقالت لها ويلك ومن هو هرقل ومن قيصر هذا حكمه فى يد فارس الحجاز عنتر بن شداد الذى لولاه ما رفعت رايه على رأس ابن الملك قيصر هذا وعنتر تحير وزادت به الفكر مما قد سمع وأبصر وكذلك شيبوب الآخر وولدة الخذروف واشتغلت منهم الخواطر وبقى كل منهما عائب غير حاضر إلا أن عنتر قال وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر ما بقيت ابرح من هذا المكان حتى يتضح لى الأمر عيان (قال الراوى) هذا والجارية قالت يا ملكة وهذا عنتر الذى لكوبرت أسر ما هو على دين المسيح وإنما هو رجل بدوى همام يعبد رب الانام ويعظم قدر البيت الحرام الذى يحجون إليه الناس فى كل عام وهو رجل أسود وله قلب أقوى من الجلمد فى صباه عاشق ابنة عمه وهى عبله بنت مالك وقد قاسى فى حبها شدائد وأهوال لأنها بديعة الجمال ومازال بها مستهام حتى بلغ منها المرام ولو أن لى من يوصلنى إليه ويقصتى عليه ويبلغه منى السلام ما أصبح علينا الصباح الا وكوبرت عندى فى هذا المقام فلما سمع شيبوب منها هذا الكلام فزاد به الغرام

وقال لأخيه عنتر البطل الهمام وحق الملك العلام ما بقيت أبرح من هذا المقام حتى أكشف عن باطن هذا الكلام فقال له عنتر أفعل ما بذلك نجح الله أعمالك وبلغك الله آمالك ثم أن عنتر توارى هو وابن أخيه الخذروف وقلبه على هذا الأمر ملهوف وتقدم شيبوب الغضنفر ونادى بصوته المجهر وقال يا من هي زينة كل محضر فها أنا شيبوب أخو عنتر حملني رسالتك واكشفي لي ظلامتك حتى أوصلها إليه واقص قصتك عليه فلما سمعت الجوار كلام شيبوب رجفت منهم القلوب وزادت بهم الكروب وسكتوا عن الكلام وقد التجمت كل واحدة منهم بلجام فقالت المتكلمة ويلكم أي شيء هذا الفزع وكيف أخذكم من هذا الصوت الجزع ونحن ههنا آمنين وقصرنا عالي حصين ولا علينا لأحد طريق ولا سلم ولا تسلق ثم أنها نادت إلى جارية من بعض الجوار وقالت لها خذي بكفك شمعة وطلي بها من شباك وتأملي بين الأشجار واكشفي لنا الأخبار ولا تخافي مني ضرار وانظري إلى هذا المتكلم ولا يخشى من باس وأبصري هو من أي الناس فان كان شيبوب أنا أعرفه من بين سائر الأجناد وإن كان الأمر صحيح وأرسله إلى المسيح وأطلع إلي نيتي وقضي لي حاجتي فان قلبي استريح فعند ذلك أخذت الشمعة بيدها وسارت كما أمرتها سنها والجوار من حولها والملكة من خلفهم والجميع خائفين وفي هذا الأمر متعجبين حتى وصلت الجارية إلى الشباك فنظرت إلى شيبوب الفتاك ولم أخذها خوفا ولا ارتباك فنادته من أين أنت يا غلام وما سبب قدومك في هذا الظلام وما قصدك وما مرامك لأنك أزعجتنا بكلامك فوحق المسيح مالك فينا مطمع ولا لك إلينا مطلع فقال لها ياستاه لا تخشي ضررنا فانا شيبوب أخو عنتر وقد سمعتك في هذا المحضر تقولين لمن عندك حاضر لوان لي من يوصل خبري إلى عنتر فاتيت إليك حتى تحملي ما تريدي وتبلغي ما تشتهي فلما سمعت الجارية كلام شيبوب زالت عنها جميع الكروب وتقدمت إلى عند الشباك بسرعة وقالت لجاريتها هاتي ناولي الشمعة حتى أنظر ما جرى وأفعل على قدر ما أرى ثم أن الجارية قدمت عليها وناولها الشمعة التي كانت في يدها فلما صارت في يدها قوت على ذلك قلبها وفي عاجل الحال طلت وباعينها تاملت وإلى شيبوب قد نظرت فعرفته جيد المعرفـــه وهو على تلك الصفة ثم أنهـــا التفتت لجوارها وقالت لهم وحق المسيح والزنار أن هذا هو شيبوب العيار أخو ذلك الفارس الكرار ثم أنها نادت برفيع صوتها أيها الأسد القسور اكشف لنا عن صحة الخبر وانبئنا عن ولدك الخذروف وعن أخيك الامير عنتر وأقدم إلى ههنا يا ولد الزنا وأزل عن قلبنا الهم والصنا فقال لها شيبوب بعد أن تحير وزادت به الفكر يا وجه القمر أي شيء هذه الالفاظ المفرقة واني أراك عارفة بنا جيد المعرفة فمن أين لك هذه الصفة فقالت له يا ويلك أخباركم عند من مدة أعوام فدع عنك كثيرة الكلام وأتني بعنتر إلى هذا المقام فقال لها

شيبوب يا ابنة السادات الأمجاد وحق من بسط المهاد ورفع السماء بلا عماد هو معي حاضر وإلى كلامك سامع وإلى وجهك ناظر فقولي ما شئت فانه يبلغك مرادك ويقهر اعاديك وحسادك ثم أن شيبوب نادى يا ابن الام إذن منا وبادر واسمع ما تقول هذه الجارية بنت الاكابر من تلك الاخبار التي تذهل النواظر وتحير الخواطر وتبقى مثلا بين البوادي والحواضر فعند ذلك نادت الجارية يا أبا الفوارس بحياة عينين عبلة أجب أخاك وادن مني حتى أراك فعند ذلك أقبل عنتر وهو متيم ولما أتى إليها حياها وعليها وسلم قال لها وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ما كانت هذه الجارية إلا خليلتي مريم التي هي بدر التمام فقالت له بلى وحق المسيح المعظم فقال لها عنتر ومن أوصلك إلى هذه الديار وجاء بك إلى جزائر البحار فقالت له حديثي عجيب وأمري مطرب غريب وأن كنت تريد سماعة فامتن علي بطلعتك وشرفني في هذه الساعة بنقل أقدامك حتى أني أفتح لك الباب وأشرح لك سائر الامور والاسباب فقال لها عنتر أما الذمام فانت في ذمامي وجميع من عندك لاجلك وأيضاً أهل الجزيرة كلهم في أمان من حسامي الضامي فالك علي من حق الصحبة والجود والكرم النامي وأما دخولي من خلف هذا الجدار فيكون ذلك عند اقبال النهار (قال الراوي) فعند ذلك قالت الجارية يا أبا الفوارس أنا آتي اليك وأقبل يديك وأقص قصتي وما جرى لي عليك ثم أنها نزلت وفتحت الاقفال لما انتهت في الكلام والمقال ثم تقدمت وقالت له أيها البطل الهمام نحن على العهد والذمام فقال لها عنتر وحق البيت الحرام وزمزم والمقام وذمة العرب الكرام لكي ولكل من معكي الذمام (قال الراوي) فلما سمعت الجارية من الامير عنتر هذه الاقسام خرجت معها الشمع والخدام إلى أن وقفت قدامه بعدما أبدت السلام وقبلت أقدامه ثم أنها أخذت الامير عنتر وسارت به إلى جانب النهر وجلست هي وإياه على روضة من رياض لزهر ووقف شيبوب والخذروف وأشهر كل واحد منهما في يده خنجر اخوفا عليه من طارق وفي دون ساعة أحضر من الطعام شيء كثير وأتوا به الجوار والخدام وقدموه بين يدي عنتر البطل الهمام والاسد الضرغام فاكلا منه الكفاية وشربا بعده المدام وشيبوب والخذروف قيام ثم أن الجارية مريم ابتدأت تحدث أبا الفوارس عنتر وكيف كان أمرها وما جرى عليها من الامر المنكر من قبل عنتر وكيف أخذها كوبرت ونزل بها البحر وجد في المسير وما جرى من الاول إلى الاخر هذا وعنتر وشيبوب اليها باهتين ومن حديثها متعجبين وقد حدثته أيضا أن كوبرت هو اليوم صاحب جزيرة الكافور وقلعة البلور وهو يا مولاي عندك أسير وهو ذليل حقير قال الراوي فلما سمع الامير عنتر كلامها طيب قلبها ووعدها باطلاقه وبات عندها بالفراح إلى أن أصبح الله بالصباح فنهضت عند ذلك مريم وقالت أني أريد منك ما وعدتني به من المسير قبل طلوع الفجر وتدخل معي القصر لازلت في سعادة

وتصرفا جابها عنتر وقد أمر شيبوب بالعبور فقال له وحق الرب الغفور الذى عرفنا الايام والشهور وخلق الظلام والنور ما أخاطر بروحى وادخل خلف هذا الصور وأنا غريب من هذه الديار ولا أعرف أى شىء يجرى لى من الأمور فعندها قالت مريم لما تسمعت هذا الكلام ادخل ياشيبوب إلى خلف الجدار فوحق دين المسيح والزنار ما ينالك منا إلا ماتحب وتختار (قال الراوى) فعند ذلك صاح فيه عنتر وقال له ادخل يانسل الاشرار ولا يكون عندك خوف ولا أحرار فعبر شيبوب معهم على مضض حتى سار واداخل القصر خلف الجدران فنظروا إلى قصر مشيد نزهة لمن يراه وفيه برج عال غريب ونظروا إلى ستر عجيب ومن خلف تلك الستر من غرائب التصاوير من كل صورة غريب وقد رأوا من الشبابيك بستان فيه شقائق النعمان ونرجس وسوسان وفيه من كل فاكهة زوجان وفيه من غرائب الازهار وقد صفت فى جنباته ألوان الجلنار وهو نزهة للنظار وقد حوى من نرجس وياسمين ومن التفاح والرمان والعنب والجوز ومن السفرجل والخوخ ومن شجر اللوز والمشمش وغيره من الاقحوان وقد أنبع من الخضرة ألون والاترنج قد حان عليه الحول ونزهة الزمان وابتهج القرنفل والمنثور لما أشرفت عليه الأشجار وهذا مما يطول شرحه وقد اختصرنا فى وصف هذا البستان وهو كما قال فيه الشاعر هذه الابيات :

جاء الربيع يقوده أشجارى ... واستبشرت فرحا به الأطيار
غنى الحمام مطربا فكانما ... دارت عليهن سائر الازهار
ورد وزهر قد يلوح ونرجس ... وبنفسج وشقائق وبهار
فكان أخضر الربيع زمردا ... وكان أصفره البديع خضار
ياصاحبى قل الملامة وأقتصر ... عنى فما يحسن بى الاقتصار

(قال الراوى) وذلك القصر واسع الفناء عالى البنا كأنه قد سبك من الجين تحير فى وصفه كل عين وعلى ذلك القصر تماثيل وأفنان له تاويل والمسرات به مجتمعة والأنوار به لامعة وهى عليه مشعشعة وطيور الهنا عليه حائمة وقد كتب عليه فيه قائمة هذه الأبيات

دام بك العز والاقبال يادار ... معزوزة فى فنون الايك أطيار
دمت بالعز والافضال فى دعة ... مامال نجم بأفق الجو سيار

(قال الراوى) هذا وخيام العز عليه مخيمة وأصناف الطيور باختلاف اللغات على أركانه مترجمة وبغرائب جوهر الكلام معربة ومعجمة وفى ذلك المكان أيوان وعليه سدة منصوبة عالية مرفوعة فعند ذلك تقدمت مريم إلى الأمير عنتر وأمرته بالجلوس على تلك السدة من غير حذر وقد حار بما عاين وأبصر وما رأى مثلها عند كسرى وقيصر إلا أن ما استقر

به المقام حتى أحضرت بين يديه مائدة من الطعام بصحف من الياقوت الأحمر مرصعة بفصوص من الجوهر ولما مريم أحضرت الطعام وصار قدام عنتر قامت قائمة على الأقدام وأنزلت الموائد من رؤس الخدام وقد شدت فى وسطها زنار من الابريسم الاخضر والأحمر ثم أنها قدمت المائدة قدام عنتر ولما قدمت المائدة وتلك النعمة تاخرت ووقفت فوق رأس عنتر لاجل الخدمة هى والجوار فقال لها عنتر لا وحق من أظلم الليل وأشرق النهار بل أنك تجلسين وتاكلين معنا الطعام وإلا فانا لنا حاجة فى هذا الاكرام الذى فعلتيه معنا على التمام (قال الراوى) فلما سمعت مريم من عنتر ذلك الكلام أقبلت وقد بدأت الابتسام ولما هم عنتر أن ياكل من ذلك الطعام صرخ به الخذروف الايا ابن شداد اجذر أن تتقرب إلى هذا الطعام فقال له عنتر ويلك يا ابن الاخ أى شىء سبب هذا الخوف من الطعام فقال له ياعم فيه من بعض السموم القاتلات فقال عنتر لاى شىء ما حصل لنا ذلك الاوهام عندا كلنا البارحة الطعام فقال الخذروف طعام البارحة ما تم كان قد أعدلهم ولا كان لهم علم أننا نحن إليهم واردين ولا عليهم قادمين والا قد عرفوا أننا معهم فى القصر حاضرين فاتونا بهذا الطعام عن يقين فعند ذلك قال عنتر لله درك ياخذروف أنت احذر من شيبوب أبيك وأخبر منه (قال الراوى) فلما سمعت مريم من الخذروف ذلك الكلام تغير وجهها وقالت لعنتر يا فارس الاقطار أنا أقسم بالسيدة أم النور والمسيح الذى ما ولد من أب مذكور ما أنت فى قلبى إلا أجل السرور فاترك عنك ما تخفى الصدور واعلم أنى ما نويت لك أمرا من الامور وحق ما فى الانجيل من التحريم والتحليل ما أشغلت لك هذا الطعام ثم أنها مدت يدها إلى سائر الصحف وكانت من الفضة مطلية بالذهب الأحمر مرصعة بالفيروز الاخضر ثم أنها جعلت تاخذ من كل أناء غرفة وجمعت ذلك كله فى إناء واحد وبادرت إلى اكله جميعه ثم أنها طيبت خاطره وقالت له دونك يافارس الجلاد والزاد وازل ما فى قلبك من الهم والانكاد فعند ذلك مد يده عنتر إلى الطعام وقد زال عنه الوسواس والاوهام وكذلك اخاه شيبوب والخذروف ولده أكلوا من ذلك الطعام ولم يخشوا خوفا لما اكتفوا وارتفعت موائد الطعام والانعام وغسلوا إياديهم من الزاد قال الراوى ثم أن مريم أمرت جوارها باحضار المدام والكاسات والاباريق وقد روقت الخمر العتيق الذى له سنين وأعوام وقد فعلت معهم فى المدام كما فعلت وبعد شرابها ملات الكاس وقدمته إلى عنتر فتناوله منها وقد شربه وتناوله من يدها وكذلك شيبوب وولده الخذروف وهم قدام عنتر جلوس ولم يزل عنتر يشرب من المذام إلى أن شرب ما أحضرته على التمام ولما تحكمت معه الخمر قلبه فى ذلك المقام وأعجبه ذلك الوقت شرب المدام ولما علمت مريم منه ذلك أمرت الجوار باحضار الملاهى فى ذلك المقام فاتوها بما طاب وقد عنث وقد الجوار بصوت شجى وألحان فداخلهم الطرب والهيمان فخيل لهم أنهم فى منام هذا وقد دارت عليهم الاقداح

بالسرور والافراج وأن عنتر بهذا الحال فرحان مسرور وقد هانت عنده سائر الامور وهو يتناول كاسات الخمور وقال الراوى ولما نظر شيبوب إلى أخيه عنتر وقد أسرف فى الشراب وزاد به السرور وصار من كثرة الشراب عادم الصواب وما بقى يقدر على رد الجواب ولا القيام والذهاب ناداه يا ابن الامتان على نفسك ولا تملا من الخمر جوفك وأنت فى بلاد عدوك وكان شيبوب خائف من مكيدة تصل إليهم وعينيه تدور فى القصر يمينا ل شمال وحذرا على أخيه خوفا من الوبال هذا وقد عرفت مريم منه ما هو فيه فارسلت بعض تلك الجوار وكلمتها بلغتها فى الحال من غير أن يفهم عنتر وشيبوب فمضت الجارية وغابت قليل وعادت ومعها حق من الذهب الاحمر عليه قفل من الفضة البيضاء الحجر فاخذت مريم الحق وفتحته وأخرجت منه ثلاث حرزات كبار كل واحدة كانها بيضة اليمام وقالت له يا أبا الفوارس اعلم أنك ما بقيت تلتذ عندنا بطعام ولا تشرب مدام ما بقى الوهم الذى دخل على قلبك من كلام الخذروف لكن خذ هذه الخرزة واعلم أن لها منفعة ولا عند الملوك مثلها ولا يوجد عند السلاطين شكلها وذلك وإنها كانت فى يدك وحضر طعام عندك وتوهمت أنه مسموم فهذه الخرزة تدور فى يدك ثم إنها تعرق ويسيل منها ما يتقاطر فتعرف من ذلك أن الطعام مشغول يعمى النواظر وإذا بقيت على حالها فاعلم أنه غير مشغول فكل منه وأنت طيب الخاطر (قال الراوى) فلما سمع عنتر من مريم هذا الكلام زال عنه الشك والاوهام وقد شكر مريم وأثنى عليها وحياها فى ذلك المقام ثم إنها بعد ذلك أتت بشريط من الذهب وضعته فى الخرزة وقالت لعنتر لا تدع هذه مخرزه من عنقك لا فى سفر ولا فى حضر ففرح عنتر بذلك فرحا شديدا فاخذها منها ووضعها فى الجيد وقد أعطت الخرزة الثانية إلى الخذروف فرفعها فى عنقه من غير فزع ولا خوف ثم إنها وضعت الثالثة فى الحق وقفلت عليها القفل كما كان فقال لها شيبوب يا مولاتى لم لا أعطيتنى الخرزة الثالثة حتى أكون أنا الآخرة فى أمان فقالت له أنت وولدك واحد وأنك يا شيبوب ما يخاف عليك من الحدثان لانك شيطان فى صورة إنسان (قال الراوى) ثم إنهم عادوا إلى ما كانوا عليه من تناول الاقداح واللعب واللهو والانشراح والمحادثة والطرب والمزاح إلى أن كان آخر النهار طلب منها الامير عنتر الاذن فى الانفساح والمسير إلى العشائر بعد ما قال لها يا ست الملاح اعلمى بان الملك هرقل بن الملك قيصر الساعة من أجلى هموم واتراح لان ما عنده عنى خبر ولا علم بمسيرى لهذا المرج إلا خضر وأنا خائف عليه أن يبقى على قلق وهو فى انتظار وقد عولت على المسير اليه والقدوم فى هذه الساعة عليه وإنى أريد من إحسانك أن تنعمى لى بالمسير فى هذا الوقت والساعة فقالت له مريم وقد نهضت على الاقدام أفارس بنى عبس الكرام اعلم أن حق الضيافة ثلاثة أيام فلا شىء كرهت عندنا المقام فقال لها عنتر وحق البيت الحرام وزمزم

المقام وخالق الضياء والظلام إنى أعود إليك عن قريب إن شاء رب الانام ويكون بعد ذلك عندك المقام أكثر من عشرة أيام (قال الراوى) ثم إن عنتر بعد ذلك السكلام أمر أخيه شيبوب أن يقدم إليه الجواد فقدم له الابجر عن غير ملام فوثب على ظهره وساق الجواد باهتمام وشيبوب وولده الخذووق بين يديه كانهما فروخ النعام هذا ومريم حواليه لأجل علو قدره والشان ولما خرج من ذلك المكان وأبعد عن البستان ووقف وأمر مريم بالرجوع فقالت له يا هلترى لهذا الفراق رجوع واهتمام عن قريب وتلاقى فى الرجوع فقال لها أى وحق رافع السموات غدا يكون ههنا اجتماعنا على هذه الزهورات فعند ذلك غمضت عينيها وفتحتها وأشارت إليه مودعة بدموع غزار وهى تقول صلوا على طه الرسول :

سر فى أمان الله يا من يرتجى ... وأجل من ركب الجواد وإسرجا
فالقلب من بعد الفراق معذب ... والنار تشعل فى الحشا متاججا
أنت الذى نرجى لكل ملمة ... أنت المفرج هم كل قلب مزعجا
أنت الهنا أنت المنا أنت السخا ... أنت الرجا والمرتجى والمرهقا
فلئن رحلت فانت غير دموع ... ولئن رجعت لنا أنا لك مرتجى

(قال الراوى) فلما فرغت مريم من شعرها وسمع عنتر من مقالها وقد نظر إلى تغيير أحوالها وضمها إلى صدره ووعدها بسرعة العودة إليها وخلاص الملك كوبرت وفكاكه من الاسر والاعتقال ثم إنه سار شيبوب بين يديه وهو أخف من النسيم إذا سرى وما زالو سائرين إلى أن وصلوا إلى العشائر ودخل على هرقل بن قيصر فلما رآه فرح به واستبشر وقام له على الاقدام وأجلسه بجانبه وساله عن حاله وما كان سبب غربته فحدثه عنتر بقصته من وقت مسيرة إلى حين عودته وأخبره أيضا بحديث الجارية مريم وما فعلت فى حقه من السكرامه والنعم وما منها من الاحكام وما أوعدها من الابرام (قال الراوى) فلما سمع الملك هرقل من عنتر هذا السكلام زاد به الفرح والابتسام وقال له يا فارس عبس السكرام كيف طاب لك عنا المقام هنا عيش وطعام ولعب وشرب وطرب وشرب مدام وأنا ما كنت معك فى ذلك المقام فقال له عنتر يا مولاى وحق البيت الحرام ومنى وزمزم والمقام وما لك فى عنتر من الاكرام والانعام وما شربت قد حا من المدام إلا وشخصك فى ضميرى من دون الانام فقال له الملك هرقل يا حامية عبس وحق المسيح الذى أنى من غير بشر أنك شوقتنى إلى هذا القصر وحسنه والمرج الأخضر والنظر إلى تلك الجارية مريم فقال له عنتر وقد تبسم اعلم يا مولاى بان الجارية قد أخذت على العهد والميثاق إننى لا أتاخر عنها ولا أنعاق فقال له الملك هرقل وحق المسيح لابد لى من السير فى صحبتك وأكون شريكك فى لذتك فقال له عنتر يا مولاى هذا من أسعد أيامى إذا سار مثلك أمامى (قال الراوى) ثم إن عنتر

تمض وقد طاب المنام وهرقل قد زاد له في الاكرام وباتوا في هناء وأفراح حتى ابتلج ضوء الصباح فركب الملك هرقل وهو زائد الافراح وطلب خيام عنتر ودخل عليه وأبداه بالسلام فزاده عنتر تحية وإكراما وجلسوا يتحادثون فيما يرام ولما انبسط في الكلام قال له الملك هرقل يا أبا الفوارس البارحه ما ذقت منام بما حصل عندي من الاوهام فما تعول بنا على الرواح حتى تغتنم السرور والافراح فأجابه عنتر إلى ما يقول وقد قاموا وركبوا على الخيول وتقلدوا بالنصول وقد أظهروا للعشائر أنهم سائرين يكشفون لهم الاخبار ثم أنهم ساروا على حالة الانفراد من العشائر والاجناد هذا وشيبوب والخذروف بين أيديهم سائرين إلى أن وصلوا إلى قريب المرج المتقدم ذكره ورأوه رأى العين فأرسل عنتر شيبوب والخذروف فساروا إلى أن وصلوا إلى المرج والقصر ولما رأتهم الجارية استدعت بالخذروف وقالت له أعلمني ما الخبر فقال لها قد وصل عمي عنتر ومعه الملك هرقل بن الملك قيصر وهم نزول على المرج الأخضر (قال الراوي) فلما سمعت الجارية مريم من الخذروف ذلك القول تبسمت وقالت له دعهم يأتوا على الرحب والسعة والكرامة والدعة فعند ذلك رجع الخذروف وجد عنتر قارب المرج فاعلمه بذلك فساروا إلى أن وصلوا إلى الروضة والشجر فعند ذلك تلقتهم مريم بالافراح وقد جلسوا عندها في تلك البطاح وقد انبسطوا في الحديث والكلام ثم أنها غمزت الجواري أن يمضوا ويهيئوا الطعام ويفرشوا المقامات ويحضروا المدام فمضوا الجواري وجلست هي وإياهم ساعة من النهار وإذا بالجواري قد أتوا إليها وأخبروها أنهم قضوا الاشغال فعند ذلك نهضت مريم قائمة على الاقدام وقالت أنعموا لنا يا موالينا إلى مكان أعددته لكم ولخدمتكم حتى تتشرف برؤيتكم فعندها نهض عنتر هو والملك هرقل بن قيصر بين الشجر وجوادا الملك هرقل مع الخذروف وشيبوب يقود جوادا أخيه عنتر وما زالوا سائرين حتى خرجوا من تلك المكان وهذا البستان الأخضر وقد كسي بالزهرات والأثمار شيء تحير فيه الفكر والجارية إلى جانبهم تمشي قدميها وجوارها بين يديها وما زالوا سائرون حتى لاح لهم في ذلك المكان قلعة عاليه البناء مهيبة الأركان لا يعلوها الطير الطائر ويعجز عن إدراكها الناظر صخرها أنعم من الاجوان وهو لو العقيق والمرجان وما لك من تحتها يشفي النفوس ويزيل عن قلب الصب العكوس فلما نظن عنتر إلى ذلك المكان البديع والبناء الرفيع وسار طالبها وعنتر ينشد ويقول هذه الابيات :

عليها الظل ممدود السرادق والزهر مفروش النمارق
أشجارها وأثمارها وقطوفها مثل اليخانق
والزهر قد نشرت على وجناته إظرف الشقائق

مرجا يزيل به الشقا لحسن أنواع العقائق
قد غردت أطياره فى نغمة تحي الخلائق
ما بين قمرى يصيح قد أمنت خطف البواشق
بلابل قد بللت الحانهن لكل عاشق
والأقحوان غصونه بين السوالف والمفارق
وموارد الأمطار قد كحلت بها عين الحدائق
والقلعة العليا حكت علو السماء على الخلائق

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات تقدمت إليه الجارية مريم وقبلت يديه وشكرته على هذه الصفات وقالت له لله درك يا أبا الفوارس فما أفصح لسانك وأنفذ سنانك واطلق عنانك هذا ولم تزل سائرة بين أيديهم فى ذلك المرج والجدران إلى أن وصلوا إلى آخر ذلك المكان فرأوا فيه دارا عالية فادخلتهم وكانت تلك الدار عليه المعانى مبشرة لسانها بالامانى موزورة بالسياج العاج وهى بالذهب الوهاج على ترتيب الحصن بابدان وأبراج وفى وسطها بحر عجاج متلاطم بالأمواج (قال الراوى) وقد اندهل الملك هرقل مما عاينوا وأبصروا من ذلك القصر فقال عنتر لهرقل يا ملك الزمان ما ملك الافرنج إلا ملك عظيم لأنهم أكثر ت العالم أموال وأحسنهم أحوال فما حصلوا القصر وقربهم القرار حتى نصبت لكل واحد منهم كرسيا من الذهب الأحمر الوهاج هذا وقد بسطت فى الديار فرش من الحرير ألوان حتى بقى ذلك المكان كأنه روضة من رياض الجنان وصفت أوانى الذهب والفضة وأوقدت مجامر العود والعنبر وما استقر بهم القرار أو المقام حتى أحضروا لهم الطعام على رؤس الخدام فقالت ياموى إذا حضر الطعام بطل الكلام فعند ذلك تقدم كل واحد منهم وأكلوا إلى أن اكتفوا وشالوا أياديهم من الطعام وأمرت الجوارى بعد ذلك باحضار الأوانى والأباريق وأحضرت وهى ملانة من الخمر العتيق الصافى مما عتق فى الزمان وضعته مشايخ القسوس والرهبان وحفظته من إختلاف فصول الزمان وهو يصلح لدفع السقم من الأبدان كما قيل فيه هذه الأبيات .

أدر الكاس أيها القمر الساقى وقل هذه سلافة خمر
وأحلها فى غلائل من لجين يلبس الشاربين ثياب حمر
فهى صفرات فى الكاسات شهبا وهى بيضاء فى الكؤس وحمر
تأمل لى واسقنى وقل هاك أنسا واعطف راجعا من غير قهرى
مع ندماء وجوهم تشبه البدر وقوامهم مشبوهة السمر
فنهبنا خمرا ونظما ونثرا ولكل منهما لطائف خصر

خمرة تجعل النفوس ملكا ... وتزيد العقول جواهر سر
إن فى الكاس لجة فى خمر ... قد طفى نورها مصابيح در
فترى لؤلؤا يسير على الماء ... يحكى اللؤلؤ الذى فى البحر
كل كاس يدور تطلع شمس ... منه حتى تغيب فى فم بدر

(قال الراوى) هذا وقد انبسطوا فى الكلام وانتشوا من شرب كاس المدام فقال عنتر يا مريم إنى أريد أن أسألك عن حال فلا تخفيه عنى يا وجه الهلال فقالت له اسأل يا فارس الزمان ويا حامى بنى عبس وعدنان حتى أجيبك بالصدق وأنطق معك بالحق فقال لها عنتر يا مريم إن هذه الجزيرة قد دورناها وما خلينا فيها مكان فما وجدنا إلى هذه القلعة من سبيل ولا مكان ولا رأينا فيها مسلك لإنسان إلا إن كان معه دلائل وعرفان فقالت مريم وقد تبسمت من هذا الكلام والشان يا فارس عدنان تصعد فوق هذا الباب الذى فى البستان لأنه سرداب طالع إلى القمة معقود من فوقه أزج مصنوعة نقر فى الصخر صنعه اليونان الكهنة من قديم الزمان وهو بأدراج عراض صنعت لبلوغ الأغراض يصعد منها الفارس الوثاب لكن هاك السرداب له ثلاثة أبواب فيها مهالك قواتل صنعة الحكماء والعقلاء أولى الألباب فلما سمع كلامها تحير وبقى فى فكر فقال لها عنتر من يوصلنى إلى ذلك ياوجه القمر (قال الراوى) ثم أنهم بعد ذلك الخطاب عادوا إلى ما كانوا عليه وصاروا يتناعلون كؤس الشراب فبينما هم على ذلك الايضاح وإذا بالباب المقدم ذكره يتحرك فكان من داخله من يريد أن يفتحه بلا مفتاح فعند ذلك نهض عنتر على قدميه وقد اسودت الدنيا فى عينيه وجذب سيفه وصاح فى أخيه شيبوب وقال له ويلك انهض وقدم الأبجر واسرع وعلى نفسك احذر فنهض شيبوب وأتاه بالأبجر وأسرع فقام غاجلا وقد سار على ظهره هذا وشيبوب وولده الخذروف قد سحبوا الخناجر بالسيوف وقبعهم هرقل بن الملك قيصر وشيبوب يقول يا ابن الأم أما قلت لك أولا تأتى فزعان وخائف من هؤلاء النسوان فقال له عنتر يا شيبوب سر قدامى ولا تتأخر وتفرج على قتال لا يبقى ولا يذر ويبقى من بعدى يؤرخ ويذكر ثم أن عنتر نظر إلى الملك هرقل فوجد لونه تغير فقال له يا مولاى تخاف وأنت معك ابن شداد عنتر ثبت جنانك ولا تحذر فوحق الركن والحجر والبيت الحرام المطهر لو خرج من هذا الباب عدد أمة ربيعة ومضر لقيتهم بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر إذا ذخر وشرت جماجمهم نثر أوراق الشجر وأترك دماءهم بسيل مثل هطل المطر وسط هذا المرج الأخضر ولا أترك أحد يصل إليك ببؤس ولا ضرر فشكره هرقل بن قيصر (قال الراوى) هذا ولما رأت الجارية مريم إلى ذلك تغيرت أحوالها وتقطعت أوصالها وقامت مسرعة قائمة على أقدامها وسارت إلى البحر عنتر وهى فى أذيالها تتعثر وتنادى يا أبا القوارس ما هذه الفعال وما الذى تغير عليك من

الأحوال أما سبق إلينا منك الذمام عندما أكلت معك الطعام فلاى شيء سللت سيف الحمام فقال لها عنتر وحق البيت الحرام ما أنا إلا مقيم على العهد والذمام لك ولمن عندك من الرفاق إن لم تنظر منك غدر ولا ضيقة صدر فقالت له مريم يا فارس العرب والعجم فوحق المسيح بن مريم الذى أتى من غير ذكر أنى على العهد مقيمة يا أمير عنتر فقال لها اعلمى أن ما وقع عندى من الارتياب إلا من حيث تحرك هذا الباب فقالت يا أبا الفوارس هذا أمر ما يحصل منه مضره بل يأتيك منه الفرح والمسرة واعلم يا مولاى أن عندنا فى هذه القلعة جوارى تهد أبكار وكنت قد وصفت لهن صفاتك فى حال اجتماعك وقد اشتاقوا إلى مشاهدتك فاذا أنعمت أذنت لهن بذلك وإلا رجعوا من حيث أتوا وأقم أنت على مسرتك (قال الراوى) فلما سمع كلامها الأمير عنتر سكن ما به من الغيظ والضرر وقال إن كان الأمر على هذا المعنى فأمرهم بالخروج إلى ههنا معنا وبشرهم منا السرور والهنا والمنى ثم أن عنتر أثنى رجله من على ظهر جواده الأبجر وكذلك ان قيصروهم يطلبون النظر إلى نحو الباب وإذا به قد فتح وخرج منه عشر بنات تهد أبكار كأنهن الأقمار وفى أوساطهن جاريه كأنها البدر بين الكواكب وهى كأنها الشمس الضاحية فى السماء الصاحيه قد كسفت حسن الجميع بغرائب جمالها البديع وعلى رأسها تاج ملوكى مكلل بالجواهر لبس ملوك الافرنج وقد شدت وسطها بمنديل أخضر مكلل باللؤلؤ الرطب على ردف كأنه خارج من صدور وذلك الجوار عن يمينها وعن يسارها ولما نظر عنتر إلى هذا الجمال طاش عقله وزال لبه هذا والجارية قد أقبلت وهى تمشى فى حلل البهاء والكمال وتنقل أقدامها بتعجيب ودلال والجوار بين يديها وخلفها عند القدوم وهى بينهن كأنها القمر بين النجوم وما زالت تمشى وتتمختر فى ذلك المرج الأخضر حتى قربت من عنتر فلما رأها أندهش وتحير لأنه نظر قمر الاكل الأقمار وكان يغلب ضوء وجهها على ضوء النهار وعلى تلك الجوار الثياب الملونة مقلدين بعقود الجوار المثمنة والسكلاليب الذهب بأيديهم يرفعن أذيالها وهى بينهم كأنها البدر إذا بدا ولما وصلت إلى عند الملك هرقل بن قيصر وأبى الفوارس عنتر ولها وجه كأنه البدر التمام إذا انجلى عنه الغمام ثم أنها لما وقفت بين أيديهم سلمت وعلى وجهها صلبت فردوا عليها السلام وزادوا لها فى التحية والاكرام فعندها نهضت إليها الملكة مريم على الأقدام (قال الراوى) ولما حققها عنتر تاه عقله وتحير من حسنها وهام ثم أنها جلست بين السادات الكرام فملأ لها الكاس عنتر من صافى المدام وقد غلب عليه السرور والأفراح وناولها بيده الراح ثم أنشد وجعل يقول :

قلبى إلى من يحب يختاج ودمع عينى كانه لجج

قال ولما سمعت الجارية من عنتر هذا البيت النفيس قبلت يديه والأقدام وأخذت قدح المدام وجلست إلى جانبه وجوارها بين يديه قيام هذا وعنتر قد حار من حسنها وجمالها وانبهر من

قدها واعتدالها ومن حسن صورتها وبهائها وكمالها وأما الملك هرقل فإنه غاب عن الوجود وبقي حاضرا في صفة مفقود وقد نمى العشائر والجنود ولا يبقى له عقل موجود ثم أن الأمير عنتر أخذ القدح من يدها وملأها ثانى وثالث وهو يناولها وهى تتناول منه وتشرب وهو يلثم ويطرب وأما الملك هرقل فإنه فى محبتها قد غرق فى بحور الاوهام وما بقى يقدر يرد كلام وقد انعجم لسانه عن الخطاب والمرام وعنتر يقول للجارية شرفتينا بنقل أقدامك الينا يا بدر التمام وقد صار لك المنة علينا والفضل لدينا والسلام وان هذا اليوم علينا أبرك الأيام (قال الراوى) فلما سمعت الجارية من عنتر هذا الكلام نهضت قائمة على الأقدام وصارت تتمايل كانها قضيب بان أو غزال خشان أو حورية خرجت من الجنان وقد غفل عنها رضوان ثم انها تقدمت وخدمت وقالت بلسان عربى فصيح ولفظ مهذب صريح وحق السيده أم النور والمسيح وما أعتقد من الدين القديم الصحيح لقد شرفت بكم الديار ورقينا من السعادة أعظم منار هذا وعنتر قد تعجب من فصاحة لسانها وعذوبة خطابها وبيانها لان الأفرنج وغيرهم من الملوك كانوا يعلمون أولادهم اللغات لأجل هذه الحالات فقال عنتر فى نفسه وحق الواحد المنان الذى كل يوم هو شان ولا يشغله شان عن شان ما لهذه الجارية مثيل فى هذا الزمان ولا أفصح منها لسان ولا أثبت جنان ثم أنه قال لمريم من يقال لهذه الجارية ست النسوان وما هو أبوها من الملوك والفرسان فقالت له يا فارس الزمان هذه الملكة مريمان بنت الملك الليلمان الذى قتلته فى الميدان وهى أخت الملك سرجوان الذى جندلته فى حومة الميدان قال فلما سمع عنتر من مريم هذا الكلام وعرف أنها بنت ملك همام وقد علم ما لهذه الجاريه الا الكرام والانعام فعند ذلك نهض اليها قائما على الاقدام وقد زادها فى الاعظام وكذلك الملك هرقل ابن الملك قيصر عرف أنها من أهل السيادة والمقام فتقدم اليها وزاد لها فى الاكرام وقد غرق فى بحر الهوى والهيام وقد تعلق به مرض ما له دوى غير الوصال ولا التمام وبعد ذلك شرعوا فى تناول الكاسات من المدام هذا وقد غنت لهم سائر البنات وترنموا بأصواتهم الخنكيات ورفعت الجوار الافرنجيات وقد صفت لهم الأوقات بتناول الكاسات وطيب الملذات وأخذهم الفرح والطرب والمسرات وعنتر قد طاب قلبه وتملى فى هذه الاوقات وشرب من صافى العقار البكر المفرحات وهو يصيح من الفرح بلسان العربيات وقلب الملك هرقل قد التهب وقد وقع من حب الجارية فى بحار الهوى والعطب قال ولم يزالوا على مثل هذه الحالات إلى أن بقى من النهار ثلاث ساعات فقال عنتر للملك هرقل أيها الملك الهمام ما تعول بنا على المسير من هذا المقام من قبل أن يدركنا الظلام ويغلب علينا السكر فلا نقدر على المسير ولا القيام فقال هذا هو الصواب والله أى الذى لا يعاب ثم إنه الأمير عنتر التفت إلى شيبوب وأمره بحضور الخيل ثم قال لمريم بازنية الملاح وكوكب

الصباح عن اذنك نسير ونطلب الرواح فقالت له يا أبا الفوارس الامر فى ذلك اليك وما هنا أحد يتحكم عليك فعند ذلك تقدمت الملكة مريمان إلى عند الملك هرقل وقدسقته من كاسها وشمت فيها بعصابة راسها وقالت له يا ملك النصرانية وسيد أهل ماء العمودية بهذا اسبق اليك من السيد المسيح الوصية فى حق الملكة الريمية حتى تخربون بلاد النصرانية وتهلكون ملوكهم بالكلية ولو فعل بنا غيركم هذه الفعال كنا استنصرنا بكم على الضلال وبعد هذا يا ملك النصرانية اسألك فى اطلاق الملك كوبرت من الهوان حتى يكون لكم من بعض الغلمان ولا يخرج من حكمك مدى الأزمان فلما سمع الملك هرقل هذا الكلام تقدم إلى عندها وضمها إلى صدره وقبلها بين عينيها وقال لها يا روح الأرواح وحياة اشراق نور وجهك الوضاح وجمالك يا روح الارواح هالى فى اسر كوبرت لا قليل ولا كثير بل أن أمره إلى هذا الفارس الجواد الأمير عنتر بن شداد وأنا لاجلك اسأله فى إطلاقه من أسره ووثاقه فإن أجاب إلى هذا الأمر العسير والاعتذار اليك من قلة الحيلة والقبول من ذلك التقصير (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك هرقل ذلك الكلام نهض قائما على الأقدام له يا مولاى وحق رب البيت الباقى على الدوام الذى لا تدركه الاوهام لو أن فى قبضتى كل من تحت السماء من الرجال الأبطال وسالتينى فيهم كنت أطلقتهم لك من الاعتقال اكراما لك ولهذه الملكة وجه الهلال وصاحبة هذا القوام الميال ثم أنه قال يا ملكة طيبى نفسا وقرى عينا فقد قبلنا سؤالك واجبناك إلى مقالك وغدا كون الملك كوبرت هينا إن شاء رب الأرض والسماء ثم أنهم ركبوا وساروا وقد ذهبت الملكة مريمان وفى قلبها من الملك هرقل ومانيهما ون عاد الاوقد ترك عند صاحبه قلبه والفؤاد وماز الوسائرين إلى أن وصلوا إلى العشاء ونزل الملك هرقل فى مضاربه وأجلس إلى جانبه الأمير عنتر (قال الراوى) ولما استقر بهم الجلوس وقد اطاعت النفوس قال عنتر لأخيه شيبوب يا ملك ائتينا بكوبرت إلى هذا المكان فما كان بأسرع ما حضر بين أيديهم فى ساعة الحال ولما حضر قبل الأرض بين يدى الاثنين وسلم على الملك هرقل وعنتر بافصح لسان واعتذر اليهما من فعله الذى قد كان فقال له الأمير مراد نطلقك فقال كوبرت يا فارس عدنان وحاوى قصب الرهان أنا من لا يضيع عنده الاحسان وأنا أقسم بحق مكور الاكوان الذى خلف بين الليل والنهار وبين الملك والاديان أن هذه يدى لك بالوفاء على مر الدهور والازمان واتخذنى من بعض أصحابك والاخوان حتى اسير فى ركابك أنا وجميع أهل مملكتى وأرباب دولتى وعشيرتى ولا أخرج لك من خلاف وأنت تكون عونى فى أمورى وشدتى (قال الراوى) فلما عنتر من الملك كوبرت هذا المقال علم أنه صادق فى جميع الاحوال فقال له الامير عنتر يا كوبرت اعلم ان هذه المدينة مدينتك وهذه القلعة قلعتك وهى تحت أمرك ونهيك وطاعتك لكن

استحلفك باعظم الايمان الشدان أن تكون من تحت طاعة الملك قيصر ولا تخرج من حكمه ولا يكون عندك عناد وتحمل إليه الخراج والعداد من سائر الأقاليم والبلاد وإلا وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر ضربتك بهذا الحسام على وريدك طيرت به رأسك من بين كتفيك فقال كوبرت يا أيا الفوارس اذكر اليمين الذى تريده حتى إنى أنطق به من غير تعنيد فقال شيبوب يا ابن الأمم أنا الذى أحلفه فقال له عنتر افعل ما بدا لك فتقدم شيبوب إلى الملك كوبرت وأجلسه فى ساعة الحال وقال له يا ملك احلف ، قل هذه الأقوال وحق الذى أتى من غير ذكر وبيعة قامة والدير المصور والاسلحة البطارق فى عيد الشعانين ولعنت الشمامس والمطران وطحنت لحم الجمال فى بيت قامة وأحرقت من على رأس شلخا الجاثين القمامة وكسر الابريق الذى يجمع فيه البطارق الشخاخ والرجيع وأغضبت مريم وعيسى الحواريين الجميع قال الراوى فلما سمع الملك كوبرت من شيبوب هذه الايمان قال وحق المسيح إن هذه أيمان لا أستطيع اسمعها من إنسان ولا تدخل لى فى آذان فكيف أتغصص واتجرع عليها وأذكرها بلسان لخلقونى بغير هذه الايمان فقال له الملك هرقل وعنتر ما نرضى إلا بهذه الايمان وما زالوا به حتى أنه حلف بتلك الايمان التى ذكرها شيبوب قد صفت منه القلوب فعند ذلك أطلقة عنتر من القيود والوثاق وقد أنعم عليه وجاد له بالاطلاق وأكرمه بعد الاسر والهوان هذا والملك كوبرت قد فرح بما جرى واستبشر وعلى فعالهم حمد وشكر ثم أركبه الملك هرقل على جواد أشقر عال من الخيل مضمر بمركب من الذهب احمر من خيار جنائب أبيه الملك قيصر فركبه كوبرت وسار طالب المرج الاخضر وما عنده مما جرى خبرى خبر إلا أنه فرحان بما حصل له من الخلاص والفكاك بعد ما كان فى ضيق الخناق ووقعة فى الاشراك وما زال يجد المسير إلى أن أتى إلى بابات القصر وهو فرحان بالخلاص والنصر وقد فتحت له الابواب وقد اجتمعت عليه الأهل والأصحاب وعات الضجة من جميع الانطار بالفرح الكامل والاستبشار هذا ولما جلس الملك كوبرت على سرير مملكته وقص قصته على أرباب دولته وأخبرهم بكل ما جرى له مع عنتر فى حال غيبته ثم إن مريم صارت تحدثه بما جرى لهم من عنتر فى ذلك المكان وكيف قد سالت فيه المملكة مريمان ثم إنه صعد إلى القلعة وأرسل أحضر دولته ومدبرين مملكته ومن يلوذ به من أهله وعشيرته فما كانت إلا ساعة حتى حضروا الجميع من كل جانب ومكان وبصحبتهم البطريق والرهبان والقسوس والبطارق والمطران ولما إن حضر الجميع فى ذلك المحضر عرفهم بالصلح الذى وقع بينه وبين عنتر وقد قف عليهم الخبر فما منهم إلا من فرح واستبشر وزال عنهم الهم والغم والضرر وفى دون ساعة شاع فى القلعة الخبر وبان الامر وظهر وما زالوا فى سرور وأفراح إلى أن طلعت غرة الصباح ودقت إليه ذلك الكؤسات

ونعرت البوقات هذا ولما سمع الملك هرقل وعنتر صوت البوقات والطبول وعرفوا الحال والمامول (قال الراوى) وكان الملك كوبرت قد ركب عند الصباح الخيول الجرد القداح وركب معه سائر الفرسان من أكابر عشيرته والشجعان وخرجت معه القسوس والبطارق والرهبان والمطران وقد أخرج من قدامه الإقامات والعلوفات وسار طالبا الملك هرقل وعنتر ومن معه أكابر الافرنج والملوك والسادات هذا ولما أقبل تلقاه الملك هرقل وعنتر بالرحب والسعة والانعام وأنزلوه فى سرادق الملك هرقل وعنتر بالرحب والسعة والانعام وأنزلوه فى سرادق الملك هرقل والخيام وقد زادوا له فى الاكرام وحيوه باحسن تحية واعظام ثم أحضروا ما راج من الطعام وأكلوا ومدوا أوانى المدام وأقام الملك كوبرت عندهم ذلك اليوم فى أرغد عيش وأهنا مقام ولما كان فى اليوم الثانى تقلهم الملك هرقل إلى القصر وزادهم فى الكرامات وقد صفت لهم الاوقات ونهبوها باللذات عشرة أيام متواليات وبعد ذلك شكا الملك هرقل حب الملكة مريمان إلى عنتر وباح إليه سره والكتمان وهم على خلوه ذلك المكان فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام استدعى بالملك كوبرت فى عاجل الحال فلما استشاره فى الخطبة الجارية والاتصال قال له يا مولاى لابد من مشاورتها فى المقال فان رضيت وأجابت كان ذلك عنايه من السيد المسيح وإن أبت فانت لنا صليح قال الراوى ثم إن الملك كوبرت نهض من وقته وساعته وصار إلى أن دخل على الملكة مريمان وشرح لها أمر الزواج من غير حرد ولا انزعاج فكانت هى إلى هذا المقال أشهى من العطشان إلى الماء الزلال فاجابت بالسمع والطاعة وكان عندها من قومها جماعة فخرج من عندها وأتى عنتر وأطلعه على الخير فنهض عند ذلك الامير عنتر وبشر الملك هرقل بن الملك قيصر بذلك الخبر ففرح واستبشر (قال الراوى) وقد حضر الملك كوبرت فى ذلك المكان وأحضروا البطارق والمطران وأمروا بزواج الملكة مريمان بالملك هرقل بن قيصر ملك عبدة الصلبان فعقدوا من ذلك الوقت عقدة النكاح على قاعده شريعتهم والايضاح وقد زادت سرورهم والافراح وقد دخلوا عليها فى تلك الليلة من غير مطال وقد شاهد الملك هرقل من اللطافة والحسن والجمال حتى سكر ومال وقد هاج كما تهيج فحول الجمال لانه رأى عنده صورة القمر الزاهر وقد بقيت الملاح عند مثل الليل العاكر لان خالقها قد أفرغها من قالب الجمال فصار هرقل كانه فى منام أو أضغاث أحلام وهو فى أمور تشرح وأحوال تفرح وفى تناول كاسات المدام وشرب الراح إلى إن أصبح الله بالصباح فخرج الملك هرقل من عند الملكة مريمان وأتى إلى عند الامير عنتر فالتفت إلى الجارية مريم التى هى السبب فى هذه النعم وقال لها إسمعينا الساعة شيا من الحانك وحسن لفظك وإنعامك وقد اشتقنا إلى سماع كلامك فعند ها دقت الجنكيات ولعبت العيدان ورقصت الحوار

الأرنحيات وزاد وفى الطرب ذلك اليوم وتلك الليلة ثم أن مريم أنفذت عودا محكوك مبرود صنعة أبناء الهنود وحكمت أوطاره ووضعته فى حجرها وصرت عليه بأناملها وتمكنت عليه بحوز نهود صنعة مدبر الوجود . ضربت عليه طرائق حيرت من الحاضرين الأفكار وطابت منهم القلوب وغابوا عن الوجود فأنشدت مريم تقول :

شجتك بالتغريب فى تغريدها ... فظننت سعدا كان بعض عبيدها
وكأن نغمة صوتها فى فمها ... وكأن رقة صوتها فى عودها
فمتنت الأكباد من حسن صوتها ... والقد بين قريبها وبعيدها
كلت صنائع وصفها فكأنها ... ورثت أصول العلم من داودها
تسبى العقول فصاحة وصباحة ... فيحير بين طريفها وتليدها
من بهجة مكسوبة منسوبة ... تفنى لعين الحاسدين عيونها
وأغار من لثم الكؤس لثغرها ... وأذوب من لمس الحرير لجلدها

(قال الراوى) فلما فرغت الملكة مريم من هذه الألفاظ الحسان طرب كل من كان فى ذلك المكان ثم أنها غيرت الايقاع وأشارت أيضا بهذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

تحدر أدمع العين من أعين السحب ... وقهقهة صوت الرعد من سحب الحجب
ولاحت بأرجاء السماء بوارق ... من الشرق تبدو تارة ومن الغرب
إلى أن بدا جيش من الصبح مسفرا ... ولاح بأنوار مطرزة الذهب
وغردت الأشجار من فوق فرعها ... فهيج أشواق المحب إلى الحب
وقد أبدت الأرواح نفحات عطرها ... إلينا وقد جاء السرور بذى القرب
فمن يحده من أين يقاس بغيره ... على قمة الجوزاء والمرتقى الصعب
وتفهم من ألفاظه كل نغمة ... تلذ بها الأسماع من منطق عذب
وإن كنت قد قصرت فى وصف مدحه ... فان لسان الحال جوده ينب
فلو كانت الأيام من طيب نشره ... به نشرت بين الترائب والصلب

(قال الراوى) ولما فرغت الجارية مريم من أبياتها دنت من الأمير عنتر وقالت له بسم الله يا فارس العرب من غير سوء الأدب فقال عنتر يا شيبوب قدم الجواد الأبجر فقدمه اليه فركب وسار والملك كوبرت وجميع الجوار مع مريم فى خدمة عنتر والملك هرقل بن قيصر وفى أيدى الجوار الشموع وهى فى مناور من الذهب الأحمر وهو الشمع المكوفر الذى فيه السر وهو إذا انطفت الشمعة من يد الذى يكون ماسكها يهزها فيعود ضوؤها كما كان فى سرعة ولا يتأخر (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا منازلهم بسلام وقد انصرفوا

لجماعة وانضجع عنتر بعد ذلك ونام واختلى الملك هرقل بالملكة مريمان بدر التمام وتمنى أنه لا يفارقها مدى الأيام وقضى ليلته معها بالبوس والعناق والالتمام وقل عنه العناء والكلام وجرى بينهما العتاب والملام وبعد ذلك دخلوا إلى درا السلام وما أدرى بعد ذلك كيف جرى بينهما من الكلام وعند الصباح أقبل إليه الأمير عنتر وهناه بعرسه وسأله عن ليلته وأنسه فقال له وحق المسيح ما كانت إلا ليلة تعد بالليالى وبهمتك فيها بلغت المرام ففرح عنتر بذلك وقال له يا ملك ما أنا إلا من بعض غلمانك ثم أقبلت إليهم أكابر البلد بالهدايا والتحف وشىء يعجز عنه الواصف إذا وصف ثم أنهم أقاموا الولائم عشرة أيام متواليات وهم فى أفراح ومسرات وخلعوا على المقدمين والسادات من أحسن الخلع والملابس الملونات وصفت لهم الأوقات فعند ذلك تقدم كوبرت إلى هرقل والأمير عنتر وقال لهم يا مواليّ هل تنعمون إلى بالصعود إلى القلعة وتتشرفون على ما فيها من الخزائن والأموال والتحف الغوال فأجابوه إلى هذا المقال وقد رأوه عين الصواب فعندها نهض عنتر وهرقل وأكابر الروم مثل الحجاب والنواب وأصحاب الرأى الصائب وبين أيديهم الغلمان بالسيوف والحراب حتى وصلوا الدار التى خرجت منها الجوار وهو باب من الفولاذ بقنطرة معقوده على عواميد من الرخام ممدودة مختلفة الألوان فتقدم كوبرت وقد فتح الباب ودخل قدامهم فى هذا المكان (قال الأصمعى) حدثنى من أدركته فى زمانى عن معمر بن بنى عبس وحكى لى ما سمعه من شيبوب أخو عنيز وقد قال لما فتح الباب وحصلنا من داخله نظرنا إلى درج نقر فى حجر أحمر وهو مرتفع بعضه فوق بعض لا يكاد أن يطوله إنسان إذا كان على ظهر الحصان وبيده رمح من الرماح الطوال وقد بنى سلم عريض قد أحكمتها الصناع وعرض السلم عشرون ذراع وطوله ثلاثون زواع بالاتساع وقد أحكموه لأجل طلوع الخيل قال شيبوب فسرنا عن يمين الباب مقدار مائتين ذراع فرأينا باب ثانى أعظم من الأول بغاية التركيب وأحسن ولكنه مع هذا التركيب والصناعة المحكمة من خشب القاقلى والقهارى والمسامير من الفضة والذهب وهذا الباب أعجب من كل عجيب وهى قد صنعتها الكهان فلما فتح الباب رأينا فارس طويل كأنه من أولاد قابيل وبيده سيف صقيل إذا ضرب جبل هده وهو مائل بكليته إلينا ومقبل بصدره علينا فخيل إلينا أنه إنسان حامل علينا بغير ارتياب عند دخولنا من هذا الباب وهو طويل عريض شجاع وقرم مناع فلله در تلك الصناع الذين أتقنوا تلك الايقاع وهذا الفارس راكب على جواد من أفخر الجياد فصاح أخى عنتر عند نظره إلى كوبرت وقال ما هذا الفارس الواقف فى طريقنا وما له حامل علينا وقصده يعيقنا فيال كوبرت يا أبا الفوارس ما هذا بطل من الأبطال وما هذه إلا صورة من النحاس الأصفر قد أحكمته حكماء اليونان من قبل هذا

الزمان فقال عنتر إذا كان هذا التمثال كيف حمايته لهذا المكان فقال كوبرت اعلم يا أبا الفوارس أو هذا التمثال إذا وصل إليه إنسان يد وربسيفه مثل ريح الشمال فلو صادف سيفه هذا الجبل لقده قطعتين فقال عنتر وحق من لا تراه العين إن هذا التمثال أعجب ما يكون ثم أنه قال لكوبرت تقدم إليه وارجع حتى ينظر ماذا يصنع فسار كوبرت قليل حتى تقرب من الملك وإذا بالتمثال قد دار كالولب وانقض مثل الكواكب فحار عنتر وقد أخذه العجب وقال لكوبرت وأى شيء يكون طلوعنا من هذا المكان وقد حصل لنا مثل هذا الشيطان ووقف لنا فى الطريق ومنعنا عن التوقيق فقال كوبرت أنا أبطل حركته ولا أدعه يتحرك ولا يفعل شيئا من صناعته فقال عنتر أفعل ما بدا لك وأرنا ما تصنع من أعمالك وفرجنا على أفعالك فتقدم كوبرت إلى التمثال ومد يده إلى طاقه بالقرب من هناك ومن داخلها سائر الحركات والأعمال وفى وسط تلك الطاقه درة وفى فم الدرة حلقة موصولة فى طابق من الرخام بصناعة وهندام فتقدم كوبرت ومسك الحلقة وأقام اللوح الرخام فبان من داخل اللوح سلسلة من الذهب الاحمر متصلة بساقية على البحر بقواديس من الفضة الحجر تحمل الماء وتصب فى حيضان من المرمر بمجار من النحاس الأصفر تصب فى مساقى من الرخام الأحمر والأصفر والأبيض وتلك القساقى بوسط القلعة المقدم ذكرها بمجارى أخرى من الرصاص متصلة إلى بستان ملان من الأزهار النبات والأشجار والنخيل والأثمار وفى جانب تلك السلسلة سلسلة أخرى متصلة بساقية أخرى بقواديس من الذهب تملا من الزئبق متصلة بذلك التمثال المقدم ذكره الذى فى يده هذا الجسام الفصال فاذا دارت الساقية وصبت من الزيبق فتبطل حركة هذا التمثال ويجرى فى هذا المكان فيقوى هذا التمثال على قتال الرجال وإذا أراد إبطاله الذى يعرف بحاله فيتقدم إلى السلسلة ويسحبها ويلتقوا بها الساقية المتقدم ذكرها وتبطل دورانها فيقف الزيبق فتبطل حركة هذا التمثال عبر الملك هرقل وعنتر والجماعة فى أسرع حال صنع كوبرت أما صنع من إبطال حركة التمثال عبر الملك هرقل وعنتر والجماعة فى أشرع حال وكان آخر من عبر شيبوب وولده الخذروف ولما عبروا وتقدم كوبرت وعنتر ينظرون إلى ذلك وإذا به قد عبر إلى طابقة أخرى ورفعها بيده فنزلت تلقى الطابقه المقدم ذكرها وحصلت فى مستقرها فجرى الزيبق فى هذا المكان ودار القتال كما كان هما وعنتر قد انبهروا حار منا عاين وأبصر من تلك الأحوال والصور ثم أنهم بعد ذلك الأمر الذى يذهل العقول قد صعدوا من المراقى إلى باب حديد آخر عيط الأول عندها دخلا منه إلى وسط القلعة فنظر عنتر إلى قلعة عالية البناء شاهقه فى الهواء فقال عنتر وحق من خلق الخلائق من الماء وجعل البيت الحرام آمنا وحمى ما هذه المكان الا قريب عهد من السماء ثم أنه نظر بعد ذلك فرآها مبنية من

الصخر الاعمر مركب حجارتها نقر محكمة بأبراج عالية وسيعة أمينة وأركان عالية منيعة وهي حصينة وكانت هذه القلعة بين مدائن أربع وكانوا إلى ملك من ملوك الافرنج يقال له الملك صافات وكانت كل مدينة منهم حولها أربع جزائر وكانوا هؤلاء الجزائر يقال لها الواحات وما كان أحد من ملوك الافرنج له سبيل وكانت الملك يقال له جنطيانيل ملك الأندلس لأنه كان بطل صميدع وكان الملك صافات من تحت أمره ويحمل إليه الخراج والعداد في كل عام وكان للملك صافات أحب ما إليه من هذه المدائن الاربع إلا جزيرة الواحات لأنه كان يقيم بها أكثر الاوقات لانه منها خرج وفتح المدائن الاربع فكان أولهم قلعة البلور وروما المدائن الكبرى التي يماثلها في سائر القرى ومنها قد اشتهر الاسكندر على سائر الورى وكان فيها قصره الاعظم الذي فيه سائر النعم وكان طوله خمسة فراسخ وعرضه اثنين تحيرت في وصفه الناظرين وكانت أرض القلعة مفروسة بالرخام الاحمر والاصفر وحيطانها من حجارة الرمر ولها أربع صوامع كبار وكان عليها رجال لاجل المنع والحصار فيها بستان قد اجتمع فيه من سائر الاشجار وفيه من غرائب الاثمار والماء يدور فيه دائر يدور من اسفل الاصوار وفيه قصور عاليات وأركانها مشيدات وعلى حيطانها تصاوير ونقوش ترد البصر المنهوش وتشتاق لرؤيتها النفوس وأكثر أشجارها من الفواكه والازهار (قال الراوي) وكان الملك صافات كل مارأى هذه المدينة وما حوت من الاصناف المختلفات ما يهون عليه الخروج منها بل يخشى الكلام من أكابر البلدان يروه بين العجز والهوان فكان يخرج في كل وقت إلى ظهر المدينة وينصب الخيام والسرادقات ويأمر باحضار العشائر من سائر الجهات وقد ذكرنا أن هذه المدائن الاربع تحت حكمه أولهم قلعة البلور والثانية روما المدائن الكبرى والثالثة قلعة الصنم والرابعة مدينة كيرونة ولما كان في هذه الايام بلغه خبر فقال الافرنج مع الارواء وجيء هرقل بن قيصر في هذه العشائر التي لا ترام وكيف أتى معه عنتر بن شداد البطل الهمام وكيف قتل الملك الليدار وابنه سرجوان وملكوا قلعة البلور وجزائر الكافور وما حوته من البساتين والقصور والاماكن والنهور وبلغه أن الملك كوبوت صادقهم بعد الحرب الشديد وصاروا بعد المعاهدة في عيش لذيذ والذي أتى له بالخبر قال احذر على نفسك واجمع العشائر والاجناد من قبل أن يأتيك الملك هرقل والامير عنتر ابن شداد (قال الراوي) فخرج في هذه وجمع العشائر من الخاص والعام وما حوته يده الدساكر والالزام فأقبلت إليه الافرنج هي مثل البحار الزواخر ماها أول من آخرها مقبلة إلى طاعته وسائرة إلى خدمته ولما تكاملت الفرسان فاعرضهم عليه فكانوا مائة ألف وسبعين ألفا من الافرنج المجربات وهم راكبون على الخيول العربيات لابسين الدروع والزرد العاديات بأيديهم الحراب الخطيات والقنطاريات والخلنجيات والدرق المركبات

ومتقلدين بالسيوف المشرفيات الهنديات وهم كأنهم السباع الضاريات إذا خرجوا من الغابات وفي سروجهم الدبابيس الأندلسيات وعزم على الرحيل بعد أن استخلف بعده ابن عمه يقال له ميخائيل وترك عنده خمسين ألف بطل من كل فارس نبيل وأمره باليقظة والاحتراز وسار بعد ذلك يطلب جزائر الكافور وهو مثل الأسد المصور في تلك الساعة وجمع ذلك القسيس الذي أنقذ الملك كوبرت وأخبره بقدوم هذه العشائر كما شرحنا وسمع ذلك عنتر فاز ورمنه البصر وهو ذو بحر فعند ذلك أمر عنتر للملك هرقل بالرحيل فدق كاس التحويل ورحل معهم كوبرت فكان عدة الجيش ثمانية ألف فارس من كل ذرع ولابس هذا والأمير عنتر قد سار في المقدمة على جواده الأبجر معتقل برمحه الأسمر وشيبوب بين يديه وولده الخذروف والجميع يتقربون بالخدمة إليه فعند ذلك جاش الشعر في خاطره فأنشد يقول :

تعلق القلب عبلة غير تعليق وأنت معها رهين غير موثوق

(قال الراوي) سار الجيش سيراً عنيفاً ثلاثة أيام حتى أتوا إلى مرج فسيح وماؤه يسرح وزهره قد فتح فقال كوبرت لعنتر يا أبا الفوارس أنزل بنا في هذا المكان لأجل راحة الخيل والرجال للحرب (قال الراوي) فأمر العشائر في ذلك الصحصحان ونزلت العشائر والفرسان ونصبت السرادقات وضربوا المضارب والخيام وقد أقام على أكل طعام وشرب مدام وأراحوا واستراحوا يومين تمام ولما كان في اليوم الثالث استشوروا في الكلاب ورحلوا طالبين جزائر الوحات وقد سارت من خلفهم الفرسان والشجعان من سائر الجهات والأمير عنتر سائر في أول الأبطال وهو مثل الأسد الريبال وقد أخرج من جلباب درعه وهو يهمز همزات الأسد من شدة الغيظ والحرد ولما اتسعت عليه القيعان تذكر الأهل والأوطان والأصحاب والخلان وقد جالت عبلة في خاطره فباح بما أكنت عليه ضمائره فأنشد يقول .

من حاكم بيني وبين عذولي الشجو شجوي والنحول نحولي
أصبحت في بحر الهوى متفرداً وأنا أخاف عقوبة التعطيل
عجب لقوم لا تلين قلوبهم لحريق قلبي في الهوى ونحولي
في أي جارحة أصون حبيبتي سلمت من التعذيل والتنكيل
إن قلت في عيني أصون مدامعي او قلت في كبدي نثم عليل
والشيب لما إن سكن في مفارقي فعلمت أن نزوله لرحيل
إن كنت تركت الحي لا عزلي وبدت برأسي حجة التنكيل
حتى إذا ما العين عن اللحظة أرمي يقاربه عن كل سبيل

شيب تبدى مثل صبح طالع ... وفراق أحبابى وقرط نحول
ولقد سريت إلى العـــدا جحفل ... قد حصنوا بذوابل ونصول
لى قلبى يحكى العاج مفضضا ... فى غرة فيه وفية تحجيل
يحلو بتحليل اللجام كما زهى ... ملك محل الرأس فى التعديل
حتى إذا سمع العداة سهيله ... ولوا وقد خابوا بكل سبيل
فرت جيوشهما تجد كانها ... أسد تجد وراء كل هزيل
يا عبلة إنى عاشق فتحكمى ... فى مهجتى يا غاية المأمول
يا عبلة ما زال الزمان معاندى ... وأنا الحور لزمانه لحول

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير عنتر من إنشاده وتربح الملك هرقل بن قيصر على ظهر جواده وحق المسيح ماهده إلا فصاحه وافر وشجاعة باهره فلله درك يا أبا الفوارس فما لك فى هذا الزمان مقايس ولا من نفس لا فى الفصاحة ولا فى البيان ولا أجر أمنك جنان ولا أثبت منك قلب فى الميدان فالله يبلغك آمالك ويصلح صدرك وشأنك وينصرك على كل ما تؤمل من العدى والحسا، فدعا له عنتر وله شكر وترجل إليه وقبل وجنتيه فقبله هرقل بين عينيه ولم يزالا سائرين وهما يقطعان السهول ومكثبان ويتحادثان فيما يقول وما كان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أخبار الملك صافات فانه لما رحل بعشائره والأجناد وخرج من أرضه وبلاده طلب الملك هرقل وعنتر بن شداد وما زال كذلك حتى تقاربت العشائر من بعضها البعض وطلعت عبايرها واسودت منها أقطار الأرض ورن اجتماعهم فى مكان يقال له وادى الاس فعلا منهم الضجيج لأجل اختلاف الأجناس ونعت بوقاتهم مع دق الكوسات فهربت الوحوش من الغابات وارتجت سائر الجبات ولمعت برق الصوارم مع سحائب الغبائر المرتفعات وصهلت الخيول العربيات فشوقت إلى الحرب قلوب السادات وهان على الابطال سرب كاس الممات وقد جرت لهم فى الحرب عادات وما تفيهم إلا من لاح له وجه الطمع والنصر بعلامات لما خفقت البنود والرايات فكانوا كما قيل فيهم هذه الابيات :

جيش بدا عند الصباح المسفر ... والخيل تركض عند الرياض العنبر
والطل من فوق الشقيق كلؤلؤ ... رطب على فص عقيق أحمر
والاس فى إرجائها كزبرجد ... والياسمين معبق ومعنبر
والأرض قد كسيت بحلائل وعرائس ... تاهيك عن ذهب يصاغ بجوهر
وكتائب قد أقبلت وعساكر ... ومقادم أكرم بها من عنصر
والبيض تفع فى العجاج كانها ... برق تلالا فى سحاب ممطر

وليوث غاب مثل آجام الفلا يسمون فى حرب الكمى الاحمر
متقلدين صوارما مصقولة خضر من اتصاع الحديد الاخضر
والارض ترجف من زلازل ركضها من وقع حافرها وسط المحجر
والوحش قد جفلت كذا من وكرها والطير محجوب الغبار الاكدر
والموت قد نسج الغبار سرادقا أطنابهن من الوشيج الاشعر

(قال الراوى) وفى تلك الساعة أشارت الطوائف إلى بعضهما البعض من غير إطالة ولا مراسلات بل انطبقوا عليهم مثل البحار الزواخرات وكانت لهم ساعة عظيمة لا تشبه الساعات ومدت القناة والقطاريات ولمعت أسنة الرماح السمهريات وطارت الرقاب بضارب السيوف المشرفيات وسقطت الجماجم على أغصان هياكل القامات وجرت الدماء مثل السحائب الممطرات وزمجرت الافرنج بلغات مختلفات واستغاثت بالقسوس والرهبان وارتفعت على رؤس الطائعتين الصلبان وصاروا بالمسيح ومارى حنا المعمدان وزعقت الروم باسم عيسى ومريم وطعنت باسنة الرماح فى الاجساد وودعت الارواح الاجسام توديع الفراق وصعدت الغبائر حتى أظلمت الآفاق ونزلت عليهم الاقدار والاحكام بانقطاع الآجال والارزاق ولسعتهم اسنة الرماح الدقاق وعجلت لهم المنون والمحاق وغابت عن ذلك السن الحذاق وفى آخر النهار ترجل الملك صافات وقاتل مع أجناده قتالا حارت منه للناظرات وسطا على الفرسان سطوة الغضب وخطف أرواحهم ونهب أموالهم وفرق المراكب سرب ونظر عنتر إلى فعاله فخاف على رجاله فصدمه صدمة الاسد الضرغام وجرى بينهما خرب تحيرت منه الاوهام وتشيب منه الاطفال قبل الفطام وما فرق بينهما إلا الظلام وعادت الطوائف إلى الخيام وقد ربحت الروم على الافرنج القتام بقتال عنتر الفارس الكرار وخسرت عساكر الملك صافات وظهر عليها علائم الانكسار ولولا خوفها الملك صافات لكانت طليت الفرار ولكن صبرت على البلاء خوفا من العار وسكنت دساكر الروم بعض خيام الافرنج والرجال ولكن رجعت وهى تشكوا إلى عنتر مالاقت من القتال إلا أنها صارت تشكره وتثنى عليه وتشير بالدعاء إليه فهذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من الملك صافات فانه رجع هو فى أعظم البليات وجميع أرباب دولته ومن يعتمد عليه من بطارقته وقد استشارهم فيما يفعل فى دفع هذا البلاء الذى عليه قد نزل وهل يقيم قدام الاعداء أو يرحل لانه نظر منهم ذلك اليوم فى القتال ما حير منه البصر ويذهل النظر فقال له أرباب دولته ومن يعتمد عليه من رؤساء مملكته أيها الملك ما فى هذا الامر إلا أننا نصبر على قتال الاعداء ولو جرعوما كؤس الردا فان رزقنا عليهم النصر فى غد وإلى التجأنا إلى ذلك الجبل الطويل ونتاولهم فى القتال ونرسل إلى ابن الدير

والشاهد ونسأله أن يكون عونا لنا على هؤلاء الاعداء ومساعد ومتى وصل إلينا هان أمر هؤلاء الأعداء إلينا فقال الملك صافات وخق المسيح لقد أشرتم بالصواب وما هؤلاء الكلاب إلا هذا الأسد الوثاب وكان هذا الفارس الذى ذكروه الافرنج فى نفسه شيطان من صورة إنسان ما كانه إلا من عفاريت سيدنا سليمان وله حديث عجيب وأمر مطرب غريب لان أمه كانت من بنات الافرنج الكبار وكان أبوها ملك يحكم على أقاليم وأمصار وعشائر وانفار فى جزائر البحار وكان عاش عمرا طويلا حتى كبر سنة ودق عظمه ولم يرزق من ظهره ولد ذكر يجعله عهده ويرث الملك من بعده فعندها جمع أرباب دولته ورؤساء مملكته الذين يعتمد عليهم فى شدته وقص عليهم قصته وعظم بليته من ضعف قوته وزيادة حسرته وانقضاء مدته وما رزق ولدا من زوجته وقد آن أوان رحلته وقال فى آخر كلامه وكنت أطلب من المسيح أن يرزقنى بولد مليح حتى يكون ولى عهدى ويرث الملك من بعدى فقال الحاضرون أيها الملك الرأى أن تنفذ إلى الدور والصوامع النذور وأكسى الصور به والكنائس من الغطة والستائر واطلب من المسيح هذا الولد ولا تكن من رحمته ايس فأجابهم إلى ماذكروا وفتح خزائن أمواله وفرقها على الرهبان وأهبان وأهل الديورة والقسوس والمطران وزار الكنائس والديورة والصوامع واجتهد وتعبد وطلب من المسيح هذا الولد فرزق من زوجته هذا العام بيت مليحة جميلة صبيحة فاغتم لذلك غما شديدا وكان مؤملا أن يرزق ولدا رشيدا حتى يدوم ملكه ويذكر إلا أنه لما رزق هذا البنت هبة المسيح وطاف بها الكنائس والديورة والصوامع وسائر المواضع وطاف بها معابد الرهبان والقسوس والمطران ولم يزل يحسن فى تربيتها ويجتهد كل الاجتهاد حتى كبرت وبلغت الارشاد فطلعت على زيارة الديورة والصوامع وسارت بين الرهبان القساسة وكل مطران زاهد ولم تزل على ماهى عليه أيام وليالى وهى تكثر من زيارة قديز كان قريبا من مدينتها وكان به راهب من الرهبان يقال له الراهب سمعان فاحبته تلك البنت حبا شديدا عليه من مزيد حتى صارت من محبته فى هيمان ومن محبتها له ظهرت الرهب وصارت منفردة لوحدها وهى ملازمة هذا الراهب صاحب الدير وتفعل مع الرهبان والقسوس فعل الخير وتنفق عليهم المال الكثير وفرح أبوها بذلك وأمها وأجابوها إلى ما طلبت من فعلها إلى إن وجدت الخلوة بالراهب وحدثته بقصته وطلبته إلى نفسها فعند ذلك أجابها ولم يعرض عنها ولم تزل فى صحبته مدة يسيرة وكان أبوها وأمها يقدمان اليها فى رأس كل شهر ويقصدون زيارتها ولا مضى على ذلك الا أيام قلائل حتى مات ذلك الراهب وكانت قبل موته حملت منه وقد كبرت بطنها وبان عليها حملها وقل نشاطها رزاد بها الكسل فسألها عن ذلك وقد

تغيرت أحوالها فقالت لها أماه ما أعلم لذلك سبب إلا أنى أحدثك بحديث عجيب وهو أنى كنت فى بعض الليالى راقدة فى ظلمة الدير وكان قلبى بأيت فرحان مسرور وإذا أنا بشاهد والراهب الكبير قد أقبل إلى وهو مذعور وضربنى من وسطه بعامود النور وهذا الذى جرى لى من الأمور وحق العذراء أم النور فعلمت منه من ليلتى وهذا تمام كلامه وقصتى (قال الراوى) فلما سمعت أمها كلامها فرحت وزادا بتسامها وأعلمت أباها بالخبر ففرح بذلك واستبشر وأتى إليها وصار يتلمس على بطنها بيده ويتبرك بها وقال لها الآن بابنيه من بقى يفاخرك من بنات الافرنجيه وقد حملت من راهب الدير والرباز (قال الراوى) ولما انقضت مدة الحمل أتاها الطلق كما أراد خالق ووضعت مولودا ذكرا كانه فلقة القمر فقالت لابيها يا أبتاه بماذا تسمى هذا الغلام فقال سموه ابن الشاهد والدير لأن وجهه فيه علامات الخير (قال الراوى) فسموه بذلك الاسم وانتشى هذا الغلام وخرج فارس همام وأسد ضرغام وتفرس على أقرانه وكمل علاه وفرحت به أهله وأصدقاه حتى ملك سائر البلاد وزلت له رقاب العباد وصارت ملوك الجزائر تهاديه وبالتحف والأموال تداريه وكان شجاع بلاد الاندلس وفارسها وحاميتها وكان من جملة من يتحفه بالأموال والهدايا والتحف الغوال هذا الملك صافات ملك جزائر الواحات ويطلب بذلك كف أذاه عن بلاده ودفع شره عن عساكره وأجناده وكان بينهما مودة قديمة ومحبة عظيمة وكان الملك صافات له عنده قدر وقيمة ولما جرى له مع عنتر ما جرى وشاور أرباب دولته فيما يرى فأشاروا عليه أن ينفذ إلى هذا الفارس ويسأله أن ينجدهم بشجاعته فى الصدام فأجابهم إلى هذا الخطاب وقد راه عين الصواب فانفذ إليه جماعة من الحجاب وأقام ينتظر رد الجواب وهم فى هموم واكتئاب فهذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من عنتر وعشائر الملك هرقل ابن الملك قيصر فانهم نزلوا فى الخيام وهم فى فرح زائد وبتسام وقد علموا أن ما بقى لأعدائهم ثبات ولا مقام (قال نجد بن هشام) ولما أصبح الله بالصباح واضاء بنوره لاح ركبت الفرسان على ظهور خيولها وقد اشتهرت بضاربها وشهرت على الخيل ديولها وطلبت عنتر بن شداد حبيب العشائر والأجناد وكان عنتر فى أوائل الجيش راكبا على ظهر جواده الأبجر مثل ملك الموت إذا تصور هذا وقد طلبت الافرنج عنتر بن شداد فحملت عليها الروم وعنترة فى أوائلها وعمل فى ذلك اليوم عملا حير الشجعان ودحرج الرؤس كالكرة ولم يزل معهم فى القتال بالصارم الذكر مدة سبعة أيام وثمان ليال دارت الحرب بينهم فاشتد على ساق وقدم الرؤس تتناثر من على قامات الابدان إلى عاشر الايام وفى اليوم الحادى عشر ضعفت الافرنج وقل نشاطها وظهر عليها الانكسار وعولت تطلب الهرب والفرار فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد ثار واسودت منه الاقطار واحدقوا إليه بالابصار وتحدثوا أنهم أنصار وأما الفرسان

القادمة لما رأوا الطرائف فى المعركة والرماح بينهم مشتبكة ورأوا طائفة الروم على الافرنج فائقة فاكبت رؤسها وحملت مثل الابالس وفى مقدمتها الفارس المغوار والبطل الكرار وهو ابن الدرو الشاهد لانه لما وصل اليه رسل الملك صافات فاوجد الفرار ولاثبات بل سار فى هذا الدسا كر الجرار ولما وصل بهذة الفرسان كما ذكرنا فى هذا الديوان ونظر عنتر إلى عظم همته صدمه صدمة أعظم من صدمته ولما رأى الملك صافات إلى تلك الحالات زعق على الافرنج فحملت وعلى القتال عولت ولنار الحرب أشعلت وعنتر يشجع فرسان الروم ويحمل حملات تزعزع الجن من تحت التخوم وينثر بسيفه الجسوم ويترك الرجال تقع وتقوم حتى أنسدل الظلام وقد طلبوا الانفصال من الحرب فامكنه ابن الدير والشاهد بل قوى عزمهم على الاهوال والشدائد هنالك حقت الحقائق وعمل السيف الماحق والرمح الخارق وعلم عنتر مراد الافرنج اللئام فبذل فيهم الحسام واجرى دماءهم من الاجسام ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وهى تغلى كغليان المرجل حتى صار قريب السحر وبان لهم ملك الموت وظهر الرؤس كالاكر رضاق الميدان وانحدر وتصادمت الشجعان والتقى الجمعان وخرق السنان الامعاء والمصران وعمل الحسام البمان فى الجماجم والابدان حتى سار كيمان وأدر الدبران ومالت كفة الميزان وسط السرطان واشترى المشترى الارواح بابخس الاثمان وانحط سقاء الدلو بعد ارتفاعه إلى محل الزبرقان وحار الحوت عند ما حق بحر الحيوان وفارقته الثريا والخلان وزحزح زحل عن موضعه وطلب الامان وطبقت الافاق من الاشرار صنعة الملك الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن فسبحان من يخضع له كل سلطان وكانوا كما وصف فيهم بعض فضلاء الزمان حيث يقول .

أكرم بذورز يار فراح المنى ... مستصغرا ولعذرها مستكبرا
أمست تعاذلنى الغزالة والدجى ... متلاطم الامواج جياش القرا
والبدر فى أفق السماء كانه ... فلك قد اتخذ النجوم معسكرا
وكانما الزبرقان يقدم صحبة ... بطل اتى بكتيبة متقاطرا
وكانما الجوزاء حين تفرقت ... أجسادها عقد لها متعثرا
والليث قد مد الذراع كانه ... يبغى الوثاب مقدما ومؤخرا
وترى السهام كانه الجاسوس فى ... جنب الجبين محاذرا أن يظهر
والقلب مكسور الخطا فكانه ... عان توافقان قيده مستاسرا
وتخال ميزان حمله من جدية ... خل المريخ ضم خال أحمرا
وسهيل يخفق دائما فكانه ... قلب الجبان رأى الوغا فتاخرا
وتقابل النسران هذا واقع ... وأخاه طار محلقا ومحذرا

حتى إذا برز السماك مصمصا وغدا يكر برمحه متدبرا
وافا أخوه الاعذلى المشهور فى طلب النزال بلاسلاح بذكرا
ودنا خميس من خميس يرتمى غار الصباح على الصباح تاسفرا

(قال الراوى) ومازال القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وماء الفرسان تبذل من الجراح والابطال تتأسف على فراق الارواح وتتناهل من شرب الموت أقداح من سمر الرماخ وحدود بيض الصفاح حتى جرى الدم وساح على الروابى والبطاح وازورت المقل الصحاح وعدم القوم الفلاح وخاف الشجاع الافتضاح وولى الجبان وطلب الرواح وقد سمحوا القوم بالارواح من بعدما كانوا بها شحاح إلى أن أنار ضوء الصباح وقد تكسرت من الضرب الصفاح وتقصفت من الطعن الرماح الاعتراف انه هاا سنراح إلى أن قفز إلى الميدان وجال بين الصفين واشتهر بين الفريقين ولعب برمحه بين العسكرين وسل سيفه الابتر وهد أمرج جراده الابجر وجاشت عبلة فى خاطره فحن إلى قربها والنظر إلى وجهها فانشد وجعل يقول

طربت وهاجنى صوت الصوائح غداة ثار منها سفوح ونازح
ومالت بى الاعداء حتى كاننى تردد فى صدرى من الوجد قازح
يذكر قلبى عبيله حيث دونها صحاسيح يبيد بقتلى صفائح
لعمرى لقد أعذرت لو تعذرينى وميزان صدقى بعد ذاك راجح
عبيله كم من يوم صعب شدته له منظر بادى النواجذ كالح
وبكر فلاة لم تخف واستظامت ولا اقتنصها من قبل مهرى ناكح
كشفت خمار الصون عن خر وجها صبح اللثام الشرف فى الحوب جائح
انكحتها يقظان من نسل لاحق هامست به من عمقها وهى لافح
من الشهب فى إدراكه الشهب طامع فناظرة نحو الكواكب طامح
أخوض به بحر العجاج لدى الوغا واورده حوض الردا وهو طامح
وقومى منسوج الجديد عليهموا بكانحهم فيه العدو المكافح
وأن مشوا فى السابقين حميتهم بمسلول وقد هاجت بهن النوائح
تواحف زحفا إذ تراع كثيبة تطاعنها أو يذعر القوم طابح
ولما التقينا بالجزائر تصففت وطاجت بهم فى السابغات الطوابح
ودرنا كما دارت على قطبها الرحا وجارت على هام الرجال الصفائح
ردمنا على ضرب النصال ولم يزل تسيل الدما حتى بدا الصبح كاسح

تداعت بنو عبس بكل مهند صقيل يهد الهام والموت لائح
وكم بطل كان سنانه شهاب بدا فى ظلمه الليل واضح
تكشمو مابين أنين ومزبد وبين قتيل عابت عنه النوائح

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من إنشاده هذه الأبيات نادى بصوت سمعه جميع السادات أبرزوا ما أرباب الرايات فانا أسمع بواقع السمهريات العالم بما مضى وما هو آت المدعو عن البنين والبنات ما أرجع إلى وطنى ويكون فيكم عزيمات إلا بعد قتل ملككم صافات وأخذ جزيرة الواحات فدونكم الآن والبراز وسرعة الانجاز وكان عنتر يشير إليهم بالكلام والملك صافات وابن الدير الشاهد قيام ما يعلمون ما يقول بل نظروه يجول ويأخذ الميدان عرضا وطولا فعرفوا أنه يريد البراز كما جرت عادة أبطال الحجاز فهم الملك صافات أن يحمل عليه فنزل ابن الدير والشاهد عن الجواد وتقدم إليه وصلب على وجهه وقبل يديه وقال وحق المسيح لا سبقنى اليوم أحد إلى البراز حتى أتيك برأس هذا الأسود فارس الحجاز فلما سمع الملك صافات هذا الكلام زاد فرحا وابتسام وخلع عليه وخرج بعدها إلى الميدان وهو راكب على ظهر حصان يسبق البرق فى اللمعان وعليه درع مضيء وعلى رأسه بيضة لامعة مشرفة ساطعة معتقل برمح أسمر له سنان يطير كما قال الشاعر حيث يقول

مزقت فى معرج الهيجا شمولها فى مارق يوم بيض البيض ممزق
بكل أبيض ماسى الحدين تحسبه صيحا عليه من دما الأبطال كالشفق
إلا على عمده أن لا يواجعه إلا إذا عاد حمرا من العلق

(قال الراوى) وكان تحته جواد أدهم مجتمع ملمع بحافر كالدرهم إذا صهل كاد أن يتكلم كلون العندم (قال الاصمعى) ولما برز إلى الميدان فى تلك العده وهذا الشان صاح على الحصان فخرج من تحته مثل هبوب الرياح أو البرق إذا برق ولاح فالتقاه عنتر بقلب لا يخاف ولا يرعب وقد اعتركا فى الميدان ساعة من الزمان وقد ثار على الاثنين الغبار وتسربق رداء الضرب واختلف وكثر الضجر والاسف وخشى عليهما من التلف وقد نظر ابن الدير والشاهد أنه فارس ثقيل العيار وبحر لا يدرك له قرار قد إليه القنطار به ورمى وجه عليه وطلب الانجاز فصبر عنتر عليها إلى أن قاربته وقد ثبت إلى أن جاذته وضربه طيرها عن بدنه وقد أذهله وأيهره وبعدها صاح عليه واستقبله بسنان أصلب من الحجر وابن الدهر قد خار وانهر وأراد أن يلوى عنان جواده ويرجع فضربه عنتر بالصمصامى الابتر على قمته وقد أستتر بطارقة فقطعها السيف نصفين ونزل إلى البيضة فدها ووصل إلى رأسه شقها شطرتين وإلى جسده تركه قطعتين ورماه على الارض دلوين وبعد ذلك أشار عنتر إلى الروم برأس السنان فحملت من كل فج مكان وقد

حلت على طوائف الأفرنج وهي تصيح بأفرد لسان وصارت تستغيث بالذبيح والمانظر هرقل ابن قيصر إلى فعال عنتر حمل إلى نحوة بباقي رجاله وقد جروا البيض الرقاق وشرعوا أسنة الرماح الدقاق وخاضوا في بطون القتلا بالخيل العتاق وقد نثر عنتر برأس السنان الأبطال وعددها وهتك بسيفه الدروع وبددها ولعب بمهج الفرسان وقطع بسيفه المفارق والأوصال ولما نظرت الأفرنج ملكهم قتير وعلى وجه الأرض جديل فعولوا على الهرب وقد وعاينوا من عنتر الموت والعطب فثبتهم الملك صافات ونحامنها المقادم والقادات حتى طيب خواطرها على القتال وقد افتحمت واشعلت نار الحرب واضرمت وجارت الخواطر واندهلت وادماء من الجوارح انهلت والرماح الطوال وانحطمت المرائر تقطعت والعزائم فتيت والأندال تأخرت والأبطال تقدمت والصدور تخسفت والأعلام تنكست والخيل ارتبكت والرجال تقنطرت والجبال اهتزت والأرواح راحت والدماء ساحت والرؤوس طاحت ولم يزل الستف يعمل إلى أن قارب الظلام وخيفت مواضع الأقدام فعند ذلك رجعت كل طائفة تطالب بضاربها والخيام والدماء تسيل في الأجسام وهم يتأسفون على من قتل من السادات والأجناد والملك هرقل وعنتر قد نزلوا في السرادق الكبير وكان من الديباج والحرير وقد تركوا أمر القتال وتدبير الحرب والنزال فقال عنتر لهرقل يا مولانا وحق خالق العباد ورافع السبع طباق لا بد عن قتل الملك صافات نسل الأوغاد وأن من معه الأجناد وأجعلهم عبرة بين العباد وتدوس أجسادهم الخيل الجياد لأني علمت لولا ثبات هذا القربان كانت الأفرنج قد انصرفت إلى ديارها من زمان خوفا على أولادها والنسوان ففرح الملك هرقل بكلام عنتر وقد انشرح بهذا القول صدره واستبشر وقام طالب خيامه وقد زالت عنه أوهامه فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوي) وأما من كان من الملك صافات فانه رجع إلى خيامه وجمع أكابر قومه وشكا لهم حاله وما عاين من عنتر وقتاله فقالت له أرباب دولته وأكابر مملكته وحق المسيح الموجود والرب القديم المعبود ما قتل اليوم فرساننا وأبطالنا إلا هذا العبد الأسود الجبار الجامد لأنه فتك فينا بسنانه العسال وحسامه النصال فقال الملك صافات لقد سمعت هذا المقال إن كان خوفكم من هذا العبد الأسود فأنا قد تركه قتيل عمدا أو آتي به أسيرا مقيدا وقد دان الأمر وتدبر وانقضت الأشغال وانكسر هذا الجيش ومال فطاب قلب الرجال لما سمعوا من ملكهم هذا الكلام ورتب الجيش بعد ذلك إلى أن بان ضوء الصباح وركبت الأبطال الجياد القداح وقد جردوا الصفاح وتبادروا للحرب والكفاح ولما ثبتت صفوفها واعتدلت ألوفها كان أول من طلب الحرب واعتدل للطعن والضرب الأمير عنتر بن شداد وقد ركب الجواد إلى أن سار بين الفريقين واشتهر بين الطائفتين ولعب بسيفه بين الجيشين حتى حير العقول والأذهان وطلب بارز الأبطال والشجعان

وقد أخذ الميدان عرضا وطول وأشار ينشد ويقول هذه الابيات :

أرى كبدى من لوعه البين تحرق ... وجفنى من ماء الصبابة غارق
فلادمع جفنى مطفئا نار لوعتى ... وقلبى وأحشائى تذاب وتحرق
لحا الله من يلجأ محبا إلى الهوى ... وأحشاؤه من لوعة البين تخفق
سبقى الله أياما نعمنا بقربها ... من السحب هطالايسيح ويدفق
عبلة فى قلبى من البين لوعة ... وقلبى من حر الصبابة مشفق
فمن مخبر عنى العداة بانى ... أصول بعزم صادق ليس يفرق
وكان صحبتى ابناء معد وغالب ... ورايا تهم فوق الرؤس تحقق
كأن هبوب الريح فوق فروعها ... صواعق رعد للاعادى تحرق
وحولى من أبطال عبس فوارس ... وجوههم مثل الأهلة تشرق
لهم يوم كسرى والأعارب وقعه ... سال الدما على الأرض يزهق
رجال غطاريف اسود غوالب ... ليوث لهم قلب الأعادى تحرق
لهم صولة صوله يوم الهياج بعزمة ... يقصر عن ادراكها كل حاذق
ولو قصدتهم عند اللقاء رايتهم ... اسود عبس فى الغبار المسردق
ن ساروا اهتزت الأرض من تحتهم ... إذا ماجت الفرسان فوق السوابق
هم بنو عمى وذخرى ومعشرى ... علوت بهم على كل خصم مسابق
تراهم فرسن المنايا وكم لهم ... وقائع مخبوءة بغرب ومشرق
لا أيها الافرنج والعلج فاسمعوا ... نظامى ولا تتعرضوا للمطابق
ن استقام الحرب والضرب منهموا ... إذا سار الفرسان فالحرب زاهق
دونكم الكاس الذى قد نهلتموا ... تزودها لكم ملائه بلا تدافق

(قال الراوى) وما فرغ عنتر من شعره حتى تخضخضت جيوش الافرنج وتزلزل منهم أوفى من الفين فارس وبينهم فارس راكب على حصان شجاع طويل القامة والباع ثابت الذراع وعليه درع ضيق العدد وله لمعان وبريق مليح وشبيق ورد سنة الرماح والمزاريق كأنه ملك الموت لايبقى على عدو ولا صديق (قال الراوى) وعلى رأسه بيضة عادية مدلة مجلية ترد مضارب السيوف الهندية وبيده خلنجية بالذهب مطلية وتحته جواد من خول البحر الجياد يصلح ليوم الطراد ملمع الشيات وكان هذا الفارس الملك صاحب هرزا لواحات ثم أنه صار وجال ولعب فى الميدان عرضا وطول وزعق زعقة عظيمة ونادى بلسان الافرنج هل من مبارز هل من سناجز اليوم يوم الهزهر فلا يبرز الا عنتر فارس الحجاز فلما تم كلامه حتى انقض عليه عنتر انقضاض الباز ولكن جواده بالمهماز ولاصقه بلا فزع ولا

ارتجاج ونادى دونك والفارس الكرار والبطل المعوار ليريك عجبك والاعتبار فعند ذلك تقدم الملك صافات ودمدم وسب عنتر وشتم وكان جبار لا يلتقى بشجاعته عند اللقا شديد القلب صبور على الطعن والضرب وحمل على أبى الفوارس وصال عليه وجال وطلبه ومال بكليته لديه وصرخا صرختين رفعت الخيلى لهما رؤسهم أشار إلى عنتر وقال له دونك يا أسود والقتال حتى تذوق من سنان رحمى الوبال فمال عنتر إليه وجال وجرى بينهما حرب وطعن كفاح ونظر عنتر أنه فارس جحجاح فزعق بنفسه وضاح ورقى نفسه على البلاء وخاطر فى طلب العلا فقارب حصمه ودنا ولم يزل الا كذلك حتى خك الركاب والتقا بضربتين أخف من نظر العين إلا أن عنتر كان السابق فصادف سيفه قلب الملك صافات خرج من نقارة ظهره ولما حلت بالملك صافات هذه النكبة والغلبة صلبت الروم على وجوهها من عظم تلك الصرخة وخامر قلبها الفزع إلا أنها لما رأت ملكها قتيل وعلى وجه الأرض جديل فصاحوا صيحات عاليات وحملت الفرسان من سائر الجهات وضجت الطوائف من كل مكان وحملت عشائر قيصر مثل النيران وفى مقدمتها فارس عبس وعدنان وقد اختلط الجمعان وكذلك المشايخ والشبان ولشط من كان كسلان وضاق بالفريقين وسيع المكان وقال عنتر لأخيه وولده ويلكم أحموا انتم ظهرى حتى أرجعكم على كرى وفرى وانظروا ما يجرى من فعلى ثم جعل يصدم تلك الامم وينكس علما بعد علم ويضرب بسيفه القمم ويخترق الصفوف ويجزع الأنوف حتى أنه لحق حامل العلم الأخضر والصليب الجوهر وطعنه طعنه ليث قشور فمال العلم وانكسر ولما رأت الافرنج علمها وانكسر وملكهم مجندل معفر وضربات عنتر لا تبقى ولا تذر ولت الخيل برؤسها وطلبت الهرب وعنترلهم فى الطلب وقد غاصوا فى الفلوا على ظهور الصافات وما سار واغير قليل حتى وصلوا إلى بحر عجاج متلاطم بالأمواج فوقعت الفرسان على ذلك النهر وقد منع عنتر واجناده عن بلوغ مرامه والعبور فى تلك البلاد وأسودت فى وجوههم المذاهب وعظمت عليهم المصائب إلا أن عنتر نزل فى ذلك المكان وحوله تلك الجيوش والفرسان وضربوا الخيام والمضارب ونزلوا فى الخيام وقد زادت بهم الاوهام فعند ذلك قال عنتر يا قوم الذين هربوا من قدامنا من عشائر الملك صافات كيف دخلوا فى هذا الماء ونجوا من الآفات ولهم مراكب فى المكان حتى نقول أنهم دخلوا بهم إلى ديارهم والاوطان وما كانت اشتهى أن أعرف اخبارهم لكن نسأل من بعض هؤلاء الاسرى من أقارب الملك صافات ونسألهم عن ذلك الماء وكيف عبروا فاخبار بين وكيف كان مجيئهم لما أتوا إلى قتال الملك قيصر بالفرسان فعند ذلك احضر عنتر بطريق وسأله فقال البطريق يا مولاى وحق المسيح ما أقول لك إلا الصحيح لاننا قصدنا كم وعدنا من هنا ما كان فى هذا الوادى قطرة الا الماء وأنا هنا ربيت وانشيت فما رأيت ولا سمعت أن هذا الواحد

كان فيه ماء أبدا فضاق صدر المتقدمين واشتغل قلب هرقل وعنتر بن شداد لأنهم قد ارادوا أن يرجعوا إلى ارضهم وبلادهم فاناهم شيء لا كان لهم فى حساب وحصل لهم مثل هذه الأسباب واقاموا فى ذلك الوادى عشرة أيام وهم فى هموم وأوهام فقال عنتر للملك هرقل يا مولاى هذا الماء لا بد له من مدخل ومن مخرج وأنا اريد غدا اركب واقصد راس الماء وانظر من اين يأتى والى اين يتلقى فقال له هرقل ما هذا الاراى جيد يا أبا الفوارس إلا أنه مايهون علينا أن تفارق أصحابنا وحاميتنا بل نحن ننفذ خمسة من تحت الماء وخمسة من فوق الماء حتى يحققوا خبر الوادى والماء من اين ياتى والى أين هر عادى ويبين لنا صحة الاخبار وبعد ذلك نعمل على قدر ما نرى ونعرف الآثار فقال عنتر أفعل ما بدا لك حتى نتابع رأيك وافعالك ولما انفصل الحال قال شيبوب يا أخى أنا أسير مع أحد الرجال ولدى الخذروف ايضا يمضى مع الفرقة الاخرى بلا مطال وقدراه عين الصواب ومازالوا حتى طلع الفجر وعاد الملك هرقل ودعا بعشرة من أبطاله وفرسانه الشداد وأمرهم بالسير خمسة أنحدار وخمسة أصعاد ويكشفون خبر هذا الماء الجرار ولا يعودون الا بحقيقة الاثار واقاموا بعد رواحهم فى الانتظار مدة سبعة أيام فحصل لهم من ذلك أوهام ولا طلع لهم خبر ولا بان فضاق لذلك صدر عنتر ولعبت به الهموم والفكر وخاف على أخيه وولده من صروف القضاء والقدر وكذلك هرقل بن قيصر (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام وإذا بشيبوب قد ظهر من بين الأركام وهو كانه ذكر النعام وهو أشمث أغبر من قطع ذلك البر الاقفر وفى دون ساعة صار بين يدى اخيه عنتر بن شداد ففرح به واستبشر وقال له هات يا شيبوب ما عندك من الخبر (قال الراوى) واعجب من هذا الكلام أن عنتر سأل اخاه شيبوب عن الخبر وإذا بغبار الخذروف قد ارتفع وظهر من تحته مثل البرق إذا لمع ومازالوا سائرين حتى أن الخذروف صار قدام عنتر وسلم وترجم وبالغ فى السلام لابن الملك قيصر هذا وشيبوب يقول له يا مولاى لما سرت مع أصحابك سرنا سبعة أيام حتى أدركنا آخر هذا الماء فنظرته يخرج من ذيل جبل لاحق بعنان السماء نعم من خجر المسين لا يتعلق عليه النمل ولا يدرك علوه ناظر ولا يلحق به الطائر ولما حققت هذا الخاطر تركت أصحابى ورحمت على الأثر وهذا ما عندى من القول والخبر فقال له الملك هرقل بن قيصر لما انتهى فى الكلام وما تصل البطارقة إلى هذا المكان فقال له يا مولاى بعد ستة أيام أن كان عليهم خبر وسلامة فتبسم هرقل من كلامه وقد تعجب من قوة اهتمامه وجريه على اقدامه ثم قال للخذروف أنت متى فارقت أصحابك والخيل فقال له يا مولاى من أول الليل فقال عنتر تفارق الخيل من الليل وتصل آخر النهار وتقول ما يصلون الا بعد ستة أيام فقال الخذروف أى وحق البيت الحرام ولوانهم على ظهور الغمام فاشتغل سير عنتر بذلك الكلام وخشى أن يطول عليه المقام .

(تم الجزء التاسع والاربعون ويليه الخمسون)

الجزء الخمسون

من سيرة عنتر بن شداد

(قال الراوى) وما زالوا مقيمين خمسة أيام وهم يسألون لا يحققون عن أحد خبر ولا بان لهم أثر فلما كان فى اليوم السادس أقبلت بطارقة الروم ومعهم ثلاثة رهبان وقد أتوا بهم من بعض الديورة وذلك المكان فلما حضروا قدام هرقل وعنتر سألهم عن الماء الذى فيه هل هو محدث أو قديم فقالوا وحق المسيح هذا شىء ما عرفه أحد من الجماعة إلا فى هذه الساعة وما رأيناه إلا بعد قتله الملك صافات فلما سمع هرقل هذا الخبر ضاق صدره وتحير وقال لعنتر كيف يكون التدبير فى هذا الأمر العسير فقال له عنتر يا مولاى ما فى الأمر إلا أننا نعود على آثارنا ونطلب أرضنا وبلادنا فقال هرقل يا أبا الفوارس نحن نمضى ولم تحتوى على هذه الجزيرة وقد وقعنا والله فى حيرة لأنه بعدنا يخرج منها جيوش وأجناد وينهبون القرى ويقتلون كل من فيها من العباد ورعا قتل الملك كوبرت ويبلغوا منه المرام وأخذوا منه بالثار عوضا عن قتل منهم فى هذه الديار ويضيع تعبنا يا أبا الفرسان ويا حامى بلاد عدنان ولا نكون قد عملنا شيئا من الاحسان (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام وإذا بأحد الرهبان تقدم وكان أكبرهم سنا وأيام وقد مضى عليه مائة وسبعون عاما وقد أشار على عنتر وهرقل بالاسلام وقال لهم إن أردتم معرفة هذا الوادى وهذا الماء الذى فيه من أين قادم أحضروا بابا الرادب الذى على دير الصنم وهو على جنب قلعة العلم فانه يا مولاى راهب هذه الأقطار وأقدم كل راهب فى هذه الديار فقال له الملك ولم سمى هذا الدير الصنم والنصارى كلهم ما تعبد الأصنام وتحالف وتعتقد عقولهم الفاسدة التى تهلكهم يوم القيامة إلا فى عيسى بن مريم وأمه الطاهرة البتول فقال الراهب اعلم يا مولاى أن هذا الصنم الذى فى هذا الدير فانه ما يعبدونه وحق الواحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولد ولكن يا أمير هذا الدير له موسم فى كل عام هكذا على طول الدوام وهو لا يفتح إلا فى يوم واحد من دون الأيام وأنه عندهم عيد ويجتمع فيه كل من كان فى هذه الاقاليم من الامم وأنهم يحملون إلى ذلك الدير فى صحبتهم النذور ويكون يوم فتحه بعد شهور ويحصل عندهم الفرح والسرور ويدخل إليه الاكابر والأصاغر والملوك وكل فقير وفقيره وكل غنى ومملوك ومالك ومملوك ويأتى إلى ذلك من سائر الاوديه والجبال والاقاليم والبلاد والفلالى والصوامع والاديرة والكنائس ثم أن الراهب الكبير يحرضهم قدام ذلك

الصنم ثم أنه يحدثهم ويحثهم على عبادة عيسى بن مريم ثم أنه يحدثهم بخبر الحواريين الاثنى عشر وذلك بعد ما يقرأ عليهم فصلا من الانجيل المكرم العظيم ويفسر لهم ويقرأهم ويفرواله كلهم بالتبجيل والتكريم وإذا انقضى ذلك الموسم وفرغت أيام زيارة الصنم غلق ذلك الراهب باب الدير بعد ما يكون قد حصل له ما يكفيه عامة بالتمام والكمال ولا يفتح بعد ذلك إلى أحد من الأنام لا شيخ ولا غلام وهذا يا مولاى حديث الدير وما كان من الصنم وغير ذلك ما أعلم (قال الرواى) ولما سمع عنتر والملك هرقل والراهب تكلم أمر بالمسير مع ذلك الراهب إلى دير الصنم وأمرهم باحضار الراهب لهرقل يا مولاى إنه ما يرد علينا جواب وما يرضى يفتح لنا الباب وحق المسيح لأنه كلب مستكبر على البشر وما أحد منا يطلع على خبر فقال الملك هرقل لعنتر يا أبا الفوارس كيف يكون التدبير فى هذا الأمر الخطير فقال له شيبوب أنا الرأى عندى أن ترسلوا خمسمائة فارس تحط على هذا الدير وتطلب الراهب وتحاط به من كل جانب وتأمره بالحضور فان أجاب فهو عين الصواب وإن أبى يحربون الدير حجرا بعد حجر ويحضرونه إلى هذا المكان فقال عنتر وحق علام الغيوب لقد أصبت فى هذا الرأى يا شيبوب (قال الراوى) فعند ذلك أمر الملك هرقل الخمسمائة فارس من خواص الجيوش وسار معهم ذلك الراهب وتقدم وانتخب الفرسان ولما اجتمعوا أمر بالمسير ولا أحد منهم يتأخر ويأمرون الرأهت بالحضور وهو مبجل وإن لم يطلع أخربوا دير الصنم وسحبوه إلى ذلك المكان وهو ذليل مهان فاجابوا بالسمع والطاعه وفد سار وا من تلك الساعة طالبين الدير ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا ذات العلم وأتوا إلى باب الدير ووقفوا على الباب وتقدم ذلك الراهب وطرق الباب طرقا شديدا فطل الراهب من طاقة الدير فنظر إلى ذلك الراهب والخيل معه وهم فى صحبته فقال لهم الذى تريدون وإلى أين أنتم سائرون فقال له الراهب يا أبا الرهبان شعشعونا أعلم أنه قد نزل علينا ملك من ملوك النصرانية وهو الملك هرقل بن المالك قنفر صاحب القسطنطونية وهو الذى قد سيرنا إليك وهو يامرك بالمسير اليه والحضور بين يديه فعجل فى المسير حتى أنه يسألك عن أمر هذه الديار وأعلم أنك إذا لم تنزل وأنت مكرم هدمت هذه الفرسان الدير بالتوت وأخذوك معهم بعد أن تسحب وتلطم والرأى عندى أن تبادر إلى خدمة هذا الملك المكرم وارفع عن نفسك الملام وتتكلم وبعد ذلك أنت أخبر بشأنك فقال الراهب مالى سبيل إلى النزول ولا أقدر أخالف الصنم فيما يقول (قال الراوى) فلما سمعوا كلامه العنيد طلبوا باب الدير بالعواميد الجديد والتوت وقد تبادرت إليه الفرسان من قريب وبعيد ولما نظر الراهب إلى هذه الأسباب نادى يا قوم لا تكسروا الباب تمهلوا إلى أن أنزل إليكم وأرد إلى ملككم الجواب فوقفوا عند ذلك عن كسر الباب فقال لهم لا تعجلوا على فى النزول إليكم حتى أنى أدخل على الصنم وأسمع منه ما يقول

وما يتكلم فقالوا له افعل ما تريد فنحن لك فى الانتظار وأن أبطات علينا كسرنا الباب بهذه الأعمدة الحديد وجعلنا عاليها أسفلها فعند ذلك تقدم الراهب ونزل اليهم وقد عرف أن لا بد له من الخروج اليهم وأن أبى يهدمون دير الصنم وقال لهم يا قوم أعلموا أن الصنم قد أمرنى بالمسير إلى هذا الملك الكبير ثم أنه خرج إليهم وعاد علق باب الدير وركب معهم وساروا به على الآثار وما زالوا سائرين به إلى أن وقفوه بين يدى الملك هرقل وعنتر (قال الراوى) ولما سار فى حضرتهم سلم الراهب وخدم وكان اسم الراهب متى بن يوحنا ويلقب بشعشونا هذا ولما سلم وترجم قال له الملك ما حاجتك منى أيها الملك المحتشم فقال له الملك هرقل يا أبونا أريد تخبرنا عن هذا الماء الذى هو فى هذا المكان هل من قديم الزمان أو انه حدث فى هذا الأوان فقال الراهب يا ملك الزمان أى شىء عرضك وهذا الشأن فقال له أنا قصدى أرأس بهذه الجيوش الجرارة وأفتح جزيرة الواحات فقال الراهب أعلم أيها الملك الجليل انك إلى هذا الأمر من سبيل لأن عندنا منقول على الانجيل والتوراة بان هذه الجزيرة ما تفتح إلا بعد قتل الملك صافات وبهذا أخبرت القسس والرهبان وهو مؤرخ من قديم الزمان من عهد مارحنا المعمداز فلا تتعب نفسك فيما لا تصل إليه ولا تتمكن منه ولا تقدر عليه وأعرض عن هذا الأمر واستريح فهذا رأى عليك مليح وحق المسيح فقال الملك هرقل لعنتر وقد اندهش وتحير أى شىء تقول يا حامية عبس فى هذا الأمر الذى تعسر فعند ذلك التفت عنتر وقد از وربت عيناه وبدت شفتاه وهمهم وبدمدم وبربر وزمجر وطار من عينيه الشرار وصاح بالراهب ويلك يا ابن الانذال وراهب المحال وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر والاله الذى ما له ولد ولا زوجة ولا أحد ولا مستقر أن أخفيت عنى من سؤالى لفظة واحدة والا ذكرت لى حجة باردة بهذا الضامى ضربة أحد أنفاسك وأهد أساسك فلما سمع الراهب ذلك الكلام التجم بلجام واجتمع بعضه البعض واشتكت أضراسه وازعجت حواسه واضدوب لبه وعلط فى لباسه لما نظر الى الأمير عنتر بن شداد ورأى قده وشكله وعرضه وطوله ولكن ثبت جنانه وأطلق لسانه وقال للامير عنتر يا فارس الزمان لا تعجل فقد صح الخبر وبان الأمر وظهر أما أريد منك بحق القسم الذى قد أقسمت به وبالحديث الذى تكلمت به أن تخبرنى من أين أتيت إلى هذه الديار وأى أرض من الأقطار فقال عنتر أنا من أرض الحجاز ومسكنى البر الاقفر وأتيت من أرضى وبلادى خدمة الى الملك تيصر فقال الراهب يا فارس دع عنك التطويل وأمهل على قليل حتى أنى اعود إلى الدير من أجل أمر عندى قد ظهر وأعود إليك بصحة الخبر فقال الأمير أجبتك إلى ما تريد ولكن انقصد أن أنفذ معك جماعة من أصحابى العقود حتى أنك تسرع الى وتعود فاجابه الراهب الى ذلك المطلوب والمقصود فسار معه عشرة من الفرسان

وفي جملتهم شيبوب فأتى إلى الدير وفتح الباب ودخل وأخذ حاجته ورجع معهم من وقته وساعته حتى وصلوا إلى الأمير عنتر والملك هرقل بصحبته وجلس الراهب وأخرج كيسا من الأطلس الأبيض وأخرج منه كتاب مجلد وجعل ينظر فيه تارة وينظر في الأمير عنتر تارة ويحدث إليه بالنظر وبعد ذلك نظر إلى شيبوب وولده والخذروف والحجاب جميعهم ووقف ثم قال للأمير عنتر يا حجازي بحق النبي الذي يظهر في آخر الزمان الذي اسمه محمد الذي يأمر الناس بالإسلام ويرمي عن الكعبة الأصنام فقام الأمير عنتر يا راهب نعم فقال الراهب هل ظهر وقعة ديقار بين الأمم ونصرت العرب على العجم فقال عنتر نعم وحق البيت الحرام تفرقت العجم في كل سهل وجبل وقتل منها كل فارس بطل فقال الراهب أتعرف بأي اسم نادت العرب تحت الغبار الأسود قال الأمير عنتر فنعم كان نداءهم يا آل محمد يا آل محمد وأنا والله ما كنت حاضر ولكن أسأل الله تعالى أن يعمنا ببركات هذا النبي الأمجد فقال الراهب سمعت أن إيوان كسرى ينشق من على رأسه هل هو صحيح أم لا فقال عنتر بن شداد أي وحق الواحد الجواد فقيل الراهب باق اسم تعرف أنت يا فتى بين العباد فقال له أنا اسمي عنتر بن شداد ومقامي بأرض الحجاز وتلك البلاد فقال الراهب وحق الإله المنزه عن الصفات البشرية وعن اللغات إنك أنت الذي على يديك فتح جزائر الواحات بعد قتل الملك صافات فتبسم عنتر من هذه المقالات وقال أما الملك صافات فقد جندلته على الأرض ومات فلما سمع الراهب هذه المقالات فقال يا فارس عد بان الآن أريد أن أعرفك يا ولدي عن هذه الأمور الخفيات وهو أن على باب البلد الشرقي من قلعة ذات العلم أسد مصور على عامود رخام وعليه صورة صنم فارسل أنت من يقلع العامود ويرمي الأسد وقد غار هذا السما وبيان تلك الطريق وها أنا عرفتك بما عندي من الخبر وحق من أنبع الماء وأنبت الشجر (قال الراوي) ثم أن الراهب بعد ذلك رمق بطرفه إلى السماء لما انتهى من هذه الكلمات وقال اللهم يا رب الأرضين والسماء ويا من علم آدم الأسماء يا من أحاط بكل شيء علما يا من خلق إبراهيم وموسى ويا من رفع الجبال وأرساها يا من أحصى الخلق جميعا يا من أخرج من ظلمة الأحشاء نسعى بحق المولود الذي يظهر بين زمزم والصفا وهو نبيك المصطفى اقبضني من هذه الساعة على دينه من غير ريا ء يا قادر على جميع الأشياء أشهد أني على ملته مصدقا برسالته ثم أنه توجه إلى القبلة وشهق شهقة خرجت روحه ومات وقضى نحبه والحق بربه فعند ذلك اقشعرت الجلود من أقسامه لما شرب كأس حمامه وأمر عنتر ابن شداد بغسله ودفنه إلا أن الأمير عنتر طالت عليه حسرته وتمنى أن يطول الله في مدته حتى يقاتل بين يدي هذا النبي بشجاعته وأن يموت على ملته ثم أن عنتر أرسل إلى القلعة ذات العلم وكانت خراب من زمان الاسكندر وأبو العباس عليهما السلام وكان أيضا سكانها أقوام من

الجان فغزى لهم الاسكندر واخرب هذه القلعة الاركان والذى أسلم على يديه بقى مقيم فى هذا المكان إلا أن الامير عنتر بن شداد أرسل إلى أخيه شيبوب وجماعة من الرجال إلى القلعة وقد طلعوا إلى أعلى البرج فنظروا إلى ذلك الاسد الذى هو على ذلك العامود فرموا الاسد وصورة الجسم على الماء فعند ذلك غار الماء فى سبع الآبار بعد مدد ثلاثة أيام لم يبق من الماء فى الوادى ولا نطفة فرحوا بلوغ المنى وزال عنهم العناء قال الراوى) وبعد ذلك أنفذ الملك عرفن وزير عنتر أربعين جمل ما بين الدر والسكر والصلبان والرجال وأخذوا أيضا الصنم المذكور وهو من الذهب الاحمر وعيناه من الياقوت الاصفر ولما بانت الطرق للسالكين ودخلت الجيوش البحار والزراخر طابت بين جزيرة الواحات وزانت بهم الافراح والمسرات (قال الراوى) وكان سبب اجتماع الماء فى هذا الوادى سبب عجيب وأمر مطرب غريب ولا بد أن نذكره على الترتيب ولما قتل الملك صامات وولت جيوشه منهزمات ودساكره متفرقات وكان له ابن عم يقال له ميخائيل بن ساعات ويلقب بحمار المسيح بين الملوك والسادات وكان بطلا عظيما من الابطال خبيرا بالمكر والاحيال فاعتمدت الافرنج كلهم عليه ومالوا بكليتهم إليه لكان عارفا بطلسم الماء فطيب قلوب الافرنج ووعدهم بأن يبعد العدا عنهم وأنهم ما يعكنهم القدوم إلى تلك الاطلال والرسوم من غير حرب ولا قتال ففرحوا بهذا المقال وحلفوا كلهم بالمسيح والانجيل أنه هو الحاكم عليهم والواصلوا إلى هذا الوادى وعبروا إلى تلك الحجرة سار حمار المسيح بنفسه إلى ذلك الجبل فرأى صومعة عليها فارس وفرسه منحوت من الحجر فأخذه واقتلعه وألقاه على وجه الارض فخرج الماء من ذيل الجبل وتلاطمت أمواجه وثار عجاجه وما نجى منه إلا من كان على ظهر جواده وكان هذا الطلسم صنعه ملوك ليونان وقد ذخروه بذلك المكان وانضرسوا الملوك فى ذلك الزمان وقدم الاوان وتغيرت الحدثان وسكن الجبل والوادى قوم من الجان وصلت جيوش اسكندر إلى هنالك قطعت الجان الطريق فاعلمهم الخضر عليه السلام باسم الله الاعظم وقد خربت القلعة وبقى منهم جماعة مؤمنين على دين الاسكندر وما زالوا مقيمين وبها ساكنين (قال الراوى) وعدنا إلى سياقة الحديث والخبر وصار ذلك الجيش فى مقدمة الامير عنتر وبين يديه شيبوب والخذروف وعنترة. تذكر الاوطان وما لقى من نوائب الزمان وتذكر عبلة ومشيب رأسه وبعد الديار ففاضت دموعه على خديه غزار وانهلت مثل الامطار فسار يترنم بهذه الاشعار :

طال الجفا عن رسوم المنزل ... بين الغريب وبين ذات المحمل
إذا تحمل أهلها وتمايلت ... فيها بدورا كالصباح المنجل
لعبت بها الاهواء بعد نسيمها ... والطاسمات بكل حزن مسيل

فوقفت فى غرامهـ متحـيرا ... أبكى الفراق كمثل من لم يعقل
ولقد شجتنى فى الطلول حمامة ... تبكى بشجنى لا يدمع مهمل
وأثارت الشجعان من بالأسى ... لما وخه المصطلى غـير طائل
تنعى كشبه حمـامة فى أيكة ... فاضت دموعى فوق ظهرى المحمل
من أجل واضحة الجمـال عزيزة ... تسبى العقول يعـارض متهلل
أى عيش عيشى اذا كنت منه ... بين خل وبين وشك راحـل
ولقد رأيت الموت ثم لقيتـه ... متسربلا والموت غـير مسربل
وقحمت فى وسط العجاج مضرما ... مالى بحـير غـير حد المنصل
ضحكت عبيـلة من فتى متدرع ... ماضى العـزيمة ماجدا متفضل
وكم ضيغم جنـدلته بمهنـدى ... وأقول لا شك يمين المنصل
ولقـد سمعت نداء قومى قد علا ... وحـكما يغون منـه الاخيل
ناديت عبس فاستجابت بالقنا ... وبكل أبيض ماض لم ينصـل
بكل مـدود الكعوب مثقف ... فى كف كل صميدع لم يجهـل
فاتوا لعنتر والرماح شواجر ... والخيل وتعثر فى رؤوس القتل
وأنا ابن شـداد الكريم نجاده ... من آل عبس طاعنين المنصل
ان المنية لو تصـور شخصها ... لى فى اللجاج طعنها فى الأول
واذا دعيت الى الكريهة لم أقل ... بعـد الكريهة ليتنى لم أفعـل
وبلاء النجم فى فؤادى مـدة ... زينا فاعمل بالأعز الاجمـل
واحذر مصاحبة اللئام وقربهم ... إن الكرام عن اللئـام بمعزل
واحـذر لجار السوء لاتأمن ... وإذا كبـا بك منزل فتحول
خـير المنازل منزل تحظى به ... إما نصـاح به وإما تفضـل
وإذا أردت مفـارقا لمحـلة ... فاختر لك الجيران قبل المنزل
بئس النزول على الطريق بجيرا ... يوما ولو كنت الأعز الافضل
واعلم بأن الضيف بخير أهله ... بمبيت ليلتى وإنـ لم يسأل
الجـار احفظه وارعى حقـه ... واكرم صديقك بالفعال الاجمل
والق الضيوف بمرحب وتحية ... وابسط لسانك للضيـوف النزل
وإذا تولت الأمور فكن بها ... واجتهد لقومك بالنصيحة واعمل
وإذا أهممت بفعل سوء فانثنى ... وإذا هممت بفعل خـير فافعل
ياعبلة كم من غبرة قد كرتها ... بالسيف كانت عمرها ما تنجلى

إنى لعنترة إذا اشتبك القنا ... وترا موقفى العقول فتذهل
كل فج من البلاد كأننى ... أسطو وأحمى ساعدى والمفصل
كم من بطل كتيبة جندلته ... بالسيف ضربا مال فوق الجندل
لا تنكرى يا عبلة فعلى عادتى ... ضرب الجماجم بالحسام الفصل
أشفيت نفسى من أعادى مهجتى ... فقهرت كل متوج ومكلل
وبلغت كل فضيلة عجز الورى ... عنها بحد مهند وبدابل
ما كل من طلب المعالى نالها ... مالها إلا سعيدها فى الأول

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات قال له يا شجاع الزمان ويا حاوى قصب الرهان ويا فاهر الأبطال والشجعان قد أحسنت بهذه الأوزان ولم يزالوا سائرين على تلك الحالات حتى أنهم أشرفوا على مدينة الواحات فشاهدوا إلى جزيرة عظيمة تضج بسكانها وترتج بقطانها ونزلوا إلى مضارب وخيام وسرادقات ومراتب وخيل مسروجة وجنائب تحت السلاح والرد وضجيج قد علا وانعقد (قال الراوى) وكان السبب فى هذه الحالات حمار المسيح بن سامات كان ابن عم الملك صافات وكانت وصلت إليه الأخبار فى تلك الأيام أن الجيوش كسرت الطلسم الذى للباء وعبروا طالبين إليه فى جيش لا يرام فلما تحقق هذا الخبر أمر من كان عنده بالخروج إلى ظهر البلد بجميع ما لهم من السلاح والرد وخرج فى عالم عظيم لا يحصى لهم عدد وهم يزيدون عن مائة ألف فارس مثل الأسود العوابس وأقبلت أيضا عشائر الملك قيصر وفى مقدمتها الأمير عنتر وضاقت بهم تلك الأرض وامتلأت طولا وعرض وكثر الإبرام والنقض ودار الحرب الشديد الذى يذيب الجلاميد ويشيب من هوله الوليد وأظهر الأمير عنتر بن شداد فى ذلك اليوم بجميع الأهوال ومدد الرجال فى المجال وجندل الأبطال ورماهم على الرمال فعند ذلك عظمت الأهوال واهتزت الجبال من شدة القتال وقصرت الآجال وصارت العيون تدمع والقلوب تخشع والآناف تجزع والأرض للجبان تكرع والبيض على الرؤس تشعشع وأنفس حل بها الطلع والألسن خرست من الفزع والمرائر انفطرت من الجزع ورق حبل رجالها وتقطع وكان صياح الجميع لا يكاد أن يسمع وعاينوا من الأمير عنتر قتال لا يندفع وهو يفلق الجماجم ويقطع وطلب الجبان المهرب والفرار فما رأى النجاة مطمع والشجاع خالطه الفزع وكان جواد الأمير عنتر يشب ويفزع فلله در الأمير عنتر بن شداد من ليث أروع وبطل صميدع وكان فعاله فى ذلك النقع مرتفع كما قال فيه الشاعر أسد بن أدرع هذه الأبيات الحسان .

ولرب نقع حكى شهب الرماح بها ... نجوم أفق إلى غسق الدجى حجبت
قد حدث فيه الآثار ضوء علا ... فأثرت فيه قدوم الدهر قد نفحت

جادت بطعن القنا فى الحرب أيديهم ... فكلما جودوا طعناتها سبحت
والخيل تغدو ثقالا من جماجمها ... تسكوى الشكائم فيها كلما سرجت
حمل الاديم صقيلات ملابسها ... كانها فى دماء الأسد قد سبحت
تغدو غضابا إذا اسود العجاج بها ... حتى إذا شاهدت ريح الصبا فرحت
تحملت أســـد الهيجاء مأثمة ... ثغورها فى وجوه الموت قد كلحت
لايستشرون فى الهيجاء سوى خطب ... حتى إذا استبشروا فى معرك صلحت

(قال الراوى) ومازالت الخيل تعض على شكائمها وتقطع شديد حزامها وعنتر غارق فى لجم الخلائق وعظمها وقد سقطت الأبطال عن ظهور الخيل وحل بعشائر الافرنج الحرب والويل وقطرت الدماء مثل السيل وثقل على الابدان الحديد ومالت من الحرب الفرسان الصناديد وباتت أعلام ملوك الموت قريبا وبعيد وصار النهار مثل الليل وتسردق سزادق الويل والسيوف تقطع والرماح تخرق والنبال ترسق والدروع تتمزق والدماء تهرق والفرسان تزعق والبلاء عليهم قد احدق والحسام يقطع والرجال تصرع والبنود ترفع والسنان يلمع والعيون تدمع هذا وعنتر يجول ويصول ويلعب ويشتت الابطال عرضا وطولا وإذا به قد التقى بحمار المسيح فى وسط المعمعة وهو يفتك فى الرجال والابطال فصدمه عنتر صدمة الأسد الريال وذات بينهما الاهوال وسطا عليه عنتر واستطال وكانت سطوته سطوة من لايبالى بالنوازل وطعنة طعنة جبار خيبر بالمقاتل فصادف السنار صدره فخرج لمعه من ظهره فانقلب عن جواده يختبط فى دمه ويضطرب فى عندمه ويبحث الأرض بيديه وقدميه هذا ولما عاينت الافرنج أن حمار المسيح قد سقى كاسات المطب الموت رؤس خيلها وطلبت الهرب وتبعتها الروم أشد الطلب ودخلوا الافرنج إلى البلد وأحاط فيهم الويل والنكد ومن عظم ماحل بهم من هذا المصاب غلقوا جميع الابواب وصعدوا فوق اسوار ورموا بالنبال والاحجار فتأخرت الروم إلى وراءها عن الجدار وأقاموا على الحصار مدة ثلاثين نهار وعنتر يقول طال علينا المطال واشتقنا إلى العيال فقال شيبوب يا ابن الأم تريد تفتح هذه الجزيرة وتتيسر هذه الأمور العسيرة فقال عنتر ويلك يا ابن الاندال والافى أى شىء جئنا وقطعنا هذه الجبال ولقينا هذه الاهوال إلا لأجل فتحها على أن هذه البلد حصينة بالجيوش والاجناد وأنا أرى هذا الدير منيع والعالم فيه مثل الجراد وما أظن أننا نبلغ منهم مراد الا بالصبر وطول القعاد فقال شيبوب وحق خالق العباد ورافع السماء بغير عماد إذا قبلتم مشورتى تلغون من الأعداء المراد فقال عنتر فكيف أخالف مشورتك وهى صلاح قل ماعندك يا أبا رياح يا مجلب الافراح فمازال يلقى فى رأيك الرياح فوحق الالاه القديم هافينا من يخالف مقالك فقال شيبوب يا ابن الأم تأمر هذه الجيوش أن تقطع هذه الاشجار وتخرب هذه الرسوم الذى

فيها من الدور والقصور والآثار وبعد ذلك تصح لنا الأخبار فقال عنتر وإذا فعلنا ذلك أي شيء يصل إلى اعدائنا من الأضرار وأي شيء بنا لنا نحن من المسرة والاستبشار فقال شيبوب إذا نظروا أهل هذه الجزيرة إلى تلك الفعال وقطع أشجارهم وخراب ديارهم والرسوم والأطلال ما يهون عليهم هذا الشأن وربما طلبوا منكم الامان وبهذه الفعال تبلغون الامان والرأي أن تبادروهم بالخطاب وتعرفوهم بالحال فان أجابوا إلى ما يريدون وإلا فاقطعوا بذلك الاشجار قال فاستصوب عنتر هذا الكلام وأمر بعد ذلك الاسارى أن ينادوا يا أهل الجزيرة ويعلموهم بما اتفقوا عليه وبعد ذلك أمر العشائر بالزحف إلى نحو البساتين والأسوار فزحفوا عليهم كأمواج البحار قاصدين الجدران والاشجار وفي أيديهم المعاول والمنوت من سائر الآلات ولما نظرت أهل الجزيرة إلى زحف الرجال فظنوا أنهم طالبين القتال فحققوا فوجدوا العشائر طالبين البساتين والاشجار فالهبت قلوبهم بالنار وسمعوا المناداي بلغة الافرانج يقول يا معاشر أهل الجزيرة ان أهل الوحات أن الأمير هرقل ملك البلاد وأمير الدولة عنتر بن شداد أهلك الاجناد فاذا سلمتم إليه البلد لكم ولاموالكم وأولادكم الامان وجميع النسوان فأزيلوا من رؤوسكم الطمع والعصيان والجزع والا قطعنا أشجاركم ولا ينفعكم أرضكم وديارکم واخربنا ذلك الحصار وهذا الملك هرقل أقسم بحق المسيح وبالحواريون الاثنا عشر الذي كانوا له تبع وبكل فارس ربيال أنه ما يرحل عنكم حتى يرهو صوركم ويقتل رجالكم ويسبي نساءكم وعيالكم وأن أبا الفوارس عنتر قد أقسم بالركن والحجر والبيت العتيق المطهر أنه لابد أن يمحقكم بالسيف الابتر ولا يترك منكم بشر وقد حذرتكم غاية الحذر (قال الراوي) فلما سمعوا أهل الجزيرة هذا النداء أيقنوا بالضرر والردا وتطايرت الأرواح وقد طلبوا الأشجار وصياحهم قد أوهج الاقطار فنادوا عن لسان واحد الامان ثم نادوا يا ملك قيصر يا منصور كل من عاداه صار مقهور قال فعند ذلك دقت الكؤسات ونعرت البوقات ودقوا الناقوسات وجاءت البشائر إلى الملك هرقل ففرح بذلك قلب الأمير عنتر واجابت الافراح إلى ما طلبوه وقد عزمت على العودة إلى ديارها وبلادها وفي دون ساعه فتحت الأبواب الى المدينة وخرجت القسوس والرهبان والبترك الكبير والمطران ولا تخلف إنسان الا وقد أتوا إلى هذا المكان حتى أنهم يأخذون من الأمير عنتر والملك هرقل العهد والامان ولما وصلوا إلى السرادق أمر بملتقاهم بأحسن ملتقى فخدموا بعد ذلك وله دعوا بطول العمر والبقا واخذوا عليهم العهد والميثاق وانصلح الأمر والشان وجددوا على بعضهم بعض العهود وزالت من بينهم الحقود (قال الراوي) وكان الأمير شيبوب وأخيه الأمير عنبر والخذروف حاضرين فعند ذلك دقت الكؤسات بعد خفق البنود وركب الملك هرقل في عشائره والجنود والأمير

عنتر بن شداد إلى جانبه كأنه أسد من الأسود وقد دخلوا إلى البلد في يوم مشهود ونثر عليهم مال ممدود وأخذت جميع العالم في الدعاء وقد تعجبوا من الأمير عنتر بن شداد ومن عظم خلقته وكان عليه ذلك الوقت خلعة من ملابس الملك كسرى وعمامة خضراء وكأنها روضة من رياض الخضرة وبين يديه أخوه الأمير شيبوب وولده الخذروف وفي أيديهما الخناجر والسيوف والعالم وقوف ينظرون إلى الأمير عنتر وقد هان عليه الأمر وتيسر وقد دخلوا قصر الملك الغريب الصفات الذي كان للملك صافات وجلس الملك هرقل على سريره وقد صنعت لهم الولائم والدعوات وطابت لهم الأوقات مدة عشرة أيام وبعد ذلك استحضروا الرجال وفتحوا خزائن الأموال فخاربت منهم النواظر من ذلك المالك الباهر ثم قال الملك هرقل للأمير عنتر بن شداد ما هذا إلا ملك عظيم وإقليم لا يقاس بالأقاليم وكنا ذكرنا أن الملك صافات كان له أربع قصور مفروشة بالحرير في كل قصر إيوان وتاج وبدلة وسرير فاحتوى الملك هرقل على الجميع وساروا إلى القصر الكبير فوجدوا هناك فرش عظيم وتاج يساوي ثلاثة أقاليم وهناك منطقة من الجوهر وبدلة مرصعة بالياقوت والدار وفيها معلق خنجر وكانت هذه البدلة والمنطقة وتاج للملك الأسكندر وسرير من العاج قوائمه من الذهب الأحمر يطلع عليها بمراقي من الزبرجد الأخضر ولما أن سار القوم القوم في وسط هذا القصر نظروا إلى باب قصر من الحديد عال مقفول بأربعة أقفال فأمره الأمير عنتر بفتحه فتقدم واحد من الغلمان حتى أنه يفتحه وأراد أن يأخذ المفاتيح وكانت معلقة فما قدر وتقدم آخر وتأخر ثم تقدم بعد ذلك آخر وتأخر وما بقي أحد في الملك الأرض إلا وتقدم حتى أنه يفتحه فمن الهيبة يرجع يعود بلا مقصود وبعد ذلك عجزا جميع قدما الملك هرقل بعدهم بن قيصر فلم يستطع على ذلك وتأخر وكذلك شيبوب أخو عنتر وولده الخذوف وقد بقوا باهتين وقوف فبعد ذلك نادى شيبوب بأخيه عنتر وقد انزعل وتحير وقال ويلك يا ابن الأم تقطم وخلصنا من هذا الأمر الذي وقعنا فيه فإن أنت عجزت من هذا الأمر رجعنا من هذا المكان بالخيبة والحرمان فعندها تقدم الأمير عنتر وهمتهم وزمجر وهو في هموم وفكر وهم أن يأخذ المفاتيح فتخيل للقوم أنها إليه نهضت فزاد واستبشر وركب المفتاح الأول فانفتح القفل سريع وما طول حتى أنها فتحت الجميع ولما تشرعت الأبواب دخل الأمير عنتر وأخوه شيبوب وولده الخذروف وقاموا الغلمان وقوف ودخلوا إلى ذلك البيت فإذا أوانيه سوي جوادا دهم كأنه الليل الادغم أو الغراب الاسحم وهو مشبوح في سلسلة من الحديد وفي يده قيود وعلى القيود أسماء مكتوبة وطلاسم مرسومة مضروبة والجواد قائم عيناه مثل المشاعل فقال عنتر لشيبوب هذا من خيول البحر وأنا أريد أخذه وأركبه لأجل أريح جوادي الابجر لأنه

كبر وثقلت جثته (قال الأصمعي) فلما سمع الجواد ذلك الكلام تكلم بلسان فصيح وقال يا ابن شداد ما أنا جواد أصلح للطراد بل أنا ملك من ملوك الجان الأمجاد وكنت أسرت على يد الخضر عليه رسلام وكان سلمني إلى الملك الاسكندر وكان التقاني عند قلعة ذات العلم بعد أن جرى لنا معه أمور وخروب تحير كل عاقل دروب وأشرفنا على شرب كاس النقم يا فارس العرب والعجم وحبسني الخضر عليه السلام وكان قال لي بعد ذلك أنتم تقيم مسجون ههنا في هذا المكان حتى يظهر عنتر بن شداد فارس عبس وعدنان ويفكك من القيود ويسيرك إلى عند فرسان وجنودهذا سبق في علم الله المعبود والآن يا أبا الفوارس ما يقدر أحد يخلصني سواك يا صاحب الجناب الرفيع والعز الكبير المنيع (قال الراوي) ولما سمع الأمير عنتر بن شداد هذا الكلام انذهل من ذلك وتحير وقال ويلك يا ابن القوم الكرام أنت من الجن والجان قد قتلوا ولدي الغضبان وقد أبلوني بالأحزان وأنا مرادي أن أقل مثلك وها أنا في هذه الساعة أردت أن أتقدم إليك وأطير رأسك من بين كتفيك فقال له الجواد وأي شيء الفخر في قتلي يا ابن شداد ولا بيني وبينك دم ولا ثار فقال له عنتر نعم الجان قتلوا ولدي الأمير الغضبان في وادي صارخ وتلك القيعان فقال له الجواد اعلم يا أبا الفوارس أنني آتيك بقاتل ولدك وأضمن لك أن آخمدك بالنار وإن أطلقتني سلمتك قاتل ولدك إليك وبقرب هذا الفعل عينيك فقال الأمير عنتر بن شداد أريد منك أن تحلف لي برب العباد فحلف له بمثل ما اشتهى وأراد فرق قلب الأمير عنتر إليه لما رأى فيه من الأيسر والضيق وأخذ عليه العهود والمواثيق فلما استوثق منه باليمين قال له يا أخا الجان كيف السبيل إلى فك القيود وفتحهم فقال له المفاتيح تحت بلاطة متركبة على طابقه من الجهة الشرقية فاترك لولدك الطابق شمال تنظرهم من غير إهمال فعهد ذلك بادر الأمير عنتر بن شداد وأخرجهم وجرد عنه سلاسله ومن قيوده أطلقه فقال الجواد أعلم يا فارس الجلاد الوعد بيني وبينك على رأس قلعة العامود المعرفة بذات العلم فقال له الأمير عنتر سر في رعاية الله أيها القيل المحتشم فعند ذلك صفق الجراد بكميه في الأرض وطار في الهواء والأمير عنتر والملك هرقل قد ذهلوا مما جرى وما أفاقوا في تلك الجزيرة بعشرة أيام ونقلوا الأموال إلى الخيام وتركوا رجلا من قبل الملك هرقل جاكما على تلك الجزيرة وعلى المقاطعات وخلفوه على طاعة الملك كوبرت وقد أمن من الكربات وأن لا تقطع الحمل والرهبات ثم رفعوا الاحمال على ظهور البغال ورفعت على رأس الملك هرقل الرايات وخفقت البنود والصناجقات ولم يزالوا سائرين حتى تنصف النهار وأدركهم المساء وقد قاربوا مكان الميعاد الذي وعدهم به أخوهم الجان فبينما هم كذلك وإذا بغبرة مقبلة من صدر البرية عظيمة وتحته مالك الجان وكان اسمه سلهب بن عقهب وهو مقبل إلى عند الامير عنتر ليوفي له الوعد وما وعده من أخذ الثار إلا أن الامير

عنتر بن شداد لما نزل بالخيام واستقر به القرار وإذا قد دخل عليه ملك الجان وسلم على الأمير عنتر وقال له يا فارس العصر وفريد فرسان البدو والحضر نرجو من إنعامك أن تشرف أرضنا بوطيء أقدامك لان المسافة بيننا قريبة وهذه قلعة ذات العلم غير بعيدة حتى أننا نأتيك بقاتل ولدك الذى كان نزل عليك واستطالت يدهم إليك فإنهم أعدى أعدائك بشرط الذى كان بيننا والايمان قد نهيأ الشغل فيه ونكتمل وأنا أريد المسير أنا وابن عمى إلى عرمات وأعداك (قال الراوى) فعند ذلك أجابه عنتر إلى ذلك وقال له اعلم يا أخا الجان أنه قد خطر بقلبي أمر وإنى أريد أن أسألك فيه وإن كان فيه سوء أعلمنى فقال له قل يا أبا الفوارس ما تريد من السيب فقال له هذه الصورة صورتك فقال له صورتى غير هذه التى تراها وإذا أردت ذلك فاركب جوادك وانظر ما تفعل من الاهوال بأعداك فعند ذلك ركب عنتر وشيبوب والخذروف فى ركابه فلم تكن غير ساعة إلا والجان قد أتت وهى تركض فى تلك البطاح وهى طالبة الحرب والكفاح فقال عنتر بعد أن ركب جواده الابجر وشيبوب والخذروف فسمعنا أصوات هائلات وضجات مرتفعات وزعقات متواليات من الجان العاربات الغواصات فخيل لهم أن الأرض قد انطبقت على السموات ولا نرى لهم بأعيننا حركات فقال عنتر يا سلهب والله ما نحن إلا كأننا معكم فى الاسر فقال له ملك الجان أى شيء هذا الكلام يا ابن شداد إن أعداك هم الذين يكونون فى الأسر والاصفاد فقال عنتر وحق ذمة العرب الاجواد ما أنا إلا صادق فيما قلت لاننا ما نبصر بأعيننا لا أبيك ولا أسود بل نسمع ضجات وهياطات فقال له ملك الجان يا فارس الزمان وتحب أن تبصرنا عيان فقال له نعم يا ملك الجان فعند ذلك أخرج ملك الجان مكحلة وميلا من الذهب وكحل عنتر وشيبوب والخذروف (قال الراوى) ولما أنهم اكتحلوا الثلاثة فقال عنتر والله لقد رأتنا خلائق غير قليل وجيوش كثيرة بخلاف الآدميين وأجناس مختلفات من طوائف الجان منهم أبدان بلا رؤوس ورؤوس بلا أبدان وبعضهم على صورة الطيور من النسور والعقبان وهم على سائر الالوان وبعضهم على صور الجمال والخيل والبغال وبعضهم على صورة الجاموس وبعضهم بأربع رؤوس وبعضهم على صور القطط وعلى صور الحيات وشيء على صفة الكلاب وشيء على صفات السباع قال عنتر وقد رأيت فارها راكبا على جواد قد علا فى الهواء وطلب القتال وهو على جواد أدهم كأنه الغراب الاسحم وعليه درع من الزرد مضاعف العدد كأنه عيون الجراد لا يعمل فيه الصارم المهند وقد مديه تدق الأرض من طول قامته وكبر جثته وعظم هامته وما زال يكر فى الابطال ويسقيهم كاسات الوبال ويقهرهم بالصارم الصقال ولم تكن غير ساعة حتى ظهر غبار عالى المقدار وتحته من الجان جيش جرار وهم مثل الآدميين لكنهم عدد التراب وفى دون ساعة احتاط بعضهم ببعض وقد خالوا طولا وعرضا ووقع بينهم القتال

وكثرت الاهوال فما كنت ترى إلا قتال شديد يلين له صم الجلاميد وكان أحدهم يأخذ النار من فاه يضرب الفارس الذى حداه فيحرقه فى عاجل الحال ويتركه ملقى على الرمال فلم تمكن أكثر من ثلاث ساعات من النهار حتى انكسرت أعداء عنتر والملك سلهب فى أقفيتهم هو وقومه وقد صارت أعداهم متفرقات فى الفلوات شاردات وفى أثرهم صيحت تذهل العقول وتترك من يسمعها مذهول وبعد ذلك عاد سلهب وهو على جواده ومعه خمسة مثل الأطواد وهم مقيدين مصفدين فى الأصفاد ولما وصل إلى عنتر قال له يا أبا الفوارس أعلم أن هؤلاء أعداك فيرد بقتلهم نؤادك ويطفى نار حشاك وهم الذين قتلوا ولدك الغضبان وأحرقوا قلبك بالنيران فلما سمع عنتر منه هذا الامر والشان ما بقى يعرف اليمين من الشمال وقال عنتر يا اخا الجان اعلم أننى أشتهى أن أقتلهم بيدى لعل أن ينطفى نار كبدى فقال له يا فارس الزمان ويا حامية عبس وعدنان أعلم أن حسامك ما يقطع فى الحان ولو كانت تقطع فينا كانت قطعت معك فى وادى صارخ وتلك القيعان يوم قتلوا ولدك الغضبان فقال له عنتر يا أعطينى سيفك حتى أننى آخذ ثارى بيدى وأكشف عنى عارى فناوله الملك سلهب الحسام فأخذه عنتر منه وقد أبدى الابتسام وتقدم عنتر إليهم وقد زادت بهم العبر والسيف فى يمينه مشهر وكان هذا الشيف مطلسم منقوش فتقدم عنتر إلى واحد منهم وضربه بذلك السيف قسمه نصفين وتركه دلوين وقد ضرب الآخر جعله شطرين وقد قرت منه العين وقد ضرب الباقى فى أعناقهم طير رؤسهم ولما فعل ذلك فذكر ولده الغضبان فجرت دمعة من الأحفان وقد تذكر ما جرى له مع أعداه فى هذا المكان فانشد يقول

دار عبلة فوق المنصب العالى ... ومجدها ساعد المشترى العالى
سقيا لدار كانت أخلاف بها قرت ... فقد رووا وأبرق سحب المزن هطال
وكم عيلة علمت أنى فارس سرس ... ليس كمى وفى العزمات ريبال
وأحوض بحر المنايا وهو ملتطم ... بكل أبيض فصال وعسال
وأقتحمها إذا ثارت ولها شرر ... من نفخ حاميها زادت اشتعالا
وأورد الخيل علقم النقع من ظما ... بحر الهلاك فتنهل بئس انهال
أسرت كل الفوارس غرب مع ... ونجم سعدى من فوق السها عال
ياعبله إن كان قد وقع الفراق بنا ... وحال من بيننا بحر وأجبال
وكان بين جسمى نيران مضرمة ... ماتنطفى يامنى قلبى وآمالى
وقد سقم جلدى من بعد قوته ... وغير البين بين الناس أحوال
وقل صبرى الذى أرجوه يعيننى ... عدمته وتزايدت أفكار بلبال
والشيب فى مفرقى يا ويله نذرنى ... وهو الرسول يخبرنى بارتحال

يا عبيلة ماهد ركنى فى الزمان ولا ... أضنى فؤادى سوى فقد الأشبال
يا عبيله فقد غصوب زادنى حرقا ... لهفى عليه طريحا فى الثرى بال
ومصرع الفارس الغضبان أورثنى ... جوى ودمعى على الخدين سيال
من كان سيفى ورمحى فى الحروب إذا ... سطت على صنـــاديد وأقيال
لهفى عليه وقد رمـــوه مجدلا ... فى أرض صارح رهنا بين أحيال
جارت عليـه الليالى والزمان معا ... والدهر ما زال فى إدبار وإقبال
قتلته أسياف قـــوم لا شبيه لهم ... ولا مثـــال ولا شكل ولا حال
من معشر الجن أعظم الرحمن خلقتهم ... وصوروا من حـــيم ثم صلصال
أشباحهم كجـــذوع النخل هائلة ... ترتاع منهم أســـود ثم أشبال
لأنهم أضرموا للحرب موهجة ... يطير منهـــا شرار هائل عال
وصارت أشخاصهم بالليل ترشقنا ... حتى تفـانوا بنى عمى وأخوال
تبكى عليه سيوف الهند معطلة ... تحت العجاج ويندب كل عسال
وينتخب كل قـــرم أمجد ولهم ... مضمر من جياد الخيل صهال
وقد عوات بأخذ الثأر يا والدى ... بأخـــذ ثارك يا سؤلى وآمالى
أخذت ثارك يا غضبان مقتدراً ... بحد سيف صقيل المتن فصال
وصرت أطعن فى لباتهم حنقا ... بأسمر من رماح الخط عسال
جزعت قاتلك كاس الموت يشربه ... بصارم الملك الشهـــير العال
لو كنت أقتر عن ثارى لما نسبت ... إلى آل عبس ولا السودان وأخوال
ضربت رؤسهم بالسيف مقتدراً ... فساح دمهمو على الأرض سيال
أنا الشجاع الذى ما رأيت منزلة ... إلا وأركبهـــا سعدى وإقبال

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من إنشاده وملك الجان شهلب يتعجب من فصاحته وقوة جنانه وقد شكر عنتر وأثنى عليه وقبله بين عينيه ثم أى عنتر أخذ منه الإذن فى المسير إلى الجيش وأن يمضى إلى ابن الملك قيصر فأذن له ملك الجان وقال له يا فارس عدنان لو فعلنا ما فعلنا ما جازيناك على ما أوليتنا من الإحسان * أخذ منه الأذن فى المسير وقد قبل عنتر فى الركاب قدميه فارسى عنتر ورحمه عليه وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه وأمره بالرجوع إلى الأوطان وهو فرحان بأخذ ثأره واقتداره على الفرسان والشجعان وشيبوب والخندوف بين يديه يقطعون القيعان إلى أن وصلوا إلى الجيش وقد دخلوا إلى عند الملك هرقل ابن قيصر ففرح برؤياه واستبشر ونهض له قائماً على الأقدام وقد أخذه بالأحضان وأجلسه إلى جانبه وسأله عن عجائبه وما تم عليه من الجان وما لاقى من الأهوال فى ذلك المكان

فحدثه بجميع ما جرى وكيف أخذ ثاره من الجان وقد برد حر ناره فى ذلك الزمان فتعجب الملك هرقل من عظم سعادته وقوة عزيمته والإمكان وقد باتوا تلك الليلة فى ذلك المكان وقد فرحوا يا لأمن والأمان وعلو الشأن وقد راح ينتر واستراح إلى أن بدت غرة الصباح فعند ذلك أمر الناس بالرحيل والرواح وقطع الروابى والبطاح فبينما هم على ذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار والأرض منه تدكدكت والمياه قد تغيرت وتكدرت والروابع قد ارتفعت وقد سمعوا دق كاسات ونعير بوقات وكان ذلك جيوش أفرنجية ودساكر أندلسية وفى دون ساعة انكشف ذلك الغبار وبان من تحته عشائر قد ملأت الأقطار والجميع يعبدون المسيح ويشدون الزنار وهم مثل قطع النار وهم يجدون المسير فى تلك القفار (قال الراوى) وأعجب ما فى هذه السيرة الحجازية أنه كان المقدم على هذه العشائر الأفرنجية والجيوش الاندلسية ملك يسمى عنان بن الملك جنطيانيل صاحب مدينة الاندلس وقدامه القسس والشماسة والمطران الكبير والراهب صافير والبطارقة الكبار والعمالقة الطوال وهم قد أتوا عازمين على الحرب والقتال قال الراوى وقد كان السبب فى هذه الاحاديث هو أمر أعجب من كل عجب يجب أن يؤرخ ويكتب بماء الذهب ليعتبر به أهل الذكاء والمعرفة لما فيه من الاقوال وذلك أنى ما جمعت هذه السيرة والفتها الا على قاعدة الصدق والخبرة والاخبار المذكورة وذكرت ما جرى فيها من الامور المشهورة التى قد أخذت عن أصحاب التواريخ تواريخهم وثقاة المحدثين من أهل السير وحديثهم وقد جمعت حديثا كأنه الدر والجوهر النفيس وسبائك الذهب لا يليق سماعه الا لذوى البصائر والعلماء والفضلاء والملوك الاكابر لانه نزهة للناظرين وانشراح للخاطر لم يجمع أحد مثلها من أهل السير لما فيها من الاحاديث والامثال والعبر وغرائب الاقوال وقوة الفصاحة والشجاعة وجودة الفكر وفنون الغرائب والكلام المعتبر وذلك بأننا قدمنا فى هذا الديوان من قبل هذا الكلام أن عنتر لما تمسك فى بلاد الشام وكانت مسكنه على يد شيخ بنى قرارة سنان لما كمن له فى وحيق الرمل وضيق ذلك المكان ورتب له هناك الروم والافرنج وجماعة من بنى غسان وقبضوا عليه وعلى من معه وكانوا أربعمائة فارس من بنى عبس وتدنان وكان السبب فى مسكنه من ذلك المكان ولده ميسرة وأخيه ازن الاسد الفاتك لما تتاملا وأخذا أسما وهرب وهى زوجة مجيد بن مالك وكانت قد أكثرت البكاء والانين والاشتكاء وما هدأت لها لوعة ولا انشفت لها دمعه حتى سألها سنان شيخ بنى قرارة الطائفة الغدارة عن سبب ما هى فيه من تلك العبارة فقالت له أعلم أن هذا ميسرة بن عنتر وهذا أخيه مازن بن شداد وأنهما قد سرقانى من الخيام من عند بعلى وهربا بى إلى الشام وهذا ما ترى من الحال ثم أنها قد أسكت على جميع ما جرى لها فلما سمع سنان منها ذلك الكلام فرح وقد انشرح وقد زالت عنه الهموم والترح فسكتها وقال لا بد

لعنتر أن يلحقهما إلى هذا المكان وباتى ومن معه جماعة من بنى عبس وعدنان ولما مع عنتر خبرهما أنى إليهما فسكنهم سنان وكان ما كان من أمر عنتر ولحق أخوه وجرى له ما جرى وأقام عند الملك الحارث الغسانى وقد فرح بقبض عنتر وبه استبشر وقد أرسل الحارث الملك قيصر بعلمه بأنه قد احتوى على عنتر ومعه أربعمائة فارس وقد سأله هل تبقى عليهم أم يرحلهم أو أنه يهلكهم أو يكون الحال (قال الراوى) رأى من القضاء والقدر ان فى تلك الايام رأى الملك قيصر منام ورأى فيه ذلك الذى جرى وتدبر أخبر بان المسيح له قد حضر وقال له أعلم أنه قد آن أوان غزواتك وهو أن تخرج وتملك أرض مصر وملك أنوشروان والحجاز وتملك جميع تلك الامصار وتكون لك جزاء من أرض الحجاز لك أعوان وأنصار وفى تلك الايام قد وصلت إليه مراكب من جزائر البحر وفيهم ذاك المعتدى الذى كان يسمى سيرون مكيد وكان ابن أخت ملك الاندلس جنطيائيل وكان فارس مليح زايد معزمات الثبات وقد كانوا يشمونه رجال الاندلس فارس الناسرد ولما وصل ذلك الفارس إلى الملك قيصر أوسله هو وجماعة من عنده إلى الملك الحارث وقد وصاه أن يبقى على عنتر وبعد ذلك جرى ما جرى وقتل الملك النعمان لما تحايل عليه الملك كسرى أنوشروان وطمع فيه الروم كما أن النصارى قد طمعوا فى دولته وقد جهزوا عشائرهم والجنود لما أنهم سمعوا أن عشائر العجم فى يوم ديقار كان كسرها هانىء بن مسعود وكان فى ذلك اليوم فى ثمانية آلاف من الفرسان وقد كانت العجم فى مائة ألف عنان فارادوا الروم وملك بنى غسان أنهم يسيروا إلى العراق وتلك البلدان وبعد ذلك يسيروز إلى مدائن كسرى أنوشروان ويملكونها إلى أقصى خراسان فلما سمع الملك كسرى فارسل إليهم إياس بن قبيضه فى كثير من الفرسان وصحبته رستم فارس الزمان وقد تقاتلوا الاعياء فقتل رستم فارس البحر بالعمد ولما ملك أبو الدوح البلد وقتله عنتر ومن معه من الفرسان لما أطلقوا عنتر الفرسان ولما قتل فارس البحر هربوا أصحابه وطلبوا الفرار خوفا من العار ونزلوا من أنطاكية فى المراكب وساروا طالبين الجزائر وماز الوا إلى أن وصلوا إلى الأندلس وتلك البلدان والديار وا علموا الملك جنطيائيل بهذه الاخبار وقد نعوا إليه قتل ابن أخته الفارس الكبار ولما سمع جنطيائيل هذا الكلام عما هان عليه قتل ابن أخته وصعب عليه وكبر لديه وقام وقعد وارغى وأزبد وكفر وجحد وتنمرد وقد حلف بدينه والمعبد الأكبر وما على الكنيسه من الصلبان والصور وبالمسيح ابن مريم وبكل من شد وسطه وزنر لاسار إلى هؤلاء إلا هو بنفسه ويأخذ الثار قبل كل شىء من الملك قيصر ويمحق شافته ويبيد غابرته ويخرب ديارة ويزيل عنه وعن ملك روميه الكبرى وقسطنطرنة العظمى ويسير بعد ذلك إلى أرض الحجاز ويملكها ويخرب ملتها ويأخذ العراق وخرسان ويقتل كسرى أنوشروان ويملك سائر البلدان إلى قزوقاشان

والنهر وماوراء النهر ويخرب بيوت النيران ويجدد ملة الصلبان ويبطل الاصنام وجميع الاوثان ويقتل هذا الذى ولد فى آخر الزمان وهو بارض الحجاز الذى يصير نبيا يعبد الدين القويم ويبطل الطريقة المسيحية والملة المريمية ومن شدة ماحصل له وتزايد به من غيظه على ابن اخته الذى قتل فى أرض الشام وقد حلف أنه يأخذ فى ثاره من سائر الانام (قال الراوى) وكان هذا الملك جنطيائيل ملك شديد وفارس جليد وبطل صنديد وليث عربيد وكان طويل القامة عريض الهامة كبير الجثة وافر البدن قوى الاطراف مليح الانعطاف واسع المحاجر طويل الاظافر وقد كان طوله اثنى عشر ذراع لا يفزع من الموت ولا يرتاع من الفوت ولا يمل من الحرب والقراع وقد كان أبوه من نسل العمالقة يقال له الملك المطاع ابن الملك القعقاع وكان على ما ذكرنا طوله اثنى عشر ذراع بالهاشمى وقد عاش هذا القعقاع من العمر ستمائة عام فى زمان المسيح وقد تولى ابنه من بعده المطاع وقد عاش من العمر ثلثمائة عام على التمام الا أن ابنه جنطيائيل الفارس الضرغام كان عمره فى ذلك الزمان مائتين وسبعين عام الا أنه كان عظيم الخلقة واسع المنخر غليظ قبيح المنظر أصابعه تزيد عن شبر بن كبير اليدين طويل الرجلين واسع الجبهة ميحلق العينين وقد كانت له آذان كدور رحايتين وعنقه أطول من عنق البقر وكل من رأى صورته يتذعر وهو فارس عظيم وبطل حسيم وشيطان رجيم لا يقدر يقاومه فارس لان خلقته خلقة الجن والابالیس عظامة صفح مافيها مخ بل أنها صم وهى عظام خلقة الباوى ذو الجلال والاكرام ولا تحمله الخيول البحرية ولا العربية ولا المجن البجاوية ولا تحمله إلا الافيال العتية لطول هامته وعرض منطقته لان عرض دور منطقته ثلاث أذرع من اذرع الرجال وكان من الافيال لانه آفة من الآفات وبليه من البليات وهو مصيبة عظمى كأنه صاعقة من السماء ولا يقاتل ولا يناضل بسيف ولا بسكين الا بعامود من الحديد الصينى ويقاتل بالحرب والمزاريق وقد كان وزن عامود أربعمائة رطل وتسعة أمنان وطوله بالذراع الهاشمى تسعة وعرضه أربعة وقد كان بعد أبيه قد عار على البلاد وملك المهاد وقد كان ملكه إلى حد فلسطين إلى فاس إلى تونس إلى القيروان إلى الاسكندرية إلى دمياط إلى مدينة أسيوط إلى الاهواز وأسنا والمنصورية وقوص وبقارة واصواد وطوخ الاثراميس وضبوا وأم القصور وانصنة إلى الاشمونين إلى بلاد أخميم إلى بلاد النوبة وإلى بلاد السودان إلى كباجة إلى تكرور إلى درواه ومرواه وإلى قريطه إلى الواحات إلى الصعيد إلى مدينة البهنسة إلى أهنا من وكل هذه البلاد كانت تحت يده وطائعة لأمره وتخاف من شره ومن شجاعته وفروسته وعظيم براعته ويحمل إليه الخراج (قال الراوى) ولولا الإطالة لشرحت لكم ملك بعد ملك وجزيرة بعد جزيرة ومدينة بعد مدينة ومدائنه وبلاده وكم عدد أجناده

وجيوشه وقد كنت أذكر لكم الديار المصرية وجزائرها وسائر بلادها وأما كنها والجزائر الشرقية والبحرية والغربية والقبلية وأذكر لكم بلاد البجاه والسودان وأرض الصعيد وملك النوبة وتلك البيد وما اشتملت عليه تلك الأنصار والبلاد ولكن اقتصرنا على هذا الكلام كثرة التطويل وإلا خشيت على النفوس لايحصل لها ملل من كثرة القال والقيل بل اقتصرت هذا المنهل القليل ولقد أتيت فى هذه السيرة الحجازيه بطرفا ندره عجيبة ولكل حكايه غريبه وهى كاملة المعانى والبيان عظيمة القدر والشان لايسمعها إلا أهل البصائر والعرفان ومن لهم عقول حاضرة والباب لايفهمها إلا أهل الخطاب ولا تقرأ إلا بين أهل المعرفه والافهام لأنها كالزهر فى الرياض (قال الراوى) إلا أن الملك جنطيائيل صاحب هذا الملك العظيم الجسيم لما حلف بدينه وتلك الايمان اقام مدة من الزمان إلى أن سمع بقتل الملك الليلمان وابنه سرجوان وقد سمع بأن عنتر بن شداد فارس الحجاز شجيع بنى عبس وعدنان ومعه جماعه من بنى غسان ومعه من أبطال الروم من كل فارس قسورة وبصحبته الملك هرقل ابن الملك قيصر وأنه قد ملك جزيرة الكافور وقلعة البلور وأقعد فيها كورت وقد أطاعته سائر الجزائر التى تليها وسار وقد ملك مدينه لواحات وجزائرها وقتل الملك صافات ورتب عليهم دفع الخراج والمال والعداد وأنه قد فتح القصر وتلك البلاد والجزائر والمهاد ماهان عليه قتل الملك الليلمان وابنه سرجوان وقتل الملك صافات صاحب الواحات لان تلك البلاد كانت تحت يده وخراجها يحمل إليه وقد كان له ولد يسمى عنان وقد كان فارس عظيم فى الميدان وشجاع الوقت والزمان إلا أنه لما سمع بذلك الشان وما أخذ عنتر من المدائن وسائر البلدان والجزائر صعب عليه ذلك وقد أرغى وأزبد وقد خرج الربد على أشداقه وقد حلف بالمسيح والانجيل الصحيح أنه لايترك من هذه الجيوش والعشائر لا أبيض ولا أسود ويقتل أبا الفوارس عنتر وكذلك هرقل بن الملك قيصر وبعد ذلك يسير إلى قيصر ويملك بلاده ويهلك عشائره وأجناده ويفنى منهم كل فارس همام ويملك انطاكية وأرض الشام ومن وقته وساعته استدعى بابنه عنان وقال له سر من وقتك وساعتك إلى هذا الرجل الأسود المسمى بعنتر وأقتله وأقتل هرقل بن قيصر واقتل جيوشه واحق منهم الأثر ولا تبرك لهم ذكرا يذكر ويكون المسيح فى عونك والمعبد الاكبر فلما سمع عنان من أبيه ذلك المقال أجاب بالسمع والطاعة وقال له أنا اسير فى هذه الساعه ثم أنه نادى فى جيوشه بالتبريز وقد قرق على دساكره الأموال وفرق عليهم العدد والخود والبيض والدرق والسيف والرماح والخيول لما أكمل أمر بتجهيز المراكب واعتدات الفرسان وقد صار بمقدمتهم وهم راكبين والزرد لابسين وقد تجهزوا فى المراكب وقد سارت تلك المراكب والسكتائب الذين هم بعدد السيل وقد رفعت على رأس بن الملك جنطيائيل الصنجان والبيارق وسائر الاعلام وقد

دقت النواقيس وتقدم كل مطران ونسيس ثم إن الملك ودع ولده وقد أمره أن يكون من أمره على حذر وإن يقل هرقل بن الملك قيصر وهذا الأسود الذي يسمى فارس عبس وعدنان عنتر وقد سارت المراكب في تلك البحار ولم يزالوا يجدون السير ليلا ونهارا وقد طاب لهم الريح السير إلى أن أشرفوا على جزائر الواحات وتلك الديار وقد لاح لهم البر ودخلوا الميناء ونزلوا من المراكب وركبوا الخيل وصاروا الليل ونهارا إلى أن قابلوا عنتر وبان لهم ولأصحابهم الغبار وعلا وزاد إلى أن اسودت منه الأقطار وامتلأت بهم الأرض وتلك الديار ولم تمكن غير ساعة من النهار حتى انكشف ذلك الغبار وبان للأبصار عن برق الزرد ولمعان الخود والريات والصلبان والبيارق والأعلام والصناجق على رأس عنان فارس الزمان ابن الملك جنطيائيل وعباد المسيح والانجيل وقد وقعت العين على العين وقد ناح عليهم غراب البين ولما رأى الملك هرقل إلى تلك الجيوش اصفر لونه وارتعد كونه وكذلك كوبرت خاف وانذعر وأما جيش الروم لولا الفضيحة والخوف من عنتر كانوا هربوا وإلى الفرار عولوا فقال لهم عنتر مالي أراكم قد ذعرتكم وما الذي رأيتم حتى أنكم فزعتم من هؤلاء الطاجير المحلقين اللحاق وأي شيء يكونوا هؤلاء الاذال المحرقين الآدان والأدبار فوحق الواحد المنان العظيم السلطان الدائم على الدوام الذي لا يشغله شأن عن شأن أنا وحدي أفنيهم بهذا الصارم الذكر ولو أنهم بعدد المطر وورق الشجر أو بعدد أمة ربيعة ومضر أصدمهم بصدر حصاني الأبجر وحسامي الضامي الأبتر ورمحي الأسمر وصوتي الأدعر واترك لي ولهم حديث يذكر تتحدث به الناس سيرا بعد سير وأدعهم عبرة لمن اعتبر وأنتم لا تباشروا حرب ولا قتال وانظروا كيف أبشر رؤسهم مثل وسق الشجر وأخلي الدماء تسيل في هذه الجزيرة مثل سيل المطر وأي شيء هؤلاء الطناجير يغدون مثل فرسان البشر فما بينكم وبينهم إلا صيحة من صيحاتي وحملة من حملاتي وقد أشتتهم في هذه الجزائر ولا أخلي الأول منهم يلحق الآخر فقالوا له يا أبا الفوارس نحن ما فزعنا من هؤلاء الاشرار وإنما فزعنا من ملكهم الغدر لأنه فارس مغوار ما يقع على فروسيته عيار وهو أسد كرار لا تحمله الخيول العربية ولا الخيول البحرية ولا الهجن إلا الأفيال العتية ولا يقاتل بمهند ولا يناضل إلا إن كان بالعمد وهو شديد البأس صعب المراس قوي الرأي أطول ما يكون من الناس وهو ملك الأندلس إلى أقصى بلاد فلسطين والجزائر البحرية والقبلية والغربية والشرقية والمصرية وهذه الأرض التي نحن فيها من تحت يده وتحمل إليه الخراج والعداد وابن الملك قيصر كان لا يتعرض لأجله إلى هذه الأرض لأن يا أبا الفوارس يخاف منه كل من في الأرض وإن له عشائر بعدد الرمال وإبطاله مثل السيل إذا سال وأما ابنة عنان فانه فارس العصر والزمان وشجيع هذا الأوان إلا أنه أقصر باعا من أبيه في الميطان وكانك به وقد أتى إلينا في الأبطال والاجناد وعشائره ومن له من الاقيال ولو كان علمنا بان هذا يجري علينا

ما كنا أتينا عهنا ولا كنا سرنا ولا التقينا الملك الليلمان وكنا أقمنا في أوطاننا وبلادنا وكانت عشائرنا كثيرة وأجنادنا غزيرة ولما سمع عنتر منهم هذا الكلام قال لهم لا تخافوا من هؤلاء الفرسان فما كانهم الا غنم ونعامات سارحات وها أنا بين أيديكم وستروا ما تقر به أعينكم وأما ما ذكرتم من أمر هذا الفارس وملكهم جنطيائيل الذي ما يحمله إلا كل فيل فلا تفزع من طوله ولا من عرضه وسوف أفده بحسامي الذي لو ضربت به جبلا لهذه وأما فيله فلا تحمل همه فاني معود بقتل الأفيال وأنا في القيود والأغلال لا سيما في كل فائدة اسمي فيها باسم النبي المفضل فاني أسأل الله تعالى بجاه محمد ﷺ أن يمدلي في العمر حتى يبعث هذا النبي الكريم وأقاتل بين يديه كل جبار أثيم وشيطان رجيم ولا تفزع يا ملك الزمان ولو انطبق على خلق البطان فانهم بهم أملي وفي قتالهم أوفي فلما سمع الملك هرقل من عنتر ذلك الكلام فرح واستبشر وأمل بالنصر والظفر وفي دون ساعة زعق وزجر وأمر أصحابه بالحملة على تلك الدساكر وكذلك الملك كوبرت زعق في دساكره فزجرت والى حروبها انتصبت وقد زعق في تلك الدساكر وحمل ودعس فيهم بجواده الأبجر وضرب بالعمد وما قصر وقد ترك الجماجم تتساقط كانها الأكر لله در ه من أسد قسور وليث أغبر وشجيع غضنفر وأما عشائر الاندلس فانها لما رفعت يمينها على عشائر الملك هرقل فزعق في أوائلهم عنان وحمل ذلك الجيش وقد ثار الغبار واعتكر وقد دقت النواقيس وصاح كل مطران وقسيس وحملت البطارقة والعالقة وقطعت السيوف الخود البارقة وقد صارت النفوس زاهقة والأرواح من الاجساد مفارقه والفرسان باخصامها عالقه وسوق المنايا بعد الكساد نافقه وقد سالت الدماء على الحصى والجاسود وغاصت الاسنه في العلائق والكبود وقد تنكست الاعلام والبنود وقد ركضت حوافر الخيل فوق الاضلاع ومزقت الجلود وتبدلوا بالعدم بعد الوجود وسارت الوجوه من شدة القتام سود وقد تضاربت الافرنج والروم باللت والعامود وسار الجبان مفقود وقد كانوا القوم بين فاقد ومفقود وشقي ومسعود وزادت زعقه الشجعان وساروا مثل الأسود وانشعرت الابدان وتمزقت الجلود وقد فاضت منهم المدامع على الخدود وانكسرت الصوارم ومالت البنود وأما عنتر فقد أشعل نار الحرب واصطلاها وضرب بسيفه الرقاب أبراها وأزل الدم وأجراها وأطعم من لحومها بعد إن فراها وتلقى الابطال بالضرب وأجرى دماها وقد نثر بسيفه الصنايع رقابها ومزق كلاهما وقد جالت الخيل بفرسانها ولعبت بابطالها وقد تصادمت أفيالها وتبدل نهارها بليلها وعشائر الروم قد انحصرت واخلصت إلى القتال نياتها وقد زعقت أصواتها بعيسى ومريم وقد علت زعقاتها وطعنت صدور الاعداء بقنطاريانها وفلقت جماجم بمشرفياتها وقد طحنت رجال الاندلس بسمرياتها واسودت الاقطار من سائر جنباتها وقد ركضت بخيلها وأخلصت أعنتها

وزاد بلبالها وقد حامت على أجسام سادتها وكان ملك الموت قد دار عليهم من المنايا كاساتها وكان رسوله عنتر وقد أسقاهم علقم شرابها الله در عنتر بن شداد فانه كان كالنار المسعره ذات الشرر التى لاتبقى ولاتذر وقد جال فيهم بجواده الابجر وضرب فيهم بحسامة الضامى الأبتر وشيبوب والخذروف بين يديه يحمون جواده الابجر وقد ترك الافرنج على الثرى عبرة لمن يرى واعتبروا ما لك عنان لما رأى فعل عنتر فى الميدان فحمل وخرج من تحت الأعلام وبرز وبان بعد أن كان تحت الصناجق والأعلام وقد صار يطلب الكفاح والصدام وقد كثر الصياح والزحام وعظم القتال واشتدت الأهوال وقد زاد الحرب اشتعال وكثر القيل والقال وهلكت الرجال وقد جاء الحق وزهق المحال ولما نظرت عشائر الاندلس إلى ذلك الحرب والقتال فلله در كوبرت وما فعل فى ذلك اليوم من الفعال فانه فلق الهام وقد نثر الرؤس من الأقوام وخلا جاجم مدحرجة تحت الأقدام وقد جرى بينهم عجائب تشيب الأطفال وأحوال تحير الأوهام ولم يزالوا على هذا الحديث والكلام وهم فى صدام ولزام وتجريع الموب الزؤام إلى أن ولى النهار وأقبل الظلام وعادوا إلى المضارب والخيام وقد استظهر الروم على عشائر عنان ولولا الخوف من العار كانت قد طلبت الهرب والفرار ولما رجعت عشائر الروم فما كان فيهم إلا من يثنى على أبى الفوارس عنتر فاثنى عليهم ولهم قد شكر وعنتر لانه قد أوعدهم بالنصر والظفر ففرح الملك كوبرت واستبشر وكذلك الملك هرقل بن الملك قيصر وكل منهم لعنتر حمد وشكر فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من الملك عنان فانه لما عاد من الميدان فرأى الأرض قد اللثمت من أصحابه فعاب صوابه وقد داخله الفزع وحل به الجزع وقد أوقدوا النيران وتحاسوا مفريقان فعند ذلك شكت أهل الاندلس إلى الملك عنان ما لقيت من عنتر وما قاست من الموت الأحمر فى ذلك اليوم لا عبر وما فعل فيهم من العبر وقد أخبروه بمن قتل ومن أسر فقال لهم لما سمع مقالهم وسمع شكواهم واذلالهم أقبل عليهم وقال لهم ما أفنا كم وبدد شملكم وفرق جمعكم إلا هذا الأسود والبعل الأنكد المسمى بعنتر وفى غداة غد أبارزه واقتله واقتل لكم من بعده هرقل بن الملك قيصر وكذلك كوبرت الغضنفر وكل من معهم من العشائر وهل أرسلنى أبى ملك الزمان لاقتل هؤلاء الفرسان واقتل سرجوان بن الليلمان ولم أدع منهم إنسانا ولم يزالوا على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس من على الروابى والبطاح فعند ذلك ركبت العشائر واصطفت وترتبت الفرسان وقد همت الطوائف بالحملة على بعضها بعض وإذا بفارس قد برز من عشائر الاندلس راكبا على جواد أحمر عال من الخيل مضمر اقبل أو أدبر افتن الناظر إذا نظر بين عينيه غرة تزهر كأنها دائرة القمر جريه أسرع من لمح البصر واسبق من خيل ربيعة ومضر حديد النواظر

صدور الحوافر صنعه الملك القادر متسع الكمل لا يوصف بالتعب ولا بالملل ولا بالنصب ولا بالفشل وعلى جسده زرديه بالذهب مطليه لا تعمل فيها السيوف الهنديه ولا الرماح الخطيه وهو معتقل بقنطاريه خلنجيه متقلد بصفيحه هنديه وعلى رأسه بيضه ذهبيه عاديه وفي ظهره مرآة تخطف النظر ومن خلف ظهره صليب من الجوهر وهو كأنه الاسد العابس وقد ترجل في ركابه ألوف من ألف فارس ومازال إلى أن توسط الميدان فرجعت من حوله تلك الفرسان ثم أنه أشار إلى طوائف الروم بالبراز وطلب الانجاز وطلب الملك هرقل والملك كوبرت وعنتر فارس الحجاز فلم يتم كلامه حتى سار عنتر قدامه وهو راكب على ظهر جواده الابجر متقلد بسيفه الضامي الابتر معتقل برمحه الكعوب الاسمر وقد حمل فيه كأنه الاسد الضنين فتلقاه عنان كأنه النمر القسور فجال عليه عنتر بنية غير فاترة وقد طلعت على الاثنين الغبرة وقد كان لطمأوقعه عسره تذهل من الشجاع بصره وقد أبصروا الارض تحتهما ضيقه منحصرة وقد نزلت عليهما من الله أقداره المقدرة وقد ضاقت منهما النفوس من أسباب ألمنا هذا كله والفارسان قد أظهرا أعجبا حتى كلت الخيل منهما تعبا وقد مشيت بعد الجري خببا وقد صارت الانفس علقا وسالت الاجساد عرقا وقد جاعا الاثنين وعشطا وحاوا واندهشا وقد مضى النهار مندجا وقد صار البر ضيقا حرجا وقد طلب من شدة الظما فرجا وكان هول ذلك اليوم مما أعجب العجب حرجا ولما رأى عنتر ذلك اليوم حاذاه وساواه وقد طعنه بالرمح في أحشاه أطلع السنان يلمع من قفاه وقد مال على الجواد فعند ذلك زعق عنتر ونادى يا لعبس الاجواد أنا عنتر بن شداد فانجدل صريعا يمج علقما ونجيعا ولما رأت الافرنج إلى ابن ملكها قتيل وعلى وجه الارض جدبل زعقت بالانجيل واكبت رؤسها في قرابيص سروجها وقد وطنت على الموت نفوسها وقد دقت نواقيسها وقد طمطمت على عنتر بالافرنجيه وزعمت أنها تسقيه كاس المنيه فعند ذلك نزل الحديد على الحديد وقد بار الضعيف من البطل الصنديد وقد حملت الابطال الاماجيد والبطارقه الصناديد وقدح الشرار من الجلاميد وقد جرى الدماء على الصعيد وبانت أعلام ملك الموت قريب وبعيد وقد عرف الشقي من السعيد والشجاع من الجبان البليد وقد جال فيهم عنتر وأطرحهم على الصعيد وقد أهلكهم وفرقهم ومزقهم وصلبوا على وجوههم وأمطرت سحائب الدماء على أهل الاندلس وقد مدت رعود المنايا على الاجساد فاهلكتهم وقد حمل عنتر بن شداد على الفرسان وهجم على الشجعان وأجرى أدميتهم على الارض فصبغ بها الميدان وقد أهلك الفتيان وقد هاج في الحرب والقراع كتهيج السباع وشيبوب والخذروف يحمون جواده وظهره بالنبال فلله در عنتر ما فعل وكم أهلك في ذلك اليوم وقتل لانه أخرق الصفوف وسقى أهل الاندلس شراب الحتوف وقد مزق من شعائرهم أكثر الصفوف وقد وضعت أهل الروم في أهل الاندلس

السيوف وقد قويت قلوبهم بعنتر شجيع المشارق والمغارب فلم تكن غير ساعة حتى أهل الأندلس الأدبار وركنوا إلى الفرار وقد تركوا أموالهم وأثقالهم وطلبوا الهرب وقد رأوا سلامة نفوسهم وغنائمهم أوفى مكسب فتبعهم عنتر وهو يطعن فى ظهورهم بالرماح المداد هو ومن معه من الروم الشداد إلى آخر النهار وقد عادوا إلى أماكنهم والخيام وقد أهلك عنتر عالما لا يقع عليهم عيار وقد تذكر عنتر عودته ما قاسى من الأهوال وهجومه على المهمات الثقال فخطر على قلبه من الشعر ارتجاز فأنشد وجعل يقول هذه الأبيات

اعطنى رمح الخصامى فلقد طال مقام ... وإذ نادى منادى
اهتزت فرسان الأنام أين أبناء الكريهة ... أين أبناء الكرام
فترانى أطلب السوط لكل ليث صدام ... وعلى جسمى حديد
كم عند العمرام وألبست الجسم درعا ... صان لحمى والعظام
وصارت الخيل رفقا مثل سير الغمام ... وإذا لقيت جيشا
طاب لى شرب الحمام وتركت الروم صرعا ... فى الثرى مثل النيام
وأنا عنتر حقا بطل عند الصدام ... وترى النار تضرم من
بين سرجى ولجام هكذا العيش وإلا ... فعلى الدنيا السلام
أبلغوا جنطائيل عنى بالحروب غير مضام ... سوف أتركه صريعا
ثاوى الجنبين رام وأذقه كاس حتف ... من سنانى وحسام

لو رآنى الموت يوما فر من عظم صدام
لى عزم طول عمرى زائد فى كل عام

(قال الراوى) ولما سمع الحاضرين من عنتر هذا النظام لحقهم الطرب والهيام وأما هرقل بن الملك قيصر فانه ابتهج وقد مضت عنه الهموم وقال له لا فض الله فاك ولا كان من يشناك وجعلنى من الأسوا فداك ونشر المسيح عليك أعلام نصره وأمنك من حوادثه دهره ثم أنه نهض فى عاجل الحال وقبل صدره وبين عينيه فقبل عنتر يديه وقد شكره وأثنى عليه ثم أمر من معهم من الرجال بلم الخيل الشاردة والأسلاب المبددة وحملوهم على البغال وقد عادوا بعد ذلك إلى الموضع الذى كانوا فيه (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أمر الملك جنطائيل ملك الأندلس الكلب اللعين الغدار فانه كان قاعدا لابنه هناك فى الانتظار حتى أنه يأتيه بعنتر وهرقل وكوبرت ومن معهم فى الأسر والاضرار لأنه ابنه عنان كان بطل عظيم وعلج جسيم ولم يزل يطمن نفسه بهذا الكلام إلى أن كان فى يوم من بعض الأيام فلم يشعر إلا وقد أقبلت إليه المنهزمين وهم كلهم منهزمين وهم فى البرارى والجزائر صارخين متقطعين من عشرة وعشرين وهم كأنهم فى يومهم كالبحر الزاخر

والاول منهم لايلتفت إلى الآخر ولما وصلوا إلى المدينة أكثروا من البكاء والعويل وقد أعلنوا بالويل والتنكيل وقد أكثروا من الحزن الطويل فسمع الملك جنطيائيل الضجة فسأل عن ذلك الخبر فقالوا له أيها الملك قد وصلت الجيوش وهم مكسورين والفرسان متقطعين بعد ما كانوا مجتمعين وقد أخبروا الملك أن ابنك عنان قد قتل في الميدان وقد قتله فارس الفرسان وشجيع العصر والزمان فارس عبس وعدنان الذي قد ملك تلك البلدان والجزائر وهو عنتر بن شداد الذي أتى به الملك هرقل بن قيصر من أرض الحجاز لأنه فارس همام وبطل ضرغام (قال الراوي) فلما سمع جنطائيل منهم الكلام استوى عنده الضياء والظلام وقد غاب عنه الصواب لما سمع ذلك الخطاب وصار كأنه في منام ساعة من الزمان وأفاق وتفل على الأرض من فمه وقد مد لسانه كأنه الثعبان وتنفس وسال ريقه على تلك الكثبان فاحرق ما حوله من الحشيش الأخضر من شدة غيظه وما دخل على قلبه وأغم على عقله وليه ثم أنه أدعى ببعض المنهزمين من تلك الأعلاج الفرسان ولما حضروا قال لهم كيف قد قتل ولدي عنان في الميدان فقالوا له يا ملك الزمان أعلم أنه قد قتله فارس أسود له قلب أقوى من الجلد وقد طعنه بالسنان في صدره أطلع الرمح عشرة أنابيب من ظهره وبعد ذلك حمل علينا في ساحة المجال وقد قتل الأبطال وجندل الأفيال وهو كأنه الجمل إذا هاج وقد سمعناه وهو بالعربية يقول ويلكم يا أوغاد غير أجواد أما علمتم أني عنتر بن شداد فارس الأرض والبلاد وما دخلت إلى دياركم حتى أملك سائر بلادكم وأقتل ملككم جنطيائيل هذا الكلب الطويل الهبيل وأملك بلاد الأندلس والغرب الكبير ثم كان بباطن الفارس العظيم ويقبضه ويخطفه من على الجواد ويضرب به الأرض يخلط بعضه في بعض ثم أنه صار يضايق الناس في المجال ويمسك فارسا بيده اليمين وفارسا بيده الشمال ويضربهما الاثنين فيقتل أربع رجال ويطلع الزبد على أشداقه في الميدان وتحمر عينيه حتى تبقى كأنهما شرار النيران وما كأنه إلا مارد أو شيطان أو من عفاريت سيدنا سليمان لأنه أسود يشبه الأبنوس ولا يقدر عليه لا عاج ولا فارس لأن ما مثله أحد في هذا الزمان مقايس ولا يوجد مثله ممارس لأن صدماته تهد الجبال ويطعن طعنات تقرب الآجال وجواده إذا رأى الفرسان قد ازدحمت عليه يفتح فاه كأنه الغول أو الأسد المهول ويصدم الفارس في الميدان فيكسره ويرميه عن ظهر الحصان فتدكه الخيل وأبهين صاحبه على لقاء الشجاع ويبيد الفتيان فلا يصعب عليك أيها الملك من هذا الانسان فما مثله شيطان إلا أن يكون أنت يا ملك الزمان وليس له ضد ولا مقايس سواك ولا يقمعه فارس إلا أنت لأنك أقوى منه في الميدان ولا فينا أحد يلقاه فلما سمع منهم ذلك المقال صعب عليه ولا يقي يعرف ما بين يديه ولا يمينه من الشمال ثم أنه بعد ذلك سحب عامود وبطش في الرجال فقتل عشرة من الأبطال والباقي هربوا من قدامه في عاجل الحال وقال لهم يا ويلكم يا أنذال لمثلي يقال

له يقال هذا المقال وتصفون هذا البدوى حلاب النوق وراعى الجمال ولولا خوفى من المسيح ما أبقيت منكم بطريق صحيح إلا ملقح على الثرى طريح ياويلكم أكون أنا الملك جنطيائيل ابن الجلاع بن القعقاع وتفزعون من هذا الاسود عند القراع وأى شىء يكون هذا الاسود الميشوم ومن معه من العرب والروم وأنا الأسد الغشوم وسوف تنظرون كيف أخلى أنفهم مرغوم ولا مثلى يقاس بكل من فى بلاد العرب وأنا ملك الشرق والغرب وسوف ترون ما أفعل بهم فى الميدان وأنا على ظهر فيلى سيروان وسوف أقتل هذا معبد المسمى بعنتر أخو السودان وكوبرت ومن معه وكذلك هرقل بن قيصر ولما سمعوا كلامه الجميع سكتوا ولا عاد تكلم منهم لا وضيع ولا رفيع وقالوا له أيها الملك ها نحن كلنا بين يديك نقاتل معك وسوف ترى منا ما تقر به عينيك ثم أنه فى ساعة الحال أمر بالتجهيز إلى ساحة المجال للحرب والقتال وأن يكونوا على أهبة النزال ففعلوا ما أمرهم به ملكهم جنطيائيل ولبسوا الزرد والخود بلا تطويل (قال الراوى) وزعقت البوقات السلطانية وعرض الملك عشائره فكانوا سبعمائة ألف بطل فترك فى المدينة مائة ألف فارس من كل مدرس ولابس وللحرب يمارس مكانه ولده الصغير عبد المسيح لأنه ذو عقل رجيح ولسان عربى فصيح هذا وقد ركب جنطيائيل على ظهر سيران الفيل وقد رحل من مدينته طالب هلاك جيش الروم وفى مقدمة عشائره القس والبطارقة والاغلاج والشماسة والشجعان والراهب الكبير والمطران والملك جنطيائيل على رأسه الصلبان والأعلام عليها صورة مريم ابنة عمران (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما كان من كوبرت وعنتر وهرقل ابن الملك قيصر فانهم لما كسروا ذلك الجيش أقبل عنتر على كوبرت وابن الملك قيصر وقال لهما ما نعود كما عن هذا الطنجير جنطيائيل ولا لا نسير إلى ديارهم ونخربها ونمحى آثارهم ونقتله ونسبى حريمه وعياله ونأخذ خائره وأمواله وأى شىء هو هذا الكلب الطويل حتى نتركه إلى هذه الديار يسير ولأى سبب لم نسير بجمعنا إليه ونقتل جيشه الكبير ولا نخلى منهم لا قليل ولا كثير ولا صغير ولا كبير ونملك بلاد الأندلس إلى أقصى الغرب الكبير فقالوا نعم يا أبا الفوارس ما به تشير ثم أنهم تجهزوا فى ساعة الحال فى مائة ألف عنان من الأبطال فقال عنتر ولو يكون عشائر الأندلس بعدد الحصى والرمال انتبيتهم بعون الملك المتعال وأفنيهم بالحسام والقناة وسوف ترى أيها الملك منى ومن جيش الأندلس الكثير وما يجرى لى مع هذا الطويل بن الأندال جنطائيل ففرح ابن الملك قيصر بهذا المقال وعلم أنه يقدر على هذه الفعال ثم أنهم قسموا الجيش قسمين فانتخبوا مائة فارس من الاغلاج الشداد وقد ركب عنتر على ظهر جواده الابجر وشيبوب والخذرف بين يديه كأنهما ذكر النعام إذا اذعر هذا والامير عنتر قد تذكر دياره فتلهبت أحشاءه وتأمل الشام فنظر برقا يلمع فتذكر عبلة ففاض دمعه وانهمع وزاد به الوجد والغرام فانشد

يقول هذه الابيات :

ابرق نجد أضاء ياسعد أم هتيا	أم نور عبلة بدى يا برق هنيئا
أم نورها قد أضاء يا برق وغسق	كما تشب على أيدى النصاليتا
فاق ذكر لها أول وآخرها	معاونتها بنسات الروم سميا
قد صاغها الله من حسن وقال لها	خوضى الماليك تركيا وتثنينا
وسحر أجفانها قد زادنى سقما	أخلت فيهما كهاروت وماروتا
أيا عارضا رائحا يغدو بوارقه	أقصد لشام دمشق فيها نجيتا
يا برق إن جزت أرض الشام لى رشأ	تحمل تحيتها عنى فحييتا
إن منك قد سألت عنى فقل لها	كان سيفى لو قد النار كبريتا
يا عبلة إنى إذا ما جلت فى رهج	تسمع له الأذن إرعادا وتصويتا
ساورى الروم ضرب السيف بيتدر	تخر له الأسد الضرغام مبهوتا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره وإنشاده وإذا ببرقل بن الملك قيصر قد مال وترنح فوق جواده وقال له وحق المسيح مالك مثيل فى الفصاحة ولا فى الثبات فى الميدان فالله يبلغك أمانيك ويكمد حاسديك فدعا له عنتر وأثنى عليه وله شكر ثم أنهم ساروا بعد هذا الكلام وهم يقطعون البرارى والآكام مدة خمسة وثلاثين نهارا على التمام وهم يقطعون المهاد والارض والبلاد وفى أثرائهم عنتر بن شداد حتى تقاربت العشائر من بعضها بعض وطلع غبارها فهودت منه الافطار وخفقت البنود والازدهارات فكان ملتقاهم ببعضهم البعض فى مكان عظيم يقال له وادى الرميم هذا وقد علا الضجيج لاختلاف اللغات ونعرت البوقات ودقت الكؤسات وهجت الوحوش من الغابات وارتجت سائر الجنبات وخفقت الاعلام والروايات من هبوب الرياح العاصفات ولمعت بروق الصوارم المرهفات مع حلل سحائب الغبائر المرتفعات وصهلت الخيول الصافنات واشتاقت إلى الحرب قلوب السادات وهان عليهم شرب كاس الممات وما فيهم إلا من لاح له وجه النصر بعلامات وخفقت البنود والرايات هذا وقد انكشفوا الطائفتين وحقق بعضهم بعض برأى العين ولم يجدوا الدساكر ثبات بسبب الحقد والكراهات والملك جنطيائيل فى مؤخرة الجيش راكب على فيله وسائر كأنه الاسد القسور ولان أكثر الخيل كانت منه تنفر فلأجل هذا ما تقدم أمام الجيش هذا وقد أمر عشائره بالحملة فحملوا على بعضهم البعض وجالوا طولا وعرضا فارتجت من تحت حوافر خيولهم الأرض وعظمت الاهوال وارتجت الجبال وقد تقاربت الآجال وصدمت الرجال بالرجال واشتدت المخاوف والاوجال واخذت الطعن يمينا وشمالا ونزع الشجاع فى سرجه ومال وانقطعت من الجبال الآمال وعظم

الويل والويلان الصدق من المحال وتصادمت الشجعان واختلط الجمعان وتقاتلوا الطائفتان وتطاعنوا الجيشان وعمل السيوف اليمان إلى أن غابت الثريا والزبرقان وأدبر السرطان ومالت كفة الميزان وانباع المشترى بالبخس الاثمان وطار عقل عطارد الصباح فأخذه بعد الامان وسمى سهيل السماك وتفرقد الفرقدان وزاد على الثور قشعم الأسد فقطع منه مواصلة الابدان وضربت الجوزاء الجدى فانصدعت بعد أن كانت كالسندبان وهجم على المريخ سلطان الضياء فخضع باسه وطلب الامان وخضعت السنبلة وتجارى على الجدى من النور كرأس العقبان وانحط سقاء الدلو بعد ارتفاعه محل كيوان وحارت النواظر والافهام وكان يوما من أيام الزمان أنباعت فيه الارواح بيع الهوان وقد صارت الأرض من دماء الفرسان كالارجوان وضجت عمار لك الأرض والسكان وهمهمت أسود الحرب وزادت الزعقاته وذعب عين الجبان وتمنى أنه لا كان وضاق الميدان وصحا السكران وشد فى ذلك اليوم من يوم عظيم الشان زاد الكرب على الفرسان وحمى فيه الحديد على الابدان والأمير عنتر بن شداد يجول فى الميدان أى جولان ولا يعفو عن قتل القسوس والرهبان ولا البطارقة ولا المطران ولا العلوج ولا العقبان ولا الشيوخ ولا الشبان وقد بلغ العرق إلى الاذقان والأمير عنتر يثير الجاجم من على قابات الابدان ويزيد وقيد الحرب نيران ودمدم فارجفه قلوب الشجعان وفرق شمل الافرنج اللئام عباد الصلبان بتواتر الطعان وجندل الاقران وصبغ بادميتهم الميدان ولم تزالوا على ذلك الشان إلى أن اذن الله تعالى للنهار بالارتجاز وأقبل الليل بظلامه والانسدال هنالك أفترقوا من الحرب والقتال والطعان والنزال وعادوا إلى الخيام وأكلوا شيئا من الطعام وقد بحت الروم فى ذلك النهار تحت الغبار بقتال فارس عبس وعدنان البطل الكرار والاسد الهدار وحارت أهل الأندلس وظهر عليها الانكسار ولولا خوفها من الملك حنطيائيل لطلبت الهزيمة ورجعت إلى وسط الديار بل صبرت على الروم خوفا من البوار ونهت عشائر الملك هرقل بن قيصر بعض خيام الافرنج والرجال ولكن رجعت عشائر قيصر وهى تشكو إلى الأمير عنتر ما لاقت من القتال إلا أنها تشكره وتثنى عليه وتشير بالدعاء إليه (قال الراوى) لما صاحب الفيل الملك جنطيائيل فانه جرد على عشائره ويحثهم على ما قد فعلوا وكيف أنهم تقهقروا وقت الحرب والقتال وقال لهم يا بلكم أما أنتم رجال ولا فيكم نخوه الابطال أما تحشمون من العار والقيل والقال حتى يكسر وكم قولا الابدال فقالوا له أيها الملك جنطيائيل أننا جهلنا أمرهما حتى وصل إلينا شرهم وحق المسيح ما يقرأ والانجيل وزبور داود وذات التبجيل فى غداة غد ندهمهم ونحمل باجمعنا بعد ما يقرأ علينا الانجيل فلا تخلى منهم لا كبير ولا صغير ولا كثير ولا قليل وأو وما نقتل هذا الأسود المشهور المسمى بعنتر لانه مثل الموت الاحمر الذى لا يبقى ولا يذر ونقتل كوبرت وهرقل

ابن الملك قيصر ولا تخلى من هذه العشائر من يخبر بخبر ففرح جنطيانيل من مقالهم وأطمان لأفعالهم ثم أنهم قاموا للمنام بعد أن أكلوا الطعام ورتبوا لهم حرسا فى الظلام ولم يزالوا على هذا الروح الى أن أصبح الله بالصباح ركبوا الجراد القدح واعتقلوا بالرماح . طلبوا الحرب والكفاح فعند ذلك دمت الكؤسات والنواقيس وزعق كل راهب وقسيس وشماس وبطريق ونعرت البوقات وخفقت الرايات هذا وقد حملت العشائر من سائر الجهات وطعنت بالرماح السمهريات وجردت السيوف المشرفيات وطاب لهم شرب كأس الممات وضاقت بهم الأرض والسموات والفلوات ودارت عليهم طاحون الآفات وحملت عشائر الروم على عشائر الأندلسيات وثبتت للطعان فى اللبات وحمل عنتر وزعق بين أذنى جواده الأبجر زعقات عاليات وصاح صيحات مرتفعات حتى رجت الجبال والفلوات وشيبوب والخذروف بين يديه يرميان بالنبال فيصيبان بها نحور السادات وصبرت عشائر الروم صبر اولاد العربيات وعمت المصائب وأسودت الاماكن والجهات وخاضت الخيل بالدماء فتغيرت ألوانها المختلفات هذا السيف يعمل من سائر الجهات وزلزلت الأرض من ركض الصافنات وتهامروا مثل الصباع الضاريات وعملت الرماح والقنطاريات فى صدور السادات وارتعدت الأبدان من شدة الأهوال الحادثات وبدم الجبان على الثبات وأخذت الحيرة الشجاع والانبهات وطارت الجماجم بضرب المشرفيات وحارت المسامع من اختلاف اللغات وكان النهار قد ضاق عن مثل هذه الصقات وعظمت المصائب والآفات وأيقنت النفوس بالممات فيالها من ساعة لا تشبه الساعات ووقعة لا تشبه الوقعات واسودت فى أعينهم سائر الجهات وامتلأت أبدانهم بالجراحات وقلت منهم الحركات هذا والامير عنتر يثب ويثبات ويسوق عشائر الأندلس سوق الغنم السارحات وينشر الفرسان من على السروج بطعنات صادقات وجعل كل بطريق اثنين بضربات قاطعات وفتك فى البطارقة والشماسة والقسيسة وهو يكثر الصرخات ويزعقات فتولى الخيل من زعقاته لما تسمع تلك الأصوات ترمى ركابها إلى الأرض من شدة ما يدخل عليها النائبات لما تسمع من تلك الصيحات المظلمات هذه الرجال تظن من شدة زعقاته أن الأرض أنطبقت عليها من السموات ولم يزالوا على هذا الأشياء الهائلات إلى أن أذن الله للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالظلمات باذن رب البريات هنالك افترقوا من الحروب والكربات لما أمسى المساء وما فيهم من يعرف أحسن إليه الدهر أم أساء هذا وقد رجعت عشائر الأندلس خائفات من ضربات عنتر المسرعات فوبخهم الملك على هذه الفترات فقالوا والحق المسيح ما عمرنا رأينا مثل هذا الاسود لأنه داهية وبلية عظيمة وكانت زعقته كأنها الصاعقة من السماء أو سخطة نزلت على هذه البلاد فكلما نطلبه من كل جانب ونقول وأننا نمزقه بالقنا والقواضب فيصيح فى المواكب فيشتتها الخيل

من صيحاته باعنتها وكان المسيح قد غضب علينا حتى أرسل هذا الشيطان إلينا وإلا لو كفينا أيها الملك شر هذا الأسود في القتال الذي كأنه فحل من فحول الجمال فقال الملك أنا لو لا أني أخاف أن يعاروني سائر ملوك البلاد ويقولون الملك جنطيائيل برز إلى عبد شداد وإلا كنت من أول ما وقعت عيني عليه أهلكته وضربته بعمدي هذا محقته ولكن لا بد لي منه في ساحة المجال أقتله وآخذ بثأر ابني عنان الفارس الريال لأني أراكم فشلتم أنتم إبكثرتكم عن قتاله ولا تقدرون على أهواله وحربه ونزاله ودع تقول الشجعان ملك الأندلس بارز عبدا أسود في الميدان وأنا وحق المسيح أن ضربته بعمدي هذا أقضي عليه ولكن لا كلام حتى يطلع النهار وأبرز إلى الميدان وأقتل هذا الأسود ابن اللئام ثم أنه أمر بحضور عدته والحراب والمزاريق والعمد الذي يقاتل بهم وأن يحضروا له زرديته المذكورة الطويلة السوابغ وأن يأتوا بفيله سيرون فهذا ما كان من هؤلاء. (وأما) ما كان فارس عبس وعدنان وليث الميدان وشجيع الزمان فانه عاد بالربح لا بالخسران وأما كوبرت والروم فانهم شكوا لعنتر ما يجدوه من الكثرة وقالوا له يا أبا الفوارس العشائر كثيرين ونحن قليل ولا يحصى لهم مدد فيا ليتك أن ترجع تلقى الفرسان إلى المدينة فعند ذلك شجعهم عنتر وقال لهم إلا تخشوا من أحد وأنا أعلم ما تبات هذه العشائر الجزيل إلا بملكهم جنطيائيل هذا الكلب الذليل وأنا أن شاء الله الملك الجليل في غداة غد أصرم عمره الطويل وأقتل فيله وإسحق عمره وأجعل طوله بعرضه لأن نفس هذا القرنان تكبر عليه أنه يبرز في الميدان لأنه يقول في نفسه أنه ملك الأرض في طولها والعرض وسترون كيف أجندله في هذه الأرض واخلط بعصه في بعض وأن هو خرج إلى الميدان فرقت أنا هذه الأجناد ولا أزال أخرق الجيش حتى التقيه وانثر رؤس ما حولة من الأقران وأقتل بطارقته والرهبان إلى أن التقي هذا القرنان وسيجري بيني وبينه ما يريد الرب القديم رب زمزم والحطيم فاذا فرغت من هذا الندل ابن اللئام أفني بعده هذه العشائر ولا أخلي منهم لا كثير ولا قليل وأترك العالم تتحدث بفعالي جيلا بعد جيل (قال الراوق) فلما سمع الملك هرقل كوبرت والعشائر من الأمير عنتر هذا الكلام فرحوا بما وعدهم من النصر والظفر وتقدم هرقل بن الملك قيصر وأثنى عليه وله شكر فقبل عنتر يديه ووعده بما تقر به عينيه وبعد ذلك بات الجيشان يتحارسان وباتت الروم في أحسن ما يكون إلى أن أصبح الله بالصباح فهنا ركب الجيشان الجرد القداح وطلبا الحرب والكفاح وصف عنتر جيوشه ميمنة وربهم ميسرة وقلبا وجناحين وأمل وأن يسقي ملك الأندلس كاس الحين وينزل به الشين فلما تمخضت الصفوف وترتبت الألوف وإذا قد ترجل على التحقيق أو في عشرة آلاف بطريق ويقدمهم فارس طويل راكب على فيل عظيم قال وكان الفيل مثل الجبل العظيم أعلاه جبل وأسفله جندل وهو مثل سواد الليل البهيم أكبر

ما يكون من الافيال يحمل عشرين من الرجال وكان له آذان مثل الدرق واسع العينين غليظ الرقبه كبير خرطوم طويل الزلوم فى مشافيره سيف مانى ثقيل رزين شديد المعانى له أنياب كانها مدارى وكان الفارس لذى عليه لابس زرديه ترد أسباب الرزيه شغل العالقه بالذهب الاحمر مجليه مرصعه بالدر والجواهر المعدنيه وعلى عنقه صليب من الزمرد الأخضر وعلى رأسه خوذ عاديه مململه كسرويه فى قدر القبه المبنيه وعلى كتفه ذلك العمود الذى ذكرناه وعلى جانبه الخراب السمهريه ومن عظم هذا الفيل لا يقع وجلده الحسام الصمصام ولا طعن الرمح اللهذام ولا تخرق جلده السهام إلا أن ذلك الفارس راكب عليه وهو يحرث الأرض برجليه قال وكان هذا الفارس هو ملك الاندلس جنطيائيل فلما توسط الميدان رجعت تلك الرهبان الى ناحيات فى خدمته والشجعان إلا أنه لما توسط الميدان ورمقته تلك الفرسان وعشائر الروم بعالهم من الرهبان ونظروا إلى كبر جثته وطول قامته فانشعرت منهم الابدان وتعجبت القساوسه التى للروم والرهبان والبطارقه الكبير والمطران هذا ولما نظر عنتر إليه وإلى غلظه وطول يديه فقال والله ما هذا القران إلا عظيم الخلقه فى هذا الزمان ليكونن لى معه شان وأى شان تتحدث به الناس إلى آخر الزمان وأول ما أفجعه فى فيله هذا الذى يسمونه سيروان وبعد ذلك أنزل بصاحبه الشين وأسقيه كاس الحين وأضرب بسيفى هذا على وسطه أحمله دلوين وأتوسل كما سبق مع النبى محمد الذى يكون سيد الكونين ورسول الثقلين (قال الراوى) إلا أن جنطيائيل لما برز إلى الميدان لعب بعاموده حتى حير الفريقان وأذهل العينان وجعل يدمدم بالافرنجيه واللغات الاندلسيه ويطلب البراز وسرعه الانجاز فلم يجسر أحد يبرز إليه ولا يدنو منه ولا يقف قدامه ولا بين يديه لعلمهم أن الخيل تنفر من الفيل ولا يطيقوا بالثبات قدام ركاب الملك جنطيائيل فلما رأى أن أحدا لم يبرز إليه ولا قدم عليه صعب ذلك عليه وكبر لديه وجال يقبله وحمل على عشائر الروم فزلزل بحملته الأرض من تحت التخوم فشمت الخيل رائحه الفيل وإليه نظرت فهربت منه وشخرت ونخرت وتأخرت من بين يديه وتقهقرت قدامهم فضربهم بسيفه العصال ولم يزل فى حملته حتى قتل مائتين وخمسين من الرجال والابطال وبعد ذلك رجع إلى الميدان ونادى باللغات الاندلسيه بالثارات ولدى عنار وجعل يشتم بالافرنجيه ويطلب البراز وأول ما طلب عنتر فارس الحجاز وبعده يبرز إليه كوبرت ومن يكون تحت يديه من الفرسان وكذلك هرقل ابن الملك قيصر ومن معه من الشجعان وطلبهم كلهم أن يبرزوا إليه فى الميدان حتى يأخذ بثأر ولده عنان وصاح بصوت مثل الرعد القاصف وجعل يلعب فوق ظهر فيله مثل الريح العاصف وصار يشتم عنتر ويبرطل عليه ويطلبه أن يبرز إلى بين يديه هذا وقد سمع كوبرت ما تكلم فاعلم أبا الفوارس عنتر وأخبره بما شتم وبما منه إليه قد جرى وصدر فلما سمع ذلك صعب عليه واحمرت

عينيه وقامت شعرات شاربيه وابيضت شفتيه وصار عبرة لمن ينظر إليه وأنه لم يجد على ذلك مصطبر دون أن قفز على ظهر جواده الابجر وجال فى ذلك الوقت جولانه المعروف وأنشد يقول :

احن إلى ضرب السيوف القواضب ... وأصبو إلى طعن الرماح الكواعب
واشتاق كاسات الموت إذا صفت ... ودارت على رؤوس السهام النوائب
ويطربنى والخيل تعثر بالقنا ... حداة المنايا وارتهاج المواكب
وضرب وطعن تحت ظل عجاجة ... يجبنح الدجا عند امتداد السلاهب
تقاوز رؤس السمر وسط ظلامها ... وترهج منها كالنجوم الثواقب
وتلمع فيها البيض من كل جانب ... كلمع بروق فى ظلام الغياهب
لعمرى الفخر والمجد والعلا ... ونيل الأمانى مع بلوغ المآرب
لمن يتقى للحرب منه بهمة ... لها فى أعالى المجد أعلا المراتب
ويهجم فى أبطالها وسراتها ... بقلب صبور عند وقع المضارب
وأجرد غضباً باترا ومشقفا ... بعزم جرى لا يخاف النوائب
وأبنى بحد السيف مجدا مشيداً ... على غيهب العلياء بين الكواعب
ومن لا يرى رمحه من دم العدا ... إذا اشتبكت سمر القنا والقواضب
ويعطى القنا الخطى فى الحرب حقها ... ويغزى بحد السيف عند المناكب
أعيش كما عاش الذميم بذلة ... وإن مات لا تندب عليه النوادب
ولا تندب البيض الجبان تأسفاً ... سوى الفارس المندوب بين المواكب
أنا البطل المعروف فى حومة الوغا ... وفارسها المقدام بين الأعارب
يبيد الأسد العرين والضيغم الذى ... يكشر عن أنيابه والمخالب
الأسود الضاريات إذا سطت ... ومفترس الأشبال وسط السباسب
أنا عنتر العبسى ابن زبيبة ... ومفترس الأشبال وسط السباسب
ستنظر ما تلقى وأن كنت ناكرا ... أنا الأسد الموصوف بين الكتائب
سأقسم بالمبعوث من نسل هاشم ... ويصدق ظنى فيك يا نسل كاذب
نبى حباه الله بالصدق والوفا ... محمد المختار زين الأطايب
وأيده بالمرتضى ليث غالب ... وأصبو إلى طعن الرماح الكواعب
وإن كنت لم أدرك أوان ظهوره ... فانى لهم ممن يحب مناسب
وحبى لهم فى خاطرى وضمائرى ... قد فزنا بذكرة عن سطح بين الأعاريب
فصلى عليك الله ما هب الهوى ... وما باح قمرى وسارت وكائب
يدونك يا جنطيائيل قيد سميدع ... سرى ذكره فى شرقها والمغارب
محب لآل المصطفى معدن الوفا ... مقيم على حسن الوفا غير كاذب

(قال الاصمعي وجهينة وحازم المكي) لما سمعوا هذه الابيات من عنتر بن شداد ولما فرغ الامير عنتر من هذا الشعر والنظام سل في يده الحسام يريد الحرب والصدام بعد ذكره لسيدنا محمد رسول الله الملك العلام وهمز الابجر فيأخر به وسخر وتخر وتقهقر قال فلما رأى عنتر جواده على ذلك الحال ترجل عن ظهره وقد حصل له انذهال وزاد به الغرام لما ذكر سيدنا محمدا بدر التمام ومصباح الظلام صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الكرام قال وعا نقله الاصمعي المصنف لهذا الكلام أن الامير عنتر البطل الهمام قد استنجد بسيدنا محمد خمس مرات في المهمات العظام كان الله يؤيده ويستجيب منه الدعوات حين يذكر سيد السادات وصاحب المعجزات الباهرات وسأذكرها لكم مع الاشيات فكانت المرة الاولى وهي أصح الاقوال لما قتل الفيل المجنون فيل كسرى وقطع السلاسل والاغلال ونادى يا آل محمد النبي المفضال واتكافى السلاسل فطارت قطع من يديه ورجليه في عاجل الحال وفعل من قضاء تلك الاشغال وفي المرة الثانية لما قتل العبد زنجير الشرير الخنزير وأشد الشر بلا انكار وصاح يا آل محمد النبي المختار وذكر ابن عمه علي الفارس الكرار وضرب العبد زنجير بحسامه الضامي البتار أطار رأسه عن جسده في وسط مقفار والثالثة لما قتل الثعبان قدام الملك عبد هياف والرابعة لما قتل طود الاطواد واستنجد وصاح يا آل محمد سيد العباد ورسول الملك الجواد وكب يده ولكمه بين ثديه فكسر لوح صدره وعجل منيته وقضى عليه والمرة الخامسة في نوبة هذا الملك جنطيانيل لما قتله وقتل فيله قبله (قال الراوي) ورجعت إلى سياقة الحديث الاول بعد الصلاة والسلام على نبينا المرسل إلا أن لما ترجل عن جواده الابجر أخذ الطارقة بيده الشمال وجرد في يمينه سيفه الضامي الابتر وخط عليه كأنه الاسد اذا انذعر فعندها صاح فيه شيبوب أنت تجننت والا صرت مهبول وإلا يمكن لما كبرت ما بقي لك عقل رأسك ولا معقول أخبرني ماذا تريد أو تصنع حتى إنك ترجلت إلى هذا الاسد الادرع والله لو أنك مرأو لادقابيل ما كنت ترجلت لهذا الملك جنطيانيل الذي كأنه شيطان رجيم وتحته هذا الفيل العظيم وأنا أخشى عليك أن يدوسك ويسقيك كاس منيتك ويعجل في هذه البلاد رحلتك والا لو أنك ذو عقل أو تدري ما تفعل ما كنت ترجلت إلى هذا الشجاع البطل فقال له عنتر ويلك يا أبا رياح أي شيء هذا الكلام الذي تقوله لي والملام هو أنت لسيت فعلي بالجبابرة العظام فاني وحق من له البقاء والدوام وهو الواحد العلام لا لقيت هذ الفارس إلا بلا سلاح وترى ما أفعل به في هذا البراري والبطاح وتبقى تتحدث به الناس سير ويأخذوا منه عبر ويسمعون بفعلي ويتعجبون منه ومني ثم أنه خلع ما كان من عليه من لباس الزرد وقلع الخوذة من رأسه ورمى سائر الحديد المنضد ولبس حلة حمراء وتعمم بعمامة وتمنطق بمنطقة الملك كسرى ثم

أنه رفع أذياله فى دروع منطقته ووثب كأنه الأسد فلما رأت الروم إلى ذلك انبهرت وحارت منه وتعجبت وصلبت على وجوهها مما عاينت وتحدثت مع كوبرت وهرقل اين الملك قيصر وقالوا لها أما تنظروا إلى ما فعل فى هذا اليوم الأمير عنتر واحتقاره بالملك جنطيائيل الذى راكب على هذا الفيل الطويل فانى وحق المسيح خايف عليه ولا تقتل وينزل به التنكيل لانه إن هلك عنتر ما تبلح بعده ويحل بنا كل أمر وبيل والا يا ملك أى شىء هذا الفعل الذى يفعلها واعتقاره بالرجال فقال لهم الملك هرقل لا تفزعوا من هذا العمل لأننا قد سمعنا عنه وأيضا شاهدنا فعله أن عمره ما فزع من بطل لا من صغير ولا من كبير وإن هذا الملك ما هو عنده إلا إلا حقير وإنه بلغنى عنه من الأمور النفايس أنه عاش هذا العمر كله ما قهره فارس ولا رأى له طول العمل فى الحرب مقايس واليوم يكون آخر عمر جنطيائيل ولو أن المسيح بيده قائد الفيل وستر ما فعل به هذا الفارس النبيل قال فبينما هم على ما هم فيه من ذلك الكلام وإذا بزعقة شديدة تزعزع منها البر الاقفر وكانت الخيل من شدتها تكاد أن تنفطر وظن الفريقان أن السماء قد انشقت وبان المواعيد قد حقت وصرت الخيل لما أذناها وارتعدت من الرجال أبدانها ونفرت الخيل من تحت ركابها وولت من هول تلك الزعقة أصحابها وإذا بها صرخة عنتر عند نزوله لجنطيائيل قرلى من تحته الفيل فصاح جنطيائيل يا الفيل فضربه بسوط كان فى يده طويل فاضطرب الفيل فى بعضه البعض وأراد أن يهيج راكبه فى جنبات الأرض فرده صاحبه بتلك العمد الذى فى يده وأخذ يجول به طولا وعرضا وهو على ذلك الحال والهائل حتى قارب عنتر ووصل إليه وهو راجل وزعق ثانيا وهدر وزمجر فرآه جنطيائيل وهو كأنه الأسد إذا نذعر وقاربه وحمل عليه ودرقته وحسامه بين يديه فصعب ذلك الأمر عليه وأنا خالى من السلاح وعليه تلك الثياب الحرير الملاح فعلم أنه قد احتقره فعند ذلك امتلأ قلبه حنق وفاض ثم أنه استلب من تحت فخذه حربة مر تلك الحراب الفلاذ وزوجها إلى عنتر بعد إن صاح صوت يفلق الحجر نادى يا المسيح أنا قاتل اليوم عنتر (قال) فعند ذلك احترز عنتر عن حربته وسحبها على ظهر درقته وكسر حدتها بخبرته وحسن صنعته ومعرفته فلما رأى جنطيائيل إلى ذلك غضب ولطم قفته حيث ما صابت لعنتر طينته ثم أنه زج إليه حربة ثانية وقال فى نفسه لعل أن تكون المنية قاضية ورماها إليه بحيلة وقرته نقل الناقل عن أخيه شيبوب أنه قال رأيته يعنى وقد خطفها من الهواء وضرب بها جنطيائيل فجاءت بالتحرير والاستوى فى وسط زلومة الفيل فلم يكن له منها سلامه ولا درى إلا أنها دخلت فى جبهته وخرجت تلمع من خاصرته قال فوقع الفيل وقد اختبط فى بعضه البعض فلما رأى الملك جنطيائيل إلى ذلك غاب عن الدنيا ولم يبق يعرف السماء من الأرض ولا الطول من العرض فلما وقع عليه فيلة خطف عموده ووضعه على طاقته وجرى على

فقدمه حتى قارب عنترة وحذره بأنه يقتله ويعدو مهجته فانحرف عنها عنتر بخفته ورشاقته فوقع العمود إلى الأرض فغاب فيها إلى نصفه وقد سلم منها عنتر وتعجب عجب عظيم من شدة حيل هذا الجبار الجسيم وفي عاجل الحال هز عنتر وهز في يمينه حسامه الضامي الابتر وضاح فيه فتقبل وما تعدى من زعقته وانذهل وكان بزعقته قد استغاث واستنجد ونادى بأعلى صوته يا آل محمد سيد الانام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام وضربه بالضامي بهمته وشدته فجاءت الضربة في سرته فقسمته نصفين ووقع إلى الأرض دلوين فعندها زعقت عشائر الروم من الرهبان والقساوسة لاشلت يداك يا أبا الفوارس وقد علت منهم الضجات وكثر منهم الفرح والمسرات وصاحوا يا المسيح والانجيل من هذا الفارس النبيل وأما عشائر الاندلس فانها لما رأت ما حل بملكها تخلعت وانذهلت وبربرت عند ذلك بلغاها وحملت تريد الخلاص لأنفسها بما نظرت فتلقاها عنتر بمن معه من عشائر الروم والاجناد وأعانه على ذلك كوبات والملك هرقل بحث الفرسان على الحرب والطراد وحملت تلك الخلائق كأنها الجراد ورفعت أصواتها هذا وقد صاحت عشائر الافرنج وتدافقت مثل موجات البحار فتلقتها عشائر الروم مثل شعل النار فاهتزت الاطلال والدمن وعظمت المصائب والمحن وفارقت الرؤس البدن وتكسرت الطوائف على بعضها بعض وارتجت من تحتهم جنبات الأرض هذا والغبائر قد خيمت والجهات قد أظلمت والرجال تعادمت والجماجم انتثرت والبطون تفجعت والقنطاريات تحطمت والسيوف تكسرها والدماء انسكبت والارواح سلبت والروم والافرنج باختلاف لغاتها تجاوبت والموا كب من جميع الجهات قد تعرقت والقتلى قد صارت أكداس أكداس وضاقت في ذلك اليوم الانفاس وزاد الامر عن حد القياس وكثر الخطب والبأس وزاد عليهم الوسواس وعاد من كثرة الغبار كالاغلاس وبطلت من الرجال الحواس ولمع السيف في العجاج كالمقباس واشتعلت نار الحرب واشتد بالناس الخطب وزاد البلاء والكرب وكان ذلك اليوم يوم صعب على الناس فيه الطعن والضرب من الشرق إلى الغرب وغنت السيوف في الرقاب ووقع الضرب خطا وصواب وقطعت الاعصاب ونزل على الطائفتين في ذلك اليوم العذاب سكروا من غير شرب شراب ما ولى النهار وأقبل العلس وما في أحد من الفريقين نفس بل ضاع رسم الشجاع والدرس ونظر ملك الموت في وجوههم وعبس وما أشقى ذلك اليوم العلل للافارس عبس الاد هم وطرازها المعلم ولما رأت عشائر الاندلس منه ما حل بها من النقم صاحوا يا المسيح من قوة هذا الجبار الذي قتل ملكنا تركه مدود في القفار ثم قالوا لبعضهم وحق المسيح إلى هذا ما هو انسان وإنما هو شيطان أو عفريت من عفاريت الجان فيا ويلكم أهربوا والا يفنيكم بسيفه والسنان ويلحقكم بملككم الكبير وبولده سنان وقد رأيتم ما فعل الملك من العبر وما هذه فعال بشر وحق المسيح ومزمار داود إذا لم تهربوا بين يديه في القفار

وإلا مايبقى منكم ديار ولا نافخ نار ثم أنهم نادوا على بعضهم بالهرب قبل أن يجد خلفكم فى الطلب لأنه إذ تبعكم لا يخلى منهم لا رأس ولا ذنب فعند ذلك ولوا الادبار وركنوا إلى الفرار فتبعهم عشائر الروم إلى آخر النهار ورجعوا من خلفهم وأخذوا المال والخيام والأنعام وجمعوا الخيل الشاردة من تلك البرازل والاكام ولما رجعوا واجتمعوا بعضهم البعض وترجلوا كلهم إلى وجه الأرض وقبلوا يدين أبا الفوارس عنتر فقبل صدورهم وبين أعينهم وقد فرحوا ودقو الناقوس وتباشرت بذلك الرهبان والقسوس وبعد ذلك تشاوروا أهل ترجعون إلى ديارهم والديار وإلا يسيروا إلى مدينة الاندلس وتلك الجزائر والبحار ويملكوا ما حولها من البلاد والامصار فاتفق رأيهم على المسير إلى مدينة الاندلس يملكوها وكل العشائر التى تحمى تليها يملكوها فعند ذلك استراحوا فى ذلك المقام عشرة أيام وبعدها ساروا فى تلك القفار طالبين جزائر الاندلس وتلك الديار قال الراوى هذا ما جرى لهؤلاء وما صاروا (وأما) ما كان من المنهزمين فانهم لما وصلوا إلى الديار وهم مشققين الثياب متقطعين حايرين يكون بذلة وانتحاب وهم فى البرارى متفرقين عشرة وعشرين فلما وصلوا إلى بلادهم أعلنوا بالويل والثبور وعظائم الامور فلما سمع أهل المدينة ذلك النداء وشاع بينهم ذلك الفيل والقال فاجتمعوا إليهم وسألوهم عن سبب ذلك التنكيل وأين ملككم جنطيائيل فقالوا نحن نخبركم بالحال فقد فنيت الرجال وقتلت الابطال ولا بقى حال من الأحوال فقالوا لهم من فعل بكم هذه الفعال فقالوا فارس يسمى عنتر وهو لون القطران وهو شيطان فى صورة إنسان وشجيع ما يلتقى مثله فى هذا الزمان فانه أول ما لقى ملكنا جنطيائيل فقتل من تحته الفيل وتركه مجندل على الأرض هفير وقتل بعده ثانيا الملك جنطيائيل وضربه على وسطه بسيفه الصقيل جعله على الأرض شطرين وأرماه فى وسط القمار دلوين تال فلما سمع المقيمون من المنهزمين ذلك الكلام قالوا لهم كيف جرت عليكم هذه الأحكام لانكم رحلتم بعدد ورق الأشجار ومعكم الملك جنطيائيل الذى هو سلطان الاقطار ورجعتم وهذا الحال حالكم وقد حل بكم الدمار فحكوا لهم كيف جرت هذه الأحكام ولم يزالوا حتى وصلوا إلى الملك عبد المسيح ولد جنطيائيل وأعلموه بالخبر فقلق لذلك وتحير ثم سألهم عما جرى لهم وما حل بهم وناله وذكروا له كيف قتل أباه عنتر وكيف أتى من مكان معه من تلك العشائر فقال لهم البطريق من الذى فعل بكم هذه الفعال وأحل بكم الهوان هل بعلم سحر أو معه مردة الجان فقالوا له وحق المسيح ما قاتلنا بسحر ولا معه مردة ولا أهلكنا إلا بسيفه والسنان ورأينا معه فى ركابه اثنان كانها الجان يضربا بالسهام فيخرة الصدور ويقطعان بها النحور ويقلعان وهما دائرين من حواليه بجانب جواده فى الميدان فلما سمع الملك ومن حوله من أهل الاندلس ذلك القول تقطعت ظهورهم وحاروا فى

صورهم وبعد ذلك استشوروا فى شىء يفعلوه هل يقيموا حتى يأتى اليهم أو يمضوا اليه ويقاتلوه ثم قالوا لهم وهذا الاسود ما سمعتم أى شىء فى نيته هو يرجع إلى دياره أو الينا برجل فقالوا سمعنا أنه قاصد إلى ديارنا وبلادنا لانه قد أخذه الطمع فى عشائرنا واجنادنا هو ومن معه من العشائر والاجناد والرهبان والقسوس وكوبرت وهرقل فى أثرنا راحلين وقد حلف هذا الاسود بدينه والهه الذى يعبده لابد له من أخذ هذه البلاد ولو اقام عليها عشرة أعوام وبعد ذلك يسير إلى البلاد القريبة ويفتحها ويسير بعدها إلى الديار المصرية ويملك سائر البلاد وهذه الديار إلى أقصى الصعيد وتلك الامصار فقال لهم الملك وهذا الاسود بعيد المسيح ويقول بالدين الصحيح فقالوا له أيها الملك إنما هو رجل بدوى من سكان الصحرا والفدافد وما يعبد الا الاله الواحد ويزعم أن ليس ولد ولا والد فقال لهم وأى شىء حمل هذا الاسود على هذا الشأن هو يريد يعمل ملك وسلطان حتى انه يملك سائر البلدان واى شىء يكون للملك قيصر وليس هو من أهل ملته ولا يسجد للصلبان ولا يعبد الصور ولا يزور الكنائس ولا يعتقد فى المعيد ولا الديورة ولا الراهب إلا كبر فقالوا له وحق المسيح لولا هذا البطل الاسود ما قدر هرقل بن الملك قيصر ولا كوبرت الآخر يفتحوا الاقامة ولا بلد كانوا ملكوا جزيرة من هذه الجزائر ولا قدروا على ملك من هذه الملوك إلا كبروما كانوا تقدروا على هذه الامور واو اقاموا عليها أعمار الدهور وحق الانجيل والسيدة أم النور والراهب صافور وكنيسة الزرزور لو أن هذا الاسود عندنا وفعل معنا هذه الاشياء لكنا نملك ثم سائر الدنيا معهم أنهم قالوا والآن خذوا حذركم والا تروه قريبا عندكم يبيد انفسكم وادناكم ويقتل رجالكم ويعجل فنائكم (قال الراوى) فلما سمع إليك عبد المسيح ذلك الكلام ضاق صدره وحار فى أمره وزاد فكره وفى عاجل الحال أمر باحضار أكابر دولته ورؤوس مملكته وسائر وزرائه ورهبانه وقساوسته وقال لهم ان أبى قد ولانى عليكم برضاكم وأنتم تعرفوا ان لا اتولى عليكم الا بما يكون من أمركم وقضاءكم وانتم الان لامرى سامعين وعلى ما آمركم به تقولى طائعين فاذا تكونوا به على مشيرين (قال الراوى) فعند ذلك هاجوا فى بعضهم البعض والقوا رؤوسهم ساعة إلى الارض وقالوا كلهم على لسان واحدها نحن بين يديك بجمعنا وانت ملكنا وابن ملكنا ومهما أمرتنا به امتثلناه ولو امرتنا نخوض البحار لخضناها فقال لهم أنتم تعلموا أن هذا الاسود قتل الملك الليلمان وابنه سرجوان وكيف انفقت له هذه الامور وفتح جزيرة البلور وكيف ملك جزيرة الواحات وقتل الملك صافات وقتل ابن الدبر والشاهد وكان ربه على ذلك كله مساعد وبعد ذلك ارسل أبى ذلك الجيش مع أخى عنان فاملكه هذا الاسود فى الميدان وافنى جيوشه ومن معه من الفرسان وبعد ذلك سار اليه أبى

جنطيائيل فقتله قبله وأحل بهم العذاب الوبيل وأخبرونا الذين كانوا حاضرين أنه من فرط ضربته جعله على الأرض قطعتين وسار في ماجل الحلدلوين لولا عناية المسيح مع هذا الفارس الأسود ما كان قتل كل هذه الملوك وختم بابي السدد ولا كان فتح لا قلعة ولا بلد واني قد عولت أن أقل أمرا فلا تهملوه وشاوروا أنفسكم إن رأيتموه صواب افعلوه وإن كنتم ما تروه لائق لا تفعلوه فقالوا أخبرنا أيها الملك ما هو فقال لهم قد عولت على مصالحته وأترك قتاله ومعالجته وأرد بالحسنى عن بلادنا لا يهلك عشائرنا وأجنادنا ويحاصرنا ويملك بلادنا فقالوا له أيها الملك لقد قلت الصواب وأتيت بأمر لا يعاب فانه وحق المسيح وما مسح الذبيح كنا خائفين من هذا الأسود وشره لا يدوس بلادنا فقالوا له أيها الملك هذا رأي سديد قال ولما دار بينهم الكلام بهذه العبارة فرحت سائر الرهبان وفي ساعة الحال دقت الكؤسات وجهزوا الاقامات والعلوفات وأقاموا على هذه الحالات ينظرون ما يأتي من تلك الاشارات إلى ان كان يوم من بعض الأيام وهم على ما هم عليه من الاتفاق وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وبعد ساعة انكشف وبان للناظرين وإذا ببريق زرد ولمعان خود وعشائر ما لكثرتها عدد ولم يرا والي سيرهم الى ان اشرفوا على البلاد وقد اقبلت تلك العشائر كأنها الجراد يقدمها فارس عبس عنتر بن شداد وتلك الفوارس سائر كأنها العرائس المحلية وعلى رؤسهم البيارق والصناحق القسطنطونية فعند ذلك دقت الطبول الرمانية ونعرت البوقات النصرانية ولمعت الألسنة على رؤس القنطاريات وخفقت البنود والرايات واضاءت الطوارق ولعبت الأرياح في الأعلام والبيارق (قال الراوي) واقبل الأمير عنتر ابن شداد في مقدمة تلك العشائر كأنه برج مشيد او جبل قد تسربل بالحديد غائص في ثياب الورد النضيد وهو مقلد بالصامي الابتر معتقل برمحه الكعوب الأسمر راكب على ظهر حصانه الأبجر وشيبوب وولده الخذروف في ركابه كانهما ذكر نعام وكل واحد منهما كأنه أسد ضرغام وإلى جانبه اليمين هرقل بن قيصر والملك كوبرت الى جانبه لا يسر ولما رات اهل مدينة الاندلس الى ذلك الحال قالوا للمكهم عبد المسيح الصلح هو غاية الآمال فقد زال عنا قلوقنا الهم والوبال فعند ذلك خرج الملك من المدينة الى ملاقاتهم هو وارباب دولته وبين يديه رهبانه وقساوسته وفتح باب البلد من وقته وساعته وخرج لاستقبالهم البترك والكبير والراهب الذي يسموته صنافير ولا بقي شماس ولا مطران إلا وخرج ذلك اليوم من اجل ذلك الشان قال فهناك دقت كاسات الفرح والمسرات بالصلح والبشارات ونعرت البوقات ورفرت على راس الأعلام والرايات وفتحت سائر ابواب البلد وقد امنوا على انفسهم واخرجوا العلوفات والزاد والشي الفاخر من اطعمة تلك البلاد قال الراوي هذا وقد ترحل الملك عبد المسيح من وقته وساعته وترجلت بين يديه اكابر دولته ورهبانه

وقساقسته وسعى على قدميه نحو ابن الملك قيصر فعند ذلك ترجل هرقل وكذلك أبو الفوارس عنتر وترجل معهم كوبرت الآخر فعند ذلك تقدم الملك عبد المسيح إلى الأمير عنتر وقبل يديه فقبل عنتر صدره وبين عينيه وكانت قد نصبت لهم الخيام فنزلوا فيها واستقر بهم المقام وأكلوا مما راج من الطعام ولم يزالوا إلى أن فرغوا من ذلك الاهتمام فاستأذنهم الملك عبد المسيح فى دخولهم البلد وكان ذلك طلبا للراحة من الهم والنكد ففرح هرقل وانشرح وزالت عن قلبه الهموم والترح وكذلك كوبرت الآخر فرح فرحا شديد وقالوا كلما نحن فيه من سعادة عنتر الفارس الصنديد وكان فرحهم الذى أطاعهم ملك الاندلس من غير قتال ولا حرب ولا نزال هذا وقد أدخلهم الملك إلى البلد على حسب الطاعات وأنزلهم فى القصور والقاعات وقدم لهم البساطات وعليها من أفخر الطعامات وزادت بينهم الافراح والمسرات وقد أتت الخدام بالمأكول والمشروب فى أوانى الذهب والفضة والجواهر والمعادن التى نورها قد أضاء وفيها من سائر ألوان الطعام مأكل منه الخاص والعام وبعد ذلك قدموا آنيه المدام ودارت عليهم بالكاس والجام وكانوا قبل ذلك قد أحلوا عنتر وكوبرت وقرقل ابن الملك قيصر ومن معهم من أكابر العشائر دارا عظيمة واسعة البناء شاهقة فى الهواء هذا وقد أقام لهم الملك من عنده رجال يحفظون لهم خيلهم وما فيها من الأثاث والأثقال ولما أخلاهم الملك تلك الدار وكان السعد بها قد دار فامر الخدام أن ينقلوا إليها من الفرش شيء ما عليه من الزينة والديباج والستور الحرير والنخوت والسكراسى والأسرة والأوانى وغيرها مما يقوم عليه عشرين ألف دينار وأكثر من ذلك المقدار وبعد ذلك لما استقر بهم المقام وقد أكثر لهم من جزيل الانعام وبقى الملك كل يوم يركب ويركبوا معه تلك الجماعة ويفرجهم على مدينة اندلس وما حولها من بساتينها وأشجارها وأثمارها وجريان أنهارها ولم يزالوا يخرجوا من مكان ويدخلوا إلى مكان إلى ان أدخلهم إلى بستان عظيم القدر والشان ما مثل فى سائر الاقاليم كأنه جنة النعيم فيها أنهار جاريات وأشجار باسقات وأطيار زاعقات تسبح رب الأرض والسمرات وقد اجتمع فى ذلك البستان من غرائب الصفات ولو شرحنا وصف ذلك البستان لطال الأمر وكل اللسان ومن التطويل كلت الهمم (قال الراوى) فتعجب الملك هرقل وعنتر وكوبرت ومن معهم فى ذلك المقام حضر من ذلك القصر والبستان الذى ما يجتمع فيه إلا كل حبيب لانهم ما شاهدوا مثله هذا وقد أجلسهم الملك عبد المسيح فى مكان عال فيه لواوين وشاذوران وهو قصر عظيم ما يوجد مثله فى ذلك الزمان منظم بانواع الفصوص الملونة الغالية الاثمان وهو ما بين فروشات مطرزات بمساند محشوة بريش النعام وأجلس هرقل فى الصدر كأنه بينهم عظيم المقدار وجلس عنتر بجانبه اليمين وجلس كوبرت بجانبه اليسار هذا وقد أمر الملك بمد السماط ووضعوا فيه من سائر الطعامات المفتخرات ومن

سائر أصناف الحلويات وتقدم الأمير عنتر وأكل من ذلك الطعام الذي ما رأى مثله إلا عند كسرى وقيصر وبعد أن فرغوا من أكل الطعام قدم إليهم آنية المدام ودارت على الكاسات والطاسات وطالت لهم الأوقات وانبسطت السادات. ما بقوا هم فوا هم في أرض أم في سموات وغابت عيونهم عن إدراك الموجودات ولم يزالوا على تلك الحالات مدة ستة أيام متواليات وبعد ذلك قام ملك الأندلس وخدم ودعا لابن الملك قيصر بدوام دولته والنعم وسأله أن عليه خراج في كل عام يحملوا إليه بالرضا والإكرام ولم يزالوا على ذلك مدة شهرين تمام وبعد ذلك أحضر لهم الهدايا والأنعام من تحف تلك البلاد العظام وأعظم أموال ما تأكلها النيران فشكروه على فعاله وزاد له من الثناء والإحسان وأرادوا أن يعودوا إلى ديارهم والأوطان فقد طالت غيبتهم عن الأهل والخلان فقال لهم الملك عبد المسيح أيها الملك الجليل أريد من إحسانك أن تصبروا على قليل حتى أني أكاتب ملوك البلاد التي تحت طاعتنا ونيصر من يطيعنا ومن هو الذي يعصى علينا فمن أطاع فله مالنا وعليه ما علينا ومن عصى أعلمناكم فافعلوا فيه ما أردتم يحتى يحمل الخراج إلينا قال فلما سمعوا منه هذا الكلام أطاعوه وسمعوا لقوله وأقاموا الليالي وأيام وقرح هرقل بما ملك من تلك البلاد والجزائر وعلم أن هذا كله بسعادة عنتر الأسد الكاسر هـ. وقد كتب الملك عبد المسيح إلى سائر الجزائر والبلاد العربية والأقاليم البحرية القصية عنها والدنيا وهو يعلمهم بما جرى من الخبر وأنهم دخلوا تحت طاعة الملك قيصر وسارت بالكتب القساقسة والرهبان لأنهم عند الأفرنج عظماء الشأن فلم تكن إلا مدة ليلة من الزمان حتى أطاع وأجاب صاحب برقا وصاحب تونس والقيروان وكذلك هرمس صاحب اسكندرية وحاكم الديار المصرية وكان أول من أقبل صاحب برقا ميخائيل بالطبول والأعلام والصناجق والصلبان فتلقوه وبجلوه وأنزلوه وأكرموه غاية الإكرام لأنه بعده الملكين صاحب تونس وصاحب القيروان بالطبول والزمور والكؤسات والبوقات فأنزلهم صاحب الأندلس بأعلى مكان وقد فرحوا جميعهم بهذا الشأن وكان صاحب تونس مطروس واسم صاحب القيروان كردوس ولم يمشوا إلا قليل حتى أقبل صاحب اسكندرية وكان يحكم على الديار المصرية وكان اسمه هرمس بن العرنوس وكان له ولد يسمى المقوقس وقد أتى طائعا لعبد المسيح بن جنطيائيل وأيضا إلى هرقل الملك النبيل وكان سبب إطاعتهم لما سمعوا ما فعل عنتر بالملك جنطيائيل وكيف قتله وقتل فيله وكسر عساكره وفعل بهم ذلك الفعل الوبيل (قال الراوي) وهؤلاء الملوك الذين ذكرناهم هم الذين أجابوا إلى طاعتهم والباقي عصوا عليه وعولوا على مخالفته وقد طمعوا في ملكه هذا وقد فرحت الملوك بإجابتهم إلى بعضهم البعض وماجت العشائر التي أنت معهم حتى لا ترى الأرض ودقوا الطبول الكؤسات ونعرت البوقات والزمور وفرحوا بهذا الأمر الملوك

والسادات وقد ذكرنا أن هؤلاء ما أتوا إلا خوفا من عنتر بن شداد الذى اشتهرت شجاعته فى سائر البلاد وكيف علا على الشجعان وسادوسموا ما فعل بالملك جنطيائيل وقالوا لولا أن هذا الشيطان عظيم وشجاع جسيم ما كان قدر على هذه الأقاليم وخافوا منه على بلادهم وأن يسبى نساءهم ويأخذ أموالهم وأولادهم وتعجبوا أيضا كيف ملك جزائر الواحات وقتل الملك صافات فاتوا إليه خوفا من هذه النكبات ودفعوا عنهم بالصلح هذه النائبات واتفقوا على على وزن المال وجد ذلك قدموا الطعامات المفتخرات وجلت الملوك والسادات وبعد المدام والابارين والطاسات وهم فى فرح ومسرات والأمير عنتر طالت به الغيبات فصار يتحسر حسرات متتابعات ويتمنى الرجوع إلى بلاد الشام هذا وهم فى غاية الاكرام مدة من عشرين يوم على التمام وكانوا هؤلاء قد أتوا ومعهم الأموال والانعام شىء ما تاكله النيران من قماش اسكندرانى وتفاصيل مصرى وأيضا أتى من تحف القيروان وبرقا وتونس وسائر البلدان وبعد ذلك حلف عليهم صاحب برقا الملك ميخائيل بن مكحول أن ياخذهم معه إلى ديار ويتشرف بخدمتهم بنفسه فاجابوه الجميع بالسمع والطاعة ولم يتاخر أحد من الجماعة وساروا معه من تلك الساعة وفى مقدمتهم الأمير عنتر على ظهر جواده الابجر وقد ضاق لطول غيبته صدره وحار فى أمره وشيبوب والحذروف بين يديه وإلى جانبه الملك عبد المسيح وقد أحبه حبا شديد وصار ينادمه ويسأله عن أهله وبلاده وهو يحكى له على ما جرى له وهو يتعجب من أحواله وإلى جانبه الملك هرقل بن قيصر وإلى جانبه الملك كوبرت وهو كانه الأسد القسور وهو يقول وحق خالق العباد كل ما فتح لنا من البلاد بسعادة أبى الفوارس الأمير عنتر بن شداد الذى كانه نار خرجت من زناد

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى أن قربوا من مدينة برقا فلاقتهم أهل المدينة بالفرح والمسرات ودقت الطبول بالفرح والبشارات وانتشرت على رؤسهم الاعلام والرايات وكان لدخولهم يوم ما رأوا مثله فى هذا الزمان وطلعت اهل المدينة ومن حولها من البلاد إلى ملتقاهم والفرجة عليهم وقد تجمعوا من سائر الجزائر والوهاد واخلوه فى زينة ما فرح بها ابن شداد عاد وزينت المدينة بالزينة الفاخرة وقد ترحل ملك المدينة ميخائيل وسار ماشى فى ركاب عنتر وارادان يقبل فى الركاب قدميه فاستحى عنتر ورمى روحه عليه وكذلك فعل هرقل وكربرت وترجلوا كلهم إليه ومشوا الجميع حواليه حتى وصلوا الى مرج فائح الزهر فى جنباته قد فتح وزاد فيه انحدار الانهار ونزاعقت الأطيار على سائر الاشجار وهذا ما كانه الا روضة من رياض الجنان وجلس عنتر وهرقل وكبرت فى صدر المجلس وجلسوا الملوك عن أيمانهم وشمالهم وهم ينظروا ويتاملون عنتر بن شداد ويتعايدوا حسن اوصافه ويتعجبون من خلقته وغلظ سواعده وكبر اطرافه ويتميزوا

إلى أعطافه ويتادموه ويستحكموا منه ما جرى له . هو يحكى لهم ما كان من مبتداه وما اتفق له فى منشاه (قال) وقد أمر الملك ميخائيل بمد السماعات فدوها وأتوا بالطعامات ووضعوها عليها وكان لحومها من سائر الوحش والاطيار مما يحير النظار وقد وضعوا فيها من جميع الألوان وهى فى أوانى الفضة والذهب فتقدموا وأكلوا هذا وعنتر قد أكل من ذلك الطعام وتلك الألوان التى هى الذمن العالية فى الأبدان وهو قد برك على ركبتيه وأطرق إلى الأرض بعينيه وصار يكش بالخسة ويدفع بالراحة ولا يحرك فيه وقد أكلت الملوك والوزراء وسائر الأكابر والأمراء وقد أكل من ذلك الطعام الخاص والعام وبعد أن اكتفوا من ذلك رفعوا أيديهم من المواكل بعد ما أكل منهم القائم والقاعد وبعد ذلك دخلوا ولاد البطارقة بآنية المدام فى طشوت الذهب واوانى الفضة وأقداح البلور العظام وابارين المعادن المدمكة التى ما توجد عند أحد غيرهم من الأنام وصب الخمر فى الكؤس كأنه اللبيب يحاكى وجنات الحبيب وتجاذبت الملاهى من سائر الجنبات ودارت أقداح الشراب والكاسات حتى خامرت الخمر العقول ووجد سرور ليس له محصول إلا عنترفانه كان فى ذلك الحال وهو ماينظر ذلك النعيم الا خيال لأن جسمه حاضر وقلبه غائب فى الديار واطلال الوحوش إلى عبلة قد طال هذا والملوك تباسطه وتمازحه وتحسن وداده ولم يزالوا فى بسط وانشراح مدة عشرة أيام على التمام والملك ميخائيل يزيدهم فى الاكرام فعند ذلك قامت الملوك على الاقدام وشكروا الملك ميخائيل على هذا الاكرام وقام من بينهم صاحب تونس الملك المطروس وقال اشتهى ان تشرفوا اراضى بوطيء اقدامكم وان تجبروا خاطرى تاكلوا ضيافتى فيسير واصحبه إلى تونس ويقيموا عنده عشرة أيام وهم فى اعظم مايكون من الانعام والاكرام وصاحب تونس افراح الخلق بالامير عنتر وبمن صحبة من الملوك (قال الراوى) ولما كان فى اليوم الحادى عشر قام ملك القيران على الاقدام ووقف قدام الملوك وترجم وتكلم وقرر عليه حمل فى كل عام بعدان يمضوا إلى ديارهم ويأكلوا ضيافته ويجبروا بخاطره كما تعلو مع أخوته (قال الراوى) فلما سمعت الملوك الكلام قاموا الكل على الاقدام وأجابوه إلى ما أراد فاقبل هرقل بن الملك قيصر على أبى الهوارش عنتر وقال له يافارس عدنان قد بعدت عليك الأوطان وإن كنت أنت تحب عبلة وفى حبها ولهان فانا الاخر زائد الاشجان ومنطلق فى فلك أشعة لنيران وقد زاد فى الغرام لاجل الملكة مريمان وإلى رؤية ديارها والاوطان ولكن ياأبا عفوارس لو أعطيناك كل ما نملك من مال ونوال ما جازيناك على بعض ما فعلته معنا من المعال وكل طاعة هذه الملوك لنا من جملة سعادتك والاقبال وأن من تمام جميلك والاحسان دعنا نمضى مع هذا الملك إلى مدينة القيران ونرجع بعد ذلك نسير الى ديارنا والاوطان فقال عنتر مهما تقوله يا ملك كان (قال الراوى) ولما فرغوا مما كانوا

فيه من ذلك الأمر والشأن ركبوا وساروا في صحبة الملك كردوس صاحب القيروان ولما تكامل سيرهم سبعة أيام وصلوا إلى القيروان ودخلوا المدينة وأجلسهم الملك بقصر دار المملكة وأقاموا عنده أيام وهم في أعظم ما يكون من الإكرام ولو شرحنا ذلك لطال الكلام وبعد ذلك أقام هرمس ملك اسكندرية والحاكم على الديار المصرية وقال له يا معاشر الملوك وسائر الاكابر والاصاغر ما بقي إلا أخاكم هرمس يريد من إحسانكم وأنعامكم أن تشرفوا بلاده بوطيء أقدامكم لعلى أحظى بخدمتكم ويكون ذلك من تفضلاتكم ونعمكم وأفرج فارس عيسى وعدنان على مدينة اسكندرية وما حولها من البلدان فأجابوه الجميع إلى ذلك ثم أنهم جهزوا المراكب وزينوها بالبيارق والصناجق والبنود هذا وعنتر قد كره الحياه وبغض دنياه حيث أبعده هذا البعد عن محاوبته عبلة وصار في قلبه من ذلك دبلة هذا وهرقل وكوبرت وسائر الملوك يشكروه ويثنوا عليه وشيبوب والخذروف واقفين بين يديه وقد نزلوا بتلك المراكب ولم يتأخر من أجناد الملوك لا قسيس ولا راهب ولم يزالوا سائرين بهم الرؤساء حتى أشرفوا على مدينة اسكندرية هذا وقد علم بهم نائب المدينة فخرج إلى لقائهم وخرجت البنات من خباها وماجت المدينة بأسرها وكان لقدومهم يوم مشهود وزينت البلد بالاعلام والبنود ونعرت البوقات ودقت الكؤسات وخفقت على رؤسهم الصناجق والرايات وقد طلعت الملوك من المراكب وهم كتائب ومواكب يقدمهم أبو الفوارس عنتر وعن يمينه هرقل بن الملك قيصر بوجه مثل دائرة القمر وصارت أهل الاسكندرية وتلك البلاد يتعجبون من هيبة عنتر وغلظه وطول قامته وانزعاج عينيه وهول منظره وكبر هامته وقد مسك صاحب أسكندرية يد أبي الفوارس عنتر وجعل يده الأخرى في يد ابن الملك قيصر ثم تقدم الملك هرمس بين أبطاله ورجاله وعنتر عن يمينه وهرقل عن شماله وعبد المسيح أمامه وبقية الملوك ماشيين وراءه وقدامه وهم يشقون الأسواق والحارات وأهل البلد قد علت منهم الزعقات وأكثروا من الصياح والضجات والناس قد صاروا من أعالي الأصوار والأسطحة والحيطان يتفرجون على شجيع عبس وعدنان وفارس العصر والأوان هذا وعنتر يدور بعينه في مدينة اسكندرية فرأها كأنها النجمة المضيئة بحيطان وقصور وأبراج ولم يزل الملك هرمس حتى وصل إلى قصر المملكة فرأوه قصر ظيم ما مثله في سائر الأقاليم وهو يشرف على البحر والجزيرة ولما رأوه لحقهم من رؤيته الانبهار والحيرة لانهم نظروا إلى قصر من عرعز مصفحة بالذهب الأحمر ملعمة بسائر المعادن من الزمرد والياقوت وقضبان المرجان وفصوص الجوهر ونظروا فيه إلى أربع قاعات عظيمة مرحمة وكل قاعة ستة عشر أبواب متقابلة ببعضها وقناطرها معقودة مقسومة وبين الكل فساقي وشاذروانات ينحدر منها الماء كأنه الغدران وبدائرهم سباحات من رخام مطعم من سائر الألوان شيء قائم وشيء نائم وقد

أوصلوه إلى نصف البنيا ، وألوانه مختلفة شيء أخضر مسنى وشيء أحمر عندمى وشيء أسود سبجى وشيء أبيض دلجى ما مثله فى سائر الوديان ودائر على تلك البركة عشر مناطق طيور مسمومة والقلب إلى عاعها رتاح وهى زاعقه متجاوبه بأعظم الصياح قال ولما رأى عنتر إلى ذلك تعجب ومن مناداة الطيور أخذه الفرج والطرب هذا والملك هرمس قد أجلسهم على تلك الأسره العالية والمقاعد المرتفعات بعدما خلع عليهم الحلع الغاليات من القرش الاسكندرى والشقق المذهبات وقد أجلس عنتر وهرقل وكوبرت فى صدر تلك السادات والملوك عن أيمانهم وشمائلهم فى تلك الحضرات ثم أمر بمد السماطات فوضعت بين يدين تلك الملوك والسادات وعليه ما يكون من أفخر الطعامات وهى من سائر الطيور والماكولات من الدجاج المشمن والأوز الملاح العظيمات ومن سائر لحوم الوحوش التريات والغزلان وأكلت الناس من تلك الأطعمة الفاخرات هذا وعنتر لما نظر إلى تلك الأطعمه الشهيات جعل يأكل لقم كبارها تلات وقد طاب له ذلك العام لأنه ما أكل مثله إلا عند كسرى وقيصر ملك الأروام ولم يزالوا الناس على ذلك الحال حتى اكتفوا واشتغال الطعام وبعد ذلك أتوا بآنية المدام فى السلاحيات العظام وصارت الكاسات عليهم دائرات وغنت المطربات ورقصت الجنيكيات من عظم الفرح والمسرات ولم يزالوا على تلك الحالات أربعة وعشرين يوم متواليات وهم فى كرامات زائدات قال ثم بعد ذلك طلبوا الأذن فى الرواح والعودة إلى البلاد بعد أن رتب عليهم الأمير عنتر الخروج والعداد وذلك برضاه كما انتهى وأراد فعند ذلك قدم الملك هرمس لعنتر مائة رأس من الخيول الجنائب ما تقدر ترفع رؤسها بما عليها من الآلات والمواكب والدروع والقباب والقنطاريات والقواضب وعشرين من البغال على كل بغل صندوقين مال والبعض منها قماش مصرى وتحف أسكندرى غوال وقال هذه هديه منى لأبى الفوارس عنتر وأما حمل الخراج يكون لملك قيصر خلف هرقل أنه لا يأخذ منه مال ذلك العام إلا يكون كله لعنتر على التمام فقال الملك هرمس سمعا وطاعه ولكن لابد أن تأخذ للملك الكبير شيء يسر به الفؤاد وهذا يكون خارجا من الخراج والعداد الذى رسم به الأمير عنتر بن شداد هذا وسائر الملوك يهدوا إلى عنتر كما أنهم يهدوا إلى قرقل بن الملك قيصر ومنهم من أهدى له شى كثير وبعد ذلك أقبل هرمس ملك أسكندرية وقال لعنتر يا فارس العرب القصية والدنية ما تقيم عندنا فى هذه الديار المصرية وأنا أرسل رجال ياتون بزوجتك وسائر بنى عمك وتسكن فى بلدنا وإن أردت زوجتك أخت المقوقس ابنتى وأنا سمك فى مملكتى وأسلمك جميع نعمتى فقال له عنتر أيها الملك دامت نعمتك ويسلم لك المقوقس وابنتك وأننا ما نعود نحن على سكن بلدان ولا ناوى جدران ولا حيطان ولا سكن إلا فى البرارى والقيعان وتعيش أنت وتدوم يا ملك الزمان قال فبينما هم فى ذلك الكلام وإذا برسول قد دخل عليهم

وقبل الأرض وأبدى السلام وقال له أيها الملك المفضال اعتد للحرب والقتال وأجمع ما عندك مع العشائر والرجال فقال ويلك أخبرنا من قد طلبنا من الملوك الثقال وعندنا فارس عبس الأسد الربال الذى ما تقدر تقابله أسود الدحال وكان هذا البطريق من خواص الملك هرمس فقال له أعلم أنه قصد إليك الملك كندربوس صاحب البهنسا ابن كرماس قال وكان السبب فى ذلك أننا كنا قدمنا فى هذا الديوان بأن هذا كندربوس بن كرماس صاحب البهنسا والملك سندارس صاحب اهناس كانا الاثنان أولاد عم الملك جنطيائيل صاحب الفيل وذكرنا أنه أرسل بن عمه عنان وبأن غباره لعنتر وهرقل فى الميدان وأخبر هرقل لعنتر فارس عدنان بأن ابن عمه كندربوس كرماس صاحب البهنسا وإهناس وقال عنتر لهرقل إست أمه واست أولاد عمه وبعد ذلك طيب قلوبهم عنتر وأوعدهم بكسر ذلك الجيش ثم إنه بعد كسرها وأحل بهم الهوان بعد أن قتل ابن الملك جنطيائيل فى ذلك الجيش الثقيل وهو المسمى بعنان وبعد ذلك سار إليه أبوه الملك جنطيائيل فى ذلك الجيش الثقيل فقتله وقتل فيله وانهزمت عشائره فى ذلك اليوم فسيح وأتوا إلى ابن ملكهم هذا عبد المسيح وأخبروه بما كان من ذلك الأمر الصحيح وبعد ذلك صالح عبد المسيح لعنتر واستقال من قتاله واستعذر وكذلك كربت وهرقل بن الملك قيصر وأرادوا الرجوع هم وعنتر بن شداد فاعافهم عبد المسيح وقال حتى أعلم أمر ما تحت يدى من البلاد وكان مراده أن يثبت قواعد ملكه ومن لا يطيعه يسير إليه عنتر ويهلكه فأجابوه هؤلاء الملوك الكبار الذين يحكمون وعلى تلك الأقاليم الأمصار ففرح عبد المسيح فرحا عظيما بأجابة ملوك تلك الأقاليم والأمصار وكانوا كلهم بواسطة عنتر قد أجابوه ودخلوا تحت طاعته وصاروا يسيرون إليك ملك بعد ملك ويأكلون ضيافته فلما سمع هذا كندربوس صاحب البهنسا صعب عليه وقامت فى أم رأسه مقل عينيه وقام وقعد وارخى وأزبد وكفر الملعون وجحد والصور المصورة فى الحيطان سجد وكان فى نفسه شيطان مريد وجبار عنيد وكان يحكم على بلاد كثيرة من أرض الصعيد وما كان يبارز فارسا قط فى ميدانه إلا ويخطفه من على ظهر حصانه لأنه عاج عظيم وفارس جحجاح وكان يقاتل بسائر السلاح وما قهر قط فى زمانه ولا أخذه أحد فى ميدانه لأنه كان من نسل العمالقة الطوال وكان أشجع من جنطائيل فى القتال وأثبت عند الطعن والنزال وكان عارفا أيضا برمى السهام وأثبت أهل ذلك الزمن فى ضرب الحسام وكانت تخافه سائر ملوك الصعيد ويخشاه القريب منهم والبعيد وكان يحكم على حد أخميم وأسوان وإلى النوبة والبجار وتلك الفلاة والبيد (قال الراوى) وإنه لما سمع بما فعله ابن عمه عبد المسيح وبزعمه رأى أن تلك الفعال أمر قبيح فجمع وزراءه وبطارقته وامراءه كابر دولته وقال لهم ألا ترون ما فعل ابن عمى عبد المسيح وكيف صالح هذا

الأسود الذى يسمى عنتر وبأنه من قتاله يستريح وما كفاه ما لحقه من العار فى سائر البلاد حتى أرسل إلى يطلب منى الخراج والعداد وأن يأمر ما كانت الملوك تطيعه وتؤدى إليه المال إلا أنهم كانوا يخافون من سطوتى فى الحرب والقتال ولما سمعوا أنه قتل وانحلت به الرزية وكان أرسل إلى يستنجدنى وكنت أسير إليه وآخذ روحه من بين جنبيه فوا أسفاه على ابن عمى جنطيائيل حيث طلع ابنه هداعد المسيح جبان ذليل والا لو كان عنده تدبير الملوك وما يفعلوه من الأمر المتوك كان أرسل أعلمنى بما جرى عليه حتى كنت أسير إلى هذا الفارس الأسود واتجرد للقائه وقتاله وأفعل به كما فعلت بأمثاله فقالوا له ما كابر دولته أيها الملك إن ابن عملك من جبانته ومهانته ومن خوفه من هذا الأسود لا تقتله ويعدمه مهجته فاحتاج أن يدارى عن نفسه بوزن المال والخراج عن مملكته فقال لهم إنى قد عولت أن أكاتب أهل البر الطويل وأعلم الملوك الذى كانت تحت طاعة عمى جنطيائيل وتجمع لنا جيش كثير ونسير إلى عنتر فى محفل كثير ونقتله ونقتل أيضا هرقل وكوبرت الحقير ونفنى عشائرهم وأجنادهم وبعد ذلك نسير ونملك بلادهم ونأخذ مدائن الواحات ونخلص ثار الملك صافات وإذا قتلنا عنتر سرنا وملكنا قلعة البلور فقالوا له أيها الملك لقد قلت الصواب ونظر ما يردون الملوك من الجواب قال فعند ذلك كتب كتب كثيرة وأرسلها إلى من تحت يده من البلاد وأرسل يطلب منهم العشائر والأجناد قال وكان من جملة ما كاتب قرس صاحب دمشور وكان بطريقا عظيما وأرسل أيضا إلى سوخال صاحب الأشمونين الشيطان الرجيم كتب أيضا إلى قراقيش وإلى صاحب أخميم وكتب إلى كردوبس صاحب أسوان وكتب إلى ملك النوبه ومن تحت يده من السودان هذا وقد سمعت اهل الصعيد بقتل جنطائيل وتولية ابنه المسيح الذين يزعمون انه ذليل جبان فاجت بهذا الأمر تلك الأرض وكاتبوا بعضهم البعض وقد انى الملك مكشوح ملك البجاو والملك عفلق ملك النوبة وتلك الفلاه هذا وقد التمت العشائر من سائر البلدان وا تدوا جميعهم بالعدد الكاملة وكان اجتماعهم على اسوان ولما قدمت عشائر النوبة وتلك البلاد على رؤسهم الخود العادية وبايديهم الدرق والسيوف المجلية الصقال وقدامهم القساقسة والرهبان قد رفعوا الصلبان هذا والملك كندربوس قد ركب بينهم كانه برج مشيد وقد تسربل بالزرد النضيد وقد كثروا من الزمر والطول حتى ارتجت بهم الأرض عرضا وطولا ولما تقابلت الملوك فى تلك الأرض سلموا على بعضهم البعض واقبلوا على الملك كندربوس وقالوا له وحق المسيح الجليل من يوم ملك الملك جنطيائيل دخل على قلوبنا حزن طويل وما العجب إلا كيف تصادق عبد المسيح هو وعبد سود وهرقل بن الملك قيصر ووفقهم ان يوزن لهم الخراج والعداد ويصانعهم عما يملك من البلاد فقال لهم خلوا عنكم انتم وابن عمى عبد المسيح وما فعله من

هذا الأمر الذى هو غير صليح فقد صالحوه ملوك الغرب والشرق والجزائر البحرية وكان سبب ذلك ميخائيل صاحب برقا وأيضا صاحب تونس وهرمس ملك اسكندرية والحاكم على الديار المصرية القصية والدنية ومن العجب كيف أطاعه هؤلاء الملوك الثقال بلا حرب ولا قتال وحملوا له الخراج ولم يقع بينهم وبينه احتجاج وقد أرسل أيضا يطلب منى أنا الاخر طاعته وأنا ملوك الأرض تتعلم منى الشجاعة أيظن أن مثله ذليل جبان ولا أثبت للحرب فى الميدان فلما سمعت ذلك كاتبتكم وجمعتكم لأجل تسيرون معى إليه كلكم وتقتلوه وتقتلون هذا الأسود معه وتهبون من الأموال كل ما جمعه وأنتم معكم هؤلاء الاقيال وعليها هؤلاء الرجال الأقيال فاستعدوا وسيروا اليهم بجمعكم حتى أجمع بقية من عندى من العشائر وأتبعكم لأنه قيل لى عن هذا الأسود أنه ما يفزع من أحد ولا يهوله من العشائر وكثرة العدد وإذا لم تجمع على هذا الشيطان المريد كل من فى أرض النوبة وبلاد الصعيد وإلا ما ننال ما نريد قال فلما سمع الملوك من كندريوس ذلك المقال صغوا اليه وشكروه وأيقنوا ببلوغ المرام ثم أنه أمر بعد ذلك لوقت أن ينتدب عشرين بطريق كل واحد منهم مثل الفتيق وقدم كل واحد منهم آ على عشرة لاف ما فيهم من يفزع من الموت ولا يخاف وقدم على الجميع بطريق جبار ما يقع على فروسيته عيار يقال له بر لص وكان طاغيا كفور ورفع له صليب من الذهب الأحمر وهو مرصع بالياقوت والجوهر ورفع على رأسه علم من الحر الأصفر مرفوع فيه صفة الشمس والقمر هذا وقد جمله بالخيام والسرادقات وخففت على رأسه الأعلام والرايات ودقت الكوسات ونعرت البوقات وأوصاهم أن لا يكونوا فاترين العزمات فاجابوا بالسمع والطاعة وسارت العشائر من تلك الأرض وهى يتلو بعضها بعض حتى قربوا من الباب الكبير فخرجت اليهم البطارقة والأمراء وفى أوائلهم بطريقها وكان اسمه فقريطوش فتلقاهم بالاكرام والانعام وكان قد خرجت اليهم فى جمع كثير من العشائر والجيوش وتجملوا كلهم بالسرادقات والخيام ورفعوا على رؤسهم الأعلام والرايات وساروا الكل حتى وصلوا إلى برنش وأعمالها فخرجت اليهم بطارقتها ورجالها وفى مقدمتها بطريقها الكبير وقد تجمل بالسرادقات والخيام الحرير وسار معهم فى عشرة آلاف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس والكل قد استعدوا للقتال والحرب والنزال وقد ملأوا الدنيا شرقها والغرب ورآهم ذلك البطريق الذى قدمنا ذكره فى تلك الضجة القوية وأتى وأعلم هرمس ملك أسكندرية قال فلما تكلم ذلك البطريق بذلك الكلام وسمعوه الخاص والعام فرحت الملوك والعشائر فى بعضهم البعض واضطربت طولا وعرضا وقالوا وحق المسيح بن مريم والصليب المفخم ما هذا إلا أمر عظيم وخطب جسيم حيث جمع كندريوس هذه العشائر واتى الينا بهذه الدساكر وقد غفلنا عنهم حتى تسببت هذه

الأسباب وعملوا شيئا ما كان لنا فى حساب و.. كان الصواب إهمال أمرهم حتى وصل الينا شرهم ولكن ما بقى إلا مسيرنا اليهم بجمعنا وجيشنا واجنادنا وتتبعهم ولا ندعهم يدوسوا أرضنا ومواضعنا فقال سمع عنتر ذلك الكلام حلف بمن أرسى الجبال ويعلم كم وزنها مثقال لا سار اليهم أحد من الملوك الثقال ولا سار اليهم إلا هو فى بعض العشائر والابطال (قال الاصمعى) إلا أن القسيس لما ذكر للملوك ذلك الكلام وحلف عنتر بتلك الاقسام أنه لا سار اليهم إلا وحده ولمن تلك العشائر ويشتتهم فى سائر الاراضى والجزائر ويبيد الكل فى الميدان فلما سمعوا منه ذلك تعوذوا بالكنائس والصلبان فعند ذلك أقبل عليهم هرمس وقال لعنتريا أبا الفوارس إن كلامك زاد بنا الوسواس فلابد ما يسير معك مائة ألف فارس وأول ما يسير أنا بجيشى وأبطالى وعشائرى وأرسل إلى مصر أخبر ولدى المقوقس بهذا الخبر وأدعه يرسل لنا جيش ونسير كلنا إلى هذا المعجب بنفسه وندعك تقتله وتريحنا من غمه وتفعل به كما فعلت بابن عمه (قال الراوى) وكذلك قال الملكين أصحاب تونس والقيروان وملوك بلاد الغرب وتلك البلدان ووافقهم على ذلك القول ميخائيل صاحب بلاغاه وكان قد ازداد غيظا وحنقا واتفقت الملوك أن ترسل الرسل إلى بلادها وتجمع عشائرها وأجنادها فقال عند ذلك وثب عنتر من بين ذلك الجمع الكثير وقال لهم أى شىء هذا التفسير لا يسيرون وأنا أسير اليهم ولو أنهم بعدد ورق الشجر وقطر المطر والقاهم بحد هذا الحسام الذكر وادعوهم عبرة لمن اعتبر وتنظروا من عبدكم عنتر ما يؤرخ منه وتذكر وتتحدث به الناس وإذا لم أفرق هذه العشائر القادمة عليكم فى البر والفدفد وإلا فلعنوا العرب الذين أتى منهم عنتر على طول الابد ثم أنه لما فرغ من ذلك الكلام حلف وشدد فى الاقسام بمن له البقاء والدوام وحلق سائر الايام لا أقام غير ذلك اليوم تمام ومن الغد يسير إلى البهنسا والاهناس ومعهم هذا الجيش وملكهم الذى يسمى كندروس بن كرماس ويقتله ويقتل بطارقته ورهبانه ويفنى عشائره وسائر أعوانه ويقتل أيضا ملوك النوبة والبجاة ويشتت شملهم فى الفلاة فى كل أرض لأنى ذكرت لكم قبل هذا الوقت أنى معتاد بقتل الأفيال وأرى أمرنا وسفرنا قد طال ومرادى العودة إلى الديار والاطلال (قال الراوى) لهذا المقال وكذلك قال كوبرت وهرقل بن قيصر أنهم يسيروا الاخرين فى غداة غد فيمن معهم من الجيش وكانت عشائر كوبرت وهرقل معهم وهم لم يفارقوهم فلما حلف عنتر وأجابه كوبرت وابن الملك قيصر فقال عبد المسيح وأنا الاخر أسير فيمن معى من الرجال وأقاتل ابن عمى وأعاون ملوكنا على هذه الأحوال (قال الراوى) وأنهم لم يزالوا فى قيل وقال إلى أن مضى الليل وأتى النهار وأرسلوا الملوك إلى بلادهم يأتوا منها بالعشائر والابطال ولما انهم فرغوا مما دار بينهم من الكلام والمقال افتقدت الجيوش عددهم وسلاحهم وأصلحوا

سيوفهم ورماحهم وركب قدامهم أبو الفوارس عنتر على سهولة جواده الابجر وتقلد بسيفه الصامى الابتر وأعرضوا عليه جميع الجيش فكانوا مائة ألف وأكثر وأرسل معهم الملك هرمس أيضا عشرين ألف من الابطال المسمية من أهل مصر وأسكندرية وقد نشرت على رؤسهم الصناجق والاعلام والرايات والقيصريات والصلبان والاندلسيات وعقد على رأس عنتر صنجق كبير مطرز بالذهب والحرير وسار فى همة توبة كانهم الليوث العوابس وعليهم الدروع الداودية والبيض العادية متقلدين بالسيوف الهندية وخرجوا من مدينة أسكندرية وصارت ملوك العرب لوداعهم وقعدوا ينظروا عشائرهم تأتى من بلادهم ويسيرون اليهم ويكون فى أرض الصعيد اجتماعهم ولما خرجوا من اسكندرية واستووا فى تلك الارض والملوك والكتائب يأتون بعضها بعض وعنتر بينهم كانه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل أو بلاء الله إذ انحدر ونزل وهو بالحديد مسربل وشيبوب والخذروف بين يديه يدسائرين كانهما ذكر النعام ولم يزالوا يجدوا المسير إلى أن وصلوا إلى دير هناك فى سفح الجبل الاخر يسمى دير المسيح بينما هم سائرون إذا بغبار وقد ثار حتى سد الافطار وأظلم من اضوء النهار وبعد ساعة انكشف وانقطع وبان من تحته بريق زرد ولمعان خود وقوم من كثرتهم ما يحصى لهم عدد وفى الحصر والعيار يزيدون عن الفيز فارس قهار يقدمهم علج غضنفر فى عنقه سليب من الذهب الاحمر فلما أشرفوا عليهم طمطموا بالرومية وشتموهم بالافرنجية قال وكانوا هؤلاء طليعة جيش الروم وكانوا قد أرسلوهم قدامهم من أرض الفيوم فلما رأوهم لم يمهلوهم دون أن حملوا عليهم فتلقاهم عنتر وكان قد خرج اليوم يكشف الخبر وهو على ظهر جواده كوكب بن الابجر وتراجعهم بسيمة الصامى الابتر وكذلك فعل كوبرت الفارس الغضنفر وحملوا هؤلاء الاثنين لا أحد من الجيش فبرز اليهم فلم دونهم تسكر الساعة مثل لمح البصر حتى تركوا الالفين فارس عبر لمن اعتبر وحملوا جماجمهم مثل الاكر فلله در عنتر وما فعل وكم أهلك فى ذلك اليوم من علج وبطل وكذلك كوبرت هجم عليهم وتشبه بعنتر وفعل مثل ما فعل وفتكوا هؤلاء الاثنين فى الالفين وحان عليهم الحين وناخ عليهم غراب البين وجعل عنتر كل رجل اثنين وعنتر قد التقى ببطريقهم الكبير وهو يصول ويجول وله وجه مثل الغول ومن شدة ما حصل عليه بقى لا يسمع ولا يرى فحمل عليه عنتر وصبر إلى أن حاذاه وحك ركابه بالركاب وضربه بالسيف على عاتقه طلعه يلمع من علائقه فوقع إلى الارض يخور فى دمه ويضطرب فى عنده قالى ولما نظرت النصارى إلى بطريقها قتيل وعلى وجه الارض جديل ولت الادبار وركنت إلى الفرار لانهم لم يجدوا لهم على حرب عنتر طاقة ولا لملاقاته استطاقة فاوسعوا فى البرارى القيعان وهم يتعوذوا بالكنائس والصلبان ورجع عنتر وكوبرت بعد كسرهم لذلك الجيش وقد ملوا أسلاب القتلا

(تم الجزء الخمسون ويليه الحادى والخمسون)

الجزء الحادى والخمسون

من سيرة عنترة بن شداد

(قال الراوى) وعاد عنتر إلى جيشه وهو مثل شقيقة الأرجوان مما سال عليه من أدميه الفرسان فتلقاهما هرقل بن الملك قيصر وأثنى عليهما ورحب بأبى الهوارس عنتر وكذلك فعل عبد المسيح هو وكل من فى ذلك المكان حضر وشكره على ذلك الفعل المليح وجميع الجيش (قال الراوى) لهذا الخبر هذا ما كان من هؤلاء وما سار لهم من ذلك الأمر والخبر المبين وأما ما كان من المنهزمين فإنهم ولوا مكسورين وفى البرمشتتين حتى وصلوا إلى ملوكهم ومقدمتهم من عشرة وعشرين وأعلموهم بكسرهم وما حل بهم من هذا البلاء العظيم وقتل بطريقهم وقالوا لهم ما لقانا إلا عبد أسود وهو جبار جسيم وما كسرنا وقتل بطريقنا إلا هو وحده وما كان معه من جنده إلا نفر واحد فلا رحم المسيح لا أباه ولا جده لأن هذا وحق المسيح له ضربات تهد الجبال وصرخات تزلزل الأرض والتلال قال فلما سمعوا ذلك المقال صعب عليهم وكبر لديهم وحلفوا بالصليب والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل أن لا بد لهم أن يقتلوا هذا الأسود ويسقره كاس الحمام هذا وقد ركبت العشائر على خيولهم واعتدوا القبالة على أفيالهم وجعلوا يجدوا السير فى تلك الربوات ودقت الكوسات ولعرت البوقات وبقيت الأرض تموج كأنها يأجوج ومأجوج وهم فى ذلك العدد الذى ذكرناه فهذا ما كان من هؤلاء وقصتهم قال وأما ما كان من الأمير عنتر وهرقل بن قيصر ومن بصحبتهم فإنهم بعد كسر الطليعة قدامهم فى تلك البرارى والقيعان جعلوا يستعدوا للحرب والقتال وأنهم ما أقاموا غير يومين على هذا الحال وفى اليوم الثالث رحلوا أول النهار وإذ قد طلع عليهم غبار حتى سد الأقطار وانكشف بعد ذلك عن عشائر البهنسا والفيوم وركض خيلهم قد أزعج الأرض وهم بعد الكواكب والنجوم والعشائر كأنهم الجراد المنتشر أو السيل المنحدر وقد أبرقت الدنيا من المشارق والمغارب من كثرة الرماح والطوارق ولمعان السيوف والقواضب والرايات مثل الكواكب فلما رأوا عشائر هرقل إلى غبارهم ففى عاجل الحال ركبوا خيولهم واعتدوا القتالهم واعتقلوا برماحهم وتقلدوا بصفاحهم وركب عنتر فى ذلك اليوم جواده الأبجر وتقلد بسيفه الأبتر واعتقل برمحه الكعوب الأحمر وركب فى جانبه هرقل بن الملك قيصر وجعل يرتب الجنود والعشائر ميامن وميامر لأنه بهذا الأمر عارف وخابر وأوقفهم قليلا وجناحين وأمرهم أن يكونوا عند حملتهم صفين وأن يعتدوا لملاقات الطعن والضرب ووقف

الملك عبد المسيح والملك هرقل تحت الاعلام والرايات ودقت من خلفهم الطبول والكوسات وما فرغ عنتر من هذا الحال وترتيب الجنود والعشائر للقتال حتى أن جيش الاعداء قد أقبل وراياتها قد انتشرت أعلامهم ظهرت وصلباتهم على رؤسهم قد ارتفعت ولغاتهم بلشان الروم قد طمطمت والجنود بعضها ببعض قد تقاربت ولم يزالوا كذلك حتى وقعت العين على العين وحان الحين وزعق على رؤس الطائفين غراب البين وتقدم عنتر إلى بين الصفين واشتهر بين الفريقين فلما نظرت الامداء إلى طوله وكبر هامته وانزعاج عينيه وغلظ أطرافه وهول خلقته أوقع الله الرعب فى قلوبهم من هيبته وأطلقوا أعنة خيلهم وقد أيقنوا بذلهم وويلهم ولكن عزموا على هزيمتهم وقد ألقى الله تعالى فى قلوبهم الخوف فخرج من بينهم بطريق كأنه الفتيق وكان عن جواد عتيق وهو مسربل بالحديد ذه الزرد النضيد وعليه درع مذهب يكاد من ضياء الشمس أن يتلهب وهو لا يبان منه غير تدابر الحدق وهو يطمطم بالافرنجية ويتكلم بعد ذلك بلسان الطائفة الرومية وقال ارسلوا واحداً منكم إلى ملككم يكلمه فى أمركم وشانكم حتى ينظر ما أنتم عليه وما مرادكم وما هو الذى أزعجكم وأخرجكم من بلادكم فقال عنتر لكوبرت أظن أن هذا القرنان ينادى لنا بطلب الحرب والطعان فقال كوبرت يا أبا الفوارس ما هو إلا قد أتى يطلب رسولا يمضى إلى ملككم ويعرف ما يقول فقال عنتر ابتغض أنت إليه وقل لهم يقول لكم عنتر بن شداد الذى قد أتى لا يرجع يفنى كل من فى هذه البلاد ولو أن خالق العباد ومن كسا الليل حلة السواد ما أرجع عنهم وتى أملككم هذه مبلاد ولو أن معهم جنود ثمود وعاد وأهلك هذه العشائر الجميع ولا أخلى منهم رفيع ولا وضيع أو يعطوا الطاعة ويزنوا الخراج ومعداد وإلا ما أكون حامية عبس عنتر بن شداد فقال كوبرت لعنتر السمع والطاعة وسار حتى وقف بالبعد عنه فلما رآه احترز على نفسه منه وخاف أن يخزمه وما يعلم أنه يخيب ظنه ولا علم ما خفى عليه أنه فارس شديد وكان كوبرت كما قدمنا بطل صنديد قال وكان هذا البطريق يسمى بولص بن مارث وقد أرسله البطريق الكبير الذى قدمه على جيشا صاحب البهنسا الملك كندريوس إلا أن كوبرت لما صار مقابل ذلك البطريق وله جنان أشد من نار الحريق فقال له ما الذى أرسلكم إلينا وأقدمكم علينا حتى قتلتم فرساننا وأجنادنا وظلمتم فى أرضنا وبلادنا قال الذى تطلبونه منا فافيقوا لانفسكم وارجعوا بجيوشكم عنا فقال له كوبرت أننا ما دخلنا إلى هذه البلاد إلا حتى نهلك عشائركم والاجناد لما علمنا أنكم عصيتم عن حمل الخراج ومعداد دون غيركم من الاراضى والبلاد وأن مقدم جيشنا الامير عنتر بن شداد الحلف بمن جعل الجبال أوتاداً إذا لم تفعلوا مثل ما فعل غيركم من الملوك وإلا يهلككم باجمعكم ولا يبقى منكم لا غنى ولا صعلوك ويشتت شملكم ويهدم أوطانكم ويخرب كنائسكم ويقتل رهبانكم فقال له مبطريق هو مسيحى أو من أى البلاد فقال له

كوبرت هذا فارس الحجاز الذى يسمى عنتر بن شداد هذا الذى قتل الملك جنطيانيل هذا فارس الآفاق هذا الذى قهر فرسان الهند والسند واليمن والعراق قال فلما سمع بولص ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وحلف وشدد فى الأقسام أن هذا الفارس أعجوبة بين الأنام ولكن ارجع إليه وقل له لا يطمع فى بلادنا كما طمع فى بلاد غيرنا فاغتاظ كوبرت ولما سمع ذلك الكلام قال له يا ابن اللئام لمثلنا يقال هذا الكلام ونحن فرسان الصدام فلما سمع بولص من كوبرت ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وفى عاجل الحال جرد سيفه من غمده وهزه حتى لمع الموت من أفرنده وضربه كوبرت كاد يقسمه نصفين ورمية على الأرض قطعتين فراغ عنها كوبرت بمعرفته وشدته فنزلت على جواده فبرت عنقه وحمل عليه أيضا أنه يضربه ثانيا يقتله فزعق عليه الأمير عنتر بن شداد ولم يتركه يتم له هذا الأمر وصاح فى كوكب بن الأبجر الذى كان يطير بلا أجنحة فخرج من تحته مثل البرق الخاطف إلى أن وصل إليهم وفى عاجل الحال قدم عليهم وطعن بولص فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره وخلص كوبرت مما كان فيه من شدته وأركبه على جواد بولص بهمته لحماه من الروم حتى صار على صهوته ثم جال فى تلك المواكب وزعق فافترقوا قدامه كتائب وفرق ولما رأت الجنود إلى عنتر وقد قتل بولص بقوة حربه وجلاده وأركب صاحبه على جواده ونظروا إلى ما فعل من تلك الأوصاف حمل عليه موكب قدره عشرة آلاف فعند ذلك تلقاهم كوبرت وعنتر بلا خوف وهو على ظهر جواده كوكب بن الأبجر وزعق فيهم زعقات عاليات أودت تلك الأرض والفلوات وضرب فيهم ضربات قاطعات وأخوه شيبوب وولده الخذروف بين يديه يرموا بالسهام فى اللباب هذا وقد حمل معه فرقة من الروم وأحلوا بالافرنج البلاء والهموم وطعنوا فيهم بالقنطاريات وبهلوا فيهم السيوف المشرفات وكان لهم ساعة لا تقاس بالساعات هذا وعنتر يحمل فيهم حملات عظيمات ويضرب فيهم بسيفه الضامى الابتر فانذهلت الافرنج لما رأت إلى تلك المصائب الهائلات أبصروا إلى إنسان ما كأنه إلا من الجن الطيارات فصلبت على وجوهها وانسانت قدامه كانها الغنم الجافلات (قال الراوى) فلما رأت بقية الجيوش ما حل بأصحابه حملوا بأجمعهم يعينوهم على ما نابهم وتقدمت أصحاب الأفيلة بما تحتها من الأفيال وعلى ظهورها ما ذكرنا من تلك الرجال وفى أيديهم المزاريق والقوس والحراب والنشاب (قال الراوى) فلما نظر الملك هرقل وعبد المسيح إلى ذلك الحال حملوا على الجميع بالجيوش ومن معهم من الأبطال فاشتدت الأهوال وعظم الزلزال وقل القيل والقال وجال الفارس الربيال وجاء الحق وذهب المحال والتقى الجمعان وأطلقت الفريقان وزاد القتال وازدحمت الألوف وقطعت الأنوف وزهقت النفوس وكان يوم عبوس وثار الغبار وأظلم ضوء النهار وقل الاصطبار وقدمت

حوافر الخيل شرار النار وقد طمطمت السودان بلغاتها وقسقست القساقسة والرهبان ودمدمت أسود الحرب وزادت هيمات ونقط الدم من الابدان وبقيت الارض كحلة الاجوان لما سال عليها من أدمية الفرسان وظهرت الشجعان واختلف الطعن بالرمح والسنان وقاتلت أصحاب الافيلة قتال شديد ما عليه غبار وكانوا قد فرقوهم أربع فرق وصار لهم همهمة وزمجرة وجعلوهم فرقة فى الميمنة وفرقة فى الميسرة وجعلوا فرقة فى القلب وفرقة أمام العشائر وتسايحت النوبة والبجاه والبربر فلله در أبى الفوارس عنتر وما فعل فى ذلك اليوم الشديد الاغبر بانه هو الذى أوقد نار الحرب وقتل الافرنج السودان وبقى تارة يقاتل بالميمنة وتارة يقاتل بالميسرة ولله در كوبرت الفارس المضنفر وكذلك هرقل بن الملك قيصر فانه قاتل بنفسه وما قصر ورمى الفرسان على الارض مثل الاكر ولم يزالوا على ذلك الحيار ثلاثة أيام ليلا ونهار وهم قوم يقاتلون وقوم يتأخرون لاجل الراحة فى ذلك البر والقفار وبعد ذلك ظهر على هرقل وكوبرت وعشائرهم الانكسار ولولا عنتر الفارس الهمام كانت عشائرهم من أول يوم طلبت الفرار والانهزام لانه هو الذى يحمل عنهم الاثقال ويحميهم فى الحرب والقتال لان أكثر خيلهم عطبت بمايرموه السودان بالحراب والنبال الذين هم على ظهور الافيال فلما كانت الليلة الرابعة شكوا إليهم هذا الحال وأن خيلهم ما بقت تنفع فى المجال فوعدهم عنتر أنه فى غداة غد يقاتل فى الافيال ويسقى الرجال الذين هم على ظهورها كاسات الخيال فعند ذلك اطمانوا لما سمعوا منه هذا المقال وعلموا أنه يقدر على هذه الفعال وبعد ذلك نزلوا فى الخيام وأخذوا لهم راحة وأكلوا الطعام وأقاموا لهم حرسهم من الاعداء فى الظلام وكانت كما ذكرنا خيلهم قد قتلت من حراب السودان الذين هم راكبون على الافيال وبقى أكثرهم رجالة وهم على أرجلهم يقاتلون ومن شجاعة عنتر يثبتون إلى أن كان اليوم الخامس فتبادروا إلى القتال وابتدروا للحرب والنزال فبينما هم على ذلك الحال وإذا بغبار قد أقبل من خلفهم وثار حتى سد منا نفس الافطار ساعة من النهار فرمق الجيشان إلى هذه الغبائر المرتفعات وإذا بها قد انكشف عن جيش جرار كأنه البحر الزخار والبرق الخاطف من دقق الكؤسات ونعير البوقات وخفقان الرايات وقد ارتفعت على رؤسهم الصلبان وإشارتهم تدل على أنهم مائة ألف عنان وهم جيوش مصرية ويقدمهم الملكين ميخائيل صاحب مدينة تونس وهرمس صاحب مدينة اسكندرية (قال الراوى) وكان السبب فى قدوم هذه الجيوش المعسكرة أن عنتر لما حلف وشدد فى الاقسام لارحل بغير هذه الجيوش وصحبته عبد المسيح وكوبرت وهرقل بن الملك قيصر ومعه هرمس وعشائر اسكندرية فارسل بعد ذلك إلى ولده المقوقس ملك الديار المصرية يطلب منه جيش وكذلك بعث ميخائيل الآخر فلم تكن إلا أيام قلايل حتى أتى من عند صاحب مصر ستين ألف فارس وراجل ما منهم إلا كل ليث مقاتل وبعد

ذلك بشيء قليل وإذا قد أتت أربعين ألف لصاحب برقا ميخائيل لأنهم سمعوا أن قد وصل من عند كندريوس صاحب البهنسا عسكر ثقيل وإنه قد بعث لسائر بلاده وإلى الصعيد يستنجد بالعشائر ويستحثهم على القدوم من قريب وبعيد فقالوا في أنفسهم نحن لساعد عنتر بن شداد على كسر عشائر تلك البلاد أخير لنا عما نساعد ونطيع ملوك الصعيد وقدوس بلادنا ونعمل فيها ما يريد ويطمعون في برقا واسكندرية ويغرهم الطمع في الديار المصرية فعند ذلك تجهزوا وساروا بهذا العشائر والأجناد حتى وصلوا إلى تلك البلاد والكل قد أتوا إلى نصرة عنتر بن شداد وتقربوا منهم وترجلوا عن وجه الأرض وسلموا وتعانقوا ببعضهم البعض فقالوا لا عدمناهم تكم ونشر المسيح أعلام نصره عليكم ثم إنهم حكوا لهم على ما جرى عليهم من قتال السودان وكيف عطبت خيلهم بما برموهم به من السهام في الميدان ولولا هذا الأمير عنتر الفارس الربيال كانوا أهلكوا جميع ما معنا من الرجال والأبطال وقد وعدنا في هذا اليوم إنه يقاتل في الأميال ولولا ما معهم من الأفيال كنا أكثرهم على الرمال فقالوا لهم لا تفزعوا من هذا الحال والمقال فقد أتت معنا خيل كثيرة خالية بلا رحال (قال الراوي) هذا المقال هذا وقد نزل على أعدائهم الذل والخيال لما نظروا إلى قدوم هذا العشائر والأبطال لكن شجعهم مالك البجاه وقال لا تفزعوا من هذا الحال ولا تخافوا مما قدم عليكم من هذه العشائر والرجال فني هذا اليوم ترونهم بين أنياب الأفيال وينزلوا بهم الذل والوبال لا تنافي هذا اليوم قد عولنا نقدمهم بين أيدينا للحرب والقتال ونصبر عليهم إلى أن يدرسوهم بأرجلهم وبعد ذلك نحمل بعشائرنا عليهم فلا ندع منهم إنسان ونقتل الأبطال والشجعان ونفنى ما معهم من العشائر ولا نبقى على أحد من هؤلاء البيضان ونقتل حاميتهم هذا الذي يسمى عنتر فقالوا له وحق المسيح الذي ولدته أمه من غير ذكر أن المسيح يخاف منه وإن لم تفعل ما قلته وإلا ما يبقى منا من يخبر بخبر (قال الراوي) وفي ذلك الوقت اصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف وصعدت عشائر البهنسا أقدامها كما قد مناذكره من تلك الأفيال وعلى ظهورها رجال ترمي الحراب والخشوت والنبال فلما نظرت عشائر هرقل إلى تلك الحال تغيرت منهم الأحوال وخافوا على أنفسهم من الأفيال لثلا يدوسهم ويحلوا بهم الوبال قال الراوي فعند ذلك ابتدر قدام تلك العشائر الأسد الأدرع والليث الصميدع الأمير شبوب وهو كانه البلاء المصبوب وجرى قدام تلك الجيوش على قدميه ومسك قوسه وكنانته بيديه ووقفت الأفيال من بعيد بمقدار رميه سهم وجرى عليه ورمى مقدم الأفيال فلم تخطىء بالقضاء والقدر حتى دخلت مقل عينيه فعاد الفيل على عقبه راجعا من ساعته وعينه قد غارت وحلت به بليته والأفيلة جميعا لما عادوا راجعا تبعته وولوا جميعهم منهزمين وقد القوا إلى الأرض الرجال الذين على ظهورهم وكانوا رجالا كثيرة فداسوهم وحيروهم في أمورهم فاعترضهم

ركاب الخيول فداستهم أيضاً الأفيال مع خيولهم وأحلوابهم الوبال. فعند ذلك قال عنتر لأصحابه دونكم وإياهم دمروهم وعجلوا فناهم وقطعوا خراطيمهم بما فى أيديكم من السيوف فإنها إذا قطعت مشافيرها شربت كاس الحتوف فعندها حملت جيوش الروم وفى أوائلها ملكها هرقل وكذلك كوبرت وجيوشه ففعلوا مثل مافعل وأحملت أيضا جيوش مصر واسكندرية وقاتلوا قوة قلب وصفاء نية وجعلوا يقتلون فى الرجال ويفتكون فى الأفيال وعظم القتال واشتد النزال وزادت الأهوال وقلت الرجال وفقدت الأبطال وقام الحرب على ساق وضربت الأعناق واشتد الخناق وظهر المحاق وكان ذلك اليوم كأنه يوم التلاق فجمعت فيه النفوس وبانت الفرسان وكل الجبان وذل العزيز وهان واختلطت ببعضها بعض الطائفتين وزعق على رؤسهم غراب البين وحان الحين وقلعت العينين وطاب وفاء الدين وقطعت المعاصم وانتثرت الجماجم واشتد الزحام وكل الكلام وعظم المرام واشتهر البطل الهمام ورشقت الحراب السهام وسقطوا الأبطال كاسات الحمام وضاقت الصدور وعظمت الأمور وصار النهار من شدة الغبار كالليل البهيم وكل الاصطبار وتهتكت الأستار وعظمت الرزايا وصارت الأنفس فى النازعات وبربرت السودان وعنت العيدان ورفعت جيوش هرقل وكبرت أصواتها وضربت طبولها وبوقاتها وطعنت بقنطاريا تها وطبطمت بلغاتها وفارس عبس هو حامتها وهو ينشر من جيوش البهنسا ملوكها وساداتها فحارت بما حل بهم فى ذلك اليوم الأفكار وعميت منهم الأبصار وزاد عليهم العيار فولت جيوش البهنسا الأدبار وركنوا إلى الفرار وتبعهم عنتر وأجناده إلى آخر النهار وقتلوا شيء كثير من الأفيال وأهلكوا جماعة غير قليل من الرجال ورجع عنتر وأصحابه وسائر من معه والجيوش والملوك تتبعه ولموا الخيل والأسلاب والمال وسائر الدواب وجميع الملوك تثنى على شيبوب فيما فعل من ذلك الأمر المهوب وأيضا على ولد الخذروف وعلى حاميتهم عنتر البطل الموصوف وبعد ذلك نزلوا واستقروا فى الخيام وأخذوا لهم راحة وأكلوا الطعام وانطرحت الناس لما أظلم الظلام بالليل للمنام ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح جلست الملوك فى خيامها وجمعت أكابرها وتقدمها ابن شداد همامها واستشاروا هل يرجعوا أو يرحلوا وراءهم فاتفق رأيهم بمشورة عنتر أن يسيروا وراءهم إلى بلادهم ويفتكوا فى بقية عشائرهم وأجنادهم وإن عصوا عليهم حاصروهم وأهلكوهم وإن أطاعوا يطلبوا منهم الخراج والعداد ويكون ذلك بهيبة عنتر بن شداد لما أنهم ساروا وتبطنوا فى ذلك البرارى والقفار وتبعوا منهم الآثار (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما دار بينهم من الكلام (وأما) ما كان من القوم الذين حل بهم الانهزام فانهم ساروا أكثر من يومين ليلا ونهارا وإذا قد لاح لهم من بين أيديهم غبار وتزويع حتى سد الاقطار وقد أظلمت منه الأقطار وبعد

ذلك انكشف عن جيش الصعيد والبهنسا وعلى رؤسهم الرايات وبين أيديهم دق الكؤسات وتعبير النوقات وقعقعة الصلبان يحملها القساسة والرهبان وفى مقدمتها كندريوس بن كرماس وأخوه صاحب مدينة أهناس (قال الراوى) وكان السبب فى قدوم هذين الملكين بمن معهم من تلك الجيوش لما أنهم أرسلوا بولص ومعه تلك الجيوش ولقبوا عنتر وفعل بهم ما فعـــل من تلك الأمور الكبائر وبعد مضيهم من عنـــده فى ذلك البر والعجاج كانت هؤلاء البطارقة والأعلاج وصار يجمع الجيوش على عنتر ودساكره إلى أن التقى بالرجال المنهزمين وهم فى البر متقطعين من عشرة وعشرين وبعضهم فى البرارى تائهين فقال لهم يا ويلكم من هذا الحال وأين العشائر والأبطال فقالوا له أيها الملك يكون على علمك أنهم داستهم الأفيال وأهلكهم هذا الذى يسمى عنتر بن شداد وأحل بهم الوبال وشيء هلكوا فى المعمعة بالحرب والقتال فقال لهم ياويلكم أنتم كنتم فى خلائق بعدد الرمال تهلككم هذه الشرذمة الحقيرة وتهلك منكم الرجال والأبطال فقالوا له أيها الملك لا تقل شرذمة حقيرة فوحق المسيح ياهى الاعصابة كبيرة ثم أنهم أخبروه على ما أصابهم من أمر الحرب والقتال وكيف قتلوا بعده الرجال والأبطال وكيف قلع شيبوب عين كبير الأفيال فولى وتبعته رفقته وأرموا ما على ظهورهم من الرجال وحمل عنتر ومن معه من العشائر بأسرها وضربوا فى الأفيال بالسيوف على خراطيمها ومشافيرها فلما رأوا إلى قتل الأفيال هجموا علينا فى عاجل الحال وداسوا خيلنا ومن عليها وأبادنا عنتر وعشائره فى ساحة المجال فهلك منا فى تلك الوقعة نصف العشائر ومنهم جماعة كثيرة تشتتوا فى البرارى والجزائر قال فلما سمع كندريوس بذلك ماهان عليه واسودت الدنيا فى عينيه وما بقى يعرف ما بين يديه وقال سوف ترون ما أفعل فى عنتر ورفقته وكيف أقتل هؤلاء الملوك الذين أتوا صحبته وآخذ بثار عمى جنطيانيل وأقتل ابنه هذا عبد المسيح المهان الذليل وتركوا كيف أحق منهم الأثر ولا أدع منهم من يخبر بخبر ثم أنه ضم الرجال إلى الرجال وزعق فى ساعة الحال وحلت العشائر على المسير والارتحال وتقدم قدام الدساكر يقطع البرارى والقفار وما سار غير يوم واحد كامل وثانى يوم إلى نصف النهار وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأنظار وبعد ساعة انكشف ذلك الغبار وبان ما تحته وانجلا للابصار وإذا هو بريق زرد ولمعان خوذ وجيوش ما لكثرتها عدد وكانت هذه العشائر المقبلة عشائر الأمير عنتر والملوك التى معهم وعدتهم مائتين ألف وأكثر وكان عشائر البهنسا ثلثمائة ألف عددها قد انحصر لأنه كان أول مسيرهم فى النوبة الأولى ثلثمائة فارس فجرى عليهم ما جرى من سيف عنتر وحلت بهم المناحس وأيضاً كان معهم خمسمائة فيل الذين قدمنا ذكرهم وكافى كما قدمنا على شيبوب فناءهم وقتل من العشائر مائة ألف وقد أنمحت آثارهم وصاروا دوارس فلما تقابلوا بعضهم البعض عادا ما زمون من

جنبات تلك الأرض واجتمعوا هؤلاء وهؤلاء فصار عدتهم أربعمائة ألف وسار واقاصدين عشائر الامير عنتر وهرقل ابن الملك قيصر على هذا الوصف إلا أن لما أنكشفت هذه الغبار وبان ما تحتها للنواظر ونظرت الجيوش إلى بعضها البعض فاجت واضطربت فى تلك الأرض ودقت من الجيشين الكؤسات حتى تزلزلت الأرض من سائر الجنبات ولم تجد الجيوش لها ثبات مما تقدم من سبب الحقد والكسرات بل حملت من سائر النواحى والجهات وكلهم يزعقون ويرفعون أصواتهم بقول حنا ومريم وتخضبت الوجوه بالدم وتبدلت بعد الوجود بالعدم وبرز الشجاع وهمهم وزعق البطل الشديد وتقدم وخاف الجبان الضعيف القلب وانهزم وكانت ساعة يالها من ساعة بانت فيها من الشجاع الشجاعة وصارت نفس الذليل مرتاعة وارتفعت الزعقات وعلت الضجات وعظمت الصرخات واختلف الاجناس والاصوات وقل خطاب المخاطب وتصادمت الكتائب بالكتائب ومالت المواكب على المواكب وأحاطت جيوش الهنسا بجيش الروم من كل جانب ومكنوا منهم القنا والقواضب وكثر فيهم الفزع والارتعاش وأخذهم القلق والاندهاش وانقطع القلب من شدة الفزع وطاش ودمدم عنتر بين الطائفتين وهاش ولولا كان فتى من جيوش الروم أكثر من نصفهم وكان قد حل بهم حنقهم لأنهم تأخروا أكثر من شوط جواد إلى خلفهم وطمعت عساكر الهنسا فيهم وأحلوا بهم الهموم ودمدمت السودان وساعدتهم على ذلك أهل الفيوم وعظم بينهم الوسواس وقد قويت قلوب الجيوش بشجاعة الكندريوس بن كرماس هذا وجيوش الملك كوبرت من عبدة الصلبان وأفرنج وروم وعرب وأهل الصعيد وسودان ومن يدعى بالشجاعة من أهل تلك البلدان ولولا حمايتهم الأمير عنتر الفارس الكرار كانت تطلب الهزيمة والفرار وما ثبتها إلا هذا الفارس الادرع والبطل الصميدع ما فعل من الحرب فى ذلك النهار (قال الراوى) الناقل لهذا الكلام فبينما هم على ذلك الحال وقد ملت نفوسهم من الحرب والقتال وإذا بغبار قد ثار وسد الاقطار وبعد ساعة انكشف وبان عن عسكر جرار مثل البحر الزخار وهو مقبل من ناحية الجبل الاخضر وتلك الديار وبعدها تقطع وبان من تحته حديد يلمع وأسنة تشعشع وراية تونسية وصناجق قيروانية وهم كانهم الاسود المحالية وهم راكبين على الخيول العربية ومعتقلين برماح خطية ومعتقلين بسيوف هندية (قال الراوى) وكان المقدم على هذه العشائر التى أقبلت مع الملكين أصحاب تونس والقيروان وكان السبب فى قدومهما هو أنه لما سار عنتر بالعشائر والفرسان وقد حلف وشدد فى الايمان لا سار الا فيمن جمعه من تلك الشجعان وساربهم كما ذكرنا وبعدها قد تتابعت من خلفه العرسار الذين قد جمعهم هرمس صاحب أسكندرية وملك الديار المصرية وكانوا هؤلاء الملوك أرسلوا إلى مدينة

تونس وإلى مدينة القيروان فاتتهم من الفرسان خمسون ألف عنان وساروا بهم خلف الامير عنتر حتى ينجدوه على من قدم عليه من الجيش وقد ساروا يقطعون تلك البراري والتلال إلى أن لحقوهم على تلك الحال من أمر الحرب والقتال ولما أقبل تلك الرجال ما خفي عنهم ما هم فيه من الاحوال (قال الراوي) لهذا المقال فعند ذلك خففوا ملبوسهم وقد وطنوا على الموت نفوسهم وكشفوا عند ذلك رؤسهم ونادوا يا للمسيح بن مريم ولما رأت جيوش النمسا إلى ذلك الحال حل بهم الانذهال والذل والخبال وقد قالوا لكندريوس وحق المسيح والانجيل ما أنت بعد ذلك إلا ذليل وما أنت إلا من أعظم الجهال فقال بافقيان وما معنى ذلك الشان فقالوا له اعلم أنه لو كان فيك عقل الرجال ما كنت حاربت هؤلاء الملوك الثقال لاسيما هذا الفارس الذي كأنه الاسد الرئبال ولم يخطر الموت له عند بالوان لم تسمع منهم ما يقولون وتجيبهم إلى ما يريدون وإلا سرنا إليهم واتفقنا عليك واخذ روحك من بين جنبيك وتدخل تحت طاعة هؤلاء الملوك وتعيش كما يعيش الفقير الصعلوك (قال الراوي) فلما سمع الملك كندريوس منهم ذلك الكلام خاف على نفسه من شرب كاس الحمام فاجابهم على ذلك المرام وقد بطل الحرب الذي كان بينهم والخصام وفي عاجل الحال نزلوا عن الخيول وانيشروا عرضا وطولا ودقت الطبول وقد زعقت جميع الفرسان ونادت عنترة فرد لسان يا حامية عبس وعدنان نريد منك الامان يا فارس الفرسان ويا حاوي قصب الرهان ويا مذل الملوك والاقران في حومة الميدان ثم نادوا عنتر يا منصور يا رب أدمه علينا بالهنا والسرور ثم أنهم تقربوا من بعضهم البعض وقد تعانقوا في تلك الارض وما بقي أحد من ملوك أرض الصعيد والنوبة والبجاه الا من عانق عنتر وقبل يداه وقد اختلطت الجيوش المصرية والسودان والافرنج والروم وسائر ملوك البلدان وبعد ذلك نزلوا في الخيام واستقر بهم المقام وروجر لهم الخدام سائر الطعام وروقوا صافي المدام زيادة لهم كندريوس في العز والاكرام مدة من الايام فلما أن عزموا على السفر والرواح قدم الملك هدية للامير عنتر من جميع الشيء المفتخر ومن المعادن والجواهر وأيضا من الخيول العربية وقد أعطاه أوفى عطية بعد ما قرر عليه الخراج والعداد في كل عام فاجابه كندريوس على ذلك المرام وقام قائما على الاقدام وقد قبل الارض بين يدي عنتر البطل الهمام (قال الراوي) ثم أمر الامير عنتر بن شداد أرسل جميع ما أتى له هدية من تلك البلاد الذي قدموه له الملوك والسادات إلى جزيرة الواحات وقد أراد الرحيل الحد والتحويل فوعوه الملوك ومن معهم من الفرسان وكذلك فعلوا بكوبرت والملك هرقل بن قيصر ومن معهم من ذلك الجيش وقد تفرقت الملوك إلى بلادها وكذلك من معها من أجنادها وقد نزلوا في مراكبهم وقد خدمتهم الرياح باذن الكريم الفتاح وسخرها لهم رب الارضين والحمولات ومازالوا في تلك السفائن سائرين وهم في عز وتمكين إلى أن وصلوا جزائر الواحات فعند ذلك طلع

إليهم جميع الرؤساء وهنئتهم بالسلامة والمسرات وقد طلبوا منهم البشارات كما جرت به العادات ثم أنهم أرسلوا من هناك بشيراً إلى قلعة الكافور ومدينة البلور حتى يبشر بقدومهم ليزدادوا فرحاً وسروراً (قال الراوى) لهذه الأمور لم يزالوا على هذا المرام حتى أقبلوا على قصر الملكة بسلام ولما استقر بهم المقام صنع الملك كوبرت الطعام وروق لهم المدام وبعد ذلك اجتمع عنتر بالحجازية مريم وسلمت عليه وقبلت يديه وأسافل قدميه وكذلك الملك هرقل ملك عبدة الصلبان وقد اجتمع بالملكة مريمان وقد أقاموا في هنى وأمان مدة عشرة أيام متواليات وهم على أكل طعام وشرب مدام وأفراح ومسرات هذا وقد كانت أخبارهم في تلك المدة لم تنقطع عن الملك قيصر ثم أنهم جهزوا أموالهم وعبوا رحالهم وجعلوها في الصناديق وقد جمعوا ما هناك من الأسلاب والأموال والهدايا والتحف وغير ذلك وما كانوا كسبوه من الغنائم في تلك الرسوم والمعالم وقد تقدمت الجارية مريم إلى عند الأمير عنتر تودعه فلما ودعته وقبلت يديه فقبلها الآخر وثم خرطومها وقد زال عنها همها وغمومها فدعت له بطول العمر والبقاء وإزالة الهم والشقاء وبعد ذلك تقدمت الملكة مريمان وأخذت في وداع الجارية مريم وكانوا كما قال الشاعر بمثل هذه الأبيات:

يقولون دار الأحبة قد دنت ... وأنت كئيب إن ذا لعجيب
فقلت وما تبغي بدار كريمة ... إذا لم يكن بين القلوب قريب
فكن من بعيد الدار يقضي مرآده ... وآخر بجنب الدار مات غريب

(قال الراوى) ثم إن الجاريتين تودعا من بعضهما بعض ولما فرغ من ذلك الوداع افترقوا من تلك الوداع ورحلوا من ذلك المقام وطلبوا البر والآكام ولم يزالوا سائرين ليالي وأياما وهم سائرين في تلك البراري والآكام وقد انتشروا في جنبات تلك الأرض خوفا من الضيق والازدحام (قال الراوى) لهذا الكلام ثم أنهم لم يزالوا سائرين وفي السير مجدين إلى أن وصلوا إلى ساحل البحر وقد تقدمت الأكابر ومن معهم من المقدمين والعشائر فنظروا إلى المراكب وهي مثل العرايس وعليها من تلك الآلات النفائس فنزلوا على جانب البحر واستراحوا ثلاثة أيام وهم في أكل طعام وشرب مدام ولما أن كان في اليوم الرابع على التحقيق طلع جميع الأحمال والأموال والصناديق وجميع ما معهم من السرادقات والخيام وما أتى معهم من الخيرات والأنعام وأنزلوها إلى المراكب المقدم ذكرهم الذي صحبوها من القسطنطونية وأنزلوا الخيول والجمال ورفعوا القلوع وسارت المراكب وسخر الله لهم الرياح الطيبة من كل جانب ولم يزالوا سائرين ليلا ونهار هذا وابتكار مدة عشرين نهار

وبعد ذلك لاحت لهم كنائس البلد وقصورها العالية الأسوار ونزلت الرؤساء من القلوع إلى قدام الملك هرقل والأمير عنتر بن شداد وقبلوا الأرض بين أيديهم وهنوهم بالسلامة

وقالوا لهم فى غداة غد تكونوا فى مدينة القسطنطونية وتدخلوا البلدة ببركة المسيح ومريم التركية خلع عليهم الملك هرقل الخلع السنية وأعطى الأمير عنتر كل واحد منهم ألف دينار رسار واطول الليل على موجات البحار إلى أن أصبح الله بالصباح ورسوا على الساحل فزادت منهم الافراح ووصل الخبر إلى الملك قيصر بوصول ولده وعنتر ففرح ورسوا على الساحل ماعليه من مزيد وأمر بأن تزين البلد والاسواق والحارات وأكثر من المواهب والصدقات وخلع على الامراء والسادات وركب وقعت على رأسه الاعلام والرايات وتجارت الفرسان والقادات وضربت الطبول والبوقات ومازال سائر بالجيوش والاجناد حتى التقى ولده هرقل وعنتر وكانوا قد خرجوا بالفرح والاستبشار فتلقاهم الملك قيصر بالخلع وأخذ ولده إلى صدره وقبله بين عينيه وكذلك ترجل عنتر اليه وقبل فى الركاب قدميه فانحنى الملك قيصر وقبل رأسه وأثنى عليه وأخذه إلى جانبه وسأله عن أحواله فحدثه بكل ماجرى له فى بلاد الغرب والصعيد من الحرب والطعان وكيف أنه قتل الملك الليدان وابنه سرجوان وملك جزائر الكافور وقلعة البلور وكيف أسر كوبرت وكيف أخذ عليه العهد والايمان وحكى له على ما جرى فى جزائر الواحات وقتل الملك صافات وابن الدير والشاهد وملك قلعة رومة المدائن ودير الصنم وماجرى له فى الاندلس الى الملك جنطيائيل وابنه جنان وكيف أحذثار ولده الغصبان من قبائل الجان والكلام الذى تقدم ذكره من أوله إلى اخره هذا والملك قيصر يتعجب من قصته ومن سعادته وقال ما أسعد هذا بفتى من دون البشر لانه صاحب عز وظفر وشجاعة وقد أعطاه الرب القديم الطاعة ومازالوا سائرين حتى وصلوا إلى البلد والخلائق على الجدران يدعون لهم بالنصر والامان ويشيرون إلى عنتر بالبنان وكان يوم دخولهم البلد يوم عظيم ما سمع بمثله فى سائر الاقاليم ونزل الملك قيصر فى قصره وهو زائد المسرات الافراح وأكرام عنتر غاية الاكرام ودام على ذلك إلى أن أظلم الظلام وسار عنتر إلى دار كانت قد أعدت برسمه فقام إلى الصباح وركب إلى خدمة الملك قيصر وهو متقلد بسيفه الابتر معتقل برمحه الاسمر راكب على جواده الابحر ولما تقرب من الايوان وبقى قدام قيصر وهم أن يترجل فاقسم عليه لا يفعل ثم أنه أجلسه بجانبه على التخت فى الايوان وقد أتتهم الخدام ووقفت بين أيديهم على الاقدام وكان للملك قيصر من حينه فى أبى الفوارس عنتر أحضر الصناع والدهانين وقال لهم اريد منكم أن تصوروا لى صورة هذا الفارس ولونه وكبر جثته وقدره وهيئته وجواده وعدته وتصوروا صورة شيبوب ولده الخذروف وجليته وما يضع من صناعته فاجابوه بالسمع والطاعة ثم أنهم أخذوا من معادن الرصاص والقزدير والحديد والنحاس والفضة والذهب ما كفاهم وترتبوا لشغلهم واجتهدوا فى قليل من الأيام حتى صوروا صورة عنتر وأخيه وولده ولما

تمت دهنوه بالدهان الذى يعرفوه حتى صارت تلمع كالمرآة وبعد ذلك داروا وأصلحوا شأنهم بالمبارد حتى رتبوا الاصابع باظافرها والسواعد والمرافق والزنود والرجلين وأركبوا عنتر على ظهر جواده وجعلوا يده على نبضة حسامه والرمح على كتفه وشيبوب ولده من حواليه وجعلوا أعينهم من الياقوت الأحمر وشفايفهم من العقيق الأحمر وأسنانهم من اللؤلؤ الرطب وأضاف اليهم الدهان ثانيا وجعلهم كلهم بمرا الالوان فلما تكاملت الصور وزأوها الناس فأخذتهم البهتة والدهشة وظنوا أنه عنتر ورفقته وصنع الملك قيصر ديوان وصارت أعيان العشائر والوزراء يصعدون إلى الديوان يتفرجون ويرجعون على أعقابهم فقال لهم الملك قيصر ما بالكم فقالوا له أعلم يا ملك الزمان أن عنتر وأخوته قد تغيروا من حالة الرجال وقد صار لكل واحد منهم تمثال (قال الراوى) فعند ذلك نهض الملك قيصر ومن كل عنده من الرجان ودخلوا على الصور فلما راها الملك قيصر تعجب غاية العجب هو وبطانته الحضار وخلع على الصناع وأعطاهم ألف دينار (قال الراوى) ثم أن الملك قيصر دعا باحضار أبى الفوارس عنتر فما كان الا قدر ساعة حتى حضر فاستقبله الملك قيصر أحسن استقبال وقال له يا فارس عبس وعدنان بحياتى عليك يا أوحد الزمان لا يحصل عندك غيظ مما ترى من الأشغال ثم أنه أخذه وساروا حتى دخلوا على هذا التمثال (قال الراوى) فلما رأى عنتر إلى صورته وصورة أخيه شيبوب الخدروف ولده اندهش من ذلك وتحير وأخذه الوهم الفكر والتفت إلى الملك قيصر وقال له يا ملك أنتم عندكم من يصور هذه الصور الآدمية ويتعدى على القدرة الربانية ولا يخاف من الاثم ولا من الخطيئة فقال له الملك قيصر يا أبا الفوارس أعلم أن الصور فى ديننا حلال ونحن لا نصور الا صورة من نحبه ومن شده محبتك عندى صورت صورتك حتى أبقى انظرك كلما يجيء على بالى تذكارك لأنى ما أقدر أمنعك عن أهلك ودارك وأعيلك بغير اختيارك فقال عنتر على بالحكم الذى صور هذه الصور حتى أرمى عنقه وأقابله بما يستحقه فأخذ الملك بحاطره وهذا روعه وسكن غيظه وغضبه وبعدها جلسوا لاكل الطعام وقدامتهم الخدم فأكلوا ولما اكتفوا أتوهم بالمدام وجلسوا يتعايدا فى الحديث والكلام فعندها تقدم عنتر إلى عند الملك قيصر وقبل يديه وأثنى عليه وله شكر وطلب منه الاذن فى السفر فاذن له فى ذلك بعدما خلع عليه وأعطاه مناه وأكرمه وأرضاه وكذلك شيبوب والخدروف وأيضا لى عمرو بن الحارث وأعطاه التشاريف والاحكام بولاية أرض مشام ودقت له الكوسات وانتشرت البيارق والاعلام وسار معهم قيصر مرحله كبيرة وقلبه مع عنتر بن شداد وبعدها حلف عليه عنتر وردده وأحسن له الوداد وساروا يقطعون البرارى والقفار وفوق عنتر على عبله لهيب النار وشم روائح القرب من الديار ولم يزالوا فى سيرهم مجدين حتى أشرفوا على دمشق الشام وطلعوا أهل البلد إلى استقبالهم

الشيخ والغلام وقد فرحوا بالملك عمرو واندهشوا بما أتوا معهم من الاموال الذى تدهش النظار وهبت عليهم نسمات الأشجار وشافوا المنازل والديار وزينت البلد لقدومهم بالأقمشة الغالية الأسعار ودخل عنتر على عبلة ففرحت به الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد وقالت له يا ابن العم أخبرنى بشرح حالك وما تم عليك وما جرى لك الملك قيصر وما أعطاك من الاموال والبدر وكيف أخذت لعمرو مملكة الشام كما أن أباه على بنى غسان فأخبرها بجميع ما جرى له من أوله إلى آخره وأطلعها على ظاهره وباطنه ففرحت عبلة بعلو منزلته واستقر الملك عمرو فى دولته وفرحت به عشيرته وشكروا عنتر على ما فعل ودبر وأقام عنتر بدمشق الشام أيام قلائل وهو فى خيرات وأنعام وهو كل يوم فى صيد وقنص واغتنام اللهو مع الفرص وهو على ما هو عليه من هذه الاحكام وإذا بغبار ثار حتى حجب الشمس عن الابصار وبعد ساعة انكشف النظار وظهر من تحته مائة فارس قرار والمقدم عليهم ورقة بن الملك زهير فلما تحقق كل منهما صاحبه رمى نفسه من على ظهر جواده إلى الأرض واعتنقوا بعضهم البعض وبكيا عند اللقاء وفرحا بالملتقى وقال ورقة يا ابن العم ندم أخى على فراقك وقد أنذنى إلى خدمتك وأمرنى أن أسألك فى الرجوع إلى حلتك قال فلما سمع عنتر من ورقة هذا الكلام وفرح واستبشر وقال له يا ابن العم ما كنت إلا سائر إليكم فى هذه الأيام ثم أنهم عادوا جميعهم إلى مدينة دمشق الشام ونزلوا فى الخيام وأكرمهم غاية الاكرام مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع برز عنتر الخيام والسرادقات واستأذن عمرو بن الحارث فى العوده إلى أهله فقال له الملك عمرو يا أبا الفوارس وحق المسيح أن فراقك لا يسهل ولكنى ما أقدر أمنعك عن أهلك ثم سار معه للوداع ثلاثة أيام ودعه عنتر وأقسم عليه أن يزوره فى كل عام وسار عنتر طالب أرض الشربة العلم السعدى ولم يزل سائراً إلى أن أشرف على الديار فوجد الحى يموج بسكانه ويرتج بأطنه والخيول مهملة والسروج مقلبة والنساء متهتكة والرجال فى البلية وهم ينادون وأسيداه وأملكاه فانزعج عنتر لذلك وطاش عقله وتحير وتقدم إلى الملك قيس وسلم عليه وعانقه وبعد ذلك سأله عن الخبر فنعى إليه أخوه الحارث وزوجته لبنى فنال عنتر من ذلك منال عظيم لأن الحارث كان عنده بمنزلة أخيه مالك فسأله من الذى قتله فقال قيس يا ابن العم قتلة رجل يقال له الميقفور بن عرعر أخو الخيشعور الذى قتلته أنت من قديم الزمان وكان السبب فى قتلة الحارث أن زوجته لبنى قالت له فى بعض الأيام يا ابن العم أنى قد اشتقت إلى أهلى وأريد منك أن تنعم بزيارتهم حتى أبل شوقى إليهم فأجابها إلى ما طلبت وأركبها فى هودج مجلل بالحرير وفى أعلاه بة من الذهب الأحمر وزمام من الإبريس الأخضر وسلمه إلى عبد من عبيده وركب الحارث على ظهر جواده واعتد بعدة جلاده وسار معه خمسين فارس من الفرسان المعروفين بالحرب والجلاد ولم يزالوا سائرين يقطعون البر والوهاد إلى أن وصلوا إلى أرض بنى زهران

وسمع بهم شامة بن يقظان ففرح اليهم واستقبلهم أحسن استقبال وفرح بابنته وضمها إلى صدره وشكر الحارث على فعله التي أتى بها اليهم ليبلوا منها شوقهم وأقام عندهم ثلاثة أيام وعادوا راجعين طالبين ديار بني عبس وعدنان وسار أبوها لوداع الحارث يوما كاملا وحلف عليه ورده قال ولما نظر العيقفور وأصحابه إلى الحارث وقدومه إلى صهره وما فعل في حقه ونظر إلى هودج ابنة هند المسير وذكر محبة أخيه لها وكيف قتل عنتر أخيه من أجلها فصعب ذلك عليه وكبر لديه وطاشت في رأسه رياح النخوة لأخذ الثار وكشف العار فقال لقومه يا بني عمي اعلموا أني قد تجددت على مصيبتي وعظمت رزيتي عند قدوم الحارث علينا وأنتم تعلموا أن الحارث هو كان السبب في قتل عنتر لأخي الخبيث وأخذ زوجته لي رغم أنفه وجلب لنا العار والآن قد وجد فرصة لأجل أخذ الثار فألحقوا بني الحارث بن زهير نقطع عليه طريقه ونحرمه توفيقه فأجابوه بنو زهران وبنو كيلان وجدوا خلفه في البراري والقيعان فبينما الحارث سائر بزوجته وهو فرحان بعودته وما عنده علم أن أحدا أتى اليه ولا يقدم عليه فهو كذلك وإذا بنواصي الخيل قد طلعت وفرسانها قد بدرت وهي تنادي الثار الثار البدار البدار أين تنجو من هذه القفار وقد آن لنا أن نستوفي ديوننا فلما سمع الحارث منهم ذلك لمن حوله يا بني عمي هذه خيل بني زهار قد أتوا يطلبوني بالثار الذي لهم علي من قديم الزمان وقد طمعوا فينا القلنا وبعدنا عن الديار والأوطان فوتوا كراه ولا تعيشوا لثام عندها حملت بنو عبس بالصوارم واقتتلوا ودعا الحارث زوجته لبنى وقال هذا يوم الفراق الذي ما بعده تلاق عندها أخذت في يدها الخنجر لذي يسقي القضاء والقدر وقالت ها هو في يدي فإن غادرتك الزمان أسقيت نفسي كأس الهوان ولا أدع بعدك يملكني إنسان عندها عاد الحارث وقد أدركه العيقفور فقال له الحارث وتلك يا وغد قومه وأنتم عشيرته لحقتني هذه الديار لأخذ مني بثأرك وتنكشف عنك عارك فلم يجاوبه العيقفور بجواب بل أنه حمل عليه ومد السنان اليه هذا ولبنى قد شرعت سجاف الهودج وقد أجرت الدمع وفي قلبها لهيب النار وإذا بصرخة من تحت الغبار وإذا بها من العيقفور وهو كأنه الأسد الغيور واستجادا الحارث بطعنة في صدره وطلع السنان يلمع من ظهره فمال في الفلاه وتخضب بدماه وبعدها مالت الفرسان على بني عبس فقتلت منها اثني عشر فارس وهجموا الباقين في الفلوات وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور بعد ما قتلوا ثلاثين من أصحاب العيقفور ونظرت لبنى إلى ابن عمها فرمت نفسها عليه وتلطخت بدماه ونادت وأسيداه وابن عماه والتفتت إلى العيقفور وهو واقف على رأس ابن عمها يريد أخذها فقالت له شلت أنامل قتلك فلقد قتلت سيد قومه وملك عشيرته ورئيس قبيلته ثم أنشدت تقول :

يا ليتني من قبل ما أنظره الثرى أسوى من دارت عليه الدوائر

لعمرى ما بالموت عار على الفتى ... وقد شهدت له فى الحروب الاكابر
ومن كان ممن يحدث الدهر جازعا ... فلا بد من يوم يرى وهو صابر
وليس لمخلوق من الموت مهرب ... وليس على الايام والدهر غائر
وكل مخلوق أو جديد إلى البلا ... وكل امرىء حقا إلى الله سائر
فانعيك يامولاى حيا وميتا ... أخا الحرب إذ دارت عليه الدوائر
عليك بن عيس فوالهفى له ... لقد ناله ما كنت منه أحاذر

(قال الراوى) هذا وبنو زهران لما أن سمعوا من لبنى هذا الشعر والاوزان وذلك الكلام حارت منهم الافهام وصاروا يتعجبون مما قالت لبنى من هذا اللفظ والكلام وما حصل لها على الحارث من الآلام ونظروا ماقد جرى لها من الاحتراق فرفعوها على هودجها على أن يسيروا بها إلى أهلها فضربت روحها بذلك الخنجر فى صدرها أطلعوها يلمع من ظهرها فلما رأوها بنو عمها وقد فعلت هذه الفعال بنفسها علا صياحهم وارتفع نواحهم وواروها مع الحارث فى قبر واحد وعادوا إلى أبيها وأخبروه بفعلها فقال لله درها ثم حزن عليها هو وامها فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من المنهزمين من بنى عبس فانهم بعد قتل الحارث مازالوا سائرين حتى وصلوا إلى الحلة وأقاموا الصياح واخبروا الملك قيس وبنى عبس بالحلة فشقوا الجيوب وقطعوا الشعور ولطموا الخدود وهدم الملك قيس القباب وقطعوا المضارب والاطناب وفى ذلك الوقت قدم عنتر بن شداد كما ذكرنا وسأله عن الخبر كما قدمنا فاخبروه بتلك القصة فدخل على قلبه الف غصة مما لحقه من الوجد والزفير ولم يجد له بدا من المسير لأخذ الثار وكشف العار فركب من وقته وساعته فى فرسان عشيرته وأخذ معه زيد بن عروة فى رجال أبيه وأخذ ورقة بن زهير ونوفل أخيه وترك الملك قيس فى الحلة وحلف عليه وسار عنتر فى ستمائة فارس من كل مدرع ولابس بالدروع والجواشن والخيول الصوافن ومعه جماعة من أصحاب الحارث بن زهير ليدلوه على قبره وساروا مجندين وهم يكثرون من البكاء والأنين إلى أن وصلوا إلى قبر الحارث فلما راه عنتر بكى وأنشد يقول :

يادهر سيفك فى الاحبة يقطع ... رفقا بمهجة مدنف تولى بمضجع
قد هذه طول البعاد ومتعه ... الم الفراق وقلبه يتوجع
يادهر ماانصفت فى حكم الهوى ... سهران ويحك والاحبة هجع
رحلوا وماتوا واستقل ركبهم ... سحروا قلبى نحوهم يتقطع
ساروا ولم ادر متى يكون اللقا ... فلعلما بهم لأقمت حتى يرجع
هذا منازلهم بقاع بعدهم ... ينتح الحمام عليهموا ويسجعوا

يا دار أين القاطنين وأهلهم ... أتراهم بالقبرين تجمعوا
يا عين سحى بالبكاء من أجلهم ... يا عين جودى بالعقائق أدمعوا
أين العالقة الجبابرة التى ... خلوا قصورهما خلاة بلقعوا
أين الأكاسرة الأول وآثارهم ... ذهبوا ودارهموا بقاع تفزعوا
هذا قضاء الحنا فى خلقه ... والناس كلهموا عليهم أجمعوا
هذا هو السر الذى غمر الورى ... والله يفعل ما يشاء ويصنع

(قال الراوى) فلما فرغ عمرو من هذه الأبيات أبكى العيون وأثار الشجون وأقام على قبره ثلاثه أيام وهو على قبره مائة ناقه مائلات الأصنام وفى اليوم الرابع رحلوا طالبين أرض بنى زهران فهذا ما جرى لبنى عبس من الأمور العظام (قال الراوى) وأما بنو زهران فان كبراءهم اجتمعوا على العيقفور وقالوا له والله لقد اضرمت علينا نار تحرق الكبار منا والصغار وجلبت لنا بقتل الحارث البوار لأن بنى عبس ما تقعد عن أخذ ثارها فقال لهم يا بنى عمى أنا حاسب هذا الحساب وأنهم يأتوا الينا بالسيوف والحرب وها أنا سائر إلى بنى عمى بنى تبهان وفارسها المهلهل حتى يعينونى على بنى عبس وعدنان ونرميهم بالحس والنكس وإن كانوا ما يأتون الينا سرنا نحن اليهم فلما سمعوا بنو زهران ذكر المهلهل طابت قلوبهم وانكشفت كروبهم وعملوا أن ما فى الفرسان رجالا العربان من يقاومه فى الحرب والقتال لأنه لا ذت له بنى قحطان ثم أن العيقفور ركب ومعه جماعة من رؤساء عشيرته وسار يجد السير إلى أن قدم على المهلهل ودخل عليه فعندها فرح بقدومه وأكرمه غاية الإكرام وأقام عنده ثلاثه أيام وبعدها تقدم اليه العيقفور وشكا اليه قصته وكف قتل الحارث ابن زهير وقد أتيت اليك مستجيرا بك أيها الأمير فقال له طب نفسا وقر عينا ثم أنه صاح من وقته وساعته فى كبراء عشيرته وأمرهم بالسير فى صحبته فأجابوه إلى طلبته وركبت معه فرسانه والشجعان وهم كأنهم العقبان وركب المهلهل بن مسروق على جواد أدهم مهند ملمع بغرة كالدرهم إذا صهل كاد أن يتكلم وهو فى عدة كاملة وساروا مجدين وهم يقطعون فى الروابى والمناهل إلى إن أشرفوا على أرض بنى زهران فاستقبلوهم من أبعد مكان وأكرموهم وزادوا لهم فى الإحسان وأنزلوا الملك المهلهل فى أعز مكان (قال الراوى) لهذا الديوان ثم أنهم نحروا لهم النحور ودارت بينهم الخمور ودام عليهم الفرح والسرور والكاسات عليهم تدور ثم أقاموا على ذلك المرام ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع قال لهم المهلهل يا بنى عمى نحن ما أتينا كم لأجل ضيافه على هذا الحال بل أتينا نطلب الحرب والقتال وشرب دماء الأبطال ونسير إلى بنى عبس الأفيال قبل مسيرهم الينا فى الأطلال فنقدم عليهم قبل ما يقدمون علينا ونذيقهم الوبال ففرحوا قومه بذلك المقال وساروا وهم فى عشرين ألف عنان وكانوا أربع قبائل وهم بجيلة وكهلان وبنى

الرهاط وزهران وسار الملك المهلهل يقدم الفرسان وهو يدل بشجاعته ويقول فى نفسه إن جميع الفرسان دونه وكلها فى قبضته ولما تمادى به المسير أنشد وجعل يقول :

انى أنا الموصوف فى قومه تعرفنى الابطال عند النزال
أجندل الابطال من هيبتى ، وأردى الشجعان وسط المجال
وكم بطل جندلته فى الثرى معفر الخدين دامى العوال

(قال الراوى) ولما فرغ الملك المهلهل من هذه الابيات شكرته وأثنت عليه سائر السادات. انهم ساروا يجدون المسير وهم قاصدون بنى عبس المشاهير فى الجد والتشمير وكذلك بنى عبس المشاهير حتى التقوا ببعض وانفرشت من الطائفتين الابطال وقد ملأت تلك الأرض فعندها حملت العشائر والتحمت الدساكر وكانت بنو عبس تنادى بالثارات ابن زهير هذا وقد عمل بين الطائفتين القتال واشتد الحرب والنزال وتيكسرت فى ايديهم النصال وظم الزلزال ولم يزالوا كذلك إلى أن اقبل الليل بالاسدال وولى النهار بالارتحال افترقوا الطائفتين عن القتال واوقدت النيران وتحارسا الفريقان فلما كان عند الصباح واثبوا إلى الحرب والكفاح وقد ركبوا ما لجزد القداح واشهروا فى ايديهم البيض الصفاح واعتقلوا بسمر الرماح فهم على ذلك الشأن وإذا بالعيقفور بن عراعر قد وزل إلى الميدان ومحل الضرب والطعان ونادى وبلكم يا بنى عبس اظننتم أن الايام لكم تدوم ابشروا بهذا اليوم المذموم فانا العيقفور أخو الخيشعور وأنا الذى قتلت الحارث بن زهير وتركت لحمه رزقا للوحوش والطير وفى هذا اليوم ابيد خياركم واهلك كباركم وصغاركم فما تم العيقفور كلامه حتى سار ميسرة بن عنتر قدامه وصار يجول ويصول ويأخذ الميدان عرضا وطولا وأنشد يقول :

أنا الاسد المعروف عند الحجافل وكلهموا بى عارف غير جاهل
إذا طاردت الخيل الفوارس فى الوغا أبيدهموا بالمرهفات القواصل
وكل ردينى نحال سنانه سنافيس فى مرتب غير آفل
ولابد ما أفنى جمعكم بمهند والقيكموا بين الحصا والجنادل

(قال الراوى) ثم أنه بعد شعره حمل على العيقفور بشدة مرامه واطبق اليه بحسن اهتمامه وجالا حتى علا عليهما الغبار بقتامه وسار فوق رؤسهما مثل السحاب وغمامه وعدلا فى الحرب عن طريق السلامة واعتمد كل واحد منهما على ضرب حسامه وكانت لهما ساعة اشبه الساعات بيوم القيامة هذا وعنتر متطاول إلى الغبار وقلبه إلى ولده قسطار وهو يترجى أن ينصر على خصمه فى لقاه لأنه ما بقى له ولد سواه فهو كذلك على ذلك الحال وعينه محدقة إلى محل

الحرب والقتال وإذا بزعقة عظيمة وقائل يقول يا عبس وعدنان فنبين عنتر من هو ذلك القائل وإذا هو ميسره وقد ضرب العيقفور على صدره اطلع السنان من خرزة ظهره ثم أنه جال فى الميدان ومحل الضرب والطعان وطاب براز الشجعان وقتال الفرسان والشد بفصاحة لسانه يقول :

كم من فتى ذو سلاح رامح ... متقدم يوم الوغا ومكافح
يمشى كمشى القوم فى الصحاصح ... غادرته بشرب دم ناصح
ورفقته يوم بيض رواجح ... وقومه باوجه كوالح
سمر القنا بيض الصفائح ... يليد بها مثن الشوارح

(قال الراوى) ثم أن ميسرة لما فرغ من ذلك الشعر والنظام طلب القتال والصدام فخرج إليه المهلهل بن مسروق وهو بفؤاد محروق ودمع على العيقفور مدفوق وهو ينشد ويقول

ابكوا على الارواح قبل هلاكها ... برجوعكم جمعا إلى الاوطان
فقد قتلتم سيدا فى قومه ... حلو الشمايل من بنى زهران
من كان يسمى بالفخار على الورى ... وبصنعة المعروف والاحسان
وإذا التقت حلق البطان رايته ... شديد العزيمة ثابت الاركان
حتى رماه الدهر منه بصرفه ... فثوى صريعا فى محل طعان
لهفى عليه وليتنى من يومه ... عالم ارى طارق الحدثان

(قال الراوى) ثم أن المهلهل بن مسروق لما فرغ من ذلك الانشاد حمل على ميسرة بن عنتر بن شداد وطلع على الاثنين الغبرة فى تلك الوهاد وبقيك الاقطار مكدرة وكانت لهم ساعة عسرة ضيقة منحصرة ثم أن المهلهل جال على ميسرة واستجاد بطعنة فى صدره طلع السنان يلمع من ظهره فمال عن الجواد إلى وجه الارض وقد تناثرت دماته طولا وعرضا فلما رأى عنتر إلى ذلك احترق قلبه وفؤاده وغاب عنه رشاده وغشى عليه وهو على ظهر جواده وأما المهلهل فإنه صار وجال والشد وقال :

لئن قتلوا منا همام عشيرة ... فانى ليوث الحرب عند الكتائب
وعادتنا ضرب الجماجم والطلا ... إذا اسودت الاقطار من كل جانب
ولولا سحاب الحرب خاضوا غمامها ... جميعا وقادوا كل اشوس غالب
سيعلم وغد القوم إنى اذيقه ... حسام بحد السيف بين المواكب
وما الفخر فى جر الجنوش وإنما ... يزين الفتى الاقدام يوم النوائب
فكم فيكموا ذو منعة غير تاكل ... يبادر نحوى سرعا غير هائب
فانى اجندل العداة بمرهف ... ضربه تبرى عظام الترائب

(قال الراوى) فما أتم المهلهل هذا المقال حتى برز اليه ابن أخت عنتر الحط ل ولما صار فى وسط المجال نزل إلى ميسرة فرآه ملقى على ظهره فقبله وضمه إلى صدره وأشار يرثيه بهذه الابيات يقول :

لقد صار قلبى معدن الاسا ... وعبرة عينى تستهل على نحرى
وكم سامنى دهرى بشرط أحبتى ... فلما تقضى شرطه عاد على شطره
ألا ليت أمى لم تلدنى وليتنى ... سبقتك إذ كنا لحدنا نسرى
لقد كنت لك ذخراً أعيش بظله ... فلما دنى فاضت دموعى ولم أدرى
أرى كل حزن سوف يبلى جريه ... وحزنى عليك اليوم باق مدا الدهرى
فإن كنت مقتولا فسوف أبيدهم ... وأشفى غليلا قد تمكن من صدرى
فما الدمع أشفى الصدور من القنا ... وإن كان ماء العين أنهر أو أبحرى

(قال الراوى) ولما أن الحط ل فرغ من ذلك الانشاد عاد إلى ظهر الجواد وطلب قاتل ميسرة وحمل عليه حملة منكرة فلما رآه المهلهل طالبه وقد حمل عليه ولكن تبين له منه بعين الفراسة أنه ما بقى يعرف ما بين يديه وكان قد سمع ما أنشده من شعره فضاق لذلك صدره وأجابه يقول

ستعلم أنى سوف ألقيك بعده ... يخطفك العقبان فى مهمة قفرى
كأنى همام فى الحروب مبادر ... أصول على الاعداء بالبيض والسمر
وأنا ابن مسروق برمحى وصارمى ... أبيد شمل القوم فى السهل والوعر

(قال الراوى) ثم أنهم فرغوا من ذلك الشعر والنظام تحمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ بطاعته ويضاربه وجالا طويلا واعترا كا ميلا هذا كلا وعنتر ماشى عليه وهو راكب ما يعرف ما بين يديه وكان فى ذلك الوقت قد أماق من غشوته وقد انقلبت من أجل قتل ولده حالته وقال من والدى قاتل ولدى وأخذ معه فى المجال فقال له ابن أختك الحط ل فاستقبل لذلك بالله وما بقى يعرف يمينه من شماله وجعل يحدق بعينيه نحو العبار ودموعه على خديه غزار وبنو زهران قد فرحوا بالمهلهل وأبدوا الاستبشار وامتدب الى الفارسين الاعناق وشخصوا نحوهم بالاحداق وقام الحرب بينهم على قدم وساق عندها أطبق المهلهل على الحط ل وأكربه فى مقام المجال وطعنه فى جانبه اليمين أخرج سنان الرمح من الجانب الشمال ونفضه لفحه على الرمال قال فعلت الضجة من بنى زهران وأيقنوا بالنصر والآمال ونظر عنتر الى مصرع ميسرة والهطال وما قد حل بهم من الوبال فعلم أن منية اخوته قد حانت ومنيته قد دانت فمز فى عاجل الحال الحصان الى أن صار فى الميدان ووقف على مصرع الاثنان وقد كره الحياة واشتاق الى الوفاه ونباطلت عبراته وتمنى الوفاه عند حمزة بالجواد وقد صار بهتان من فعل هذا الشيطان وبكى من فؤاد ملول بدمع مهطول وأنشد يقول :

أرقد وقد نام الاخلا وهاجنى ... من الليل هم فى الفؤاد وجيع
وفارقت أحبابا وذخرا الشدتى ... فسرت حزينا والفؤاد مروع
وكم عبرة كفكفتها بعد عبرة ... أنت واستهلت عبرة ودموع
فما فاض عذب من شروق مدامعى ... على فارس مما أحب بروع
كأن لم يحاربنى ولم يمس لبنه ... أراموا لم يصبح ونحن جميع
سأبكى على القبل الغضنفر ميسرة ... كما لاح ورق فى الغصون وقوع
غدرت هزيلا فابتدونى بحارث ... وفى الصدر منى علة وقطوع
وتدمعى على الطلال بنهل لجعة ... وقلبى فيه حسرة وولوع
ومن مقتل الغضبان ولت سعادتى ... وفقد غصوب سرت منه وجيع
ومن مازن أصبح فؤادى مصدوع ... وسارت أجفانى تفيض دموع
فمن ذا يعيش يوما لذيذاً إذا رأى ... أحباه منه مسبقين ضجوع

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره وزعق على المهلهل وقال ويلك يا لئيم ويا أخس عشيرته والله لآخذن بثار هذين الفارسين من سائر قومك الجميع الرفيع منهم والوضيع فلما سمع المهلهل كلامه ونظر إلى حسرته استهول خلقته وكبر جثته فزعق عليه يا أسود باز نيم أما جل لزمانك أن يزول ولمدتك أن تحول أتحسب أن الزمان كله لك أما تعلم أنه كما أضحكك يبكيك وكما يسرك يضرك وكما حل لك غرك وكما شدك بأولادك أجرق بهم عند الكبر فؤدك واليوم هذا آخر أيامك وسوف أخذ للعرب منك بالثار وأكشف عنهم العار فلما سمع عنتر منه هذا المقال قال الويل لك ولأبيك ولعن الله قومك وذويك أتظن إن قتلك لولدى ولابن أختى يكون لك من يدى خلاص أو بقيت منى مغاص ثم إنه حمل عليه وهو ينشد ويقول .

طاب الحمام لفقد السيد البطل ... خير الفوارس من خاض بالأسلى
أعلى لميسرة الندب الهمام إذا ... طارت قساطل نار الحرب تشتعل
كم قد أباد لدى الهيجاء من بطل ... يوم الكريهة والأبطال فى وجل
وبعده الفارس الطلال خير فتى ... مردى الكماة عداة الروع بالأمل

(قال الراوى) فلما سمع المهلهل شعره أجابه وهو يقول :

اليوم أسقيك كاس الموت والوجل ... بأبيض الحد ماضى الشفر كالشعل
أرديك فى حومة الميدان مجندلا ... بين اختلاف القنا والطعن بالأسل
أنا ابن مسروق والمعروف شيمته ... ما عدت يوم الوغا من فارس بطل

(قال الراوى) ثم انطبق كل واحد منهما على صاحبه وتلقى طعنه ومضاربه وأظهر فى الحرب

عجائبه وتزاحفا وتهاجما وتلاطما وتصادما، هاج كما تهيج الجمال ورأى عنتر خصمه شديد وجبار عنيد وكلما اشتد فى قتاله قويت أوصاله فطاول له فى الميدان وشرع معه فى الضرب والطعان وقلبه من الهم ملآن ثم إنه صرح فيا ارعشه وقاربه حتى حك الركاب بالركاب وضربه بالصارم القرضاب على قمته نزل السيف إلى نصف قامته فانقلب من على ظهر الجواد كأنه طود من الأطواد فبرد غليل عنتر بن شداد لما رأى عليه بحوافر الجواد عندما حملت عليه بنو هوازن وهم ينادون يا أسود يا زئيم يا بغل يا لئيم أذاقك العذاب الأليم ثم حملوا فى عشر بر ألف وهم مثل الليوث العوابس فصرخ عنتر فى وجوههم ونادى يا أولاد الزوانى اليوم ملأ منكم البيدا وأشفى عليل قلبى من الردائم إنه حمل وحملت خلفه بنو عبس الأجواد والتحم بين الطائفتين القتال والطوا لوا نطقبت الجيوش على بعضها البعض حتى زلزت أطار الأرض هنالك زادت الدوائر وبان الربح من الخسائر وثبتت بنو زهران فتلقتها بنو عبس وعدنان وكان لهم يوم تشيب فيه الولدان هذا وعنتر ما وقع بفارس إلا حطمه ولا بطل إلا قتله ولم يزالوا على ذلك المرام إلى أن أقبل عليهم الظلام وافترقوا عن ضرب الحسام وعادت بنو عبس بمددها القليل وقد فعلت الفعل الجميل وقتلت من أعدائها أوفى من ألفين قتيل وعاد عنتر وهو مثل شقيقه الإرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وهو يهتز مثل الأسد الغضبان وعادت بنو زهران وبنى قحطان وقد بان فيهم النقصان وعلموا أنهم مع بنى عبس فى خسران فاجتمع المشايخ منهم يتشاورون فيما يفعلون فقال بعضهم الرأى عندما أن نجعل دروعنا قبورنا ونقابل عن حريمنا حتى نفنى جميعنا وإلا أن انهزمنا منهم وطالبنا الفرار ما يبقى منا ديار ولا نافخ نار ثم يشجعون أنفسهم حتى أصبح الصباح فركبوا الجرد القداح واعتدوا للحرب والكفاح فجعل عليهم عنتر لبث البطاح وتبعته بنو عبس الأوقاح ففرقوا مددهم وأبادوا مددهم وحمل عنتر على الأعلام فكسرها وطعن فى القوم وهبرها ولم يزل يقتل من كل فارس نبيل وقتل جليل وقد أشجعهم ضرباً وطعناً وطحن العشائر طحناً وقد أبادهم بالصارم البتار ورجع عنتر ومن معهم من الرجال ستمائة أسير من بنى زهران فضرب رقابهم من بكرة أبيهم إلى أن أحيا بنى أسد ونزلوا عليهم نزول البرد فهجموا من بين أيديهم وتركوا لهم المال والنوال فقال لهم عنتر يا قوم هكذا حال الغنم إذا شمت رائحة الأسد شردت فى البرد والعدد فلما تم أنهم أقاموا على أمياتهم ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع قد حمل هو ومن معه على أبياتهم فقتلوا منها خلق لا تحصى وقاموا الأحياء وسبوا النساء والولدان وصاروا رزقاً مغنماً للشجعان وتركوا ديارهم بلاقع لا فيها ناظر ولا سامع ثم أنهم رجعوا إلى موضع المعمعة وأخذوا ميسرة والمظال ودروعها فى الأكفان وحملوها على ظهور الجمال وعادوا طالبين أرض الشربة والعلم السعدى وعينين عنتر تفيض بالدموع ولما تمادى به المسير أنشد يقول صلوا على طه الرسول

فعما قليل فـــولوا وقد قتلت الهام الفـــتى المعلما
وجرت أبيض ماضى الحديد يلين لهزته مخدما
تركت مهلهل تحت العجاج ومن بعده الفارس الأشيما
وقرت عيونى بثاراتهـــم وسارت نساهم لنا مغنما
جلبت بنى عبس فى حربها إلى حرب جيرانها علقما
فصبحت هوازن فى دارهم خواتج من كواثر أفئما
فناديهم باختلاف الطعان إذا حملنا ساعة أضرما
أقمت سناء النار وسط الديار وأسقيتهم صرفها محتما
فيا آل عبس فمن فعالكم من الناس من سمى أكرما

(قال الراوى) فلما سمع القوم هذا النظام تعجبوا من فصاحته وقوة قلبه وو قاحته فعند ذلك تقدم اليه ورقة بن زهير وقبله بين عينيه وقال له لا أفض الله فاك ولا كان من يشنك أبا الفوارس ثم إنهم ساروا وارتحل يطلب ديار قومه ومنازل عشيرته وأهله وقبيلته فبينما لا عنتر سائر وإذا بغبرة قد أقبلت وعجاجة ارتفعت والى الجو تعلقت وبعد ساعة تمزقت وبازين بزيق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وصلصة الحديد والورد النضيد وقدامهم فارس شديد كأنه عامرد من العواميد وهو طويل القامة عظيم الهامة إلى جانبه فارس يشابهه فى الزى والمنظر إلا أنه أوطى قامة وأكثر هامة ولما نظروا إلى عنتر والى كثرة الأموال التى معه وذلك السبى الكثير الذى طمعوا فيه وتوقفوا عن المسير ونظر عنتر إلى حسن خيولهم وعددهم فطمع فيهم وفى قلة عددهم فوقف دونهم وقال يا بنى الأعمام مرادى من يكشف لنا خبر هؤلاء القوم اللئام ومن أى العرب هم حتى نبقى على يقين وتزداد عندنا بمعرفتهم البراهين فإن الإنسان لا يخلو من عدو ولا صديق ولاسيما فى مثل هذا البر وانطريق فبينما هم فى الكلام والجدال وإذا بفارس من بين تلك الأبطال وأطلق نحوهم حصانه وقوم بين آذانه سنانه ولم يزل حتى تقرب منهم ووقف ونادى بأوجه العرب أخبرونا بأسمائكم فإن كنتم من أعدائنا فأبشروا بالندامة وإن كنتم أصدقائنا فابشروا بالسلامة فهذه الخيل التى ترونها من بنى قضاعة أهل القوة والشجاعة ان المقدم عليها الأمير عمرو ذو السكاب الفارس الندب وأخته الهيفا قناصة الرجال فأنتم من تكونوا من الأبطال فعجبوا فى المقال وأكشفوا لنا عن حقيقة الحال قبل أن يحل بكم الوبال فلما سمع هذا المقال حتى برز اليه من عبس فارس يقال يقال أسيد بن ماجه فانقض عليه مثل العقاب الشارد وكان عنتر قد أخرجه اليه فلما تقرب منه وحاذاه فأطلق لسانه وناداه وقال له يا فتى ميز أمامك وانظر من قدامك فنحن فرسان بنى عبس

وعدنان وقد منا فارس العصر والاوان لفارس الاسمر والبطل القسور فارس الجلاد وحية بطن الواد ابو الفوارس عنتر بن شداد (قال الراوى) فلما سمع الفارس هذا الكلام صار كانه النجم بالجام وعاد راجعا إلى صاحبه وأعاد عليه هذا الخطاب وقال له أيها البطل الهمام هؤلاء بنو عبس الكرام فرسان المنايا والموت الزؤام والمقدم عليهم عنتر ابن شداد فارس الحرب والجلاد قال لما سمع عمرو ذو الكعب هذا المقال اهتز على سرجه وقال ونادى يا للعرب يا لها من غزوة بها تقر العين رأوفى مالى لى هذا العارس من الدين هذا قاتل ابن عمى المتعنجزين فارس القضاعى وهو الذى قبض عليه وسلمه إلى خفاف بن ندبة وأوصل الأذية اليه وكان هذا عمرو ذو الكعب له حديث عجب لانه كان قد فعل فى العرب شيء كثير غريب ما فعله أحد من قبله ولا من بعده وذلك من شدة تجبره وجهله وله اخ يسمى عنان وكان جبارا من جبابرة الفرسان وكان امنحه الله بأكل لحوم السباع وكان يهجم عليها فى الغابات ويقبضهم بيديه ويقرض حلوتهما بأسنانه ويشرب دماءهما وكان قد أفنى منهم شيء كثيرا ومازالت هذه الصفة صفته حتى انتهت مدته فاعطوه خبر أسد قد تقرب فى البرارى واعتاد على لحوم الانسان فسار إليه وهجم عليه ولطمه بيديه وجديه الاسد بين خديه وقوض حلقه فى عاجل الحال ومات وقضى عليه فلما نظر أخيه إلى جواده وقد عاد خالى منه علم ان السبع أكله فركب جواده وسار حتى دخل على الاسد فى أجمته ونظر وإذا بأخيه تحت الاسد وهو برقع فى جثته عندها تقدم إلى الاسد وزعق عليه وضربه بالسيف بين عينيه أخرجه يلمع من بين فخذيه ثم إنه أخذ ما بقى من لحم أخيه وواراه فى التراب وحلف أنه يقتل فى ثار أخيه مائة سبع وصار يهجم الغابات ويقتنص اسود العناق ويذبحها على قبر أخيه حتى هابته سادات العرب من ذوى المناهى والرتب وحملت اليه الاموال تداريها وتتقى منه الاهوال ثم أنه أخذ كلاب من كلاب الصيد وعمل فى رقبته طرق من الذهب الاحمر وقلادة من الجواهر وقد حلاه بحلل من الديباج مرقدم ناالذهب الوهاج ووكل به مائة عبد من العبيد الانجاب وأمرهم أن يطوفوا به على قبائل العرب ويقولوا هذا كلب الامير عمرو بن جلهمة القضاعى وقد جعله خفيرا على سائر قبائل الشام إلى أرض الحجاز واليمن وأرض العراق فلا أحد منكم يخاف على مال ولا عيال مادام خفيركم على هذا الحال (قال الراوى) فلما سمعت العرب هذا النداء وتلك الاشاره حملت اليه الغارة وما منهم الامن يقبل عليه ويقبل الارض بين يديه فلما طال الزمان عليه سمته العرب عمرو ذو الكلب وسمى بين قبائل العرب بهذا الاسم الصعب وقد كانت له أخت تسمى الهيفا وقد اشتدت بين أقرانها وكانت أحسن أهل زمانها وانه قد تهنى بها لما رأى شدة أعصابها فعلمها الفروسية والكر والفر والهزل والجد وفرسها فى أبواب الحرب وخدائع الطعن والضرب فصارت وحدها تكبس الحلل وتنهب الاموال وتقتل الشجعان والابطال

واتفق انه كان لها ابن عم يسمى قتادة وهو بطل من الابطال وكان مع ذلك صاحب حسن وجمال فنظرها فى بعض الايام فارمته من قسى حواجبها بسهام فانشد يقول :

دعنى امتع طرفى منك بالنظر ... فنور وجهك يجلى ظلمة البصر
قد كنت عنها غنيا عند رؤيتها ... واليوم لبس عيان الشىء كالخبر
أما السماء فما فيها سوى قمر ... فرد ويارب كم فى الارض من قمر

(قال الراوى) فلما سمعت الهيفا شعره زعقت زعقة وبادرته فى عاجل الحال وقالت له ويلك لمن معنى بهذا الكلام ياوغد العرب ويا كثير الجهل وقليل الادب فقال أعنيت اليك ياحبيبة القلب والفؤاد فهل لك أن تجعلى بينى وبينك ميعاد فلما سمعت كلامه وفهمت مرامه عظم عليها وكبر لديها عندها هجمت عليه وأدخلت يديها تحت عنقه والاخرى مسكت بها رجليه ثم شالته إلى حد أضاها وضربت به الارض فأدخلت عظامه بعضها بعض وطرطش دهن مخه طولا وعرضا وهى تنشد وتقول :

اظننت أنى أعد من النساء ... وذرى الخدور استر بحجال
كلا وحق المرتين وزمزم ... إن كنت الا لبوة الربال
بأفرى الجماجم يوم مشتجر القنا ... وأجندل الابطال بالفصال
دق كأس حنق عاجلا من هيفاء ... تلقى الرجال باسمر عسال

(قال الراوى) ثم انها ولت تهتر غضبا وتسيبط ضجرا فعند ذلك وقعت الصرخة فى الحى بقتلته وان الهيفاء قتلت ابن عمها وأسقته كأس منيته فركضت الناس لينظروا ما الخبر ويقفوا على جلية الاثر فنظروا ما فعلت به من ذلك الامر وخرج أيضا اخوها الامير عمر وفرأها تدمدم وتزمجر نسألها عن الخبر فما خبرته بقصتها فتعجب من تلك الفعلة التى فعلتها ومن ذلك اليوم هانتها الرجال واحتشمت حرمتها الابطال وكانت تركب هى وأخوها إلى القبائل وغيرها على سكان المياه والمناهل حتى دخل اكثرهم تحت طاعتها واستتابوا حرمتها (قال الروى) فبينما هم فى بعض الايام وإذا قد قدم عليهم جماعة من العبيد الموكلين بالكلب وايديهم على رؤسهم وجدوا عليه الندب ويدعوا بالويل والثبور وعظائم الامور فقال لهم ما بالكم وما الذى دهاكم وناكم فقالوا ايها السيد كنا كما امرتنا نحن وجميع العبيد والعرب تحمل الينا الغفارة المقيمين والسفارة وإذا طلع علينا خمسمائة فارس فى الحديد غواطس يقدمهم فارس طويل فى تقاطيع الفيل ومعهم أموال جسيمة ونعم ضخمة فلما رأيناك الاموال ورأينا خلفهم الابطال فقدمنا اليها بروم خطابهم حتى يردوا جوابهم وقد تبيناهم وعن احسانهم وانسابهم سألناهم وإذاهم من بنى سليم الذين لم يرفعوا اذية ولم يشكوا قط ضيم والمقدم عليهم عمرو بن لاحق السلمى فطلبنا منهم الغفارة بعد أن بجلناهم وخاطبناهم بالامارة وإذا بمقدمهم قد صاح

فيناو زعق علينا وقال يا ويلكم أنحن عن يعطى غفارة ونحن فرسان المنايا وأسود الغابات ولو أنه عار على أنى أعوض سبق بدم كلب كنت قتلته وقتلتكم معه وأنزلت بكم الكرب ولكن أنا أعمل فيه علامة وأوقع بكم المذلة والندامة حتى إذا وصو إلى صاحبه علم أن الهوان به لا بكلبه ثم إنه يامولاى نزل إلى الكلب وقطع آذانه وعلقها فى عنقه وشرم مناخيره ونزع ماعليه من جميع لباسه بعد إن كاد يهد أساسه ويقطع رأسه (قال الراوى) فلما سمع عمرو من العبيد ذلك الكلام ورأى كلبه مقطع الآذان مشوه الاحوال زعق بالقضاعة بالقحطان فاجابته جماعة من الابطال والشجعان فقال لابد لى أن أقطع رأس عمرو وأقتله وأفعل به كل أمر صعب أدور به فى قبائل العرب ولا تركت من بنى سليم من يمشى على قتب ثم إنه صرخ فى بنى عمه وسادات قبيلته وركب من وقته وساعته فى سنياتة فارس أسوس عوابس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وهو فى أوائلهم وأخته الهيفا إلى جانبه وكذلك سادات قومه وأهله وأقاربه ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على ديار بنى سليم وما كان عمرو بن لاطية يظن أن عمرو ذو الكلب يسير إليه ولا يقدم عليه فبينما هو فى دياره وإذا قد وقعت فى العبيد وهم قد هربوا من المراعى وتلك العبيد وهم يصيحوا يا أمير انجدنا فقد حل بنا الويل والتدمير وقد أقبلت علينا خيل ونحن فى مراعى فما ثبت قدامها الأمير ولا راعى فعند ما نفرت الرجال وسمع عمرو بن لاطية ذلك فسأل عن الحال فقالوا له إن عمرو ذو الكلب وأخته الهيفا قناصة الرجال قد عزونا فى جماعة من أبطالهم وقد قتلوا جماعة من رجالنا وأبادوا عبيدنا وهو الينا (قال الراوى) فلما سمع عمرو بن لاطية بذكرى عمرو ذو الكلب زادت نيرانه اشتعال وزاد به الكرب والبلبال فركب وقد عاص فى عدته وخرجت رجاله إلى تجدته وأطلق لجراده عنانه وقوم بين أذنيه سنانه ولحق القوم وهم فيما هم فيه من الحرب وقد أبادهم بضرباته وطعناته وعمرو ذو الكلب وهو ينادى بأرغاد غير انجاد باقليلين الأدب أنتم تقطعوا آذان نفير العرب فلما سمع عمرو بن لاطية مقاله فتعين عليه قتاله ونادى يا لسليم الكاشفين الضيم أى شىء هذا الفشر ثم أنه صاح فى قومه وحمل وفعلت سادات قومه مثل ما فعل وحملت الرجال بالابطال والتقاهم عمرو ذو الكلب وأخته قناصة الرجال فكان لهم يوم عظيم ما جرى مثله فى تلك الاقاليم ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن أقبل الليل بظلامه الحالك وولى النهار بضيائه الضاحك وافترقت الطائفتان انفصلوا من بعضهم البعض الجمعان ولا إقبال الليل كان قد حل ببنى سليم الويل إلا أن عددهم كثير وبنى قضاعة فى خلق يسير فتحارسوا إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فكان أول من فتح باب الحرب والكفاح عمرو بن لاطية فقفز إلى مقام الطراد وميدان الجرب والجلاد ونادى يا آل قضاعة يا معدن الجهل والرقاعة أنا عمرو بن لاطية الذى منعت عمرو

ذو الكلب واليوم أقطع من الدنيا عمرو ورزقه فقد برز إلى الميدان ومحل الضرب والطعان حتى يبان الشجاع من الجبان (قال الراوى) فلما سمع عمرو ذو الكلب من عمرو بن لاطية ذلك الكلام عرف ما يريده من المرام فبرز إليه وصار هو وإياه فى مقام الصدام ومحل الضرب والخصام وصارا يأخذان فى المقاربة والالتزام فنادى عمرو بن لاطية إلى عمرو ذو الكلب ويلك يا لئيم غير كريم أى شىء هذا الفشار العظيم على أمراء بنى سليم أما تعلم أنى أمير هذه القبيلة ولى فيهم المكرمة والوسيلة ثم نادى يا بنى عمى خذوه على أطراف الرماح وقطعوه بشفار الصفاح ثم حمل فى بنى عمه وأراد ان يظهر على بنى قضاعة ربحه هذا وعمرو ذو الكلب قد التقاهم فى بنى قضاعة الذين هم أهل القوة والشجاعة فكان لهم ساعة وأى ساعة وقد بلى كلا منهم بما لا يطيق دفاعة عند ذلك تحربوا وتضاربوا بعد أن تقاربوا فلم تر إلا رأس طائر وحصان غائر ودم فائر وبلوا بنى سليم بين بنى قضاعة بحرب لا يستطيعون دفاعه ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلامه وقد سالت الدماء على الأرض مثل السيل وقد جل ببنى سليم الحرب والويل وأتتهم كل بلية عربة مما حل بهم من تلك المصيبة هذا وقد رجعت الطائفتين كل منهم إلى مقامه واستقر فى مقامه وأكل ما قدر عليه من طعامه وحارس الفريقان إلى أن أصبح الله بالصباح وطلع النهار بنوره الوضاح وكان أول من نتح بالحرب عمرو بن لاطية وقفز إلى الميدان ومحل الضرب والطعان ونادى يا بنى قضاعة يا أهل التعدى والوقاحة أنا عمرو بن لاطية السلمى أنا الذى منعت عنكم كلبكم وقطعت آذانه وشققت مناخيره وقطعت من الدنيا رزقه وذلك استحقارا بصاحبه وسببا لقطع مآربه وسوف أرغم أنفه وأعجل جتفه فلما سمع عمرو ذو الكلب نداءه زاد غيظه وهمز بجواده غضبا وقد زاد غيظا وتلبا وانطبق عليه انطباق الغمام وسار هو وإياه فى فرد مقام وهو محل الحرب والصدام وجاء الجد ومضى العتب والملام فتجاولا حتى أذهلا سائر الانام وسار النهار عليهما ظلام فعند ذلك أطبق عمرو ذو الكلب على عمرو بن لاطية انطباق الاسد الادرع والليث الصميدع والهبه وأكربه وجاوله حتى أتعبه وطعنه فى جانبه أقلبه عن مركبة يخور فى دمه ويضطرب فى عتده وحمل بعد ذلك على بنى سليم وتبعه بنى قضاعة وأنزلوا عليهم البلاء والضيم فقاتلوهم ساعة من النهار فلم يجدوا لهم قدما فهم انطبا فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار ولما اتسعوا قدامهم فى القفار عادوا إلى جلتهم والديار ونهب أموالهم وأخذ نوقهم وجمالهم وعفى عنى جريحهم وعيالهم وعاد طالبا بنى قضاعة وقد تبين العرب ما هو عليه من الشجاعة ورحت بما عمل أقاربه وهو سائر وأخته قناصة الرجال إلى جانبه حتى التقى متنزهين عدو جرى بينهما من ذلك الايراد وعاد إليه الفارس الذى أرسله بمصر

الخبر وعاد إليه وأخبره أن هذا الفارس ابن شداد عنتر وعلم عمرو ذو الكلب أن هؤلاء القوم من بنى عبس فقال لمن معه من الرجال الأخيار أبشروا يا بنى عمى بأخذ الثار وكشف العار فان عنتر الذى قتل ابن عمى المتعنجز بن فائر وأبد اليوم أخذ بثارى وأكشف عنى عارى فكونوا على أهبة الحرب والقتال فانى سمعت أنه فارس ليس له مثال وليس يقاس به أحد من الرجال واعلموا يا بنى عمى أن القبيلة تسميها العرب الموت الزؤام ولنا عندهم ثار وقتنا لنا لهم غاية الشرف والفخار لأنهم قد أذلوا الرقاب وخاضوا الامور الصعاب فان نحن نصرنا عليهم كما نصرنا على غيرهم كان لنا الشرف الأكبر والعز الأفخر ولا يبقى أحد فى العرب يضاهينا فى الفجار ولا يساوينا فى علو المقدار (قال الراوى) فلما تم عمرو ذو الكلب كلامه حتى زحف إليه عنتر وبنى أعمامه إلى أن بقى بينه وبينه رمية سهم الشباب فعندها زعق عنتر وأعلن فى الخطاب ونادى يا بنى قضاعة من عرفنى فقد كفى ومن لم يعرفنى فانا أعرفه بنفسى فانا مالى خفا أنا عنتر بن شداد الذى تهاب مطلوقى الملوك الشداد فخلوا ما معكم من الاموال وعجلوا بانفسكم سالمين من قبل أن يحل بكم الوبال وبذيقكم العذاب المبين وبددكم عن آخركم أجمعين وتصبحوا نادمين وإن أردتم القتال والحرب والنزال فلم يبرز إلا فارسكم الأوحد وبطلكم الأمجد عمرو ذو الكلب الذى طغى على العرب وتمرد وبغى على السادات وأهل الرتب وقد استن سيأ ما فعله قبله أحد من العرب إلا إن كان وزر بن جابر المكنى بالأسد الرهيص وكان قد صنع كذلك واتخذ له كبش وأخذ له عفاره العرب فلما سمعت به سرت إليه وذبحت الكبش فى داره وأكلت لحمه بغير اختياره وبعد ذلك أخذته برقبته ولا التفت إليه وأسرته أول وثانى والثالث وبالنار كحلته وأطلقته لسؤال عمرو بن معديكرب وأخته ريحانه وكذلك بلغنى أن عمرو فعل مثل فعاله فلعله ما سمع بفالى ولا ذاق حربى وقالى وها أنا قد نصحته ان قبل النصيحه وإلا تركته بين العرب فضاحة وله الامر فى ذلك إن أراد السلامه من شرب كاس المهالك (قال الراوى) فلم يتم عنتر كلامه حتى قفز عمرو ذو الكلب وصار قدامه وكان قد ركب جواده وراعتد بعده جلاده وطلب الجولان فى حومه الميدان ثم إنه حال وصال ولعب برمحه العسال وكان غليظا طويلا من الرماح فهزه فى يده فصفه ولحقه فى تلك البطاح ثم أخرج مزودا كان معه على كفل الجواد وأخرج منه أنابيب حديد فركبها بعضها فى بعض فى تركيب شديد حتى صارت رمحا من ثمانية عشر أنبوب وأخرج منى قربوص سرجه سنان أزرق له لمعان ورونق وركبه على رأس الرمح وصرخ بعنتر صرخة تكاد القلوب لها أن تنفطر وارتج لها البر ثم انه صار معه فى مقام الكر والفر ونادى يا عبد السوء لقد افتخرت بغير فخرفكم رجال ذللها وفرسان فى الحرب قهرتها بالك يا وغد قومه ولئيم عشيرتك أتعايرنى يا سرك الأسد الرهيص الذى كنت على ذبح

كبشه حريص وكنت قدرت عليه وأسرته وبما كان عليه من التقدير فعلته وأما أنا فقد أخذت جزية الملوك وعفوت عن كل غنى وصعلوك ولا بد لى فى اليوم إنى آخذ منك بالثار وأجلك بلباس العار وأقضى منك دينى ويقر بقتلك عينى وآخذ بثار ابن عمى فايز القضاعى الذى أسرته لما دخلت إلى بلاد اليمن فى تلك النوبة وسلمته إلى خفاف بن ندبة فضرب عنقه وعدت إلى خساسة أصلك وقبح فعلك لأنك أخذت سيداً من سادات العرب سلمته إلى عبد مثلك ما له حسب ولا نسب فاليوم أعجل حمامك وأستريح كأس انتقامك ثم أنه أنشد يقول :

ذكرت سعاد عند يوم فراقنا ... وقلت لها كفى عن التعس والنكس
دعينى ففى قلبى من الهجر لوعة ... فجودى بوصل منك تحيى النفس
ولا تبعدى بالصد والجفا ... ولا تلزمينى من حبك غير جلس
فقالت أما والله والركن والصفا ... وبالله واللوح المعظم والكرسى
ألم تشفى من أسود تقتلنه ... تسميه أبطال الوغا حامية عبس
وتأخذه فى الحرب والذل والأسى ... وتتركه بين الدكادك والرمس
وإلا فما منك نيل ومقصد ... وحال منك أبداً بالنكس والتعس
فقلت لها كفى سأتركه عنترا ... رهين بقاع الأرض تهوى به الرمس
واسألى الفرسان عنى إذا التقت ... وحلت ومالت بالدروع وباللبس
أجول على سهر من الخيل سابقاً ... تراه كلمع البرق والطير الملس
فلا تفتخر يا وغد عبس على الوغا ... بباسك لما إن لقيت بنى الفرس
فقحطان لا ينسون فعلى وموقفى ... وكل بنى الدنيا من الجن والإنس
ستترك عبلة من الآن دائماً ... عليك وتبكى مع نساء بنى عبس
أنا عمرو وقد شاع فى الناس ذكره ... واسألوا عنى حسامى مع الترس

(قال الراوى) ثم إنه لما فرغ من ذلك الشعر والنظام انطبقا على بعضهما البعض كأنهما قطعتا عمام واعتركا فى ذلك المقام حتى صار الصياح فى أعينهما ظلاما وبعد ذلك افترقا للراحة والكلام فأجابه وهو يقول :

فدع يا عمرو ذكرك بافتخار ... فأنت تعد من سقط المتاع
وإنى مقسم قسما عظيما ... وحالف ما دعى لله داع
لعينين عبلة أسقى حسامى ... نجيعاً منك فى يوم النزاع
ألا يا عبلة لو عاينت فعلى ... إذا جال الشجاع على الشجاع
لشاهدت العداء اليوم ضربى ... وطعنى للدحال بلا خداع

قضاعة سوف أتركها حبارى ... بناع الارض تاكلها السباع
عمرو الكلب فيها كلب ملقى ... عليه الطير مع وحش الضباع
أبى شداد والحسب المضاهى ... ومن هو كان عالى الارتفاع
فهذا السيف من تلك المواضى ... وهذا النور ذاك الشجاع

(قال الراوى) فلما فرغا من الشعر والنظام عاد إلى ما كانا عليه من الكر والفر ومثبات والفرار والمستقر والرد والصد والهزل والجد والمطابقة والحرب والصدام والمماسكة والالتزام وشرب كاسات الحمام وتجريع الموت الزؤام وتظاعنا طعن الخنق ولمع على رؤسهما صارم المنايا وبرق وصارت الاعين مثل العلق وتعبت السواعد وزالت الابدو عظمت الشدائد وهما فى ضرب يهدو طعن يقد إلى أن أظلم الظلام وأقبل الليل بالغسق وغابت الشمس تحت الشفق وعاد كل واحد منهما عن صاحبه وافترق وطلب الراحة والانفصال فقال عنتر لا وحق المالك المتعال لا تطمع نفسك فى راحة فاهى لك مباحة وإن كان ولا بد من ذلك فأنزل قبالى وأنا أنزل قبالك فابقى بيننا انفصال حتى يبلغ أحدنا الامال فقال ما جرى لى بهذا عادة أن أفارق خصمى إلا بانفصال ثم أنه أثنى رجله ونزل وفعل عمرو ذو الكلب مثل ما فعل فانوم الفرسان من قومهم بطعام وشراب فاكلا وأخذا لهم راحة على تلك الارض والتراب حتى أصبح الصباح وأضاء بكركبه ولاح وكب الاثنان وقاموا لاستيفاء الدين وفتحا باب الحرب وأخذ فى معاناة الطعن والضرب وانطبقا على بعضهما البعض وجالا طولا وعرضا حتى تدكدكت من ركض خيولها الارض حتى قلت منهما العزائم وضعفت الايادى عن قبض الشكائم ثم قوى الحر ونفح عليهما البرق فقالا الراحة والكلام حتى ينشد كل منهما شعرا ونظام فعندها أنشد عنتر يقول :

يا جاهلا بمكانه الشجعان ... مهلا ستبقى رهين القيعان
يا ابن الزنا أما سمعت بهمتى ... وصولتى ويجلتى ومكان
من أى قوم أنت لاسقوا الندا ... قتال كاس الموت عند طعان
اليوم آخر عمرك إن فى ... كفى كعوب أسله بستان
أو ما علمت بأننى أشدى الوغا ... لما عدت كل الوغا تخشان
أو ما عمت بان دهرى صارم ... فى راحة والعالمين بنان
أو ما علمت بأن مجدى باذخ ... حتى علا شرفا على كيوان
والاسد تخشانى وتعرف همتى ... وأنا الصبور وإذا الزمان غشانى

(قال الراوى) لهذا الكلام لما سمع عمرو ذو الكلب من منتر ذلك الشعر والنظام صاح عليه يا ولد الحرام لمثلى تقول هذا الكلام وأنا الليث الهمام والاسد الدرغام شجاع المعامع يوم

الزحام ثم أنه أجابه على شعره وجعل يقول :

ألا يا وغد عبس سوف تلقى ... هما ما لا يخـــاف من القراع
وتشرب شربة فيها حمـــام ... إذا نلفت ذراعك فى ذراع
لأنى فارس بطـــل مكر ... تقر لى الفوارس فى القراع
سألت الرب يجمعنا قريبـــا ... وقد وافى بقرب الاجتماع
وفى كفى ثقيـــل المتن عضب ... يداوى الرأس من ألم الصداع
سأشفى منك نفسى يا لئـــيم ... وأكشف ما سيبقى من قناع

(قال الروى) فلما سمع من بعضهما بعض ذلك الشعر النظام وتفاوضا فى القول والكلام حملا على بعضهما بعض وأوسعا فى المجال طولا وعرض ولاقى كل منهما صاحبه وتلقى طعناته ومضاربه ثم أنهما انطبقا الاثنان كأنهما بحران واقترقا كأنهما جبلان وحان عليهما الحينين ووزعق على رؤوس الإثنين غراب البين وكان لهما ساعة يأتيهما من ساعة تعلمت منها الفرسان الشجاعة والبراعة (قال الراوى) ثم هدر كل واحد منهما كأنه أسد هدار أو بحر زخار وعلم عمرو ذو الكلب أن عنتر فارس مغوار وبطل كرار ويريد الدرهم قنطار ولم يزالا على هذا العيار إلى أن مضى النهار بالأنوار وغابت الشمس بالاصفرار وأقبل الليل بالاعتكار فافترقا عن القتال والنزال ونزل الراحة كما تقدم ولم يزالا على ذلك الحال مدة ثلاثة أيام ولم يلحق أحد من صاحبه مرام إلى إن كان اليوم الرابع عند الصباح وقد بقيا أشباحا بلا أرباح عندها قال عمرو ذو الكلب بالله يا أبا الفوارس تمهل على وتصبر فى هذا المقام المكرفأنت والله أوحد البدر والخضر ومالك فى زمانك مصبر يا ذا البطل الجليل وقد شاهدت منك الغرض الذى ماله عوض وأنت والله فارس الزمان وأعجوبة العصر والأوان مع ما شاهدت فى بنى قحطان من الفروسية والاقتدار على الشجعان ها أنا مقر لك بالفروسية وعلو الشأن يا فارس عبس وعدنان وحق ذمة العرب الكرام وزمزم والمقام والبيت الحرام قد تعبت ووقعت فى مناكبى التعب وقد عاينت منك العطب ثم أنه من تعبة وقع على الأرض وترجل عن جواده ورمى حسامه وعده جلاده وسعى إلى عنتر وقبل ركابه وسأله من فضله أن يتخذه من بعض أصحابه فترجل عنتر عن جواده وقد زال ما كان من التهابه واعتنقا بعضهما البعض وأعطى له الزمان والأمان وصار عمرو من جملة أصحابه والخلان فقال له يا مية عبس رضيت أن يكون ذهاب ما بقى من عمرى بين يديك ولا أبخل بدرحى عليك فأنت والله فارس الزمان وتاج بنى عدنان فوالله لقد قاتلت بنى عدنان الفرسان وبنى قحطان وخولان وبنى قرادة وذبيان وبنى الربان والأعجام والعربان ما رأيت أعصب منك ولا أشد عصب وحق ذمة العرب قد وقع فى مناكبى التعب ودب فى زنودى العيا والضنا (قال الراوى) ففرح عنتر فرحا شديدا لما عليه من مزيد ووعده أن يكون له بمنزلة

الأخ الحبيب والصديق والنسيب وقالوا له يا وجه العرب أنا قد اغتال الدهر أولادي وفزع عليهم فؤادي فلعل أن يكون عليك اعتمادي وتكون عوضا عما مضى ثم عاد كل منهما على ظهر جواده ثم عاد عمرو إلى قومه وهو يكثر من شكر عنتر وحسن وداده وقال لأخته قاصة الرجال يا أختاه اليوم أنا عبسي ما أنا قضاعي ولا قحطاني وإني أريد أن أقضي بقية عمري مع هذا الفتى الكريم الفارس العظيم فقالت له أخته وأنا أيضا معك وأوافقك ولا أفارقك وكذلك قالت الفرسان من بني قضاعة الذين معهم في ذلك المكان وأجابوا بالسمع والطاعة لأجل علو الشأن ودخلوا بنو عبس وصحبتهم بني قضاعة في ذلك المكان قاصدين ديارهم والأوطان إلى إن وصلوا إلى أرض الشربة والعلم السعدي فالتقوهم بنو عبس بالإجلال والإكرام وخرجوا إلى لقائهم أهل الحلة النساء والرجال وعنتر ولا تنشف دمعته على ولده ميسرة وابن أخته الهطال وما بقي في الحي إلا من بكى لبكائه وأتى إليه وعزاه إلا الربيع ابن زيادة وأخوه عمارة القواد الكثير السكياد فانهما ما كان تسعهما الدنيا لكثرة الفرح لأنهما كان أعداوه هذا والربيع يقول لأخيه اتبع المقيمين بالماضين لأن سعادة عنتر ولت أيامه قد اضمحلت ولبس الزمان له وحده وما كان أعطاه له قد استرده وأنا أعرف بأن أجله قد اقترب وموته قد وجب هذا وعنتر قد دفن قتلاه في جانب العلم السعدي وجعلهم في قبر واحد وذبح على قبرهما مائة ناقة وجعل لحمها مباح للفقراء وأهل الفاقة وقد يحمل على قلبه من حزنه عليهما ما ليس به طاقة لكن جعل يتسلى متع همه وذو الكلب وزيد بن عروة وقد أنزل بني قضاعة في أبياته وقد صار يقضي أوقاته وقد جعلت عبلة تسليه وتحسن مداراته وتشغله عما هو فيه من الهموم وتزيل ما بقلبه من الغموم وتقول له أن الله العظيم أخذ ما أعطى وهو أحق بالأخذ والعطاء وما دمت أنت تعيش لنا وتبقى فما يدخل على بني عبس لا بأس ولا شقا (قال الراوي) ولما كان يوم من بعض الأيام ركب عنتر وركب في صحبته عمرو ذو الكلب وأخته الهيفا وزيد بن عروة ورجالهم الكرام وطلبوا الصيد والقنص وغابوا في البر ثلاثة أيام عادوا إلى الأحياء ومعهم من الوحش شيء كثير وهم فرحي لقتلا عنتر وما فزل بهم من الأيام حتى أنهم وصلوا إلى الأحياء وقربوا بالخيام وإذا بالدنيا منقلبة وقد علت الضجة من النساء والإماء والخدام وذلك النواح والعياط في أبيات بني قراد فسأل عنتر من ذلك الحال عمن لقيه من العبيد فقالوا يا مولانا فد قتل أخوك شيبوب وأنزلت به الكروب فاندهش عنتر وحار ولحقه الانبهار وإذا بالخذروف قد أقبل وهو مشقوق الثياب بادي الانتحاب وقد حثى التراب على رأسه وقد انزعجت سائر حواسه ودموعه تجري على خديه كأنها الأمطار وقد أهلك نفسه مما يدق على صدره من الأحجار فلما رآه عنتر لم يتمالك عقله دون أن زمى روحه ولطم على وجهه إلى أن برز الدم من منخريه وقعد ساعة كبيرة مغشي عليه وهو لم يحرك يديه

ولا رجليه لأن أخاه شيبوب كان عدته وعمدته فى الشدائد ومساعده على الأوابد ثم ترجل عمرو ذو الكلب وبكى وأن واشتكى وكذلك فرسانه ولما أفاق عنتر من غشوته قام ودخل إلى مضربه والخذروف فى صحته فرأى شيبوب مذبوح وهو جسد بلا روح فلما رآه عنتر صاح وقع مغشيا عليه وكذلك جرى على ولده الخذروف مثل ذلك واجتمع شايخ بنو قراد وعملوا على شيبوب مأتم عظيم وأكثروا من النوح والتعداد ولما أفاق عنتر من غشوته قال ائتونى بعبيد أخى شيبوب وكل من كان عنده فى البيت فأتوا بالجميع إلى حضرته فسألهم عما كان من أمره وقصته فقالوا له يا مولاى اعلم أنك لما مضيت إلى الصيد والقنص وتخلف شيبوب خلفك فى الأحياء قدم عليه عبد من العرب واستجار به فأجاره وسأله عن حاله فقال إننى عبد من عبيد بنى محارب وكنت أعشق أمة وهى تعشق غيرى فغرت من ذلك ودخلت عليهما ليلا وهما نيام فذبحتهما مثل الأغنام ولم أجد من التجئ اليه من الأيام يجيرنى على طول الأيام إلا أخوك عنتر البطل الهمام والأسد القمقام ثم أنه بكى وانتحب غاية الإنتحاب فرحمه شيبوب ورق له وأجاره لما رآه بتلك الذلة والاكتئاب ولما كان عند الصباح رأيناه مذبوحا ورأسه مرمى عن بدنه وقد فارقته الروح والعبد الذى استجار به ما وجدناه ولا علمنا له خبر ولا وقفنا له على أثر (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الخبر بكى وتحسر وقد لحقه الأسا والضجر أشار يرثيه بهذا الابيات :

أبكى عليه وأتعدد ... والدمع من جفنى نهران
فلا حضرت لاجهم ... سيفى ورمحى وحسانا
وأنا الهمام لدى الوغا ... أخو الشجاعة والطعان
ولكم أبيد فوارسا ... فى الحروب بالعضب اليمان
وعزيمتى فوق السها ... وفى علو الفرقدان
لى فى مقامات الحروب ... قصائد مثل الجمان
أسمى بعنتره الفتى ... ليث الوغا بطل الزمان
دهرى مضى مع سعادتى ... والعمر منى عاد وفات

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام دفن أخاه شيبوب فى قبر ولده ميسره وابن أخته الهطال ونحر على قبره شىء كثير من النوق والجمال وحزن عليه حزنا شديدا ما عليه من مزيد حتى أنه بقى لا يرد جواب ولا يعطى أحد خطاب وامتنع عن الطعام والشراب مدة أيام وليالى تمام ولا يعلم من هو قاتل أخيه حتى أنه يمضى إليه ويأخذ روحه من بين جنبيه وهو لا يدرى من فعل هذه الفعال ويأخذ ثأره منه ويطفى ما بقلبه من الايقاد لأنه ذاتب القلب

محترق الفؤاد (قال الراوى) وكان السبب فى هذه الامور العجيبة والاحاديث الغريبة وهو أن عنتر لما جرى له عن أيام صباه ما جرى من سرقة الابجر لما سرقه ابن المخلس ناهب السلال ويوصله إلى اللقيط بن زرارة ومضى إليه شيبوب وكشف خبره والتقى بالسلال عائدا فى الطريق وعاد خلفه واعلم به أخوه فقتله ودمره وساروا إلى اللقيط بن زرارة وخلصوا من عند الابجر والحجرة سكاب وقد ذكرنا هذا الكلام فيما تقدم فى هذا الكتاب وكان ذلك فى أيام نزولهم على بنى عامر وكان هذا السلال الذى هو المخلس يقال له جابر وبعد موته وسكنته المقابر كان له أخ يقال له سارح وكان داهية من الدواهى من أصحاب الفضائح وكان سلال خيل خواض النهار والليل وأنه فى بعض الأيام فبينما هو دائر بين اطناب الخيام وإذا قد وقعت عينه على جارية من بنات العرب الحرائر يقال لها زبيده بنت مبادر وكانت من نساء السادات الاكابر ولما رآها أحبها ولم يجد بدا من خطبتها فجمع أكابر عشيرته وقصد أباها وهو جالس فى خيمته فقام إليهم وتلقاهم ورحب بهم وأكرم مثواهم فكلموه فى أمر الزواج فاطأمهم ولم يدع علمهم احتجاج وقال يا ولدى أنت أكرم من خطب وأجل من فيك رغب ولكن يا ولدى ماسور وخطبة البنات العربيات لم يكن تصفها مثل هذه الامور فاذا أنت اجتهدت فى أخذ ثارك كانت لك أمه رجارية من جملة الخدمة فقال سارح باترى باعم عندمين من الرجال اعلمنى به وأنا أمضى إليه وأقضى منه الاشغال فقال له راخيك جابر الذى قتله عنتر لما مضى إليه وسل حسامه الابجر فقال يا مولاى أعطى بدك ومعاهدتك إننى متى مضيت وقتل شيبوب أو عنتر تزوجتى ابنتف فاجابه إلى ذلك وأعطاه يده وعقد وعاهده ثم اتفق الامر بينهما على ازواج ولا يقى لاحد منهما احتجاج وبعد ذلك لما اتفق بينهما الكلام لم أفاق سارح فى الحى غير ثلاثة أيام ثم أنه أخذ هيئته فى السير والجد والتشمير وليس جبة صوف مهلهلة الاذيال وشد وسطه بمنطقة من الاديم الطابعى وتعم بعمامة خام وشد خنجره من تحت ثيابه على وسطه وسار من أحياء بنى قحطان حتى وصل احياء بنى عدنان وقصد ديار بنى عبس وكان دخوله إليهم عند غروب الشمس وسأل عن أبيات عنتر فدلوه فسار حتى وصل إليهم وتقدم إلى أبيات عنتر وسأل عليه من بعض العبيد فقالوا له غائب فى الصيد فقال واين أخوه شيبوب فقالوا له حاضر ثم أنهم أرشدوه إليه فتقدم إليه وكان شيبوب وأمه زبيبة وولده الخذروف وأخوه جرير فى مكان واحد ولهم مضارب وخيول وجنائب وهم على رابة عالية فقصد سارح إلى أبيات شيبوب وشد وسطه ببعض أطناب البيت واستجار بصاحب البيت فطلع شيبوب إليه وسلم عليه وقال له يا فتى قد أجرتك من كل قبيلة فما بقى من وليوم لاحد عليك سبيل ثم ادخله بيت الضيافة وقال له قد أمنت من تخافه ثم سأله عن حاله وما صار

له وما جرى عليه فقال يا مولاى أنا عبد من عبيد بنى محارب ثم أعاد عليه الحيلة التى دبرها وأنه قصدهم يستجير بهم لكون أنهم أمنع العرب جار واحترامهم ذمام فقال له شيبوب ابشر يا علام عليك الذمام من كل من أكل الخبز وشرب الماء ولما كان ثالث يوم من الضيافة أمسى المساء وجلس شيبوب لاجل المحادثة والكلام إلى أن اقترب نصف الليل وطلع نجم سهيل وطاب لشيبوب السهر لاجل القضاء والقدر إلى أن غلب عليه سلطان الكرى ونام وكان عنده سارح ابن اللئام فلما راه فد غرق فى النوم وثب إليه وركب على صدره وذبحه وقطع أذنيه وأحد هميه معه علامة كما وقع الاتفاق وخرج من المضرب وجعل يمشى على يديه ورجليه إلى أن خرج من الخيام وأخفاه الظلام وستر عليه الملك العلام ولما كان من الغد دخل الخذروف على أبيه فوجده مذبوح فزعق وصاح وقلب الحى بالصياح وفى ذلك الوقت الاعبر وصل أبو الفوارس عنتر وجرى من القصه ما ذكرنا ودفن أخوه كما قدمنا وأشار يقول صلوا على طه الرسول.

لقد صار قلبى معدن الهم والاسا ... وعبره عينى تستهل دما يجرى
وفاجعنى دهرى كشطار بن فى وليتنى ... فلما تقضى شطره عادلى شطرى
فيا ليت أمى لم تلدنى وليتنى ... سبقتك اعجالا إلى ظلمة القبر
لقد كنت لى ركنا أعيش بظله ... فلما هوى ما ضت دموعى على نحر
ولقد كنت لى سيفا على سائر العدا ... فعدت رهين القاع ملقى على الصدر
أرى كل حزن سوف يبلى حزينه ... وحزنى عليك اليوم باقى مدى الدهر

(قال الراوى) ثم أنه حرم على نفسه اللذات وتمنى أخوة عنتر الممات وأقام يتجسس الاخبار حتى يعرف من هو قاتل أخيه من القوم الاشرار ويأخذ منه بالثار وهو من أجل ذلك على هيب النار (قال الراوى) فهذا ما كان من عنتر وما صار له من الاقوال وأما ما كان من أمر سارح السلال فانه لما فعل هذه الفعال لم يزل سائرا وهو يقد البرارى والتلال حتى وصل إلى حلته وأحكى لهم ما جرى له من قصته وكيف قتل شيبوب ولم يجد عنتر ولو كان حاضرا كنت قتلته الاخرة فرحت قومه بهذا الخبر وعملوا الولايم ونحروا النحور وسكبوا الخمور وداموا على الفرح والسرور ثم بعد ذلك طلب سارح زوجته من أبيها فانعم له بها فعملوا له الولائم ورقت زوجته عليه ودخل بها وطلب له المقام فهذا ما كان مقه وأما ما كان من عنتر فانه لما رادت به الاحزان والالام نظر إلى جريرو الخذروف وقال لهما ما القصد إلا أن تكشفا ما بقلبى من الكروب واحسرتاه على أخى شيبوب وما كانت جسارته على كل أمر مهوب فتنهد وتحسر وكان قلبه أن ينفطر وقال لهما اذهبا واكشفا لى الخبر عن قاتل أخى وطوفا الحلل والقبائل ولا تعودا إلا بالخبر ولو در تما عام كامل فى البر الاقفر فقا لا سمعا وطاعه ثم انهما حرجا وتلك

الساعة وقد أخذا مريحتاجان إليه من آلة الحيل وخرجا يطلبان المنازل والحلل فلما كان في بعض الأيام والحذروف سائر في البراري والأكام فجاءت طريقة على بني ضبية فوجدهم في بهرجان والجواري يغنين بالدفوف والعبيد يلعبون بالسيوف وهم في فرح وسرور وقد مدوا السماطات والكاسات عليهم تدور فتقدم وسأل بعض الرعيان عما هم فيه من الأمور وقال له يا ابن الخالة أراكم في هذا البهرجان أعندكم عرس لأحد من الشجعان فقال له الراعي نعم يا ابن الخالة وهو لرجل شجاع وقرم مناع يقال له سارح اخو المختلس السلال وقد أخذ ثاره وكشف عاره وقتل شيبوب اخا عنتر عوضا عن قتل أخيه وانزل به العبر وهذا العرس امن شأنه وهذه النوبة نوبته وليلة غد يدخل على زوجته (قال الراوي) فلما سمع الحذروف لم يكذب خبر رجع على الأثر إلى عمه عنتر وأعلمه بالخبر ففرح واستبشر ثم انه نبه رجاله وايقظ أبطاله ونادى لعمرو ذو الكلب وزيد بن عروة وعمه مالك وولده عمرو واموالهم بالمسير لأخذ الثار وكشف العار واعلمهم عنتر كيف طلع خبر قاتل أخيه وانه بني ضبية والذي قتله سارح بن ناهب اخو المختلس الذي كان قد قتله عنتر فركبوا وساروا ولو كان لهم اجنحة لطاروا حتى اشرفوا على ديار بني ضبية وشنوا الغارة على مراعيهم وساقوا اموالهم ونوقهم وجمالهم فوصل الخبر من الرعيان إلى الحلة فركبت رجالها واعتدت ابطالها وكانوا قد بعثوا إلى حلفائهم فجاءوا ليحضروا العرس عندهم فركبوا جميعهم وخرجوا على أنهم يردوا الغارة عن أموالهم وحريمهم ولم يزالوا حتى لحقوا عنتر ورجاله فلما نظر عنتر إلى الغبار وهو من خلفه قد ثار فقدم الغنيمة بين يديه واستقبل الأعداء بصدره وصار ينادي بالثارات الأمير شيبوب البطل الموهوب وحملت معه الرجال وزادت الأهوال وحمل عنتر ذات اليمين وذات الشمال يجندل الرجال في ساحة المجال وحال وصال وأظهر العجائب في ساحة الجلال ولا زال في قتال ونزال يهد المناكب والاوصال حتى مضى خيال النهار بالارتحال وأتى الليل بالانسدال ولم يبلغ أحد من رفيقه أمال وافترق الناس بعضهم بعض وقد امتلأت بالقتلا جنبات الأرض واوقدوا النيران وتحارس الفريقان إلى أن اصبح الله بالصباح واضاء بكوكبه ولاح ركبوا القوم للحرب والكفاح وتعدلت الصفوف وابرقت السيوف فتقدمت الفرسان والسادات إلى بشر بن عبد اللات الدهمي والمرقال بن جندلة الصهوي يشكوا لهما حرب بني عبس وما لاقوا منهم من الصدام الذي يسمونه العرب فرسان المنايا راكبوا الموت الزؤام لاسيما فيهم الاسد الضرعام الذي خضعت له الأسود الدحال وخافته جبابرة الرجال وأذل ركاب الشجعان الابطال وشهدت بفرسيته الافيال ونحن فافينا من هو كفؤ له غيرنا فليخرج إليه واحد منكما ويقتله وينزل به العطب ويفتخر بذلك بين قبائل العرب والسادات من ذوي الرتب فان كنتم عجزتم عن قتاله وحربه وتزاله فاعلموا بهذا الأمر حتى إننا نقلب

الهزيمة والفرار وتخلى له الاموال والديار (قال الراوى) فلما سمع بشرين اللات هذا الكلام وهم فى نفسه أن يبلغهم المرام فسبقه المرقال بن جندلة فارس العشيرة وحامى القبيلة من كل أمور خطيرة وقال يابنى عمى طيبوا انفسكم وقروا عيونكم فانا انزل اليه واقدم بكليتى عليه واخذ روحه من بين جنبيه واخرج إليه فى المجال وأدعوه إلى مقام الحرب والقتال فاذا اجاب وخرج إلى القتال قدته إليكم قود الذليل من الجمال فلما سمع بنو عمه كلامه طابت قلوبهم بقوله ومرامه ثم أن المرقال بن جندلة الصهوى ابس درع ضيق الزرد كثير العدد مذهب الاكمام مليح النظام قوى اللحام يرد عن لابسه اسباب الحمام فلبسه وترك على رأسه بيضا عادية مكوكبة بحلية ترد أسباب المنية وتذل بسيف بتار قطاع الاجسام والاعمار واعتقل برمح خطار وركب جواد كرار كأنه الطير إذا طار سبقته الرياح تركها وسار ما يلحق البرق له غبار كأنه الفلك الدوار والنجم للسيار صنعة لواحد القهار ثم أنه قفز إلى بين الصفين واشهر بين الفريقين ونادى العبس بالعدنان أنا المرقال بن جندلة الصهوى الفارس القوى الليث الوفى قاتل الابطال ومجندل الاقيال وحامى الجار وكاشف العار فلا يبرز لى الا فارسكم الغدار ولبشكم الكرار حتى أطير رأسه بهذا الحسام البتار ثم انه جال وصال ولعب برمحه العسال ثم أنشد وقال

سلوا الخيل عنى حين اعلو متونها ... واسرى بها نحو الاعادى مسرعا
الست أنا الموت المحيط على العدا ... إذا اشتبكت زرق الاسنة مشرعا
ابيد كماة الحرب فى موقف الردا ... وامنحهم فى السلم افضل موضعا

(قال الراوى) فلما اتم المرقال كلامه وما من ابداه شعره ونظامه الا وعنتر بن شداد قد صار قدامه ونادى ياويلكم يابنى اضبية اما كفاكم ما مضى من فعالكم ومن هجومكم أول مرة على فرسى الابجر وما أخذتكم بما فعلتم فى حقى من الامر المنكر حتى قتلتم من كان عدانى واراكم قد استنجدتم على جمعتم القبائل إلى قتالى وظننتم أنى أخاف من كثرة عددكم واجزع منكم أنا الذى أبدت الامم وأذلت العرب والعجم ثم أنه اجابه بهذه الابيات فصلوا على صاحب المعجزات

ياويل نفسى لقد غر الزمان بها ... من دى حروت همام نسل ذى شرس
لا يستريح بترك الناتبات معا ... اتى اخوض دما الابطال بالفرس
انى وان مال عمرى ما اصالحكم ... حتى تكونوا للوحش مقتبس
انى سافنى بسيفى من يعاندنى ... واحتوى كل ليث باسل شرس

(قال الراوى) ولما فرغ الامير عنتر من هذا الشعر والنظام انطبق كل واحد منهما على الآخر ومال على بعضهما فى الاثر بطعن وضرب يعمى البصر وجال طويلا لا اعتركا ميلا

وصبرا على الشدائد وغاصا في الاوابد أظهر عنتر صولته وطلب خصمه الرجوع من بين يديه وقد خاف من كامن المنية أن تصل اليه ولما زاد به لامر طلب الهرب فلم يجد له إلى ذلك من سبيل هذا وعنتر بين يديه وأينما مال يميل عليه وقد ضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه ثم أنه بعد ذلك قاربه وتمطى في كعوب الرمح وطعنه في جانبه الايسر أطلع السنان من الجانب الآخر ونفضه أقلبه وعن جواده كركبه وبعده طلب البراز وسأل الإنجاز فلم يبرز إليه أحد فعند ذلك احترق قلبه حتى كاد أن يذوب وتفكر أخيه شيبوب فحمل على الميمنة أقلبها على الميسرة وهو كأنه النار المسعرة ورجع بعد ذلك إلى مجاله وعمر وذو الكلب يتعجب من فعاله وشدة اقدامه وفعاله في صدامه (قال) هذا وعنترة أشفى غليله من الاعداء وهدهم في جنبات البيداء ولما قصروا عن مجاله صار ينادي أين الأبطال المشهورين أين الفرسان المذكورين فلما سمعوا بنو منهية هذا المقال أقبلوا على سارح بالملام وقالوا هذا ما جلبت لنا من الوبال لاجل ثارك من هذه الصناديد الافيال فلا كنت ولا كان أخيك ولا بارك اللات والعزى فيه ولا فيك فلم لا تبرز إلى خصمك وتكفنا شره في المجال فلما سمع سارح هذا الكلام أخذته الحمية والنخوة الجاهلية وقفز إلى قدام عنتر بالجواد وسار معه في محل الطراد زوعق عنتر وقال له يا وغد قومه ها أنا قاتل أخيك واليوم ألحقك به فلما سمع عنتر أنه قاتل أخيه اسودت الدنيا في عينيه وانطبق في عاجل الحال عليه ولاصقه وضايقه وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه بالمعي من تحت ثلاثقه وجال على على بني ضبة لما راه على الارض قتيل وبالتراب معفر جدير وانفرج ما بقلبه من الكروب وتفكر فيما مضى على أخيه شيبوب فعندها بكى وأن واشتكى وأنشد بترنم ويقول :

إني أنا عنتر العبسي إذا انتحرت ... يوم الوغا كل إنسان فافتخر
كانوا كأرض وكنت الغيث فوقهم ... ولو تمكنت خضت الغيث مقتدر
لو أن عادا وفرعون وعوج معا ... يوم المعامع قدامي لما صبر
إذا تداعت لي الهيجاء فوارسها ... وجال ذكري رأيت الدم ينحدر
أني ملأت بسيط الارض من جثث ... تبقى سنين لمن ينظر لها قدر
من قال بعدي بأن الدهر ينتج من ... مثلي فقد خاض بحر هو له خطر

(قال الراوي) ثم أنه لما فرغ من ذلك الشعر والمقال جال وصال وطلب البراز والحرب والقتال واجتمعت في ذلك الوقت سادات بني ضبة وتقدموا إلى بشر بن عبد اللات الدهمي وقالوا له أيها السيد الهمام والبطل الضرغام أنت تعلم أننا قد استجرنا بك على هذا الفارس الهمام لعلمنا بصبرك وقمعك الحرب والصدام فإن أنت كفيتنا شره وضرمت عمره فقد ملت بين العرب رتبتك وارتفعت في الآفات منزلتك وأخذت الطبقة العليا على سائر العرب من بعدها ومن اقترب فلما سمع بشر بن عبد اللات الدهمي كلامهم وما أبدوه له من مرامهم قال لهم يا وجوه

العرب وأهل الفضل علموا أنى ما توقفت عن الخروج إلى الميدان ومقام الضرب والطعان وقتالى بعنتر برشداد حتى تقروا بالعجز عن الجلاد فاذا كنتم قد عجزتم عن قتاله وضربه ونزاله فها أنا أخرج إليه وأجعل عزه ذلا والقيه طريحا فى العلاو بعد ذلك ركب وأطلق العنان وقوم السنان وساق الحصان حتى صار فى حومة الميدان ونادى لعنتر بقوله الجبان وياك يا عبد السوء أما وصل إليك خبرى ولا سمعت بشىء من ذكرى حتى كنت تمنعت عن المسير لى والقدوم على فابشر الان بالدمار والذل والشنار وتلع الاثار ثم أشار إليه بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

أنا البطل الكرار فى حومة الوغا ... اجندو أبطال الوغا بحسام
ولا انثنى عن موقف الحرب دائما ... ولا حائدا فى الحرب يوم صدام
وياطالما صدت الاسود براحتى ... وجرعتها بالبيد كاس حمام

(قال الراوى) فلما سمع عنتر مقاله وشعره قال له يا وغد قومه وبالثم عشيرته كم لك تركته يكدم الارض والتراب بعد ما سمع منى عليظ الجطاب ثم أنه أطبق عليه ومال بكليته عليه وجالا طويلا واعتركا ميلا وغابا فى الوابد وصبرا على الشدائد وأوسعا فى المجال وتضاربا بالنصال وتماسكا بالايادى لما عجزوا عن القتال وتعاركا عراك الادم وقد طبق عليهما الغبار وخيم أنهما افترقا عن بعضهما بعض ووقفا للراحة على بسيط الارض وكل واحد ينظر إلى صاحبه فعند ذلك طعنه عنتر بين ثديه طلع السنان من بين كتفيه فانطقت الفرسان عليه من كل جانب فعند ما رأى عمرو ذو الكلب يا بنى عبس أنجدوا فارسكم الاوحد وسجاعكم الالمعى وسيفكم المهند فعند ذلك حملت بنى عبس لما سمعوا ذلك المقال وحمل عمرو ذو الكلب وأخته قناصة الرجال واشتد الحرب والقتال ودامت المصائب والاهوال واصطدمت الخيل فى طابق المجال وجرى الدم وسال وتكسر العارس الربيال وقطعت المفاصل والاوصال وروبت الاسنة من أدمية الابطال وكثر القيل والقال وهوبوا بنى ضبية إلى البيوت والاطناب وعفر عنتر وجوه فرساتهم على التراب وجعل ينادى فى بنى عبس أبذلوا السيف فى هؤلاء الكلاب ولا تبقوا على أحد من الشيوخ ولا الشباب (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولت الطائفتين بنى ضبية وبنى دهم وطلبوا القرار وهربوا فى البر وأوسعوا فى القفار فعند ذلك دخل عنتر ومن معه إلى الخيام وقد اشتفى ما فى قلب عنتر من الآلام وقلعوا الاحياء بما فيها ولم يتركوا فيها غير رسومها ونواحيها والتقى بعمرو ذو الكلب وشكره على فعاله وحمده على جميله وأعماله وأثنى عليه وعلى قومه وعشيرته ورجاله وعادوا بعد ذلك راجعين وإلى ناحية ديارهم طالبين وعنتر بن شداد صائر قدام الخال فى تلك الوهاد وهو حزين القلب يا كى العين على أخيه شيبوب وقد تقرحت جفونه

من ذلك الدمع المسكوب وتذكر ما جرى له مع بني دهم وبني ضبية وما فعل بهم من تلك الرزية فبكى وأنشد يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

سل ضبية عن عبس وفعلهم ... بالامس إذ هربوا منا وما رشدوا
ونحن بني عبس خيار الناس كلهم ... يوما وقد جمعوا في الحرب واجتهدوا
نحن الفوارس لا تخفنا فعائلنا ... تفنى الاعادى حتى تحبس البلد
تسموا حليم باسياف مهندة ... مثل الصواعق تفنى كل ما تجد
وقد حملنا زنار الحرب مشتعلة ... وسمرها والعوالى بيننا تقد
وقد قحمنا على الجيشين كلهموا ... ونحن نحمى لظاها كلما بردوا
طورا نكفكفهم بالطعن اذ هربوا ... وبالسيوف نناديهم إذا وردوا
ونحن نسقى نقيع الموت سادتهم ... حتم المنايا وفى خيضانها تردوا
حتى إذا مارأونا مضوا هربا ... منا وخلوا لنا الاموال والخودا
لنا التمتع معدانا ومسرحنا ... يوم الهياج وان جاشوا وان حشدا
الصابرون إذا ما الخيل أجفلها ... هز القناة وهياج الحرب تتقد
والمطعمون إذا ما الغيث أمسك عن ... أهل البلاد ولا يلقون ما يردوا
فليس تنظر فوق الأرض مثلنا ... فى الحرب واليأس والعليا فلم تجدوا

(قال الناقل) فلما سمعت العرب ذلك الشعر والنظام تعجبوا من شجاعته وبراعته وقال له عمرو ذو الكلب لله درك يا أسد الحروب يا كاشف لكروب فاثنى عليه عنتر وقد شكره على ذلك المقال ثم أنهم بعد ذلك ساروا بالغنائم والاموال طالبين الديار والاطلال إلى أن وصلوا إلى أرضهم و لاحياء وانقلبت لقدومهم الدنيا وفرحوا بهم جميع محبيهم وأصدقاءهم واستبشروا بحضورهم نساءهم وأماءهم ونظروا ما معهم من الأموال سيما ما تأكله النيران لا يكل عن وصفه اللسان (ياسادة) ونزل عنتر بن شداد فى أبياته وقد كثرت على أخيه شيبوب حسراته وزادت زفراته واستقبلته أبنة عمه عبله ووقفت فى صدره وقبلته فى عارضه وبخره ثم جعلت تهنيه بالسلامة وقد فرحت بقومه وزادت فى كرامته وبعد ذلك لما استقر به المقام ركب الملك قيس وأتى إليه لأجل العزاء والسلام وقال له يا أبا الفوارس طول ما أنت تعيش لهذه القبيلة وتبقى فلا يمسها لا بؤس ولا شقائم أنه رجع عنده وهو يكثر من شكره وحمده (ياساده) هذا وقد نظر عمارة إلى ما وصل إليه عنتر من الأموال وة خيل والجمال ونظر إلى كثرة أولئك الرجال فايشتغت مرارته من الغيظ والبلبال وأخذه الهم والنكال وقال موتوا يا لئام الربيع الكيادين يا أخى ترى أنظر قتله عنتر بن شداد وأرى مصرعه وأفرح بذلك قبل موتى ولو أنه بيوم واحد ونفرح لى بذلك الصديق ويغم العدو والحاسد ولا أرجع تراه بعد هذه الكرة

وأبلغ أنا الهنا والمسرة (ياسادة) فقال له الربيع الكيادا علم يا ابن الأم أن عنتر قد دنا بواره وقرب أجله ودماره وأخماد ما كان يتوقد من ناره وانقطاع ذكره ونشر عمره أما ترى إلى حماته وقد قتلت وأولاده قد ذهبت ونعمته قد سلبت وتداولت فسمع أحد محبين عنتر هذا الكلام فبلغه إليه بالكمال والتمام فيما غيظه وتكاثرت عنده الاضغان والاحقاد وقد نال له من الغيظ مالم ينل أحدا من البشر فقال عمرو ذو الكلب يا أبا الفوارس لا تحمل على قلبك هم ولا غم مادمت مالم فلا يزالوا إليك محتاجين وبسيفك على الأعداء مستظهرين فقال له عنتر يا أخي وحق همتك ومحبتك وأياديك الجميلة لو وصفت لك ماصنعت في بني زياد من أول الزمان من الجميل والاحسان لكنت تتعجب من مجازاتهم بالقبيح والخذلان وأول ما عمل الربيع معي من القبائح عمل على بنت عمي عبلة حبلة وفضائح وسار بها إلى عند معرج بن هلال ثم أحكى له على تمام القصة وقال له ولو شرحت لك أعمال بني زياد معي ومع ابنة عمي لطال عليك المطال وتتعجب من تلك الاحوال فقال له عمرو يا أبا الفوارس هذا يدل على خساسة أصلهم ورداءة فضلهم وشؤم تدبيرهم والفساد وأنت باختيارك أن أردت الرحيل عن بني عبس رحلنا من عندهم ونتركهم نهبا للعربان وديارهم مسكن اليوم والغربان وأنا وقومي نتبعك وما نفارقك أينما سرت وسرنا معك فشكره عنتر على كلامه وتسلى معه عما مضى من أولاده وأهله وحلائله وصار يتسلى به عن سائر السادات وصفت بينهم المصادقة والمنادمة واغتنموا اللذات والافراح والمسرات وكانت الحيفاء أخت عمرو قد ألفت بعبلة من دون نساء الحلة وراق لهم الزمان وصفا وصاروا رواحين في جسد واحد وجملا على بعضهما بعض المعتمد وكانت عبلة تحدثها بما جرى عليها طول الامان وما قاست من السبي والهوان والتشتت من مكان إلى مكان وما قاسا عنتر من تحت رأسها من مجاهلين العربان وكم قتل من الشجعان والفرسان وهي تسمع حديثها وتتعجب من تصاريف الايام وصارت تسليها بأطيب الكلام وتوول لها يا أختاه مضى ما مضى وكان وكل هذا مقدر من الكريم الديان وأمتن جوا بالمحبة والوداد وصارت الحيفاء عندها مثل الروح التي بين الاجساد واشفق عليها من الوالدة على الأولاد وكانت عبلة تخبرها بما جرى لبني عبس من الحروب والقتال وما لقيوا من الاهوال وما قد فعلت بنو زياد معها من القبائح والاوعاد كيف عمل عليها الربيع حيلة وأكمن لها الرجال وسباها عند معرج بن هلال وعمل على قتلها ودفنها في الرمال وأخذ ما كان عليها من الاموال والجواهر والحيفاء تتعجب من هذه الاحوال فبينما هم على ما هم عليه من هذه الاحوال وإذا بعمرو أخو عبلة قد دخل عليها وهو يبكي بعيناه في أم رأسه وقد أزعجت من كثرة الغيظ حر لسه فقامت عبلة اليه وقبلته بين عينيه وقالت له ما حالك وما الذي جرى لك فلا كان من يشتاك وأهلك إلا سائر أعدائك فقال لها عمرو يا أختاه قد كفانا ما لقينا من أول

الزمان وتعب معنا حامينا عنتر حتى تبدل خوفنا بالامان واستقر بنا القرار وأنست بنا الديار وبعد ذلك ما انقطع عنا كلام الاعداء والاضداد والمبغضين والحساد الذين هم لنا من الاوعاد لاسيما بنى زياد وهم أشد لنا عداوة من دون العباد وهم الربيع واخيه عمارة القواد (قال الراوى) فقالت له عبلة ما الذى جرى وما سمعت من المعاندة والكياد فقال لها يا أختاه إنى قد خرجت فى جماعة من بنى عمنا ونحن نطلب الحشر والمكسب كما فعلوا الذى سبقونا من فرسان العرب فوقعنا فى بنى فهد فسقنا أموالهم وأخذنا نوقهم وجمالهم وخيلهم ورجالهم فخرجوا إلينا فرسانهم وأقبلوا إلينا أبطالهم فكسرناهم وانتصرنا عليهم وعدنا سالمين وبغنايمنا فرحين وبما معنا من الاموال مسرورين فلما وصلنا إلى الديار وأشرفنا على الاطلال صادفنا الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد فسمعت الربيع يقول لاخيه الذى هو عمارة لاترى عمرو أخو عبلة وكيف بقى هذه الشجاعة وكيف أخرجه عنتر بن شداد حتى أنه صار يغزى القبائل بكبس العرب والجحافل ويشن الغارات على الاعياء والمناهل ونسى ما عليه من العار وما لبس من الناس الذل والشنار فقال له ياعمارة يا أخى قد انهدم حبل عزهم وانهدم ركن مجدهم وكأنك وقد هلك عنتر بن شداد عبدهم فقال الربيع والله يا وهاب ما يهلك عنتر إلا وتبقى بنى قراد مثل السكلاب وتبقى عبلة مثل الامة ويبقا أخوها مثل الخرمة ولا بد لنا ما نتحكم فيهم مثل ما نريد ويبقوا عندنا مثل العبيد وتاكلهم العرب بعد عنتر ويبقوا عبرة لمن اعتبر عند القريب والبعيد (قال الناقل) فكان عمرو أخو عبلة يحدثها بهذا الكلام ودموعها على خديها سجام وقال لها والله يا أختى لما سمعت كلامهم انقطرت مرارتى ومت بحسرتى ولولا خفت من الفتنة أن تقوم بهذه الاشاره لكنت قتلت الربيع وأخيه عمارة وأوقعت بهم الذل والخسارة واسترحت من شرهم طول الزمان وأوقعنا بهم الذى والخسران وأحدنا ثارنا منهم بعوامل الاشطان (قال الاصمعى) لما سمعت عبلة من أخيها ذلك الكلام اعتراها الهم والغرام ودخلت إلى الضرب وبكت حتى بات تقودها وزاد بكاها وتعديدها وانصرف أخوها عمرو وتركها على حالها وهى زايدة فى بكائها وعويلها (ياساده) وكان السبب فى ذلك الدعوة التى أتى فيها عمرو أخو عبلة أنه خرج فى تلك الايام يريد الغزو إلى بعض أحياء العرب وصحبته أربعين فارس من أصحاب المنازل والرتب وساروا فى البرية على المسير وساروا حتى أشرفوا على قوم يسمون بنو فهد وكانوا خلقا كثير رجم غفير وطلب أموالهم بمن معه من تلك الرجال الاجواد وهم كانهم الآساد وقد أطلقوا الالسنة وقوموا الاسنة وعلت بينهم الضجة والرنة وأغنموا من الاموال ألف ناقة وساقوها من غير تمهل ولا عاقة ومعهما من العبيد جماعة ولما أنهم أبعدوا فى تلك البطاح ثار من واهم الصباح وإذا بالخيل قد أقبلت والابطال تلاحقت والاقبال تدفقت وهم ينادون يا أخوذين

يا عذلو لين لقد جلبتم لأنفسكم الدمار وخراب الديار وقلع الرسوم والآثار قال فزحف فيهم عمرو أخو عبلة ومن معه وصاح عليهم وحمل وحملت أصحابه معه حملة واحدة ونادوا واخسؤا يا كلاب العرب وأخس من ضرب في البيد وتد وشد طنب فنهض بنو عبس الكرام الضاربين بالحسام المهند وفين بين الغرب بالموت الزؤام ثم أنهم عطفوا على الخيل وانصبوا عليهم انصباب الويل وأنزلوا بهم الحرب وكالوهم كل وأبادوا كل شجاع وقبل فعند ذلك اسفرت الصفاح وحملوا على أعدائهم بالرماح وجرى الدم وصاح ونادى الشجاع لا براح. سالت الدماء من الجراح فلله در بني عبس الكرام وما فعلوا في تلك المعمعة من الصدام وما عملوا في ذلك اليوم من الضراب وكان عمرو يرد الفرسان ويطعن في صدور الأقران وينادي يا أوغاد غير أمجاد أنا عمرو بن عم عنتر بن شداد فلما سمعوا بنو فهد بذكر عنتر اجذم الهم والعكر وأيقنوا بالتعس لما سمعوا ذكر عنتر وبنو عبس وبقوا يعثروا في ذلك البر الأقفر وما بقي لهم على الحرب مصطبر وكان عليهم يوم منكر وحان بنو عبس للغنائم والأموال والخيل والجمال بعد هزيمة بنو فهد وطلب الانحلال وتفريقهم بين الروابي والتلال وعادت فرسان بنو عبس طالبين بالديار والأطلال وهم فرحانين بالسرور والاقبال وخلفوا عند أعدائهم الويل والخيال ولم يزالوا يقطعون البراري والقفار إلى أن وصلوا إلى الديار ولقاهم الربيع بن زياد وقال عمارة ما قال من الكياد وجاء عمرو إلى أخته وأعاد عليها ذلك المقال فضاق لذلك صدرها وحارت في أمرها ودخلت إلى مضربها وبكت حتى إنت الدموع عقودها وعاد عمرو وتركها على حالها من بكاها وعويلها (قال الراوي) وكان عنتر يتسلى زيد بن عروة عن أخيه شيبوب وقد نزل بقلبه منزلة أبيه وكان قد أحبه وسار برد واده وصافيه واشتغل ايضا بعمرو وذو الكلب وسار لا يأكل ولا يشرب إلا معه وقد أحبه قلبه واتبعه ولم يزلوا على ذلك الحال وهم في أهنأ عيش وإفضال وقد انصرف عنتر بن شداد يوم من الايام إلى أبيات بني قرادفوجد الهيماء أخت عمرو ذو الكلب خارجة من عند عبلة وهي طالبة مضرب أخيها وذكرت له جميع ما جرى على عبلة من كلام الربيع بن زيادة وأخاه عمارة القوادفتعجب أخوها من احتمال عنتر لذلك الكياد وقال يا أختاه إني لأعجب من عنتر العارس الهمام كيف يصبر على نجاسات هؤلاء الأنذال اللئام فقالت له يا أخي ما عنتر عندهم إلا مثل الدرة اليتيمة التي ما يعرف لها أحد قيمة لاسيما عبلة التي لم أحسن إن أنصف معانيا وقد ذكرت له يا أخي إن عمارة بن زياد قد عاد أن يعاند أخيها وعنتر بن شداد وأنا أقسم وحق الرب القديم رب موسى وعيسى وإبراهيم لو أني من عبلة لكنت أفعل مثل ما فعلت بقتادة ابن عمي لما أنه نظر في نظرة أسقيتها ألف حسرة فقال لها أخيها يا أختاه نحن عند القوم ضيوف وقطأمنا عندهم من الحتوف صحبة هذا الموصوف فهذا ما كان من عمرو وأخته وما جرى بينهم من الكلام (قال الروي)

وأما ما كان من عنتر البطل الهمام فإنه لما دخل مضرب عبلة وكانت له في الانتظار وقد تحملت له الجلد والاصطبار ولما وجدها جارية الدمعة بادية اللوعة زاد بلباله وتغيرت أحواله وزاغت عيناه في أمر أمه ودبت شفتاه وضاع حواسه وبقي عبرة لمن يراه من أهله وناسه وقال لها يابنت العم لا أبكى الله عينا كى ولا كان من يشتاكى ما هو الذي وصل إليكى من الأخبار حتى أجرى دمعكى الحدار فقالت له عبلة والله يا أبا الفوارس وتربة عمي شداد ما أبليها أنا فيه من الهم والانكاد إلا من كلام الأعداء والحساد لأن الماء ينام في الأنهار والأعداء لا تنام عنا ولكن وحياة عمي شداد وتربة أخيك شيبوب ما بقيت تطيب منا القلوب ولا يجمع المحب على المحبوب إلا بعد أن تبلغ من الأعداء المراد والمطلوب فقال لها يا ابنة العم أخبرني بما الذي تحدثن الأحبار وأطلعيني على جليه الآثار الذي تجدد وأوجب هذا الغيظ والحرد فإن كان من الملك قيس أو بعض إخوته ومن يجري براه تركته عبرة لمن يراه وزحلت بك وطلعت عرض الفلاة وآخذه عزل عن جميع العرب وأسكن البر والسبب ولا أرجع أبصر منهم أحد بل ألزم الانفراد وأبذل سيفي ورمحي في الأعداء والحساد وإن كان هذا الغيظ من بني زياد قريب أخقهم بأهل المقابر وأحقهم بسيفي الأكابر منهم والأصاغر وأرحل من هذه البلاد وأسكن البراري والوهاد وأتجنب أرضا فيها المشاجرة وهنا ثم أشار إليها بقول هذه الأبيات صلوا يا حاضرين على النبي لصاحب المعجزات ﷺ

يا عبلة بغيض الجاري ... فتشتعل النيران بين ضمائري
أيا عبلة إني لو أهانك سيداً ... لأذلته ذل العبيد الأصاغر
أبا عبلة لا تبكي على فعل ما مضى ... وكوني على ذلك الرضا بالتضاجري
فما قليل تسمى الندب والبكا ... على من يعاديكى يسكن المقابري
وتبقى عبس بعد عيني ذليلة ... لسائمو يندبن بين الحرائري

(قال الراوي) فلما سمعت عبلة شعره قالت له اعلم يا ابن العم أنا أخي عمر وأنا في باكي العين حزين الفؤاد يشكو من جوار بني زياد لأنه لما أتى من سفره التقوا به بني زياد وتحدثوا في عرضي وعرضك بالكلام القبيح وأنا والله ما بقيت أحمل منهم مثل ما حملت ثم أنها بكت وأنت واشتكت وصاحت في وجهه وولوت ووعدها بكل ما طلت وقد سلاها بأحسن الكلام الذي بذ وأنه ينتقم لها من كل من يعاندها من الأحرار والعبيد وأدعتر بن شداد أن يبلغ مراده ويطفي بوصلها نيران فؤاده فما مكنته لذلك من أجل اليمين الذي حلفته فبات عنتر تلك الليلة وحده إلى الصباح وإذا بعبد من عبيد الملك قيس أتى إليه ودخل عليه وخدم وباس يده وتقدم وقال يا مولاي إن الملك قيس يدعوك إليه ليأخذ أخبارك ويطلع على أسرارك وما جرى لك في أسفارك فأجابه عنتر بالسمع والطاعة وخرج طالب الملك قيس من تلك الساعة

فالتقاه عمرو ذو الكلب خارج الخيام فابداه بالسلام وساله عن حاله وما جرى له ونا له واستخبره على مبيته فى ليلته وأمسه وما حل من الهم فى نفسه فاحكى له على ما جرى له بينه وبين عبلة وقال له سر بنا إلى الملك قيس نجدد به عهدا ثم أخذه وسار حتى دخلوا على الملك قيس فوجدوا عنده إخوته وأكابر عشيرته وكل منهم جالس على مرتبته وهم يتذاكرون ما جرى لهم من قديم الزمان وما تجدد لهم من الاحزان فبينما هم كذلك وإذا بعنتر دخل عليهم فى هذا المقام فقام الملك قيس اليه فى سائر إخوته الكرام وقام الربيع بن زياد منافقة للجماعة فجذبه أخيه عمارة من ذيله أجلسه وقال له اقعد فما يكون قدر هذا العبد ولد الزنا حتى تقوم له فهم عنتر بذوة عقله جميع ما هم فيه وقد أخذه عليهم الاحقاد وكذلك عمرو ذو الكلب علم أن أمرهم ينتهى إلى الفساد ثم أنهم جلسوا سائر السادات وأخذت مواضعهم أصحاب الرتب والقادات والعبيد بين أيديهم كما جرت العادات وهم يتذاكرون ما جرى من الوقائع السالفات وتذكر الملك قيس قتل أخيه الحارث هذا وعنتر بجانب عمرو ذو الكلب رقد احتفل المجلس والملك قيس يبكى ويتحسب فانتاب المجلس بالبكاء والنحيب وقال ورقة بن الملك زهير والله يا بنى عمى إن هذه دلائل قطع الآثار وخراب الديار وما كانت تحترمنا العرب وتهابنا إلا بهيبة حاميتنا عنتر بن شداد الاسد الغضنفر وهذا السيد الآخر الذى قد من الله به علينا وزال عنا العنا وانجلت عنا الاحزان وأمنا فى طوارق الازمان وأشار إلى عمرو ذو الكلب (قال الروى) فلما سمع عمرو ذو الكلب كلامه قام قائما على أقدامه وخدم ودعا وتكلم وقال يا سادات العرب من بنى عبس وعدنان لقد أصبحتم مثلا بين العربان بهذا البطل الباسل والسيد الحلاحل الذى قهر الفرسان بشجاعته وأوقع الخوف فى قلوب العرب والعجم بحسارته وفصاحته براعته وأنا من بعض عقائله وقد صرت من غلمانه وأصدقائه فاطرحوا عنكم العتاب والملال والقيل والقال واعلموا أن الماضى لا يعاد واصرفوا عنكم الضغائن والاحقاد وتفكروا فيما مضى من الآباء والاجداد فإنى ما طاب لى المنام عندكم وأقمت بأرضكم إلا لأكون فداء لأنفسكم وعبد للملك قيس سيدكم فلما سمع الملك قيس بهذا الكلام جعل يشكره ويثنى عليه وجلسوا القيام وتباسطوا فى الكلام وبنى زياد تتعجب من عمرو ذو الكلب وطول قامته وعظم هامته وفروسيته ومن عنتر الذى فهره ميدانه فقال عمارة إية يا أخى لو رأيت أخته الهيفاء وما حازت من الحسن والجمال والقد والاعتدال ولما عيون أحد من السيوف الصقال والله يا أخى كنت أشتهى أن أتزوج بها وأتسلى بها عن عبله وأستفيق من سنة الغفلة فقال له أخرس الله لسانك وأضعف الله جنانك هذ وكأنك ما تستحى يا مدلول تشارب أن تكون لهذه الفارسة مخاطب فأقسم بالله إن تعرضت لها قتلتك وأنا والله كرهت الحياة من رقاعتك وتعصبت الناس علينا لاجل حماقتك هذا والجماعة مشغلين عليهم بالكلام

ولكن عنترباله كلامن بنى زبادوما يخفى وماا ختلف المجلس باعادة الحديث وتفكروا ما كان عليهم مكتوب وقد تعجبوا من قتلة شيبوب فقال الملك قيس يا بنى عمى لقد عدمنا رايه وتدبيره على الحقيقة وبعد تفرق كلامنا فى طريقه وبالغنى أن عنترمن حين ذكر شيبوب هطلت الدموع من عينيه والجماعة ينظرون وما يقدروا أن يحركوه وتجددت أحزانه وغمى عليه واسودت الدنيا فى عينيه وأخذ الملك قيس يسأل عمرو ذو الكلب كيف كان قتال عنتر لبنى ضبية وعمرو يحدثه بما فعل وبما فعل مع أعدائه وكيف قتل سارح قاتل أخيه وكيف أخذ الأموال وعفا عن الحريم والأموال قال يحمد هذا وقد فتح عينيه عنتر ونظر إلى الجماعة الذين هم حواليه وهم فى ذكر الوقعة الذى جرت والسكائنة الذى صدرت فقال عنتر يا بنى عمى وحق من رفع السما وسما نفسه بالعلى الأعلى ما أنا جاهل فيما مضى ولا أتعرض إلى حكم القضا بل آخذ بالرضا الآن الآجال مقدوره والامور مدبرة لان خالق سلط على من لا ينام عن ذكرى ولا يغفل عن كشف سرى ويطلب هلاكى وأنا يا بنى عمى قد ضاق صدرى وعمى بصرى وحرت فى أمرى وما فى كل وقت يكون العقل حاضر فى رأس الانسان وأنا أقسم بحق من رفع السبع الطباق المتكفل لعباده بالارزاق لئن لم تنتهى اعدائى من سوء الاخلاق لشتتهم فى الافاق لاننى كل ما وصلت قطعوا وكلما حلمت وعفوت عنهم جهلوا وطمعوا فينا وكلما عدلت ظلموا وها هو الملك قيس يسمع خطابى ويرد لى جوابى وإلا رحلت عنكم ولا أعود أبدا أرجع إليكم فلما سمع الملك قيس ذلك علم أن النوبة عظيمة وأيقن أن المنام الذى رآه صحيح وكان قد رأى منام مهول وإن شملهم لا بد أن يتفرقوا فقال الملك قيس يا أبا الفوارس نحن قد اجتمعنا لنصرف ما قد تجدد من الاحزان وقطع حبل الجفا والهذيان ونوصل حبل المودة بين الاحبة والخلان فقد مضى ما مضى وأنا خائف عليك مما قد رأيت لكم فى المنام فقال له عنتر يا ملك ما على من تلك العشيرة أضر من الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد وفى رؤسهم تقع الحرارة فلما سمع الربيع هذا الكلام رجع إلى خيبته ومكره والمحال وعلم أن عدوه ما يبلغ آمال مقام إلى عنتر وقال له يا ابن العم لم تزل فى قلبك الغضض من جهتنا ونحمنا عندك غير مسعود فما الذى وصل إليك عنا من التميمة حتى ما جعلت لنا قدر ولا قيمة فقال له عنتر لما قد ابن عمى عمرو وأخو عبلة من السفر قد اشتعلت فى قلبه لهيب الجمر فأنا والله قد فنى منى الصبر وهانى ذلك الأمر فقال الربيع بخبثه والله ما دهاه والله يا أبا الفوارس ما كان كلامنا معه إلا على سبيل المزاح والحبور ولم ذكرنا له أنت بسوء ولا مكروه وهؤلاء السادات تشهد على مقالى وأنا أعلم أنك حليم على قبيح فعالى وما نحن إلا فى ظلك وظل سيفك وسنان رمحك قال المؤلف عندها لان عنتر عند سماع هذا الكلام وفتر عما كان عليه قد عزم من الفعال وقال له الربيع أنت يا ابن العم ما جنا وحسبنا

وعليك بعبدالله اعتمادنا فى الشدائد الكبار فقال عمرو ذو الكلب يا بنى عبس الكرام ابطلوا عنا هذا الكلام واتركوا الملك قيس يحدثنا بما رأى فى المنام فامتثلت الجماعة كلامه واتجهت العيون تنظر إلى سؤاله فقال الملك قيس اعلموا يا بنى إنى ما جمعتكم إلا بهذه الأسباب التى أنا منها فى نار الالتهاب وحق من يعلم كل سر مكنون أنى لو قدرت اليوم أننى أضع عنترة فى بياض العيون ما كنت على ذلك مغبون (قال الراوى) فلما سمع عنترة هذا الكلام قام قائماً على الأقدام وقبل الأرض بين يدى الملك قيس وقال يا ملك اشرح لنا ما فى خاطرك وبين لنا ما رأيت فى منامك ولذيذ أحلامك وأفرج عنك ما تجده من اجتماعك فقال الملك قيس يا بنى عمى إنى من يوم قتل أخى الحارث حملت هموماً عظيمة ونمت تلك الليلة وأنا فى هم فرأيت كأنى طائر بين السماء والأرض وكان حولى طيور مختلفات الألوان من بواشق وسقور وغربان ونسور وعقبان وإذا قد أقبل على هذا الطيور وحوش وتغلبوا عليهم من ثعالب وضباع ونمور حتى امتلأ بهم البر البقاع واحتاطوا بتلك الطيور من كل جانب وصاروا يجدوا عليهم فى الطلب وهذه الطيور تطلب الهرب حتى تفرقوا وصاروا يضربوا وتفرقوا بين الشعاب والآرغام والبرارى والجبال والوحوش تخطفها من اليمين والشمال فانتبهت وأنا خائف من هذه الأحوال وإلى الآن وأنا موسوس من هذه الأهوال فأفيقوا والزموا السداد ودعوا عنكم هذا العناد واسلكوا طريق المحبة والوداد ثم جعلوا بنو عبس زياد وآل قراد يتحدثوا فى التفرق والاجتماع ولم يزالوا كذلك حتى أقبلت العبيد بالطعام فقطعوا ذلك الكلام وأكلوا وشربوا ولذوا وطربت وتمت الأمور والاحكام وبقوا كلهم كذلك إلى قدوم الظلام وتفرقوا طالبين مناز لهم والخيام وسار عنترة وعمرو ذو الكلب إلى أبياتهم ودخل عنترة على عبلة فسألته باجتماعه بالملك قيس فأخبرها بما جرى وقال ابنة العم وحق من خلق العباد وسطح المهاد أشفى وأسعد أهلك الجبابرة والاضداد الذى أعز وأهان وجمع وفرق وليس لاحد فى مراده مزاحم لا وربى يا بنى زياد ما أفعل من الكباد واجعل نهارهم كله سواد فقالت له عبلة لا ترحل بنا من عندهم ونترل عند بعض أصدقائك فقال عنترة والله ما أرحل حتى أشفى قلبى من بنى زياد وأنى بفولى واحد حقك من غريمك وأرقسمك وأنفذ يمينك فهذا ما جرى من الكلام (قال الراوى) وأما ما كان من بنى زياد الليام فإنهم بعد انصراف عنترة وا بحضرة الملك قيس فقال الربيع ابن زياد يا ملك أتحسد لعنتر أن تتكلم فينا هذا الكلام الشنيع وأنت الآن حصننا المنيع وركننا الرفيع فقال الملك قيس يا بنى عمى مالى إلى معاداة عنتر من سبيل لاسيما وصار له مثل هذا البطل النبيل وقد صار هذا الامر بينكم قليل وهو لقمع آثارنا دليل فقال عمارة أكون أنا الوهاب وأذل إلى العبيد السكلاب بحصر صاهذا هذا العبد المرتاب وذنا العرب لا بد لى من

قتله قريبا غير بعيد لان كلامه فينا بالأسا يزيد واليوم فى مجلسك أردت أقوم إليه وآخذ روحه من بين جنبيه ولكن خلت هنك ومن عتبك وملامك وفسخ غرضك وذمامك فقال قيس ياعمارة لا تتعرض لعنتر بن شداد فيقتلك ويعجل حمامك والله لو فعلت ذلك لاكلتك العربان وما كان عمرو ذو الكلب وأخته قناصة الرجال يدعوا منا إنسان وقد انفض المجلس كلا منهم يتكلم بما يقدر عليه من الفشار فلما كان ثانى يوم ركبت بنو عبس إلى عدير ذات الارصاد كما جرت عادتها وقدم جرير إلى أخيه عنتر جواده الابجر وإذا بعبد من عبيد الملك قيس القاه وكان هذا للعبد يقال له ناصح وقال لجرير اعلم أخيه عنتر وأوصيه يحترز على نفسه من بنى زياد لانهم بعد ما عاد أخيك من الديار تكلموا مع الملك قيس وقال لا بد عن قتله وأعجل من الدنيا مرتحله ومولاى قيس قال وقال من الكلام ثم أعاد العبد عليه القصة من أولها إلى آخرها وقال فى آخر كلامه وأنا من محبتى أخيك قد أوضحت لك الخبر فقل لاخيك يأخذ حذره بقدر ما يقدر ويعقل إن الشجاعة لا تنفعه مع القدر لانه يصم الاذان ويعمى البصر ولقد أفلح من قال شعر

إذا لم يساعدك الزمان بنفعه ... فعاذر وباعده ولا تتقربا
ولا تحتقر رجلا ضعيفا فربما ... تموت الافاعى من سموم العقربا
فلقد قبلا عرش بلقيس هدهد ... وأخرق فار السفينة وأخربا

(قال الراوى) فلما سمع جرير هذا الكلام شكره على فعاله وقال له لاعدمتك يا ابن الخالة من ناصح ثم انصرف العبد من عنده وأما جرير قدم الجواد لاخيه عنتر فركب وعبلة توصيه بسرعة العودة إلى الديار لانها تلك الايام ما بقت تجد عنده اصطبار ولا يقر لها بعده قرار وصار جرير فى ركابه يحدثه بما جرى من الربيع وأخيه عمارة السقيع من الكلام الشنيع فى حضر الملك قيس وهو يقول له يا ملك كيف ترى ما حل بنا من هذا العبد ابن اللئام فحمل عنتر من ذلك هما عند سماعه هذا الكلام وقال لاخيه كتم الساعة أنت ما سمعت فلا بد ما أقتل الاثنين أشر قتلة ثم ساروا قليلا وإذا بعمرو ذو الكلب وأخته الحتفا قد أقبلا يطلبوه وعن خبره يسألوه فقال يا عمرو يا اخى إيش جرى لك مع عبلة الليلة من الوداد فقال عنتر إيش أقول لعن الله بنى زيادا لجميع أولهم عمارة وآخرهم الربيع فقد سمعت بالامس لكثرتهم لنا فى الظاهر كان وذلك خلاف ما أحقته لنا الضمائر فوالله لاسكنهم فى هذه الايام المقابر ثم حدثه بما جرى له منهم وما سمعه من العبد وقال لقد أخبرنى بذلك من كان حاضر عندهم وأرصانى أن أكون مطمئن منهم وقالت القناصة بعد ما سمعت هذا الكلام ياأخى وحياة عينى عبلة إن أردت أن أخطفه من سرجه وأقتله أينم قتله لفعلت وقد حدثتنى بجميع ما جرى منهم أختى وكنت أقسمت لا تتأخر عن بنى زياد وأشفيت نسائهم فى سائر

البلاد وأقطع عنك هذه المحنة والعناد وآخذ ثار أختي عبلة منهم وأتركهم عبرة لسائر العباد وأروي الأرض من دماء هؤلاء الأوغاد فقال عنتر يا أختي لا تحركي ساكن إنما أريد أن أبرم أمرهم وأشفي صدري منهم وأطالب أرضنا والأوطان فو الله ما طلبت نفسي سماع الزور والبهتان ومن جرد في وجهك حسام طعنته في صدره بالسنان ثم أنهم سارا وهم على مثل ذلك الكلام وإذا بالملك قيس وقد التقاهم والربيع بزيادة من برا الخيام ولما رآه الملك الملك قيس مال إليه وسار بجانبه وجعل يحادثه ويؤانسه وسأله عن ليلته وشغل قلبه وعنتر شكر وأثنى عليه وسار في ركابه وهو يقول يا أبا الفوارس قد بقي عندنا من احزان ما لا نقدر نصفه بلسان وأنا عزمت أن أعمل وليمة وأجمع فيها السادات والعرسان ونصرف عنا الهموم والأحزان بمعاشرة هذا السيد الذي قد صار صديقنا وأولانا الجميل والاحسان لأننا من يوم عرفناه ما حضر معنا على بساط الهنا والمسرات بل ندفع به السيئات والمصائب الهائلات ولا جلس معنا في أوقات اللذات وعسى أن يكون الزمان عنا قد غفل فقال له عنتر نحن على ما عزمت تابعين أفعالك غارقين في إحسانك وأفضالك ثم أنهم صاروا كجري العادة إلى أن تضاحى النهار فعادوا إلى الديار وقد أعلم عنتر لعمرو وذو الكلب بهذه الاخبار وما وقع بينه وبين الملك قيس من الكلام وقال له والله يا أخي قلبي ما بقي يصفي لهم ولا للملك قيس أيضاً وذلك من أيام عملوا الدعوة وأرادوا قبضي وتسليمي إلى الملك الأسود نصر ذي الرب القديم عليهم وأنا كاره صحبتهم فقال عمرو ذو الكلب يا أخي إذا كان كذلك فدعنا نقتل عمارة والربيع ولا نأتي برفيع ولا وضيع فقال عنتر يا أخي قلبي ما يحدثني إلا بقتل الربيع وعمارة الصقيع وبعد ذلك نقضي الدين من الجميع تال نجد هذا ما جرى ههنا من الكلام بالتحرير وأما ما كان من الملك قيس بن زهير فانه عجل بتعجيل الدعوة وما علم أنه يحدث من بعد الامور أمور وإن لكل شيء انتهاء إذا جرى به المقدور إلا أن الملك قيس ما جاء عليه نصف الليل حتى صف الكاسات والطاسات وقدم الطعام وروق المدام واجتمعت السادات على الجنك والنايات وجلست الناس على قدر الطبقات وجلس الملك على سرير ملكه وأخرج ذخائره وفتح خزائنه وجعل يخلع على الأصحاب والخلان وطلب بذلك صفو الخواطر وتجديد العهود وأنه خصم عنتر وأمره أن يحضر معه عمرو ذو الكلب وأخته الحيفاء وكان عنتر ذلك اليوم عندهم وهم يتعايدون ما جرى عليهم من غدرات الزمان وإذا بعبد الملك قيس قد دخل عليه وقال له يا مولاي الملك قيس يدعوك إليه أنت وصديقك عمرو فقال عنتر اذهب فيها أنا خلفك فذهب العبد إلى مولاه

(تم الجزء الحادي والخمسون ويليه الثاني والخمسون)

الجزء الثانى والخمسون

من سيرة عنتر بن شداد

(قال الراوى) وأما عنتر فركب جواده الابجر وأخذ عمرو ذو الكلب معه وسار إلى الملك قيس فرأى السادات محدقة والإمارة والقادات فبذلوا المجهود عند ما دخلوا للسلام فقام لهم الملك على الاقدام وقام لهم كل من حضر عنده الوليمة وحيوهم بالتحيه والاكرام وجلسوا عن يمين الملك قيس وكان الربيع وأخوه عمارة جالسين من الجهة الثانية وأخذ كل واحد منهم مكانه وقر قراره ودارت عليهم الكاسات ورفضت المولدات ودار بينهم الهزل والجد ونهبوا أوقات اللذات وطابوا من سماع المغنيات وزادوا فى عنتر بالشكر والثناء هذا والربيع وعمارة قد انفطرت سرائرهم فعند ذلك نهض وعم جالسون وهو ينظر إلى الربيع وقد توهم أن ماله عنده لا قدر ولا قيمة فسمع الربيع يقول لعمارة يا وهاب هذا وقتك انظر عنتر وحيداً فريداً وقد وجدنا منه فرصة وهو الآن سكر رفقال عمارة وحق ذمة العرب أنا لابد لى من قتله واصرم عمره فلما سمع عنتر هذا هذا الكلام اسودت الدنيا فى عينيه ولا بقى عرف ما بين يديه وتحقق صدق ما وصل إليه من الكلام الذى ألقى إليه فسل حسامه الصامى الابتر ووثب لحق الربيع قبل أن يثور وضربه فسمه قسمين ولما نظر عمارة أخيه وهو مقطوع قطعتين فثار والحسام مجرد وأراد يهجم على عنتر فضربه عنتر بالصامى الابتر شطه شطرين وانقسم مثل أخيه قسمين وقد هلك الربيع وعمارة فى ساعة واحدة وحلت بهم الخسارة فلا رحم الله الاثنين ولما قتل الربيع وعمارة وقعت فى بنى عبس الخسارة ولما نظر الملك قيس إلى تلك الحال فعظم ذلك عليه وكبر لديه ولطم على وجهه ورأسه حتى برز الدم من أنفه وأضراسه وخرق ما كان عليه من لباسه وبهت كل من كل حضر من جلاسه بما فعل عنتر وأيقنوا بحلون العبر والبلاء المصور وانقلب المجلس بما فيه وخرجت المذلله بنت الربيع زوجه الملك قيس وابنته الجمانه وقد هكوا ما كان عندهم من الامانه وهلبت الخيل وانقلب الحى بالحزن والويل وقطعت الزوائب وندبت النوادب وقامت الاحزان والشجون والهوان والمصائب وحس قلب الملك قيس بالشتات وشرب كاس الممات وتحسر على ما فات وصار الضياء فى عينيه ظلام وصدق المنام وكثر البكاء والويل ولطمت الجمانة وأمها المذلة وزادوا فى البكاء والاهوال والنواح والتعداد وقامت عليهم القياهة وأيقنوا بكل ندامة ومزقوا ملبوسهم وحثوا التراب على رؤسهم هذا ما جرى ههنا (قال الراوى) ولما ما كان

عنتر لما قتل عمارة والربيع أولاد بن زياد وتركهما عبرة للعباد وقد أظهر عمرو ذو الكلب اهتمامه وجذب حسامه وبعد قتله طلب عنتر الخيام وفى يد كل واحد منهما الحسام وقدمت العبيد الخيل فركبا رعزما على كل من تبعهما مددوه على الصعيد وما رالوا سائرين إلى أن صلوا إلى أبياتهما فوجد قناصة الرجا قد اعتدت بعدتها عند ما سمعت الصياح هذا وعبلة قد بكت على عنتر وخافت عليه من البؤس والضرر وما سكتت حتى رأته مقبلا مع أصحابه كأنه لأسد القسور وقد أقبل وعمرو ذو الكلب بجانبه وهو يقول له عن إذنك أقيم الحرب على قدام وساق وأفنى بنى عبس وأشبع منهم الرخم وعنتر يهدر هدير السباع إذا كانوا جياع وإذا بورقة بن الملك هيرو قد دخل عليه والدموع تتناثر من مآقى عينيه وهو يقول له يا أبا الفوارس قد بيضت وجهك اليوم وأرحت نفسك من العتب واللوم ولكن أخى الملك قيس يقول لك أما أن ترحل أو يرحل هو ويفوت لك الأطلال فقال له أنا أرحل فى عاجل الحال ولا بقيت أجاور بنى عبس أن كان قيس أو خلافه لا وحق الملك المتعال ولا أتكل إلا على حسامى الفضالى ورمحى العسال ثم أنه فى عاجل الحال هدم خيامه وطوى أعلامه وكذلك فعل عمرو ذو الكلب وقناصة الرجا وفرسان بنى قراد الأبطال ورحل عنتر من بنى عبس وهابتهم العين والنفس وزعق فى نفوسهم غراب البين وحام منهم الحين وأما عنتر فسار بمن معه من الرجال يطلب له منزلا ينزل فيه ومسكنا يأويه وهو يقول إذا أبعدت عن بنى عبس سوف يروا ما يذوقوا من الهوان فقال عمرو على ماذا عولت أن تنزل يا أبا الفوارس فى أى مكان فقال عنتر نقصد أرض العراق ونقيم هناك ونتوكل على الملك الخلاق وننزل على جانب الفرات وأفنى ما هناك من الجبابرة العتاة وما بقيت أجاور عبسا أبدا ولو شمتت بى العدا فقال عمرو الأمر إليك وما أنا بين يديك فسار بالطعن والصيال والحريم والأموال وقطع المنازل الأطلال والعرب تجفل بين يديه وسارت تدفق من قدامه ولا تقبل عليه وهم راحلين من منهل لمنهل وهم يقطعون بين أيديهم الوديان والتلل وما زالوا كذلك وعنتر بين أيديهم إلى أن وصل إلى بحر الفرات مقابل مدينة عانة ونصب بين الفرات ومدينة عانة وكان هناك خليج يسمى العارضيات فنزل عنتر وضرب خيامه ونصب أعلامه ومد أطناه وعلاقيا به وسرح أمواله وتوقه وجماله وأقام فى ذلك المكان الخصب والمرعى والكلا والمياه العذاب وقال أنا أقيم فى هذه الأرض واحميها طولا وعرضا ولا بد لبنى أن يندم على بعدى غاية الندم لأنهم كانوا فى أمان واطمئنان ثم أنه شرع مضربا من الحرير الأصفر بأعمدة من الصندل والعود القاقلى مطلى بالذهب الأحمر ولطنا به من الحرير الأخضر ونصبه إلى جانب الفرات وقد فرش فيه من الفراش والزرابى والعارق من أخضر وأصفر وأحمر حتى صار بهجة لمن يراه وكان هذا المضرب وجميع ما فيه من هذه الأشياء التى ذكرناها كان أخذه عنتر

كسرى انوشروان وكان اسمه نصف الدنيا وصار يصف فيه الطاسات والكاسات وهو كل يوم بشرب هو ومن معه من الفرسان وبلد وبطرب وكان عنتر قد نظر إلى الجفاء هذه المدة وانظرها بعين المحبة والمودة والادلال وطول الصحبة وصار من محبتها حاصل وصار الحب على وجهه له علائم ودلائل وتجدد عليه ما كان في زمن عبله من الحصار وزال على هذا الحال إلى أن قراره على جانب الفرات وتحدث مع عمرو أخيها في زواجه لأخته واستشاره فيما يريد أن يفعل ففرح عمرو بذلك وقال صدق أن يصح له الأمر وقال يا أبا الفوارس أنا من جملة غلمانك وخدامك وفناصة امتك وسر عمرو وتحدث مع اخته بهذا الحال واخبرها بما قال عنتر من المقال ففرحت بهذا الكلام غاية الفرح وانسع صدرها وانشرح وقالت له يا أخي المراد ما استغنى عن زوج وأنا ما أريد زوجا أوفى من عنتر وما اطلب اعظم من هذا الفارس الفضفاض ففرح عمرو باجابة اخته بالزواج لعنتر وسار إليه بالخبر ففرح الآخر بفعله واستبشر من ساعته وأخذ بيده عنتر على الزواج وصافحه وباركه واتفق الامر على ذلك وكل منهم أراح ومن تلك الليلة ضربت الليلة ضربت خيمة الزفاف وانقضى الامر ولا به اختلاف وكان كله مخفي عن عبله لأن عنتر كان يقضي نهاره وهو وعمرو وذو الكلب في أكل وشرب ونعيم زايد ولم يزل على ذلك إلى أن مضى من الليل القليل ولما جرى ما جرى لقناصة الرجال من ذلك القبيل والقال وزواج عنتر لها ولما انقضت سبعة أيام من الولائم دخل بها وأقام إلى آخر الليل وأتى إلى عبله وقت السحر وما عندها من ذلك خبر وأقام الأمير على ذلك المنهاج وهو مع قناصة الرجال وحاله مكتوم وقد ائتقوا بعضهم البعض وبقوا روحين في جسد واقاموا على ذلك مدة أيام وهم في أهنى عيش، إنعام ونسي بني عبس الكرام (قال الراوي) فهذا ما كان من عنتر وأما ما كان من الملك قيس وبني عبس فانه بعد رحيله أمر بدفن الربيع وعماره فدفنوهم وحزنوا عليهم ونحبوا على قبورهم النور ودام أمرهم في حزن وثبور ثم أنه بعد ذلك جمع قومه وأهله وعشيرته وما يلوزبة مل يومه وقال لهم اعلموا يا بني عبس إن معشر بعد حاميتنا عنتر تطمع فينا فكونوا الآن على أهبة الحرب والنزال وخذوا حذركم من أحد يطرقكم وكونوا محترزين على أموالكم وعيالكم لأني والله خائف عليكم لان سائر العرب ما كانت تهابكم إلا لاجل حاميتكم وابن عمكم عنتر فارس البدو والحضر والآن نفذ في بني عبس سهم القضاء والقدر فلما سمعوا بنو عبس من الملك قيس كلامه ما بقي لاحد منهم إلا وقد تحسر على فراق عنتر ولا بقي أحد منهم يقدر أن يخرج من الابيات وقد وقع بهم الخوف والفزع وخافوا أن تخطفهم العرب خطف النسور والعقبان بعد عنتر عن الاوطان وأيقنوا بالفناء والدمار وقطع الاعمار وضاقت بهم جميع الاماكن وحرموا شرب الخمور هذا وقد وصلت الاخبار إلى جميع العرب الاخيار بان الأمير عنتر على بني عبس غضبان

وتركهم وراح ونزل على بحر الفرات وتلك الوديان مقابل أرض للعراق وديار بنى شيبان فتبا شرت جميع العربان ونووا على أخذ الثار من بنى عبس الأخيار وان ينتقموا منهم غاية الإنتقام ويكونوا يداً واحدة على هلاكهم والارغام وكانت العرب جميعهم من بنى قحطان لا يقدروا أن يمسوا بنى عبس وعدنان بسوء ولا ضرر مخافة من أبى الفوارس عنتر ولما اتفق لهم هذا الاتفاق وبلغهم أن عنتر سار إلى العراق اجتمعت خمس قبائل من العربان ونووا على هلاك بنى عبس والقلعان فهذا ما كان منهم وما اتفق من الكلام العجيب الذى يسطر فى الورق بأن فرقة من بنى عبس وعدنان كانوا مائتين فارس أعيان يقدمهم الأمير قرواش ابن هانى وابن عمه بشر النهانى والأمير محيد بن مالك صاحب الوجه الضاحك وعياض بن نشب وغالب بن ثابت طلعوا بمن معهم من الفرسان قاصدين الغزو على أحياء العربان وكان ذلك بخلاف رأى الملك قيس بن زهير ولما ساروا وجدوا المسير بالجد والتشمير إلى أن وصلوا إلى رحلة من بعض خلل العرب يقال لها بنو فهد ولما حصلوا فى مراعيهم غاروا على أموالهم وأمروا رجالهم بالجملة وتراكضوا مثل العقبان وصاحوا يا لعبس يا لعدنان ثم أنهم قطعوا من المراعى ألف ناقة وقد ساقوها بعظم استطاقة وصاحوا على العبيد الرعيان ويلكم يا أولاد الزوانى سوقوا المال قدامنا وإلا خضبنا من دماكم سنانا ثم أنهم ساقوهم وعطفوا راجعين وهم عاقد كسبوا فرحين هذا وقد وقع الصوت فى الحلة فصاحت الرجال وركبت الأبطال وقد أطلقوا الألسنة وقوموا الأسنة وجدوا خلفهم إلى أن أدركوهم وصاحوا عليهم إلى أن تسيرون بأموالنا يا مذلولين ونحن لكم طالبين فعندها برز إليهم من بنى عبس فارس كأنه الليث العابس وقال لهم يا ويلكم باللئام نحن من بنى عبس الكرام أسود الحرب وضناديدها وليوثها وأماجيدها فلما سمعوا تلك الفرسان نداءهم وعلموا أنهم من بنى عبس وعدنان عادوا إلى قومهم وأعلموهم أن بنى عبس أغارت عليهم فعندها قفزت الحلة عن بكرت أبيها وعولوا على الحرب والقتال والطعن والنزال ولا زالت الفرسان سائرين حتى تلاحقوا ببنى عبس وعدنان وحملوا عليهم حملة واحدة فعندها تلقوهم بنو عبس وكان ذلك عند طلوع الشمس وصاحوا فى أوائلهم قرواش بن هانى ورقا ابنى عمى دونكم وهؤلاء الأنذال فنزلوا عليهم نزول السيل إذا سال واثخنوهم بالطعن والنزال ولما حملوا على بنى عبس الذئاب الطلاس انصبوا عليهم انصباب الليل واكبوهم كيلا أى كيل وكردسوا الرجال من على ظهور الخيل وأنزلوا بركابها الذل والويل وقد دوا أعداهم غصباً ونهبوهم نهباً ومددوهم شرقاً وغرباً عند ذلك ولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وتفرقوا فى البرارى والقفار وعاد الأمير قرواش وأصحابه وهم فرحين وبالنصر والظفر مستبشرين هذا وقرواش سائرين إلى الديار وهم ينشدون هذه الأشعار .

قف بالمطى على الديار وقل لها ... حييت من طال وعز مقام
أرأيت منا كل ليث باسل ... ذا هيبة كالأسد فى الآجام
نحن لنحمى فى الحروب حرمنا ... بالطعن صدقا فى الورى وكرام
سل بنى فهد وجمع عديدهما ... عما لقت فى يوم حرب خصام
حتى انهوا ومياه الجو ظاهرة ... رغم ونيت لظامها كنظام .

(قال الراوى) إلا أنهما فرغ من هذه الأشعار حتى لو طلع من بين يديه غبار علا وثار وبعد ساعة تمزق وانكشف وباب من تحته سمائة فارس اسود عوابس كأنهم الأسود القناعس وهم فى الحديد غواطس ومن تحتهم خيولى أخف من الغزلان وهم فوقها كأنهم العقبان يقطعون بها الأرض والقيعان وعلى أكتافهم عوامل الأشطان يقدمهم فارس كأنه قطعة جلمود وهو فى تقاطيع الأسود وهو غارق فى شكته غائص فى لامته وتلك الرجال والأبطال كانوا أشد الرجال وهى من خلف مقدومها تسير وهم ينادون يا آل قشير خلوا اياويلكم عن الأموال والغنائم من قبل أن تحل بكم العظائم ولا تترك أحد منكم يعود سالم فلما علم منهم الأمير قرواش وسمع منهم فنبه أبطاله والرجال فتقدم هو من دون بنى عبس الكرام إلى أن صار بين يدى الخيل وقال ويلكم بالئام غير كرام من تكونوا من عرب الآكام حتى تهجموا على بنى عبس الذئاب الطلس والأسود العبس الذى قد أفنت الأبطال ومدت الأفيال وقطعت منهم الأوصال (قال الراوى) فلما سمع مقدم القوم من قرواش هذا المقال قال له من تكون أنت من بنى عبس الرجال فقال أنا قرواش بن هانى صاحب الفصل والتهانى فارس الخيل لعدوى ولصديق النيل فلما سمع المقدم على القوم ذكر بنى عبس اهتز على سرجه طربا ومال عجبا ونادى بالقشيرى وهل تكون طلبتى إلا أنتم يا أشرار لعلى أقضى منكم الأوطار وأستوفى بعض الثار ويقر منى القرار وكان هذا الفارس يقال عبد العزة وكان فارسا جبار وبطل مغوار وكان عنتر قد أسره فى أوائل منشأ وقتل ابن عمه وأخاه وذلك فى أيام قتل عون بن بدر وخلص منه أموال مالك بن زهير الذى كان أرسلها إلى بنى غراب ثم أن عنتر أسره ورماه ولما جرى وطالت الأيام فبقى فى قلبه علة تتردد ولوعة تتجدد وكانت العرب تعايره بأسر الامير عنتر فيقول تمهلوا على ولا بد من أخذ ثارى وأبلغ أوطارى وكان كلما أراد المسير إلى بنى عبس تمنعه المقادير ولا يجد إلى ذلك من سبيل فكان من القضاء والقدر والأمر الذى تجدد وتدبر أن هذا الفارس ركب فى بعض الأيام فى خمسمائة فارس من قوم بنى قشير وصار يكبس بعض أحياء العرب وعليهم بغير ولما كسب من الأموال والنوق والجمال وسار طالبا منزلة والأطلال وإذا به قد التقى ببنى عبس صدفة وجرى ما جرى من الكلام المسطور ولما تقابل الجيشان وتصادمت الأقران قال قرواش لبنى عبس يا بنى عمى

الغنيمة الغنيمة وأما عبد العزة فلما رأى تلك الأموال وأبصر قلة الرجال داخل فيهم الطمع وعلم أنه فيما يريد قد وقع ولما تحقق أنهم بنو عبس وعدنان تذكر ماله من الثار ثم أنه قفز ما بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى بأعلا صوته وقال يا بنى عبس إلا من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا بى خفى أنا عبد العزة بن اللات القشيرى وبعد هذا ما أبقى عليكم لأن لى ثاراً قديم عندكم ولكنى رأيت قتلكم فأخذتنى الشفقة عليكم وقد برزت فى الميدان ومحل الضرب والطعان لأنى لو أمرت هذه الفوارس أن تحمل عليكم بجمعها لطحنتكم طحن الحصيد وشتتكم فى القفر والبيد بل إنى طلبت منكم الانصاف وقلة الاشراف فمن كان منكم فارس كريم يعرف بين الفرسان فليبرز إلى حومة الميدان ثم أنه صال وجال ولعب برمحه العسال وأنشد وقال :

إذا شئت أمطرت الدمالون عندم ... وجندلت فرسان الهياج بلهذم
أنا ابن كرام الناس فى كل مشهد ... أصول عليهم فى الوغا بتقدم
هلموا إلى ضرب السيوف فإننى ... حرمت وما طعنى على بمحرم
أنا فارس الفرسان ليس مقصر ... وأقطع رؤس الحاسدين بصارم
فمن كان منكم فارساً ذا حمية ... يجول نهار الحرب عند التصادم
يجى يلتقى طعنى وضربى فى الوغا ... ويصبر لمعسول السنان المقوم

(قال نجد) فلما أتم عبد العزة كلامه حتى صار الأمير أسيد بن جزيما قدامه وصاح فيه اسكت يا ابن اللخناء تربية لؤنا فقد أتيت بالهتان والزور وتكلمت بكلام غير مشكور وأنت مدحور ومذلول ولكن من أعتق مثلك فقد أخطأ وكان ذلك منه غيظا وقال له يا ويلك حاميتنا عنتر أطلقك من الأسر والضرر وتعود بعد ذلك إلى الخبث والغدر فأبشر بالدمار وخراب الديار ثم أنه أجابه بهذه الأشعار :

ما الفخر إلا ضرب الهام بالخذم ... لم أخش الحرب يوم الروع والعدم
أنا الذى ترعب الأبطال سطوته ... عند اشتباك القنا والخرق تصدم
هل فيكموا بطل يدنو إلى بطل ... عاداته الضرب فى الإبطال والقدم

(قال الراوى) وبعد ذلك حمل على بعضهما البعض وجال كل منهما على صاحبه وقد احترز من طعنه ومضاربه وجالا طويلا واعتركا كثيرا وفارس فى الأوابد وصبرا على الشدائد وقد علا عليهما الغبار حتى غابا عن الأبصار وكان عبد العزة فارس جبار يرجح على خصمه الدرهم قنطار فاستجاده بطنة فى صدره أخرج سنان رمحه يلمع من ظهره فوقع على جواده وغاب عن إرشاده ثم أن عبد العزة صال وطلب الحرب والقتال فلما رأى الأمير قرواش إلى ذلك ضاقت عليه المسالك لما رأى عنهما لك فصار النهار فى عينيه كالليل الحالك فعند ذلك خرج

وإليه قد هانت عليه نفسه وأيقن بحلول منيته وصاح فيه وقال ويلك يا ابن الأندال لقد قتلت بطلا يسوى قومك وأهلك وبنى عمك ثم أنشد يقول صلوا على طه الرسول :

لست أنسى والله ذات الوشاحين ... حتى تأتى بخدها الوضاح
ثم مالت كغصن بان ولاحت ... مثل بدر أو مثل ضوء الصباح
فغرشت ثغرها شهد خمر ... ورحيقا مازجه ماء القراح
ثم قالت يا فارس الخيل تخشى ... فى الهوى من مقالات اللواح
قلت ولا الخطيم واركن والبيت ... هوانى الفارس الجحجاح
بينما نحن فى الدميش ... إذ أتتنى رزية فى الصباح
فجعتنى وأورثنى خبلا ... فسلبت الأشواق والأفراح
وقطعت المهامة والقفر جسدا ... آخذ الثار فى نهار الكفاح
وأثير حربا عونا وضربا ... فى دجا الليل أو طلوع الصباح
وافتخارى يا آل عدنان دوما ... إذا كنت فى جميع النواح
فابشروا يا بنى القشير بليث ... من بنى عبس ما يمل من الكفاح
قاتل الرجال فن الحرب دوما ... ومبيد العدا بحد الصفاح

(قال الراوى) فلما فرغ شعر قرواش أجابه عبد العزة على عروض شعره بهذه الأبيات يقول :

لست ممن يعنى بذات الوشاح ... لا ولا يشتغل بحب الملاح
دع صفات الخدود والقد أيقنا ... ثم صف الكاسات والاقداح
مع سليمان ومع سعاد وليلى ... وجميلة وأهل الوجوه الملاح
وصف الحرب والقنا عند طعن ... وضرب المهند الصفاح
قسما لو لقيت بأسود ليث ... عنتر فارس الربا والبطاح
لم أخفه من موقف الحرب يوما ... ومن لطعن أسقه كاسا أطفاح
سوف أشفى نفسى وأبلغ سؤلى ... من بنى عبس مقام الكفاح
وأنا الفارس القشيرى ليث ... وأسمى بقابض الأرواح

(قال الراوى) ولما فرغ عبد العزة من شعره ونظمه وحمل قرواش فى مقام الطعن والهواش وجالا طويلا واعتراكا ميلا وتضاربا ضربا أحر من الجمر وتطاعنا طعنا أمر من الصبر ودام بينهما القتال واشتد الحرب والنزال هذا وعبد العزة يصول على قرواش ويجول ويأخذ الميدان عرضا وطولا كأنه الأسد الأكول إلى أن أورثه الخيال وأشرف منه على الوبال وقد كثر منه الاغتيال وقل من عزمه النشاط وقد استظهر عبد العزة عليه وتيقن أنه قد وصل إليه فبينما هما على ذلك الحال وإذا بغبرة قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت وبانت بعد

ساعة وانقشعت وظهر من تحتها بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح ثم انكشف ذلك الغبار وارتفع ذلك النقع العرباد وكان من تحته ألف فارس كأنهم الأسود العوابس وعلى أكتافهم عوامل الأشطان وهم ينادون يا آل عبس يا آل عدنان والأمير عنتر في أوائل الفرسان كأنه الأسد الغضبان أن النمر الجردان وقد أخرج يده من جانب درعه لأن الشجاعة أصله وفرعه وهو ينادي ويقول ويلكم يا أوغاد عودا من السعادات الأجواد فقد أتاكم عنتر بن شداد فابشروا بالشتات والبعاد والتفريق في سائر البلاد (قال الراوي) وكان السبب في مجيء عنتر ابن شداد في هذا البر والوهاد عبلة بنت مالك بن قراد لأنها كانت جالسة بين إرواء وإذا بعبد من عبيد الملك قيس قد أتاها وأعلمها بهذه النوبة العظيمة على لسان الملك قيس لأن الملك قيس لما أتى من الصيد والقنص سأل عمه أسيد وابن عمه قرواش وابن أخيه مجيد بن مالك فقال له المتخلفون من بني اعلم أيها الملك المفضال أنهم طلعوا في سبعين خيال قصدوا الغزو على أحياء العرب لأجل المعاش والمكسب فلما سمع الملك هذا الكلام زادت ناره وهدم اصطباره ولما طالت غيبة الرجال زاد عليه الحال وأرسل خلف عنتر البطل الريال بحثه على قضاء الأشغال ولما سار العبد إلى بحر الفرات ليدخل على عنتر كما وصفه مولاه فسار إلى عبلة وأعلمها بما جرى وقال لها يا مولاتي اعلمي أن الملك قيس أن بني عبس ركبت في سبعين فارس في طلب غنيمة وأنهم قد انقطعت عنا أخبارهم واختلفت آثارهم فلما سمعت عبلة من العبد هذا الخبر صاحت بعنتر وقد بكت وانتحبت وقالت له اعلم يا ابن العم أن سبعين فارس من بني عبس وعدنان وفيهم مشرقوش بن هانيء وبشر النعماني ومجيد بن مالك والأمير أسيد بن خزيمة فارس الزمان سارروا إلى طلب المعاش والمكسب من بني قحطان لهم مدة طويلة من الزمان فما بان لهم خير ولا جلية أثر واعلم أنه قد أرسل إليك عبدا من عبيده الانجاب يعلمك بهذه الأسباب واعلم يا ابن العم أن جزى على بني عبس كائنة وأنت حي يطلعوا فتيا العربان وأنا أريد منك أن تقف على آثارهم وتكشف أخبارهم (قال الروي) فلما سمع عنتر من عبلة هذا المقال ونظر بكاها والاهوال فركب في عاجل الحال وأخذ معه عمرو ذو الكلب وأخته قناصة الرجال وتمام المائة فارس من الرجال والافيال وساروا في طلب بني عبس حتى وصل إليهم وكشف عن قرواش بن هانيء المجال وهو أشرف على الهلاك وسوء الارتباك إلا أن بني عبس لما نظروا الى عنتر عاشت أرواحهم وأيقنوا بنجاتهم وأن عنتر لما أقبل حمل على المرسان وطلب الميدان ثم صاح على قرواش فرجع ورجعه وراه واستقبل هو سائر أعداه وصال وجال وطلب من عبدة العزة الحرب والقتال والطعن والنزال فحمل عليه عبد العزو هو يقول هذه الابيات :

ينبيت إلهي بالحسام والقا أحول عداة الروع يوما إذا خاف

ونحن أناس لا نهمـــل لثارنا ... وكل فتى منا على الضـــد عطاف
وقومى تشير الخير من ظهر القنا ... وأهل السقى والجود فى الفخر قد طاف
أنا البطل الندب الهمام لدى الوغا ... اسمى عقاب الحرب للقوم خطاف
وإنى لاعطى الرمح فى الحرب حقه ... وفى الكف ماضى أبيض اللون شفاف

(قال الراوى) فما تركه الامير عنتر أن يتم شعره ومقاله حتى صاح عليه وقال يا ويلك يا أخس البشر أما كان لك عبرة بما جرى عليك من العبر حتى أتيت تتعرض لبنى عبس مرة أخرى حتى قتلت فارس كريم وبطل عظيم يساوى قوما كثيرة وجم غفير لكن وحق زمزم والحطيم ومقام الخليل إبراهيم لاتركت منكم إلا كل فارس رميم ثم أنه أنشد يقول :

ودع عنك يا وغد العشيرة كلها ... فخارا وإخساء لا تسكن ويلك هتاف
فكل بنى قحطان تعرف بأننى ... أنا الفارس الدعاس للحرب زحاف
ومن عظم بأسى تثنى الخيل جزعا ... وكل مقام فى الكريهة خواف
وإن بارزنى كنت أول نازل ... إليها وقد خاف الجبان وانتاف
وكم فارس خلفته رهينا فى الثرى ... فتأتى إليه الوحش فى البر زحاف
فلا تفتخر يا وغد قحطان كلها ... لان ليوث الحرب للنقع كشاف
وإنى أنا الدء اليتيم وقيمتى ... تغيب عن من لم يكن قط عراف

(قال الراوى) فلما سمع عبد العزة كلام عنتر انطبق البحر إذا زخر ولكن ابن الثريا من الثرى وابن المدن من القرى فجال معه عنتر ساعة زمانية إلى أن عرقت الخيل وقل منها القوى والحيل وتطاعنا بالرماح حتى أن كلا منهما الساعدين وتضاربا بالسيفين حتى تثلمت الاثنين هنالك أيقن عبد العزة بالهم والخسران وقل الموت عندهما وهان فصرخ الامير عنتر عليه فارهبه وانطبق عليه وأرعبه واستجاده بطعنة فى دفاة صدره طلع الرمح يلمع من ظهره وبعدها حمل على بقية الخيل وانصب عليها انصباب السيل وحمل بعده عمرو ذو الكلب وأخته القناصة وبنو عبس من اليمين والشمال واحتاطوا ببنى قشير فانزل بهم بنو عبس الويل ولم يتركوا منهم إلى القليل فولوا مدبرين وإلى النجاة طالبين فعندها جمعوا الاسلاب والخيل والذهاب واخذوا أسيد بن جزيمة من حومة الميدان على جمل بعد ما صبروه وفى ثيابه لفوه وفى بعض الاماكن دفنوه ونحروا على قبره النحائر وبعدها أخذ عنتر يرثيه بهذه الابيات :

يا لقومى من حرقة فى فؤادى ... أحرمت عينى لذيذ الرقاد
قل اصبرى وملنى استبادى ... فاعترانى وطال سهـــادى
كيف صبرى بعد فقـــد رفاق ... كان فى ناظرى مكان السواد

لو وجدنا إلى الفراق سبيلا ... أو دليلا يهدى لطرق الرشاد
لفديناه بالنفوس وبالمال ... وجميع أصحابنا مع الأولاد
سوف يبكيك يا أسد حين يفنى ... منى ذاك أقصى مرادى
كنت عندى فى منزلة ليس تنسى ... فى مدى الدهر أذيناى المنادى
آه وحسرتى عليك ولهفى ... يا قتيل الاوغاد والأضدادى
يا قتيل ثوى بأرض الاعادى ... مالك اليوم لا تجيب المنادى
فعليك السلام من حامية عبس ... ما دمت ايامنا فى ازدياد

(قال الراوى) ثم أن الامير عنتر بعد إنشاده الاشعار سار وطلب البر والقفار إلى أن قاربوا من الديار فودعهم عنتر وسار بعد ما سلمهم الغنائم والاموال من النوق والجمال وأرسل معهم السلام للملك قيس بن زهير ولما أمنوا على أنفسهم من الطلب والضير ساروا على أرض الشربة والعلم السعدى واعلموا أن الملك قيس بما جرى عليهم فى سفرتهم منه وأخبروه كيف أن الامير عنتر أنجدهم وهم مشرفين على الهلاك وسوء الارتباك فندم الملك قيس على فراقه وتاسف وأراد أن يسير بقومه يترضاه ويأتى به إلى حماه فهذا ما كان من بنى عبس وعدنان

(قال الراوى) وأما ما كان من عنتر والفرسان فإنه سار بمن معه من الشجعان إلى أن أتى إلى منازله والاوطان ولما أن استقر به القرار وأنست به الديار فبينما هو جالس ذات يوم من الايام وإذا بالاسد الرهيص قد دخل عليه وسلم عليه وكان الاسد الرهيص لما كواه عنتر على عينيه سار يبكى الليل والنهار ولكن فى هذه المدة تعلم فيها ضرب النبال وصار يرمى بها الطير على الحس والكلام حتى سمع الطير على أعالى الاشجار يصيح فيرميه بسهم يقتله وكان الامير عنتر لما كحله جعل عليه رسما فى كل عام وكان يأتيه أرض الشربة والعلم السعدى ويأخذ رسمه منه ويعود إلى حلقة زعبده نجم فى صحبته ثم أنه يعود من وقته وساعته وكان عبده نجم نار أحرقه وصاعقة سرقة هذا والاسد الرهيص يأكل كفيه ندما وهو يطلب هلاك عنتر وعدمه وما زال الاسد الرهيص فى التعس والنكس إلى أن سمع أن عنتر غضب من بنى عبس بعد ما قتل عمارة والربيع وصنع بهم أبشع صنيع ورحل بقومه إلى بحر الفرات فعند ذلك أيقن الاسد الرهيص ببلوغ مناه وأقام يشم الاخبار وعلى ذلك الحالة (قال الراوى) هذا وعنتر غارق فى أكله وشربه ولهوه وطربه وهو فى عز وأمان وهنا واطمئنان وكان خبره وصل إلى وزير الملك قيصر فى هذه الايام فعزل عمرو بن الحارث الوهاب من ولاية دمشق الشام وقد ولى هو موضعه ملك من ملوك الروم اللئام يقال له ضيفور بن قام لما وصل الخبر إلى عنتر البطل الهمام فركب وسار من وقته وساعته إلى دمشق الشام ولما وصل إليها قتل ضيفور ومن معه من الروم اللئام عاد عمرو للملك والاحكام فوصل الخبر أتى قيصر فخاف وفزع من شر الامير عنتر

وقد انذهل من ذلك الخبر فعند ذلك أحضر وزيره حتى أن يستشيره فأشار الوزير عليه بأن يرسل إلى الأمير عنتر الهدايا على مهل وان يشكره على ما فعل لأن الملك كان قد عول أن يرسل إلى عنترة جيش كثير لما بلغه ما فعل من قتل الملك ضيفور وولى عمرو بن الحارث فلما أشار عليه الوزير بأن لا يفعل بانتصر عن ذلك العمل قال له الوزير أيها الملك عوض ما تجعل عنتر عدوا لك وشقيق أجعله لك صاحب وصديق وإلا أن كنت ما تسمع كلامي وإلا وحق ديني تحتاج أن ترتب الخراج إلى عنتر بن شداد لأنه بلغني خبر أنه غضب على قومه ونزل على جانب الفرات فرأى عندي أن تسمع مني وتهدي له هدية حسنة وتميل قلبه فإن هو حضر إلى عندك فتكرمه وترحب به فلعله ينفعنا في بعض المهمات وإن انت عاديته فربما سعادته تنصره علينا لأنه مسعود وما عاداه أحد إلا ومات مكمود وتفكر يا ملك قبل هذه الايام ما فعل معك من الاكرام (قال الراوي) فلما سمع الملك قيصر هذا الكلام من وزيره فتميزه بعين خبرته فرآه صواب واستهم من وقته وساعته في تحصيل هدية وعزل مائة وخمسين جنيب من الخيل العربية بمراكب الذهب وعشر جوار رومیات ومع كل جارية صندوقين من القماش المفتخر وفي خدمة كل جارية عشر جوار من جميع الاجناس ومضارب وخيام وبوقات وأعلام وغلمان وخدام وأرسل الجميع مع الوزير وأوصاه بسرعة الجد والتشمير وأن لا تأتي من عند عنتر إلا بأحسن خبر فعند ذلك سار الوزير بهذا المال المعدود وسار الليل والنهار وهو يقطع الفيافي والقفاز إلى أن وصل إلى جانب الفرات وقد قرب من المكان الذي نازل فيه عنتر فعند ذلك أرسل الوزير من يبشره بقدومه فسار البشير إلى أن وصل الأمير بن شداد وأخبره بخبر الوزير فعند ذلك وثب عنتر كأنه الليث الهصور وركب على ظهر جواده الأبجر وركبت جميع رجاله وأفياله وسار عنتر والأمير عمرو ذو الكلاب عن يمينه وقناصة الرجال عن يساره وما زالوا يجدون المسير إلى أن التقوا بالوزير ونظر إلى ما معه من الأموال والخير والنوال ففرح عنتر بهذا الحال وقد رحل في عاجل الحال اليه وأتقاه الوزير وسلم عليه فانحنى الوزير وقبل صدره فقبل عنتر يديه وشكره وأثنى عليه ثم قال لا تحسب يا أبا الفوارس أن الملك نسيك لما زلت إلى جواده وسألت بالقرب من دياره ثم أنه قدم الهدية اليه وأحضرها بين يديه فقال له هذه تقسمها ثلاث أقسام القسم الأول اليك والثاني إلى صديقك عمرو وأصحابه والثالث إلى محبيك فلما عنتر من الوزير هذا الكلام والمقال فاستحسن منه تلك الفعال ولا سيما لما رأى تلك الأموال والتحف الغوال فقال له أيها الوزير والسيد الكبير وحق ذمة العرب الكرام من معد وعدنان ما أنا للملك قيصر إلا مثل بعض العبيد والغلمان وإن كان له عدو ليس له به من طاقة وقد افترى عليه فأنا أسير له وأخذ روحه من بين جنبيه فقال له الوزير وحياتك يا أبا الفوارس هذه الهدية من عند الملك على

سبيل لحية والموده ماهى من جهة دوو إنما أراد بها التقرب إلى قلبك حتى أن الملك عنده جانب من حبك فحده عنتر وشكره وأقام الوزير عند عنتر فى الضيافة إحدى وعشرين يوما هم فى أكل وشرب وفرح ولعب ما يمضى عليه يوم حتى ينظر الوزير الهدايا داخلة على عنتر من مدينة عامة ومن خرت ومن بنى بكر والرحبة وبنى وائل ومن الحلة والكوفة والبصرة والنصرة ونصيبين وجميع ما حواليه من البلدان وجميع حكامها تهاديه وتتقرب بالهدايا إليه فلما نظر الوزير إلى ذلك قال وحق المسيح لو كان الملك قيصر نزل بنفسه فى ذلك المكان ما كان أحد يهاديه مثل هذا الإنسان (قال الراوى) ولما انقضت أيام الضيافة طلب الوزير الانصراف والعودة إلى بلا خلاف فخلع عليه الامير عنتر وقد أعطاه شيأ كثير من الاموال والخيول الغوال والنياق والجمال وبدا يتذر إليه من التقصير لديه وشكره وأثنى عليه ثم أنه ودعه وسار طالبا القسطنطونية وهو يقطع الفيافى والقفار إلى أن وصل إلى الديار ودخل على الملك قيصر وأخبره بجميع ما عاين وأبصر من الهدايا التى دخل بها عليه من أبى الفوارس عنتر فلما سمع الملك من الوزير هذا الكلام قال له أيها الخزير هذا رجل مسعد وما أعطى أحد مثل ما أعطى الفارس الأسود ولا بد ما يبقى ذكره بعد موته إلى الابد ولقد سعدنا بمصادقته واسترحنا من شره وما نلته هذا وقد أقام الملك قيصر مدة من الزمن وهو فى أمن واطمئنان إلى إن كان يوم من بعض الايام وإذا قد وصل إليه رجل بكتاب من رومة المدائن الكبرى من عند إبن أخيه وكان اسمه بلقام بن مرقص فاخذ الملك الكتاب وناوله إلى الوزير فقرأه عليه واسمعه ما فيه قال الراوى وكان السبب فى ذلك أن ملك من ملوك الافرنج يقال له بهنمة ابن نوران وكان هذا الملك أخو الخيلجان الذى قتله عنتر من قديم الزمان لما كان عنتر ملك دمشق الشام واجتمع به وهو عائد مع الملك قيصر من حصار كسرى أنوشروان والتقاهم فى أرض العارضيات الذى ازل بها عنتر الآن وأخذ عنتر من قيصر الرهاين وسارت عشكره إلى بلادها بعد قتل ملكها وكان له ثلاث أخوات منهم نوبرت وسوبرت الذين قتلوا معه ومنهم كوبرت الذى جرى لعنتر من تحت رأسه ما جرى وسبب قتله لملك الليلان وابنه سرجوان والملك صافات ملك جزائر الواحات وابن الدير والشاهد والملك ميخائيل والملك عان والملك جنطيائيل وما جرى فى هذا الديوان يسمعتوه أيها السادة أولو العرفان وطربت عند سماعه الآذان وكانوا كسروا كوبرت واسطلحيا معه بعوا سره وكان ماكا وكان لهم أخ أصغرهم عمرا وأشدهم باسا وأقوى مراسا وكان لما قتلت إخوته وهو صغير لما بلغ مبالغ الرجال وطلع بطلا من الابطال فسار يغزو فى البحار وملك الجزائر ومن حولها من البلدان وأقرت له الجزائر بالفروسية والشجاعة والحمة وملك موضع أخيه وجلس على كرسيه فتجبر وطغى واستكبر وبغى وبقى يركب فى مائتين ألف فارس من كل مدرع ولابس وبعدها سأل عن سبب

موت اخوته فاعلمه قومه وعشيرته بان قتلهم فارس من عرب الحجاز يقال له عنتر بن شداد فارس البرار واخبروه كيف حالهم وسبب هذا الفساد وتنمرد ملك هذه البلاد قال الراوى سمع هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال وحق المسيح والدين الصحيح والراهب لوقا النسكيح لابد من العزوة على قيصر وقتل عساكره واجناده ثم أنه من وقته وساعته أمر رجاله وعشيرته أن تعمر المراكب وتوسقها بالذخائر والرجال والعدد والرد والعمد الثقال وجميع ما يحتاج إليه من آلة الحرب والقتال فكانت هذه المراكب التى عمروها ألفا وستمائة مركب فى سنة كاملة حتى تمت له جميع الاحوال وبعد ذلك ركب وهو وجميع من تبعه من الرجال والابطال وشال المراسى وحل القلاع وسار فى البحر الكثير الاتباع وجعل قصده أول العزاة رومة المدائن الكبرى وكان الحاكم فيها بلقام مرقص كما ذكرنا وهو ابن أخت الملك قيصر وكان هذا الهمام فارس شديد وبطل صنديد وكان شاب عاقل ولبيب فاضل وبطل جبار وليث مغوار إلا أنه لما نظر إلى تلك المراكب اقبلت إلى الميناء فامر بغلق أبواب البلد ونصب على الابواب آلة الحرب والحصار من المنجنيقات والفرادات وكانت هذه المدينة من جملة المدن الكبار المذكورة لانها بناية لفرس ولها أربعة وعشرون برج وخمسة وعشرون بدنه وطولها فرسخ بالعراق وعرضها مثل ذلك هذا وقد دام عليها الحرب والقتال خمسة واربعين يوما ليلا ونهار فلما نظر ابن أخت الملك قيصر إلى ذلك القتال الشديد والحرب المبيد تضايق غاية الضيق وتخلى عنه العدو والصديق فارسل ذلك الكتاب إلى الملك قيصر واخبره بذلك الخبر فلما علم بذلك لحقه الفرع وخاف على المدينة لئلا تملك منه فالتفت إلى وزيره وقال له أيها الوزير الكبير أخبرنى كيف يكون الحال والتدبير فقال له اعلم أيها الملك المظفر ان ما لهذا الامر المدبر إلا أبو مفوارس عنتر الاسد الغضنفر والموت الاحمر وهو أن ترسل إليه وتعلمه بالخبر وكيف ملك الافرنجية وسطا على المكنا لاجل أخذ ثاره وكشف عاره لانه أخو الخليجان الذى قتلته وأنا اعرف يا ملك أن عنتر إذا سمع بهذا الخبر فما يقعد عنه بل إنه يأتى إليه ويقلع منه الاثر (قال الراوى) فلما سمع الملك قيصر كلام الوزير قال له نعم ما أشرت به من الرأى والتدبير أيها الاب الكبير ثم إن الملك من وقته وساعته أمر الوزير أن يكتب إلى عنتر كتابا ويعلمه بجميع الخبر فلم تكن إلا ساعة حتى كتب الوزير كتابا إلى عنتر وأرسله وذكر فيه جميع الاسباب وارسله فى ساعة الحال إليه من غير تفنيد مع خيال فارس بجد المسير ليلا ونهار بلا هدو ولا قرار إلى أن اشرفوا على بحر الفرات وقصدوا أبيات عنتر ونزلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه وأعطوه الكتاب فتناوله منهم ودفعه لمن يقرأه فقرأه وفهم مضمونه ومعناه فتعجب عنتر من ذلك الشأن وتفكر فى تصاريف الزمان وأرسل فى تلك الساعة إلى الأمير عمرو ذو الكلاب فاتى فى الحال وصار بين يديه وأعلمه بما جرى وقرأ ذلك الكتاب عليه

وأخذ فى المشورة وأمر الملك قيصر وتوبته فقال له الامير عمرو يا أبا الفوارس من الواجب أن تصير إلى نصرته وتكون من جملة جنده ورعيته وتركب إلى خدمته وارتهلك جميع أعدائه وحساده وتقتل هذا العدو وتهدأركانه وأجناده ولو يكرن الملك كسرى هدمنا إيوانه وقطعنا عساكره وأعوانه لأنه قد بدأنا بالإحسان وصار له علينا فضل وامتنان (قال الراوى) فلما سمع الامير عنتر كلام عمرو ذو الكلب استجاد رأيه وأنفذ فى ساعة الحال خلف الرجال والأبطال لاخذ الاهبة للمسير حتى يكشف عن الملك قيصر ذلك الامر العسير وينزل بعدواه الذل والتدبير وكان صحبته من بنى عبس ألف فارس منهم زيد بن عروة وسبيع اليمن وأبطاله وجنده وجده الامير بحير وخاله وانضاف اليه من بنى غسان نحو من خمسة آلاف عنان لان الامير عنتر لما صار إلى الشام وقتل ضيغور بن قام ونصر عمرو بن الحارث وأخذ له موضع أبيه بالسيف فاختارت سادات بنى غسان أن يكونوا عنده فى أعز مكان وقد صاروا مقيمين على مجرى الفرات بالمال والعيال ولما إن جرت هذه الامور والاهوال وبعث الملك قيصر يستنجد به على الحرب والقتال بجميع ما عنده من الرجال والافيال فعندها تجهز الامير عنتر وركب فى ساعة الحال فى سبعة آلاف فارس ريبار وخلف على حفظ الحلة والمال الهيفا قناصة الرجال وتلك مفهاما ئتين فارس من بنى قضاعة وأمرهم بها بالسمع والطاعة وأوصاها بالمال والنوال والاهل والعيال فقالت له سر يا أبا الفوارس وطيب قلبك من هذا الحال وقر عينك يا زين الرجال فو حق الملك المتعال لو أتى كسرى بكل من العساكر والافيال لما قدروا أن يأخذوا من مالك عقال فعندها طاب قلبه وعلم أنها كعوذ لذلك ثم أنه شكرها وأثنى عليها وصار من وقته وساعته طالبا الملك قيصر وهو يقطع الفلا والبر الاقفر إلى أن وصل إلى القسطنطونية العظمى ودخل على الملك قيصر وقبل الارض بين يديه ففرح قيصر وأقبل عليه وقال أهلا وسهلا ومرحبا يا أبا الفوارس ويا زين المجالس شرفتنا بنقل أقدامك يا من يكشف الادهم ربطلها الضيغم فشكره عنتر وحمده على ذلك وقال له أيها الملك أدام الله أيامك فأنت تعلم أنى أنا وأصحابى من بعض خدامك فعند ذلك اقبل الملك قيصر إلى عنتر وقص عليه الخبر وحدثه بحديث يهمنه أخى الخيلجان وسوبرت وتوبرت الذى تلهم عنتر من قديم الزمان وكيف انه خرج من بلاد الافرنج فى اربعمائة الف قاتل وحاصر رومة المداين ثم انه حكى له جميع ماجرى على التمام فعندها وعدها الامير بالنصر والظفر ففرح اليك قيصر وخلع عليه وعلى كل من كان معه وقال عنتر وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لاجعلنهم أحاديثة بين الانام فعند ذلك امر الملك قيصر بالمضارب والخيام والجنائب هذا وقد نزلت العرب الذين اتوا فى صحبته على ظاهر البلد وافرد الوزير لعنتر ولعمرو ذو الكلب وسبيع اليمن وزيد بن عروة ووجوه القبيلة الدور والقصور الملاح واقاموا فى الضيافة والاكرام

والدعوات مدة سبعة أيام متواليات وهم على أكل طعام وشرب مدام وعز وإكرام (قال نجد) ولما ان كان فى اليوم الثامن أخرج الملك قيصر ستمائة لعب فارس وقال يا أبا الفوارس خذ معك هذه العسكر والفرسان تعتنك على هذا الأمر والشان فلما سمع الأمير عنتر من الملك قيصر هذا الكلام قال أيها الملك المفضال دعنى من هذا المقال وهون على قلبك هذا الحال فالأمر يسير والخطب حقير واعلم أيها الملك أنى وحق الرب القديم ما عودت روحى أن أسير بعسكر كثير وأنا أقضى هذا الشغل بهذه الفرسان الذين معى وأعود (قال نجد) فلما سمع الملك كلام الأمير عنتر تعجب غاية العجب وأخذه الفرح والطرب وقال فى نفسه وحق رب العباد ما أقول إن على وجه الأرض والمهاد أشجع من عنتر بن شداد ثم أنه قال له يا أبا الفوارس ما بالاحتراز من باس ولا يذمه أحد الناس فخذ الآن معك مائتين ألف فارس وأنت بهم حامى وحارس فقال له أيها الملك المظفر إن كنت قد جهزت مثل ذلك العسكر فابش بقيت تعمل بعبدك عنتر أنا لم أريد أقضى هذا الشغل إلا بروحى ولا أكلف أحدا معى (قال الراوى) فلما سمع الملك قيصر من عنتر كلامه ضحك وزاد ابتسامة وقال له يا أبا الفوارس إذا كان كما تقول فخذ معك مائة ألف فارس والكل يكونوا تحت رأيك واحب أنهم من جملة جماعتك وأنا أخير الناس بقوة قلبك وشجاعتك فاستحى الأمير عنتر منه وانحنى وقبل يديه فعند ذلك أمر الملك قيصر الوزير الأكبر أن يحضر الجيش والعسكر ويسيرهم فى صحبة اغا مير عنتر وأن يكون من تحت أمره وطاعته فقال الوزير السمع والطاعة ثم أنه خرج من ذلك الوقت وتلك الساعة وعرض العساكر الدساكر ونقى من خيارهم خمسين ألف مقاتل لأن الأمير عنتر حلف لا يأخذ إلا النصف من المائة ألف فنقاهم وعرضهم (قال الراوى) هذا وقد باتت العساكر والأجناد تلك الليلة ظاهر المدينة وهم يفتقدون العدد والزرد ولا يزالوا على مثل هذا الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح فعند ها ركبت تلك العساكر وتبادرت الدساكر وقد صار فى صحبته الأمير عنتر بعد استئذانه من الملك (قال الناقل) هذا وقد سارت الزحا كأنها البحار والزواخر وقد سار الأمير عنتر ومن حوله الفرسان والأقران وعلى رأسه الرايات والأعلام والصناجق فى أيدى الخدام هذا وقد ضربت الكوسات ونفرت البوقات وارتفع ضجيج العساكر من جميع الجهات حتى هربت الوحوش ونفرت فى تلك البرارى والفلوات ثم سارت العساكر ليلا ونهارا وغدوا وابتكارا وهم يقطعون البرارى والقفار إلى أن قربوا من تلك الديار ومن مدينة رومة المدائن الكبرى (قال الراوى) ولما قربوا منها نظروا تلك العساكر محيطة بالبلد من كل الجهات وأهلها فى ذل عظيم وخطب جسيم وقد أشرفت البلد على الأخذ والتسليم وكان ملك الافرنج قد قاتل أهل رومة المداين قتال شديد وذاقوا منه حرب أكيد يدوب له الحديد وقد أقام على حصار البلد مدة تسعة شهور إلى أن ضاقت منهم الصدور وخارت فى

جميع الأمور وفرغ ما كان عندهم من الزاد والعليق الذى كان مدحور فعند ذلك وقع بهم الذل والأسف والضرر والتلف وقد أيقنوا بالسبي مع من لم يعرف وكان لبلقام صاحب المدينة أخت يقال لها نور المسيح ذات عقل رجيح ووجه صبيح وحسن مليح وكانت احسن أهل زمانها وفريدة عصرها وأوانها ومالها نظير وهى مثل القمر المنير والغصن النضير بعيون كأنها عيون المها وجسم كالقضيب إذا انثنى وقد حازت جميع الحسن والجمال المصون وكانت من شفقتها على أخيها ومحبته لها لم يسمح لأحد بها فى هذا الزمان من الفرسان فلما طال عليهم الحصار وبلوا بالحرب والقتال الليل والنهار فحول على أنه إذا دجا الليل يأخذ أخته ويطلع بها ويطلب النجاة لكنه خائف من أهل رومة المدائن وقد علم أنهم إذا افتقدوه تخلوا عن البلد ويسلموها إلى الأعداء فرجع وقعد وزاد به الهم والنكد وخاف أن يطول عليه المطال وأن يملك الأفرنج البلد بغير اختياره وتنهتك بين الورى استاره وتسبى حريمه وعياله فزاد به الهم واعتراه الخوف والهم فعند ذلك بكى وأن واشتكى وتشرق بالدموع وتنفس من قلب موجوع فقالت له أخته نور المسيح أقل من هذا البكاء والنحيب وكن كما قيل عند أرباب الفن الأدب الصلاة على خير العرب .

إذا النائبات بلغن النها ... وكادت تذوب لهن المهج
وحل البلا وضاق الفضا ... فعند النها يكون الفرج

(قال الراوى) ثم قالت له يا أخى لعل أن يأتى فرج قريب ويخف عنا ذلك الهم والتعذيب وبعد ذلك يا أخى بأى وجه تروح الملك قيصر وإيش الذى تقول له سيبت بلدك بمن فيها من العالم وأنيك يروحى سالم والله يا أخى ما يشكرك أحد من العالم بل تبقى معيرة فى سائر البلاد والمعالم وعند سائر الخلائق غربا وشرق ولرأى أنك تصبر على الحرب والقتال صبر الرجال الأفيال على المهمات الثقال (قال الروى) فلما سمع الملك بلقام من اخته نور المسيح هذا الكلام تنهت عزيمته وتحركت نخدته وفى ساعة الحال طلب الرجال والأبطال وأحضر الشجعان والأبطال ووعدهم بالخلع والأموال وقال لهم يا قوم كأنكم بالعسكر وقد أنت من عند عمى الملك قيصر ومن صبر فلم يخسر فلما سمع أكابر الروم مقاله وافقوه على فعاله وقالوا له أيها الملك لو أضرمت النار وقلت لنا اخمدوها ولو أمرتنا بخوض البحر لخضناها ثم أنهم خرجوا من عنده ومضوا إلى الأبراج والأسوار وقاتلوا قتالا عظيم بترك السالم سقيم والمعافى عديم ودام القتال يعمل وعظم النزال وكثرت الأهوال وزاد البلاء والبلبال هذا وقد اعتمدوا على رمى التخور والأحجار من فوق الأبراج والأسوار ورموا بالنبال فأصابت مقاتل الرجال وأهلكت الأفيال والملك بلقام كل يوم يخرج بخواص الرجال إلى الميدان ويوقع الحرب والطعان فدام بينهم الحرب والقتال مدة أيام وليالى إلى أن ولى الجبان

وطلب الهرب والفرار فعند ذلك تفطرت المرائر وأصابت السهام والحاجر وعاد الغبار وكاس الموت ذائر وتهشمت الخواصر وحكم عليها بالفناء عالم السرائر (قال نجد) هذا وقد دام الحرب والقتال على هذا الحال مدة أربعين يوم حتى فرغ الصبر وقر العتب واللوم وقتل من أهل المدينة أبطال وتجندل منهم أقيال وخافت الناس وزاد الأمر عن حد القياس وحل بهم القلق والوسواس وطار منهم كل رأس وانهدم الأساس وكثر الدعاس وضاقت منهم الانفاس ولم صارم المنايا مثل المقياس فبينما هم على هذه الاحوال وقد أيقنوا بالسبي والاذلال والهلاك والوبال وإذا هم بالعساكر وقد أقبلت والغبائر قد طلعت وتروبعت ثم أسهابانت علت ولم تكن إلا ساعة حتى ضربتها الرياح فتقطعت وظهر من تحتها مواكب وكتائب كأنها الجراد المستشر في الهواء وفي مقدمتها فارس الطراد عنتر بن شداد ومن خلفه فرسانه الأجواد وأبطاله الشداد وخلفهم خمسون ألف من الروم كلهم الأطواد (قال الأصمعي) فلما رأت أهل مدينة رومة المدائن إلى هذه العساكر التي كأنها البحار الزواخر فرحت وتباشرت وايقنت بالنصر على الأعداء من بعدما كانت ولت وأنكسرت فرجعت إلى نحو الأفرنج وحملت وعلى القتال عولت وساعدوهم أهل المدينة بالحضور والاحجار من فرق الابراج والأسوار وقاتلوهم قتالا يذهل النظار ويحير الخواطر والافكار فلما نظرت الأفرنج إلى هذه الأخطار زاغت منهم الابصار وراوا أعداءهم وقد وادوا في قتالهم وقويت قلوبهم بقدوم الرجال والافيال هذا وقد نظروا إلى تلك العساكر الدساكر التي قد ملأت الأرض في البطل والعرض فعند ذلك أنكفوا عن الحرب والقتال وقد رجعوا إلى وراتهم بمقدار فرسخ طريق (قال نجد) هذا والعساكر القادمون قد أطلقت أعنة خيلها إلى أن وصلت إلى عساكر الروم وفتحت لهم المدينة وأمروهم بالدخول اليها فقال الأمير عنتر للوزير الصدر المشير أنا والله أدخل إلى هذه المدينة وبين أهلها أحضر إذا لم أقض حاجة الملك قيصر وأسقي ملك الأفرنج الموت الأحمر وأخلي عسكره من بعده مشتتين في البر الأقفر والحقه باخوته وأعدمه مهمته (قال الراوي) فلما سمع الوزير من عنتر هذا الكلام أبدى الضحك والابتسام وأيقن بالنصر الأظفر وعلم بأن أقوى من الحجر ثم أقبل وقال له نعم ما أشرت به يا أبا الفوارس ويا زين المجالس ثم أن الوزير أمر بان تضرب الخيام خارج المدينة فضربت ومدت الطوايل للخيل ونزلت تلك العساكر كأنها السيل وقد استراحت الرجال والخيل فلما نظر ملك الأفرنج إلى ذلك الأمر المدبر وكيف أنه قد رجع عن المدينة وعسكره تقهقر بعدما ايقن أنه ملكها وظفر لأن الملعون في نفسه ليثا قسور وفارسا غضنفر إلا أنه لما رأى ذلك الحال جمع أرباب دولته وكبراء مملكته مع رؤساء عشيرته وأهل رأيه وأهل مشورته وقال لهم يا أولاد الكهاينة لا يهولنكم ما قد رايتم وحق المسيح الظاهر

لم أخل الأول منهم يلحق الآخر واجعلهم لكم غنيمة قال المؤلف فلما سمعوا تلك الأقوام مقالته صدقوا مقاله لما كانوا يعرفون منه من تجربه وأحواله وكم صدم فرسان بنى عبس الادهم وكم فقالوا له أيها الملك وحق العدرة أم النور لو أنك أمرتنا بهدم الجبال لهدمناها ولو خضعت بنا البحار لخضناها ولو التقيت بنا أهل الأرض لقيناها فلما سمع الملك كلام أصحابه طاب قلبه وانحلت أوصابه هذا والعساكر قد باتت تحرك بعضها بعض إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فركبت الفرسان الجرد القداح وخرجوا يطلبون الحرب والكفاح واصطفت العساكر وترتبت الدساكر وتعينت والميامن والمياسر إلا أنها ما صبرت ولا اعتدلت بل أنها على بعضها البعض حملت ولا عنة حليها أرست والسيوف امتشقت والرماح انتضت وشرعت والرجال للرجال طعنت وزعقت اسود الحرب ودمدمت ونزلت عليهم كاسات المنيه ونهمت ووقعت المضارب على الجماجم فانتشرت وفاضت الدما وعطلت وقدحت نار الحرب واشتعلت والتقت الاسنة بصدورها وما نزعت وقاتلت قتال الأسود إذا استقلت وطلع روابع والقتال والقتام وقد علت وامطرت الجيشان وحملت الفرسان والتقت الجمعان وعمل السيف السنان فى الجسوم والأبدان وطعنوا بالأسمر المران وطارت الجماجم من على قامات الابدان ونقط الدم من على العيدان وسال على الأرض مثل الغدران وبقت الارض كأنها حلة أرجوان وزاد الخصب وعمل الصارم العضب وجال الشجاع الندب وفر الجبان من الكرب وقد فنى كل شجيع وشب وطعن الفرسان برأس السنام نواعم الابدام وحامت عليهم النسور والعقبان وتأخر الندل الجبان وتقدم كل بطل عزمان وضرب بالعضب اليمان فنثر الفرسان وجندل الاقران وبقيت الدماء على الارض تجرى كأنها غدران ودمدمت أسود الحرب وزاد هياج وفنيت فيه الغبائر وعملت البواتر وصار الحنان حاير وبان الرابح من الخاسر وتهتكت الستائر وفتحت المقابر وفنيت الاصاغر والاكابر وقد دهس الامير عنتر فى الافرنج دهس الاباعر ورحلهم إلى المقابر ولعب برءوسهم فى صدورهم المحاجر وداست الخيل جماجمهم بالحوافر فلله فارس بنى عبس الادهم وياله من أسد ضيغم لانه قهر الفرسان وجندل الاقران فى حومة الميدان واذاقهم الذل والهوان هذا والحرب قائم والضرب دائم والقتيل فى الدم عايم وهبت عليهم نسايم السمايم وعنتر عليهم كالاجل وقد افنى بطعناته وضرباته أكثر هذا العالم وأقعد كل قائم وأيقظ كل نائم وعادت الافرنج قدامه مثل البهائم وأبلاهم بالحرب الدائم ولم نزل على هذا الحال إلى أن ولى النهار وستحال هذا وملك الافرنج قد نظر إلى الارض وقد ملئت بالقتلى من قومه وأصحابه فغاب من هذا الفعل صوابه وداخله الفزع وقد حل به الهم والجزع وبعد ذلك افترقوا الجيشان ونزلوا العسكران وأوقدوا النيران وتحارسوا الفريقان فعند ذلك اجتمعت الافر

والبطارقة والعلوج الزنادقة ودخلوا على ملكهم وشكوا له ما قاسوا من عنتر وما لاقوا منه من الموت الأحمر في هذا اليوم الذي كان عليهم أغبر (قال الناقل) فلما سمع الملك كلامهم ورأى شكواهم وسقامهم فعلم جميع أحوالهم فعند ذلك أقبل عليهم وقال لهم يا قوم أنا أعلم أن ما أفنى جمعكم ونزل الذل بكم كلكم إلا فارس بني عبس الأدهم وليثها الضيغم وأنا وحق ديني أن ثأري ما هو إلا عنده من دون الروم وهو الذي قتل إخوتي وأطال عليهم حسرتي فوحق عيسى بن مريم لأبرزن إليه وأذيقه كأس أمر من العلقم وأتركه مخضب بالدم وأوريه في حومة الميدان العدم بضرب وطعان يذهل الأعيان ويزيل النعم ويترك الشجاع جبان وآخذ بثأر إخوتي سوبرت ونوبرت وخيلجان فلما سمعوا الأفرنج من ملكهم كلامه عرفوا قصده ومرامه ثم أنهم قالوا له أيها الملك اكفنا شره وشؤمه ودعنا نحن نكفيك مؤنة قومه ولو أنهم بعدد النجوم التي تحت النجوم فقال لهم الملك أما في غداة غد أخرج إلى برازه وأكفيكم شره وأصرم لكم عمره ثم أنهم بعد ذلك تفرقوا للمنام بعدما أكلوا شيئا من الطعام (قال الراوي) هذا وقد أوقد النيران وتحارسوا الفريقان وما زالوا على مثل ذلك الحال إلى أن أذن الله الليل بالارتحال وظهر النهار بالابتكار فعند ذلك ركبت العساكر واصطفت الدساكر وهمت العساكر أن تحمل على بعضها البعض وإذا بفارس برز من بين عساكر الأفرنج يريد الكر والفر وهو راكب على حصان أشقر عال من الخيل مضمر مدور الحوافر صنعة الملك القادر وعلى هذا الفارس ثوب من الزرد كثير العدد كأنه عيون الجراد وهو مطلي بالذهب الأحمر وعلى رأسه بيضة عادية كأنها الفضة النقية وسائر العدة التي عليه تأخذ البصر وتحير العقول والفكر وهو راكب على جواده كأنه الأسد العابس وفي ركابه أوفى من خمسمائة فارس فلما توسط الميدان صال وجال ولعب في أربع جنبات المجال ونادى وقال يا معاشر الروم إلا من عرفني فقد أكتفي ومن لم يعرفني فإني خفاً أنا الملك بهمنة بن الملك بوران أخو الملك خيلجان ملك الأرض والبلاد الذي قتله عنتر بن شداد وأنا ما خرجت اليوم إلى حومة الميدان ومنعت الفرسان عن القتال إلا حتى آخذ من عنتر بثاري وأكشف عني عاري (قال نجد) فلما استتم كلامه إلا وعنتر صار قدامه وناداه ويلك يا عابد الصور يا أوحش البشر تلقى فارس البدو والحضر أبا الفوارس عنتر الفارس الذي أنت تطلب منه الثار يا كلب يا غدار ثم حمل عليه والتقاه بقلب قوي وجنان جري واصطدما والتحما وأخذا في الصد والرد وتباعدا وتقاربا وتهاجما وتصادما إلى أن جرى منهم العرق وازورت الحدق وبقيت أرواحهم كالعلق قال المؤلف وكان ملك الأفرنج لما أن برز إلى حومة الميدان أخذ تحت فخذه ثلاث حراب كل واحد كأنها شهاب إلا أنه لما أراد عنتر حربه وعلم بأنه فارس غضنفر فقال في نفسه ما أنا إلا قاتل هذا العبد بهذه الحراب لأنه بدوي تربية البراري والهضاب ولا يعرف من أبواب هذا الحرب ولا

باب ثم أنه استلبت حربة من تلك الحراب وهزها في يده حتى تلوث طرفها وضرب عنتر بها فخرجت من يده كأنها شاب وكان الأمير عنتر محترزا من حربته ولما أن وصلت إليه وقربت لجثته سحبها على رابق درقته بحسن صنعته وكسر حاها بجبرته فعند ذلك زج إليه الثانية وقال أنها تكون لعمره ثانية فلما رآها عنتر وهي إليه واصلة اخطفها من الهوى بما أعطاه الله من الحيل والقوى وضرب بها صاحبها فخرجت من يده مثل الصاعقة المبرقة فالتقاها الملك بهمته بالطارقة فخرقتها أشرع من البرق ودخلت في وسط بدنه بتابوت صدره خرجت تلمع من ظهره فمال عن الجواد وسقط على وجه الثرى والمهاد وصار يلعب بيديه ويضرب الأرض بكفيه وقدميه ولما نظرت الأفرنج إلى ملكها وقد قتل فحملت على الروم وهجمت واختلطت العساكر بالعساكر وطلعت عليهم الغبائر ودارت الدوائر وتهتكت الستائر وفتحت المقابر ونزل على الأفرنج قضاء القادر وحكم عليهم بالفناء عالم السرائر هذا وقد سارت تلك العساكر ما بين غالب ومغلوب وناهب ومنهوب وسالب ومسلوب وناكب ومنكوب وسالم ومعطوب ونزل على الفريقين ما حكم به عليهم علام الغيوب فلم تكن غير ساعة من النهار حتى ولت الأفرنج الأدبار وركنوا إلى الفرار وقد لعب السيف فيهم إلى آخر النهار فعند ذلك وقعت البشائر في أهل المدينة وقد فرحوا بما تم عليهم وجرى هذا وقد رجعت الفرسان والأقران من القيعان فقابلتهم أخت الملك بلقام صاحب المدينة وهي بنت أخي الملك قيصر وتقدمت في هذا النهار بالمسك والزعفران وقد دهشت جواد عنتر لأنه وقع لها في قلبها محبة عظيمة وقد ألقى الله محبته في قلبها وزاد من فروسيته تعجبها وذلك لما كانت تسمع بما عنه من فعله قبل أن تراه لأنها كانت تسمع هلك من الجبابرة العناه هذا والأمير عنتر سائر ما بين تلك الفرسان لأنه ليس حلة من الأرجوان هذا وجميع البطارقة قد ترجلت وصارت في ركابه ومشت في خدمته وكانوا كلهم من بطارقة الروم وعنتر بينهم كأنه القمر بين النجوم وهم يدعون له ويثنون عليه والوزير إلى جانبه والملوك من حواليه ولم يزالوا في سيرهم إلى أن دخلوا إلى قصر المملكة هذا وقد نصبت لهم أسرة من العرعر المصفح بالذهب الأحمر فعند ذلك جلست الملوك والأمراء والسادات الكبار مثل الأمير عنتر والوزير وابن أخوا الملك قيصر وكثر بينهم الانبساط ولم تكن إلا ساعة حتى مدوا لهم السماط وفيه من سائر أنواع الطعام ورتع فيه الخاص والعام وأكثروا والأمير عنتر في الكلام والإكرام إلى أن أكلوا من أكل الطعام وبعدها قدموا آنية المدام وهي كلها من أنواع الذهب والجواهر والياقوت الأصفر وأنهم مازالوا في أكلهم وشربهم والمزاح إلى أن أصبح الله بالصباح وقد داوموا على مثل ذلك الرواح إلى أن أقبل الليل ومازالوا على هذا المنهاج والاهتمام مدة سبعة أيام وفي اليوم

الثامن عزم الامير عنتر لى الرحيـــل وسرعة التحويل بعد ماشاور الوزير فى ذلك الحال فقال له يا أبا الفوارس وحق دينى لك عندى بشارة فقال عنتر وماهى البشارة فما زلت بالخير مشير فقال له اعلم يا حامية عبس أن ابن أخى الملك قيصر بلقام صاحب هذه المدينة التى خلصتها له بقائم سيدك وقتلت أعداه وحساده من بعد ماكان أشرف على الهلاك والدمار وخراب الديار وهو الآن اختار بأى شىء يجازيك فاوجد عنده أعز وأحسن من أخته الملكة مريم وقد أراد أن يزوجك إياها ويأخذ لك عهدة فى كل شدة ويروم اتصال النسب رعاية فيك من شدة محبته لديك وإنها والله يا أبا الفوارس مليحه زمانها وفريدة عصرها وأوانها فايش ترى من الرأى يا بطل الزمار ويا قاهر الاقران (قال الراوى) فلما سمع الامير عنتر ذلك الكلام أخذه الإنذهال وتحير من تلك الافعال ونادى وقال معاذ الله يا ولاى إن أخذ على فقل الجميل برطين وبعد ذلك فان الملك قيصر قد ملك عنتر وزقى نما أولانى من الجميل وقد غمرنى بعطائه وإحسانه وأنا والله يا ملك ما أصلح أن أكون من بعض غلمانه وهذا شىء مكروه عند الروم وعند العرب والعجم مذموم ولا يجوز أن يتزوج الإنسان من غير أبناء جنسه أيها المخدوم (قال الناقل) فلما سمع الوزير من الامير عنتر مقاله قال له صدقت يا أبا الفوارس ولكن الملك بلقام قال فى نفسه بأن أخته وسائر أهل مدينته عتقاء حد سيفك وأمناء خوفك ولو ملكها أحد من الاعداء الاشرار كان استملكها كما يتملكون الجوار وكانت تبقى فى خدمته الليل والنهار (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الوزير هذا الخطاب سكت ولم يرجواب بل إنه قال له أيها الوزير دمهما امرتنى به قبلت ولا اخالفك فيه ولعلى على بعض إحسانه اجازيه وكان أعجب مافى ذلك أن الله تبارك وتعالى قد ألقى محبة الامير عنتر فى قلب هذه الجارية حتى أنها حرمت النوم وامتنعت من أكل الطعام وشرب المدام وقد زاد بها الوجد والغرام وقدى عليها الهوى والهيام والماكثة وجدهام الغرام فأعلمت أخاها الملك بلقام وشرحت حالها بالتمام وقالت له اعلم يا أخى انى من حبى فى هذا الفارس الكرار وقد زادنى الهم والاضرار وكل منى الاصطبار وإن مضى هذا الفارس راح من هذه الديار وما أنا معه فقد هجمت على وحوى فى القفار ولا يعرف لى أحد خبر من الاخبار قال الراوى فلما سمع أخوها مقالها ورأى بكاها وأهوالها فقال يا أختى وحق المسيح إن مرادى لو أخذ لا جازيه لاجله إحسانه وفعاله فلعلنا نجازيه على أعماله حتى كنا نفتخر لشجاعته عند كل قائم وجالس ولكن سوف أتحدث مع الوزير فى مثل هذا التدبير وأتركه يتحدث مع الامير عنتر فى هذه الامور والخبر (قال الراوى) وكان هذا الحديث بينه وبين أخته فى ظلام الليل فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فأتاه الوزير لاجل السلام فتحدث بلقام معه بذلك الكلام وقد أخفى ما حل بأخته مريم من الوجد والغرام وقد أراد

أن يتقرب إلى الأمير عنتر بزواج أخته (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما سمع الوزير الأكبر من الملك بلقام هذا الخبر فوثب وقام يتمشى إلى أن دخل إلى الأمير عنتر وأعلمه بذلك الخبر وقد فرح واستبشر وقال له ما أخالفك فيما فعلته ومهما أشرت به على فلته فعند ذلك فرح الوزير بإجابة عنتر وفى ساعة الحال أخذه ودخل إلى قصر الملك وأخبر الملك بأن الأمير عنتر قد رضى بما جرى فلما سمع الملك بلقام بذلك الخبر ففرح بزواج أخته إلى الأمير عنتر وفى ساعة الحال أخذه بيده وصافحه وناكحه وفى هذا الوقت البشائر وقد فرحت الإماء والحرائر الأصاغر والأكابر وأما القصر فإنه قد انقلب بالفرح وقد اتسع صدر كل من فيه والشرح ومن تلك الليلة اهتم الملك بلقام فى تصليح شأن الزواج وقد اجتهد فى عمايل العرس والفرح الدائم وعمل الولائم وقد فرح كل قاعد وكل قائم وارتعت الناس فى الولائم وأكلوا الناس الطعام وشربوا المدام ولم يزالوا كذلك هم على هذا الحال مدة سبعة أيام تمام وهم فى عز زائد وإكرام ولما كان فى الليلة الثامنة جلبت الملكة مريم على الأمير عنتر ابن شداد وكان ليلة تذكر فدخل بها فوجدها أبهى من الشمس والقمر وهى طيبة القناص ودرة الغواص ودخل بها الأمير عنتر من ليلته وقد بلغ منها كل منتهاه ومراده بغيته وبات عندها تلك الليلة التى تعد بليال وقد راق له تلك الزمان بصفو عيش وخلو بال ولم يزل عنتر فى والانبساط والانشراح إلى أن أصبح الله بالصباح هذا وقد وقعت بينهم المحبة وسار لعنتر فى قلبها منزلة وتبه وصار الأمير عنتر يبيت كل ليلة وهى فى ملك عظيم وحال مستقيم وفى جنة نعيم مدة سبعة أيام وفى كل ليله يمتد بين يديه البساط وجميع من بصحته من السادات وبنى قراد وهم يرتعون فى الضيافات والدعوات بالعز والكرامات وما زالوا على مثل ذلك الحال مدة ثلاثة شهور متواليات بعد ذلك عزم عنتر على المسير وطالب الرواح ياخبير فأخبر صهره الملك بلقام بهذا المرام وقال له أريد منك أيها الملك الكريم أن تكون كريمتك الملكة مريم وأنا أبقى أزورك كل قليل من الأيام قال فلما سمع الملك بلقام من الأمير عنتر ذلك قال له يا أبا الفوارس هذا شىء متعلق بالنساء وأنا أعلم أن أختى مريم لا تقدر تصبر عنك وحق دينى ساعة واحدة فى الصباح ولا فى المساء ولكن إن شاء الله تعالى أشاورها فان هى رضيت بالقعود عندى حفظتها لك بطاقتى وجهدى وإن كانت تطلب منك الرواح فيكون فراقك وفراقها أشد من فراق الأرواح ثم أنه قام الملك بلقام على الأقدام ودخل القصر على أخته وأخبرها أن الأمير عنتر يريد السفر إلى عند الملك قيصر حتى يعلمه بما جرى وتدبر (قال الراوى) فلما سمعت الملكة مريم من أخيها ذلك المقال صعب عليها وضاق صدرها وتربطت يديها وقالت يا أخى وحق دين المسيح أنى لا أفارق بعلى وأينما سار أكون معه بين أهله وعشيرته لأنى ما أقدر على فراقه يا أخى ولو كان تقول أنك ما تعطينا مال ولا نوال ما أخذنا

شيء (قال الراوى) فلما سمع أخوها مقالها مع ما كان يعلم من أحوالها قال لا وحق السيد المسيح إن هذا الحديث الذى قد خطر ببالك ما هو قصدى وإنما مرادى أن لو أخذ عنتر سائر ملكى وما تملكه يدى ولكن هو الذى أراد ذلك ثم أنه خرج من عندها وأتى إلى عند الامير عنتر وأخبره بهذا الخبر وقص عليه جميع ما جرى وتدبر (قال الناقل) فلما أن سمع الامير عنتر هذا الكلام المنتظم زاد فيها رغبة ومحبة ولكن اختشى من عتب عبله وقناصة الرجال وخاف من تكدير عيشة وما هو فيه من الحال فسكت عن قصص وعلم أن مريم ما لها فى القعاد بعده غرض فقال فى نفسه أنا أعلم أن هذه الجارية ما تطلب قعود فى البرارى والقفار من بعد سكن المدن والامصار ولكن أنا آخذ هذا معى إلى أن أصل إلى الملك قيصر وأودعها فى مدينة القسطنطونية لانها على كل حال إبنة أخيه وأنا أدخل عليها فى مثل ذلك وتسكون بالقرب من هناك وأكون قد أمنت منت قناصة الرجال وعبلة ابنة مالك ثم أن الامير عنتر قام على الاقدام ودخل على مريم وقد ضحك فى وجهها وتبسم وقال لها يا مريم وحق بارىء النسيم ما عندى أعز منك ولا أسافر إلا بك وما قلت هذا المقال إلا كرامه لاخيك أن لا يكون لم يهون عليه فراقك وما سير خطوة إلا بكى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمعت الملكة مريم من الامير عنتر هذا الكلام فرحت وطلب قلبها وانشرحت وقالت له سيدى أبو الفوارس وحق سيدى المسيح ومارى حنا المعمدان لقد كرهت من أجلك الاهل والاوطان وما بقى لى عنك صبر وما سلوان يا بطل الزمان وفريد العصر والاوان (قال الراوى) فلما سمع الامير عنتر منها هذا الكلام عذرها لاجل ما ذاق من طعم المحبة والهيام وقد علم أن الفرقة بين المحب والمحبوب صعبة ثم أنه بعد ذلك جهز نفسه للمسير وقد علم بذلك الوزير فقال له نعم الرأى يا أبو الفوارس ما بقى غير التجهيز ثم أمر الفرسان أن يتجهزوا إلى الرحيل والسفر وقد فرح بذلك واستبشر لانه طالت سفرته وكثرت غيبته لانه قد أقام فى مدينة رومة المدائن تسعه أشهر وهو فى الذ عيش وأهنا طيش هذا وقد صحى واستفاق من خمر العشق والمدام وتذكر هوى عبلة الذى سكن فى لحمه والعظام هذا والملك يلقام قد أخذ فى تجهيز أخته ثم أمر الخدام والغلمان بنقل سائر ما كان لاختة من الرحال والاثقال والصناديق الذى تنقل فيها الاموال والجواهر والتحف الغوال وكذلك الخيل والبغال وقد أقامت الخدام والغلمان تنقل فى مال الحريم إلى ظاهر الخيام ثلاثة أيام على التمام (قال الراوى) وفى اليوم الرابع رحلوا واستقاموا على الطريق وما بقى لاحد منهم تعويق هذا وقد خرج مع الملكة مريم من بنات الروم مائة وخمسين جارية كانهن الاقمار أو النجوم أو اللؤلؤ المنظوم ومن وراثهم من الدواب ثلثمائة بغل محملين قماش ومتاع وحلى وعقود جواهر ومن كل شيء فاخر وأشياء ليس لها أول ولا آخر ثم صار الامير عنتر والوزير إلى جانبه والاغلام والرايات

على رأسه تخفق ولم يجسر أحداً من فرسان عنتر أن ينطق (قال الراوى) هذا وقد سارت العساكر والدساكر فى الليل والنهار غدوا وابتكارا ولم يزالوا على تلك السية إلى أن أشرفوا مدينة القسطنطونية وقد صلبت قدامهم البشائر إلى الملك قيصر بوصول العساكر وأخبروه بما فعل الامير عنتر فى ملك الافرنج وعساكره ففرح بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ثم أنه ركب من ساعته وخرج إلى لقاء الامير عنتر هو وجميع من معه من أرباب الدولة والوزراء وأهل الصولة وقد التقاه من مسافة فرسخ طويل من المدينة هذا وقد التقت المواكب بالمواكب والكتائب بالكتائب فلما نظر الامير عنتر مواكب الملك قيصر ترجل من على ظهر جواده الابجر وهرول إلى أن وصل إلى عند الملك قيصر وانحنى وقبل رجله فى الركاب فانحنى إليه الملك قيصر وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه وأشار له بالركوب وحلف فعند ذلك عضده الوزير من تحت أبطه حتى أنه ركب على ظهر مركبه وأخذه الملك قيصر بجانبه وقد أخذ يحاذيه ويجاوبه من دون ساثر أهله وأقاربه ثم ضارت المواكب وتتابعت الكتائب وتقدمت من كل جانب وقد اشتبكت الاعلام والرايات على رأس الامير عنتر بن شداد والملك قيصر ملك الروم صاحب الاقاليم والبلاد ومعهم الحجاب والامراء والنواب وهى ماشية على الاقدام وكلما تقربوا من المدينة ترسل إليهم العرسان من كل جانب وكان حتى لم يبق أحد راكب سوى الملك قيصر والامير عنتر وعنترة كلهم وأراد أن يترجل بمنعه من ذلك الملك قيصر ولم يزالوا سائرين على هذا الحال والانتقال والحركة إلى أن دخلوا إلى قيصر المملكة وقد نصبت لهم الكراسى من الفضة الحجر والذهب الاحمر والابنوس والعاج المعظم بالجوهر وقد أتوا وجلسوا على قدر طبقاتهم وأجلس الملك قيصر عنتر على كرسى الذهب جانبه وصار يحدثه وبياسطه ويمازحه ويلاغيه ويستخبره عن أحواله وهو يجيبه إلى سؤاله إلى أن حكى له على ما جرى له وما تم من أحواله (قال الراوى) فلما سمع الملك قيصر هذا الحديث من عنتر أخذه الفرح والطرب وقد هز رأسه وتعجب من هذا الحديث والخبر وقد فرح بزواج ابنة أخيه إلى الامير عنتر ثم ان الملك قيصر بعد ذلك امر بمد السماط فمدوه جميع الالوان وقد أكلت الناس وجميع الجلاس وقد أكل الملك قيصر مع عنتر بن شداد (قال الراوى) وما زالوا على أكل طعام وشرب مدام ورفع مقام وعز وإكرام وهم على مثل ذلك المرام إلى أن اكتفى الخاص والعام مدة عشرة أيام ولما كان فى اليوم الحادى عشر أمر الملك قيصر باحضار أنية المدام بعد ما اكتفوا من الطعام فنصبت الاوانى وقد صفت الابارين والقناني وترصصت الكؤوسات وملئت الطاسات وشربوا من ذلك المدام الذى صفى ورق وصار كأنه دموع العشاق إذا جرت من الآماق فى ليالى الهم والفراق ولم يزالوا على مثل ذلك الاكرام والانعام وهم فى أكل طعام وشرب مدام ورفع مقام إلى ان كان فى يوم

من الايام اشتاق الامير عنتر إلى ابنة عمه عبلة وإلى زوجته الهيفا قناصة الرجال وإلى الاهل والعيال وسكان تلك الحلة والديار والاطلال ولما انقضت أيام الضيافة أقبل الامير عنتر على الملك قيصر وتنهد وتحسر وقال أيها الملك المفضال وحق الملك المتعال أنى اشتقت إلى الديار والاطلال ومن فيها من الاهل والعيال فقال له الملك قيصر يا أبا الفوارس أنى يعز على فراقك لأن قلبى فى كل ساعة يشتاقك فقال له الامير عنتر وقد وجد لكلامك مضرب أيها الملك أنى اريد من جودك وإحسانك وفضلك وامتنانك أن تخلى زوجتى الملكة مريم عندك وأن تجعلها بين نسائك واهلك وأنا أجيء إليها فى كل قليل من الايام فإن مالى إلى أحد هامن سبيل أيها الملك الجليل (قال الراوى) فلما سمع الملك قيصر ذلك الكلام من عنتر فرح به واستبشر وما صدق بهذا الخبر وقد أمل بذلك أنه يأتى إليها فى كل ليلة (قال الراوى) ثم انه فى ساعة الحال أمر أن يخلوا إلى الملكة مريم بيتا من دخل قصره الخاص والعام أمر الخدم والغلمان أن ينقلوا جميع ما هنالك من الفرش والمتاع والاثاث والامرش وأن يضعوهم فى ذلك المكان وعند ذلك قد فعلوا ما أمرهم به الملك قيصر وفى اليوم الثانى استهم الامير عنتر إلى السفر فجمع عليه الملك قيصر الخلع الحسان وخلع على جميع من كان عنده من الفرسان والاقران الذين هم من بنى عبس وعدنان من بنى قضاعة وبنى غسان وأكثر للامير عنتر من الاموال وزاده من التحف الغوال ولمن كان معه من الرجال والابطال وقاد إليه الخيل السودة الغوال والنوق والجمال وقد أعطاه المضارب والخيام وجمله بالرايات والاعلام والجوارى والخدام وأنعم عليه إلى أن غمره بالعطايا والانعام وبعد ذلك ركب الملك قيصر إلى وداع عنتر ومازال سائراً حتى أبعد عن مدينة القسطنطونية مقدار فرسخ طريق فنزل الامير عنتر من على ظهر جواده الابجر وقبل فى الركاب قدم الملك قيصر وحلف عليه ورجعه بذلك الجيش والعسكر. قال أيها الملك اظفر وحق البيت العتيق المطهر لقد أغنيت بمدك عنتر وأسعدته بين البشر فلازلت مسعوداً اظفر بين العرب والعجم والبدو والحجر فعند ذلك قبله الملك قيصر بين عينيه شكره وأثنى عليه ورحمه وهو فرحان بهذا الحال وسار الامير عنتر ما الى الديار والاطلال فيمن فى صحبته من الرجال والابطال وقد اشتاق إلى عبلة بنت مالك وإلى جانبه الامير عمرو ذو الكلب وزيد بن مروة وسبيع اليمن وباقى الرجال وقطعوا الطريق وهم يتسامرون بالحديث والكلام وقد أعطاهم الامير عنتر من الاموال وتحملة الجمال هذا وهم سائرون فى الليل والنهار يقطعون البرارى والقفار وتلك السهول والاوعار مدة واحد وثلاثين يوم إلى أن قربوا من الديار وعند ذلك من الامير عنتر الاصطبار إلى نظر الحبيب ولقياه من قريب إلى أن وصلوا إلى بحر الدرت ودخلوا إلى الحلة فعند ذلك تلقته عبلة قبل الجميع فلما رآها ترجل إليها وأخذها فى حضنه وقبلها

وسلم عليها هذا وقد فرحت الناس المقيمين بالقادمين وتعمرت المنازل بالنازلين وقد انشرحت الأوطان بالقاطنين وانشرحت الأهالي والجيران بالمحبين وقد باتوا فى مناهم والاكرام والعز والانعام ولما كان فى ثانى الأيام صنع الأمير عنتر دعوة عظيمة وقد ذبح فيها الذبائح وقد عزم كل غادر ورايح وقد انتفعت الناس فى أكل الطعام وشرب المدام وأقاموا على مثل ذلك المرام وهم فى عز وإكرام سبعة أيام وثمان ليال تمام وكان الأمير عنتر قد أقام على بحر الفرات مدة سبعة أعوام وهم فى الذعيش وأهناه وقد خافته جميع العربان وأتته الهدايا من سائر الأعمان وقد صارت الملوك تهاديه وهو مقيم فى هذا المكان (قال الراوى) فهذا ما كان من عنتر وأصحابه الكرام وأما ما كان من الأسد الرهيص لسل اللئام فإنه كان دائما يرقب أخبار الأمير عنتر ويسأل عنه كل ما غاب أو حضر وكان قد وصل إليه خبر عنتر أنه رجل إلى بلاد الروم من أجل عدو قد ظهر الملك قيصر فبقى دائماً يستنشق الخبر من المسافرين والحضر إلى أن وصل إليه من العالم أن الأمير عنتر قد عاد سالم غانم من بعد أن هلك فى بلاد الروم جميع الخوارج والطغاة وقد عاد بصحبة العافية وطيب الحياة وهو مقيم على جانب بحر الفرات وقد أقام فى ذلك المنزل المليح وهو سائر ملوك الأرض تهابه وهو مستريح قال الراوى فلما أن سمع الأسد الرهيص بذلك الخبر تأوه وقد زاد وجده وبلاه وأوقدت النار فى قلبه وأحشاه وقد تذكر ثاره وما جرى عليه وكيف كحله الأمير عنتر أعمى عينيه ولا ترك له بصراً يبصر به لا من قدامه ولا من خلفه ولا من بين يديه فزاد به الهم والبلبال وتغيرت منه الأحوال ومن عظم ما قد أصابه وجرى عليه هول أن يسير إلى الأمير عنتر ويتسبب فى هلاكه بكل ما يقدر عليه فعند ذلك أدعا بعبده فأتى إليه ووقف قدامه وقبل يديه وقال له ما الذى تريده يا مولاى وإيش الذى تدعونى إليه فقال له ويلك ولد الزنا وتربية الأمة الخنا أما تعلم بما قد جرى على من بنى عبس اللئيم وانظر كيف تركى رهين وحزين (قال الراوى) وكان له من حين كحله الأمير عنتر اثنين وعشرين عام وستة أشهر ثم أنه قال للعبد ويلك يا ابن حام أنت تعلم ما جرى وكيف أن عنتر تركنى عبرة من دون الورى وقد آن لى أن أخذ منه بالثار وأكشف عنى العار وأنا قد وصل إلى الخبر أنه مقيم فى بحر الفرات فى ذلك البر الأقفر والمهمة الأغبر وأنه قد رجع وعاد من بلاد الروم وتلك المعالم والرسوم وهو سالم ومعه أموال وغنائم وأنا مالى نظر أنظر به الطريق وإلا كنت سرت إليه وأعدمته السعادة والتوفيق وأنا عولت أن أخذك معى وأسير إليه وأكمن له فى بعض الدحال والغابات التى

حواليه وأخذ روحه ن بين جنبيه لأن هناك يا نجم دحال يقال لها دحال العارضيات ولعلى أن أجد لى منه فرصة من الفرص فار يه بنبلة يكون فيها حمامه . قد انزاحت عن قلبى الغصص بموته وإرغامه (وقال الراوى) فلما سمع العبد نجم من مولاه كلامه ومقاله رق له ورثى لحاله وقال له يا مولاى إذا كان الأمر كما خط ببالك فافعل الآن ما بدا لك فانى والله ما أخالف مقالك وأتبعك فى جميع أحوالك فقال له الأسد الرهيف يا نجم وحق السميع العليم ما رضيت انى أموت إلا كريم ولا أعيش لئيم فلعلى الرب الكريم رب زمزم والحطيم رب موسى وعيسى وإبراهيم أن يبلغنى من قتل عنتة العبد الزنيم والوغد اللئيم أريد وان يمكنى من هلاكه وصرعته واتلاف روحه ومهجته لأنه إذا نزل القضاء والقدر لا ينفع الحذر كما قال بعضهم حيث يقول صلوا على محمد الرسول

إذا أراد الله أمراً بأمرىء ... وكان ذا عقل وسمع وبصر
أصم أذنيه وأعمى وقلبه ... وسل منه عقله سل الشعر
حتى إذا أنفذ فيه حكمه ... رد عليه عقله كى يعتبر
فلا تقل فيما مضى كيف جرى ... فكل شىء بقضاء وقدر

(قال الراوى) فلما سمع العبد نجم من الأسد الرهيص ذلك القول فقال له يا مولاى أعزم بنا على المسير فى هذه الساعة فأنا لك من تحت السمع والطاعة فقال له يا نجم أنا قد عزمت على ذلك ولو أننى أكون هالك هذا وقد شد العبد لمولاه على ناقة سفانه كأنها اليمامة الرفانة وقد عمل عليها جلالها ووضع الحطام فى رأسها واستوى الأسد الرهيص على كورها وقد أمل من الأمور يسيرها وقد أخذ قوسه وكنانته وهى ملانة بالنبل المسموم وأثار العبد تلك الناقة وأخذ زمامها بيده وسار طالب أرض العراق والأسد الرهيص إلى لقاء عنتر مشتاق ولما أن تمادى به المسير أيقن بكل خير ورفع صوته وأنشد يقول صلوا يا حاضرين على طه الرسول

نجانى مذ نفى عينى وقادى ... وطار النوم عنها بالسهادى
وأسهر مقلتى وأعمى عيونى ... وأبلانى بهم فى فؤادى
فوا أسفا على أخذى لثارى ... بحد البيض والسمر الحداد
عسى الأيام تسعدنى عليه ... وتسعفنى على أقصى مرادى

(قال الراوى) فلما فرغ الأسد الرهيص من أبياته حد فى قد الفلاه إلى أن وصل إلى جانب الفرات وقد أكفته عبده نجم فى دحله مشتبكة الأشجار كثيرة الأطيار الأنهار قال الراوى وكانت هذه الأحجة مقابلة خيام بنى عبس وعنتر وحى ما بين الفرات والأثير وكانت خيم عنتر مضروبة على جانب الفرات الآخر . وهى بقرب الماء منصوبة وأن الأسد الرهيص لما أنزله عبده من الأحجة خفق فؤاده من سماع ضرب المزاهر وعناء الموالدات وزن خاق

الجنكيات وهدير القرونبيح الكلاب وضجة النجع وتوريد البنات وكلام الفرسان عند أكل الطعام وشرب المدام وأهل الحلة تحت العز العزيز والحرز الحريز وذلك بهيبة حاميتهم عنترة الفرسان لأن هيبة الأمير عنتر كانت قد دخلت فى قلوب كل العربان وجميع من سكن البرارى والقيعان (قال الروى) ولما نظر العبد إلى ذلك فأيقن أنه وهو مولاه هالك فقال له والله يا مولاى لقد خاطرت بنفسك غاية الخطر ولا يليق لأحد أن يأمن القضاء والقدر وأنا والله ما أرى لك إلى عنتر وصول ولا لك إليه سبيل وحق الملك الجليل فلما سمع الأسد الرهيص من عبده نجم ذلك الكلام قال صدقت يا عبد الخير فى هذا الخبر ولكن حق الاله الذى علا ثم اقتدر إذا نزل القضاء والقدر عمى البصر وإذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه ولعل الله أن يكون جعل قتل هذا العبد ومنيته على يدى وها أنا مختفى فى هذه الاجحة والقوس والنبلة فى يدى فاذا سمعته رميته بها وهى مسمومة فان أصابته فما أريد بعده مهلة وقد رميت بالهلاك من بعده ولا أعيش ساعة واحدة لأن النار فى قلبى مضرمة وموقدة فقال له العبد أفعل ما يبدا لك فانى ما اخالفك مقالك ولا أراجعك عن فعالك وها أنا منتظر لاعمالك (قال الراوى) وكان بين الأسد الرهيص وبين مضارب عنتر وشيع النهر وقدر رمية السهم وأكثر ثم أنه أقام مكمن ذلك اليوم وهو منتظر إلى ما يبدو من فعال القوم ومازال إن تهود الليل وهدر واقه وعسعس الظلام باغساقه فقال للعبد نجم ويلك أخرجنى إلى برة الاجحة وأشرف فى علا الحى بحسن عزيمتك وقوة الهنلانى أسمع أصواتهم بعبده عنى فهيا قربنى إليهم قليلا فلا جعلن الناس يتحدثون بفعالى جيلا بعد جيل فعند ذلك أخرجه العبد إلى برة الاجحة وأنابه إلى شفير النهر ولم يخش من نائبة ولا معلة وأقعده مقابل أبيات الأمير عنتر فقعد ينتظر القضاء والقدر وبرك على ركبتيه واوتر قوسه على كلتا يديه وفوق النبلة فى كبد القوس بكل ما يقدر عليه (قال الراوى) وأعجب ما جرى من الاتفاق والخبر وانفاذ المشيئة وأحكام القضاء والقدر الذى لا مهرب منه ولا مفر وكان عنتر فى تلك الساعه نائم بجانب عبله فسمع نبيح الكلاب قد علا وكثر حتى دوت منه جنبات الفلا فعندها قام وخرج من المضرب وصاح على أخيه جرير وقال له ويلك أنظر ما الخبر وما بال الكلاب فى هذه الليلة تكثر من النبيح والصراخ من ناحية هاتيك الاجمة (قال الراوى) واتفق أن تلك الليلة كانت مظلمة شديدة السواد معتمة فقال جرير لأخيه والأسد الرهيص يسمع والله يا ابن الأم ما أعلم ما الذى بدالى لأن هذا ظلام شديد ما انظر فيه ولا أقشع ولكن يا ابن الأم أرى نبيحها كله من ذلك الجانب من النهر وهذا هو عندنا إلى صوب الحى إلا أنه من شدة الظلام ما تعين لى شىء (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلام جرير وثب من موضعه وثبة الأسد الشرير وفى الحال ليس أثوابه وأخذ حسامه فى يده ومشى إلى جانب النهر وصار يمشى على شاطئه وهو يتكلم مع أخيه هذا والاسد الرهيص

يسمع كلامه ويصغى إليه فسمعه يقول لأخيه جرير ما هو إلا من بعض الظباء ين وقد قصد إلينا يتجسس فى جانب الحلة ليسل بعض الخيل من بين أبدينا كأنه قد سمع عنا أننا قد قتل حيلنا وقرانا وأنا والله يا جرير وحق الملك القدير صاحب المشيئة والإرادة والتدبير الذى هو يوسوس الصدور علمه وخبيرو هو على ما شاء قدير لو هجمت على أمة ربيعة ومضر لأخذتها الموت الأحمر الذى لا يبقى ولا يذر وإلا فإما أكون عنتر ابن شداد وهيهات وحق الملك الخالق أن يقدر سلال أو كاب محتال أن يقدم علينا مجال من الأحوال لأن ماله إلى مثل ذلك سبيل ولا يقدر يأخذ من حمى عنتر لا كثير ولا قليل (قال الراوى) ومن تمام القضاء والقدر الذى ما العبد منه مهرب ولا مفر أن الأمير عنتر لما أن قام من منامه قد أتته إراقة الماء فجلس إلى الأرض وجعل يتأمل طولا وعرضا وفى جلوسه اتفق أن وجهه كان مقابل الأجمة التى فيها الأسد الرهيص وكان الملعون على ما أراد أن يفعله حريص (قال الراوى) وكان الأمير عنتر إذا أراد أن يريق الماء تسمع له صوت وهدير كذوى الرعاد فى البر لأن هذا الأمر من قوة همته وشدة عزيمته وكان إذا بال على حجر فيثقبه من شدة حبله وقواه الذى ركبه فيه الإله إلا أن الأمير عنتر لما أن قعد يريق الماء فصعد له دوى وهدير فسمعه الأسد الرهيص فلم يكذب خبره دون أن خرج من كبانته سهما سقى بكأس الحمام وقد وضعه فى كبد ذلك القوس واستوفى عليه إلى أن حرك الإبهام فى شاربيه وأطافه على حس دوى إراقة الماء فخرجت تلك النبلة من فم ذلك القوس تدوى تزعزعت مثل الشهاب الثاقب والبلاء الصائب إذا نزل من السماء طالب فلم يشعر الأمير عنتر إلا وتلك النبلة قد وقعت فى وسط مخصاه وقد دخلت وغاصت فى وسط أمعاه كل هذا جرى والأمير عنتر لا يقتعع جرح ولا توهم منها ولا تضعضع ولا تحرك من ذلك الموضع (قال الراوى) وكان أخيه جرير واقفا على رأسه ولم ير ما قد جرى عليه ولا عرف ما وصل من الأذى إليه غير أنه سمعه ينشد ويقول صلوا يا حاضرين على النبى طه الرسول

يا من رمى على الصوت ما أخطانا ... فأصاب قربتنا وبدد دمانا
يا أيها الرامى بنبلة قوسه ... لاقيت منا شرنا وأذانا
فلقيت رمية النبل صبت لقربة ... أخرقت منها الجلد باشيطانا
أذيتنا فيهـــا بضربة نبلة ... وقطعت منا العرق والشريانا
أتلفتها بالنبل حين أصبتها ... وخرقتها وقطعت منها رجانا
الله يقطع منك وفدك عاجلا ... وتذوق ضربا دائما وطعانا
لو كنت أعلم من رماك لنحونا ... يا نبل فى ليل يريد خبانا
لأذقته كأس المنية عاجلا ... وتركته للوحش والعقبانا

(قال الراوى) فلما فرغ الامير عنتر من هذه الابيات فسمعه الاسد الرهيص فظن أن السهم أخطأه ووقع فى قربة ماء السقا ومن عظم ما دخل عليه من الرعب والفزع والخوف والجزع والشقاء مرارته ومات من وقته وساعته وخرجت روحه من جثته فلا رحم الله أرضا حوته ولا رحم الله أهله وعشيرته (قال الراوى) فعند ذلك تقدم إليه عبده نجم وكلمه فلم يرد جواب ولم يبد كلام ولا خطاب فمد العبد يده وقبضه من زنده وحركه فوجده قد مات وحلت به الآفات وقد فرط فيه الفرط وفات فعند ذلك تركه مرمى فى موضعه وبعد عنه وبلا يستطيعه بل قد أسرع ونهض مثل البرق وركب على ظهر ناقته من شدة خوفه وعظم دهشته وقد أرخى لناقته الذمام من غير توان وصار طالبا ديار بنى نبهان وهو من الامير عنتر خائف وفزعان وهو لا يصدق أنه ينجو من الموت والهوان فهذا ما كان وما جرى من الخبر وأما ما كان من أمر عنتر فانه قام على الاقدام وصار طالبا أبيانه وأخوه جرير يمشى قدامه وهو من خلفه وهو يتوكا على سيفه وهو يتململ مما جرى عليه وقد أظلمت الدنيا فى عينيه وما زال وهو على مثل ذلك الحال إلى أن دخل مصر به وأعلم عبلة بما جرى له من تلك الفعال فانزعجت عبلة وبكت وانتحبت واطمت وولولت وانقلب الحى بسكانه وانزعجت قطانه وخافت شيوخه وشبانه وتبادرت إلى نحو الامير عنتر النساء والرجال وأخذوا يسألونه عن سبب ذلك الحال وكذلك عمه مالك وولده عمرو وزخمة لجواد وسائر بنى قراد قد سألوه عن حاله فأخبرهم بجميع ما جرى له وقال لهم وبعد ذلك ما أدرى كيف ذهبت وما الذى أمت بباطن هذا الامر إن كان من هذا الجانب أو من الآخر (قال الراوى) فلما أن سمع جرير منه ذلك الاقوال فقال وحق ذمة العرب لا بد ما أكشف ذلك الحال ثم أنه أرمى ما كان عليه من لباسه وقد كثر وجده وضاقت أنفاسه وعلا بكاؤه وانتحابه وغاب عنه لاجل ما حصل لاخيه صوابه وقد أرمى روحه فى البحر سباحة ولم يركن إلى هدو ولا راحة وما زال يسبح فى النهر إلى أن عبر إلى الجانب الآخر وطلع إلى البر ومشى يتجسس فى القفر وإذا هو قد وجد الاسد الرهيص مرميا على شفير النهر معفر والقوس والنبلة بجانبه وهو مغبر (قال الراوى) فلما نظر إليه جرير عرفه وقد حقق معناه فصاح بعد ذلك رأى حر باه وجعل يلطمه على وجهه بحجر إلى أن اسوده وصار عبرة لمن يراه ثم عاد جرير إلى أخيه عنتر وأخبره بما رأى وزنظر وحدثه بجميع ما أبصر فعند ذلك أيس الامير عنتر من نفسه وقد أيقن بحلول رمسه ثم انه أمر أخاه جريرا أن يأتيه بالاسد الرهيص إلى عنده فعقل جرير ما قد أشار إليه ومضى وأتى به إليه بين يديه فلما نظر الامير عنتر إليه وفكر فى أحواله وما تم له وما جرى له فتأوه من فؤاده معلول مدبول وقلب بالهم مغلول واشتد يقول صلوا على طه الرسول

مرض العدو وأسرنى ... وبضره وبموته نلت المنى ... فى يموت واشتفى

ويزول عن قلبي العنا وأقول بعد حلوله ونزوله دار الفنا
دعني أعيش مسربلا بالخيش واكتسب الثنا وأرى عدوى ميتا
وفى الحرير مكفنا وأدعس برجلى قبره وأقول تدرى من دنا

وأنشد بشعرى قائلا وفى حديثى معلنا
من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المنا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام صلوا على البدر التمام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العلام صلى الله عليه وسلم ولما أن فرغ الأمير عنتر من هذه الأبيات تنادى وقال ها أنا عشت من بعدك ولا نلت منى موادلا وقصدو لكن يافرحة فرسان العرب إذا مت وشربت كأس العطب ولكن قد جعل الله سبحانه وتعالى لكل موتة سبب وهذا حكم من عن امابصار احتجب ثم أمر أخاه جريرأن يجمعوا الاسد الرهيص الحطب ويحرقوه فى النار ويرموا رماده فى البحر بعد الحرق والتلف حتى لايكون له قبر يعرف فلا رحم الله صداه ولا بل قبره وثراه وجعل النار مسكنه ومثواه هذا وقد قبل جرير من أخيه عنتر مقاله وتأسف عليه كيف يموت ويتلف حاله ولو أمكنه الفدا لكان بالروح يفديه ولا كان يموت وتعدمه جميع خلانه ومحبيه (قال الراوى) هذا وقد بات الأمير عنتر طول ليلته وهو ارق متململ فى امر عظيم وغلم أن حاله غير مستقيم فعند ذلك قالت له عبلة يا ابن العم أنت تتضجر من نبلة وأنت ماتهمك أسنة الرماح والأشفار الصفاح فعند ذلك أخبرها بجميع ماقد جرى من ذلك الخبر وما وقع من الاسد الرهيص الكلب الخسيس وأعلمها بالقصة عن جليتها فلما سمعت عبلة ما قال جرير عظمت مصيبتها وانزعجت مفاصلها وقد بكت ولطمت على خدودها وقلعت أثوابها وأكلت لحم زنودها ثم أنها أكثرت من صياحها وناحت ونوحت وأنت رزعقت فاجتمع أهل الحى على بكائها وعويلها فعند ذلك قال لها الأمير عنتر والله يا ابنة العم لقد وافانى الردا وما بقى لى حياه بعد هذا أبدا فقالت له عبلة يا أبا الفوارس شد عزمك وطيب نفسك ولا تأخذ على قلبك ولا تلتفت إلى هذا وأمثاله فانت فيك داء الدهر كل جرح مثل فم القربه فاكنت تبالى ولا تعبأ به ولا خفت إلا من ضربة لشابة قد أظهرت منك الارتياب (قال الراوى) فلما سمع الامير عنتر من عبله ذلك الخطاب تاوه من فؤاد مدبول وأشار إليها يقول صلوا على محمد طه الرسول ،

ألا يا عبله توحى بعد فقدى إذا ثار العجاج بكل قفر
وقولى للشمانة أن تمادت بى الايام فى سرى وجهرى
رعاه الله من عبد نجيب يلاقى فى الكريهة ألف حر
وأنى ليثها فى كل حرب أبيد كأنها وهخيل تجرى

وشربى من دم الأبطال صرفا ... على النغبات من بيض وسمر
وقد شيدت لى بيتا رفيعا ... من العليـــاء فى بر وبحر
وسعدى قد هوى بعد ارتفاعى ... وقد حط الزمان رفيع قدرى
وقد أمسيت حيرانا كأنى ... أحث على حشاى لهيب جمرى
وقد آيست من رام ومانى ... بسهم قصده إخماد ذكرى
لحاه الله من رام معيب ... أحمى بسهمه سما كجمرى
حديد ثقيل وقضيب متين ... ومن عصب البعير وريش نسرى
وما اجتمع الجميع سوى لامر ... إصرع مهجتى وفجاز عمرى

(قال الراوى) ولما إركان من الغداة جمع أهله إليه ومشايخ قومه كلهم من حواليه، صاروا يبكون ويتحيرون عليه ويتاسفون مما جرى عليه عند ذلك قال لهم الامير عنتر بالله أقلوا من هذا الانين والاشتكا بحق رب العباد الذى أهلك قوم ثمود وعاد وفرعون ذى الاوتاد والجبابره الشداد وكل من سكن البرارى وانوها فهذا حكم رب العباد الذى قضاه فلا اعتراض عليه فيما أمضاه والآن فقد فرغت الليالى والايام وانطوت كأنها أحلام ولو عاش الانسان فيها ألف عام فلابد له من شرب كأس الحمام ثم أنه التفت إلى عبلة وقال لهم يا ابنة العم أنا والله ميت بلا محالة ومن بعدى والله ما بقى بنقا ابن عبس راية ولا يبقى منهم أبيض ولا أسود وتخطفهم العرب من كل بر وفدفد وتطالبهم بالثار من سائر النواحى والاقطار ولكن يا ابنة العم أسرعى واركبى حصانى والبسى دوعى اليمانى واعتقلى رمحى وسيفانى ويكون سوطى فى يدك واقصدى نحو بنى عبس وعدنان ويكون فى صحبتك الامير مالك أبوك وعمرو أخوك يا ملبى احبة القلب إلهم بعدى ما يبقوا وكذلك من قريب يحميك ومن الاعدا يقيك فهذه موتتى التى كتبت على فيا ترى كيف تكون موتتك ولكن يا ابنة العم أقصدى إحدى الرجلين إما ابن الهلهل الامير زيدا الخيل وأعامر بن الطفيل فان أحدهم يحميك ويرد عنك الاعدا ويقيك فاطلبيه لنفسك ولابد لاحدهم أن يخمد حسك ويسكنك فى رمسك لان بعدى ما يعرف لك قدر ولا شان ولكن يحسك من أنذل العربان فسكونى لاحدهم أهلا ويكون لك بعلا وإذا سرت والبر والنوديان فلا تكلمى أحدا من العربان وإذ كنت على مثل هذا المعنى فلا يشك أحد فيك ولا يظنوك وإلا نافتها لك جميع العربان وتخاف منك سائر الشجعان (قال الراوى) فلما سمعت عبلة ذلك المقال أو بته لذلك السؤال ثم بكت وكثر منها النحيب والاهوال قال الراوى وأما الشايخ الحاضرون والامير عمرو وذو الكلب الهارس والمكين فانهم لما سمعوا كلام الامير عنتر ما منهم إلا بكى واستعبر وزاد

بهم البكا والنحيب وتوقدت فى قلوبهم نيران اللهيب هذا وقد أقبل الأمير عنتر على الأمير عمرو ذو الكلب وقال له يا أخى مالى عندك وصية إلا زيد بن عروة وأحتفظ عليه لأجلى أنا لأن أباه كان من أعز أصحابنا وكان من جملة العرسان والشجعان وكان مشاك لنا من أعز الأخوان قال الأسعى ولقد بلغنى عن الأمير زيد بن عروة أن الأمير عمرو قد عطف عليه وصار عنده أعز من روحه الى بين جنبيه وصار يشفق عليه كل الإشفاق من دون الاصحاب والرفاق (قال الراوى) وكان الأمير زيد طلع فارس لا يطاق وحده مرا لمداق وبطل تبطل عنده فروسيته حيل الشجعان وتقصر عنه الأقران لأنه كان شاب شديد الحيل والقوى فلما أن سمع الأمير عمرو وصية الأمير عنتر امتثر قوله وأمره إلا أنه تضاق من من ذلك صدره هذا وقد قسم الأمير عنتر الاموال والنوق والجمال على بنى قضاعة وبنى قراد وقد أوصى إلى الجوار والعبيد بالقسم الوافر الاوفر وكذلك لى زوجته قماصة الرجال لانه علم أنها من بعده لا يبقى لها مشفق ولا ناصر فخلفت أنها بعده تملك عقال ولا مال ولا نوال نوق ولا جمال ولا نظرات بعده إلا شرور من غير سرور وإدبار من غير إقبال وقد أوصى الأمير عنتر لعمرو وذو الكلب على اخته قماصة الرجال وجميع من معه من بنى قضاعة الاقيال وأما بنو تميس الأبطال فأمرهم أن يقيموا فى ذلك المنزل الذى هم فيه حتى يشيع عبلة إلى عند أهلها ويوصل بنى عبس سلمها فقال له عمرو ذو الكلب يا أبا الفوارس نحن لا نسكلفك إلى هذا الامر بل تقم أنت هاهنا حتى أنك ترى من آلا لك ولا تشمت فيك أعداءك وحسادك وأنا أوصل عبلة إلى أى موضع أردت وأعود وحق الرب المعبود فقال عنتر والله لا رضيت بذلك أبدا ولا سمحت بى العدا الآن والله ما بقى لى فى الحياة مطمع ولا لى إلى الدنيا ومن فيها مرجع ولكن ما نحن مقيمون لى ما نحن عليه حتى أننا ننظر ما بنا الدهر يصنع ثم أنه لما زاد به الوجع أشار يقول كلام يقول هذا الامر وهو كلام يسمع وجعل يعدد على نفسه وينشد ويقول صلوا يا حاضرين على النبى طه الرسول

لقد هد الزمان عماد صبرى ... وأضنى مهجتى وأباد أمرى
ومال على كل الميـــل حتى ... لاولادى فقدت كل وحان أمرى
ولكن القضاء له أوان ... إذا ما حل بالمقدور يبرى
قوا أسفا على سبقى وترسى ... ومهرى الأبجر الفحل الاغرى
ويا أسفى على قومى وما قد ... بلاقوا بعد غيبى ضيق صدرى
ألا يا دهركم تبدى أمورا ... تحير كل ذى فهم وفكرى
يفر الفارس الضرغام حتى ... يطن الحلد فى دار المقرى

فلم يشعر بداعى الموت إلا دعاه أجابه طوعا وامرء
ألا يا عبلة كاس الموت يسقى جميع الخلق فى بر وبحرى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات تباكت السادات والأمراء والقادات وأكثروا عليه من التأسف والحسرات هذا وعنتر قال لعمه وإن هذا الكلام لا أسمعه ولا أمتثله قال له عمرو ولماذا ذلك يا أبا الفوارس فقال اعلم يا أخى إنى أخاف أن يقال عنى بأن الأمير عنتر حامية عبس وعدنان قد صار عند الموت بغير خوف من الحربار وقد فزع من الرجال والأبطال وأن هذا ما أفعله وحق الملك المتعال ولا فعلت ذلك أبدا ولا أشمت بى العدا قال فعند ذلك سكت الأمير عمرو عن الخطاب ولم يرد عليه جواب هذا والأمير عنتر بقلب أقوى من الحجر وهو فى ذلك الحال المنكر على غير الاستوى وألبس عبلة درعه وقلدها بسيفه وأعطاها رمحه وأركبها على جواده الأبجر وركب هو فى الهودج الذى لعبلة على الجمل الذى كانت تركبه إذا سارت من منزل إلى منزل ثم فوضوا أهله وأعمامه ومارية وخيامة وشالوها على نوقها وجمالهم ثم أن عنتر التفت إلى عمرو ذو الكلب الفارس الريبال ومن معه من الرجال وأشار يودعهم بهذه الأبيات يقول صلوا يا حاضرين على النبى طه الرسول

ألا حيى المنازل من نظامى وحتى دار عبلة والسلامى
ديار تلعب الارياح فيها وفيها الطير عاما بعد عامى
وقفت بها أنادى الحى جهرا فما كانت مواجبة كلامى
دع الاطلال والبر الخوالى بصياح الرمح وانتدب الحسامى
أيا عبلة لا تنسى مقامى إذا عاينت طعنات السهامى
وابكى السيف والرمح الردينى واهدينى السلامى إلى عظامى
أخبرك وقد طلعت علينا كتائب نجد مع إبنا قطامى
تركت شبابهم فى القاع صرعا سكارى فى معمع تحت القتامى
ورمحى ما طعنت به كمينى واخطأ فى قعودى أو قيامى
ألا يا عبلة لالاقيت سوءا ولا مكروها طول الدوامى
ألا يا عبلة نوحى ثم إبكى على البطل الهمام على الزحامى

قال فلما فرغ الأمير عنتر من هذه الأقوال وسمعها الأمير عمرو ومن معه من الرجال والأبطال حتى زاد بهم البكا والاعوال وبكت الهيفا قناصة الرجال وتحسرت على الأمير عنتر كيف غدرت به الأيام والليال هذا والأمير عنتر أعطى لعبلة سوطه وهو راكب ذلك الهودج ومن حوله سائر أهله وأعمامه وهم شاكرين ما أعطاهم من خيره وانعامه وقد سار الأمير عنتر وعبلة قدامه وسارت من خلفه سادات بنى قراد الرجال الأجواد يطلبوا أرض الشربة

والعلم السعدى والخيل والمطايا بهم تجدو تجرى والأمير شترا كبر وهو مايل من شدة الاوجاع والآلام وعبلة قد مهدوه عليها على خدودها سجام وهى كثيرة الهموم والأحزان والأمير عنتر يعانى الموت ألوانا وكلما سار قليلا يا أخيار كان يؤمل أن يوصل عبلة إلى العرب الديار لعلها تنجو من الردى والأخطار وتسلم من كيد الأشرار وهم سائرين فى تلك الأراضى والسهول وعنتر يتأوه من فؤاد متبول وقلب بالفراق مغلول وأشار بيده إلى نحو عبلة وجعل يوسيها بهذه الأبيات وهو ينشد ، يقول صلوا على طه الرسول

يا دهر سوء ألم تكفر خوانا ... بنوائب قد فرقت إخـــوانا
ترمى عزيز القوم بعد العز فى ... ذل ويبقى والها حيرانا
ويحط مرفوعا وترفع واطيا ... ولكم أبدت فوارسا شجعانا
يا عبلة دونك والأبجر فاوثقى ... منه الحزام وقلديه عنانا
وإذا مررت على القبائل سلمى ... بالسوط مثلى لا بلفظ لسانا
أما الجبان يقول ركبة عنتر ... إلا الشجاع لا يقول عنتر كانا
وإذا وصلت إلى حماك فاخرقى ... منك الثياب وشققى إلا ردانا
يا عبلة قولى عند شنجر القنا ... قد كانا عنتر يحمى إلا ظعانا
قد كان عنتر عند كل ملمة ... يحتى النزال ولم يهب أقرانا
يا عبلة دونك والرحيل فانى ... لا أستطيع أناضل الا قرانا
يا عبلة لا ترتضى بعدى فارسا ... فترى منه مـــذلة وهوانا
يا عبلة ابك حتى تثور غبائر ... وترى الكماة ساقطوا الميدانا
يارامى السهم الرنيز قتلتنى ... غدراً وسهمك لم يكن خوانا
ليس الشجاعة بالقتى وإنما ... عند القضاء نزولها طيرانا
يا عبلة إنى فارسا ذو هيبة ... أحمى الحريم وأقتل الأقرانا
إنى وقد أنت المنية بغتة ... اسمى وصنعى موضع الرهانا
لا تيأسى من عبلة واسلمى ... ما كنت إلا دامـــغ الأقرانا
يا عبلا كل بطل كمى قد ثوى ... فى وسط معمعه براز هوانا
كطعم الثرى من عظم طعنة عنترا ... وثوى طريحا والها حيرانا
يا عبلة جدى المسير فإننى ... قلق الحشا متوجع ولهانا
يا عبلة دونك والرحيل فعجلى ... بالمسير تلقى راحة وأمانا
كم عن فتى عدم الحيا من طعنتى ... وثوا طريحا هائلا حيرانا
يا عبلة لا تدعى بالجواد ولبسه ... ن كان فيك عفة النسوانا

يا عبلة أبك فارسا متغشرما ... يلقى الحروب ولا يخاف سنانا
بطل يكب المدارعين بضربة ... ولكم فتى من طعنه حيرانا
لا يرهب الموت الزؤام لدى الوغا ... ولقد رقا فوق العلا كيوانا
مردى القناعس آخذ أبصارهم ... وسط الغتام ومرمل النسوانا
فوحى يا عبلة واندبى ليث الوغا ... ندب الحزين الهائم الولهانا
يا عبلة قد أهوى بعنتر دهره ... وأنال منه بعاجل ما كانا
وابك على العبسى عنتره الفتى ... ليث الطعان ومقرى الضيفانا
لا تفرحى بعدى عبيلة وأندبى ... وابك على البطل الذى قد كانا
يحمى الحريم من العداة ببأسه ... ويجندل الأبطال والشجعانا
لو كان قتلته بحرب لم يكن ... لاقاه إلا فارس المرسانا
لله درك من كريم ماجد ... مقرى الضيوف وقاهر الأقرانا
وإذا دعوت باسم عنتر فاعلمى ... ما كنت إلا مردى الشجعانا
والخيل تعلم والفوارس أننى ... ليث الحروب وفارس الميدانا
وسلوا الفوارس عن وقائع عنترا ... وسلوا سعيد وبعدها عدنانا
أولاد بدر قد عرفن مواقعى ... يوم الجفر وقتلة الفرسانا
وكذاك من فى الحى قد شهد والنار ... يوم السباق وقتلنا الشجعانا
وبنى ضهية مع فزارة كلها ... وبنى هلال وبعدها سلمانا
وبنى مزينة عند مشتجر القنا ... يوم الهجير وبعدها غسانا
والخيل كاشحة الوجوه عوابس ... والنقع واقع فى الديار عيانا
والخيل تعلم الفوارس أننى ... يظل الهياجر وجماعية عدنانا
وسلوا الأعاجم عن وقائع عنترا ... وسلوا القبائل بعدها العربانا
وسلوا الشيبان وذوف وعامر ... وليوث كندة بعدها ذبيانا
قد أفزدت ريح الصبا وهوشت ... ربح العدا بأمانى الغدوانا
هذا هو الفضل الذى يبقى له ... طول السنين وسالف الأزمانا

(قال الراوى) ولما أن فرغ الأمير عنتر من شعره واستوفى نظمه ونثره فبكت عبلة عليه بحرقة ودنكة وقد صارت دموعها مثل الامطار وقد بكى الأمير عمرو وأخته قناصة الرجال لأن عمرو كان أراد أن يقيم من بعد عنتر فى تلك الديار فما هان عليه فراق عنتر يا أخيار فركب وصاد خلفه مقتفيا منه الآثار إلى أن أدركه بين تلك الروابى والآكام ومازال سائرا معه مدة خمسة أيام هذا والأمير عنتر كل يوم تتزايد به الأوجاع والآلام وقد أيقن بعد

الوجود بالإعدام هذا وقد أقبل الأمير عنتر على الأمير عمرو في سادس الأيام وقال له يا أمير بحياتي عن قلبك ان تمضي إلى ديارك وعشيرتك واسكن باختك في قبيلتك فانا أعلم أن بني عبس إن تم علمهم كائنة فما تقوم لهم من بعدي قائمة وتتعب أنت قلبك غاية التعب وأنت ما لك طاقة بمعاداة العرب ومالي عندك وصية إلا في زيد بن عروة وأن تأخذ لي بثاري من بني نبهان ولا تخلي منهم إنسان قال فعند ذلك بكى عمرو ذو الكاب وقال له يا أبا الفوارس طب نفسا وقر عينا فسوف آخذ بثارك وأكشف عنك عارك ولكن أنا ما أفعل شيء حتى تأتي أخبارك ثم إنهما تعانقا وتباكيا وقد ودعه وسار يجد المسير في البراري والقفار وقد زادت لفراق عنتر ناره وقد صار يطلب دياره قال ولما أن سار عمرو إلى دياره عطوف أقبل عنتر على أخيه جرير وعلى ابن اخيه الخذروف وقال لهم يا إخوتي أريدكم أن تسيروا وتبلغوا خبري وقصتي إلى قومي وعشيرتي وأنا أعلم أنكما ما بقيتما تجتمعان بصورتي وإذا وصلتم فانعوني لهم ومذقوا الثياب بين أيديهم وبلغوهم سلامي وجيوهم وقولوا لهم يحموا حريمي كما حميت حريمهم إلا إن كانوا ما يقدرون ومن بعدي والله لا يفلحون (قال الراوي) فعند ذلك سار الخذروف وعمه جرير وقلوبهم تغلي على عنتر شبه نيران السعير وهم يبكون بدمع غزير وهم مشتقين الثياب بادين البكاء والانتحاب وأما ما كان من الأمير عنتر فانه قد زاد به الألم فأمر العبيد أن يسوقوا الجمال والنعم وعبلة راكبة على صوة الأبجر وهي باكية حزينة على عنتر وهو في ذلك الهودج في همومه وإغمامه وبني قرادش سائرين من خلفه وإمامه وما زالوا سائرين وهم على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح فبينما هم سائرين في ذلك الروابي والنطاح وإذا قد جاز بهم موكب من كباز حلل العرب الثقال وقد عاينوا تلك الهوادج والأموال وعبلة راكبة على الأبجر ولكن حزينة على الأمير عنتر فقال رحل منهم يا بني عمي أن هذا الجواد جواد عنتر والسلاح سلاح عنتر إلا أن الراكب وحق من علا فاقتدر ما هو الأمير عنتر لأن القامة والله ما هي قامته ولا هذه الهمة همته فان صدق حذري ولم يخني نظري فان عنتر قدمات أو إنه مريض ولا يطيق الركوب ولا الثبات وإلا حل بأمة من الآفات وما هذه إلا ركبة عبلة بنت مالك وابن عمها قد حلت به المهالك فسيروا بنا قدامهم حتى نكشف أخبارهم ونتحقق أمرهم يدعونا نصير إلى أين نزل عنتر إلى إراقة الماء وفي موضعه نبصر ونظر وقد صح لنا الحال والخبر قال وكان الأمير عنتر إذا بال فيثقب الأرض بوله مقدار شبرين وإذا أراق الماء فتحفر في الأرض مقدار ثلاثة أشبار هذا وقد صارت الرجال خلفهم من بعيد وهم يقطعون القفار والبيد وهيبة الأمير عنتر تمنعهم عن الوصول إليهم وهم خائفين من القدوم عليهم (قال الراوي) فاتفق أن عبلة نزلت تريق الماء فلما فرغت ركبت وسارت هذا والفرسان تنظر إليها إلى أن أبعدت فاقبلوا على أثرها إلى أن أتوا إلى

موضعها وقد عاينوا مكان إراقة الماء وإذا هم وجدوها مفروشة على وجه الأرض لأن المرأة إذا أراقت الماء على الأرض انفرشت والرجل إراقته في الأرض تفور فقال الرجل ألم أقل يا بن عمي وهو فيكم أن هذا الفارس ما موعنتر فوحق ذمة العرب إن صدقني حذري ولم يخطئ زجري فهذه عبلة بنت مالك بن قراد لأن الركبة ركبة امرأة وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب (قال الراوي) ثم أن الرجل قال لهم وإن كان الأمر كذلك فاحملوا بنا عليهم ثم أنهم أنقضوا الجميع على أخذ أحمالهم والغارة عليهم قال الراوي ثم إنهم حملوا عليهم في ساعة الحال وأرادوا نهب الأموال وسبي العيال من بعد قتل الرجال وقد تبادروا إلى الحرب والقتال وطلبوا الطعن والنزال فسمع الأمير عنتر وهو يقاسي نزع الموت الأحمر فعند ذلك صاحت عبلة بنت مالك وقالت يا ابن العم قد أدركتنا الأعداء والعرب تريد سبينا فانظر ما ذا ترى (قال الراوي) فلما سمع الأمير عنتر ذلك المقال رفع سياف الهودج في عاجل الحال وقد أطلع رأسه منه ونظر إليه وزعق زعقة ارتجت منها البراري والجبال وجاوبته تلك الأودية الخوالع بالتلال وقد نادى وقال يا أوغاد غير أعاديها أنا عنتر بن شداد واليوم أريكم كيف يكون الحرب والجلاد فوحق الملك الجواد لا بيدنكم في هذه الأرض والوهاد قال فلما سمعت الفرسان صوته وعرفوا زعقته طارت عقولهم وحاروا في أمورهم وطلبوا الهزيمة في عرض البر الأقفر وهم يدقوا بعض وقد أوسعوا في جنبات الأرض وهم يقولوا أسرعوا بنا نطلب الهرب والنجاة لأنها حيلة من هذا الشيطان ما يقاومه في الدنيا إنسان ولا يطيق لقاه أحد من الشجعان وقد أخفى نفسه حتى ينظر من يتعرض لأهله ويطلب شرهم فيسير إليهم ويخرب ديارهم ويمحق آثارهم فهذا ما كان منهم وأما ما كان من القوم فإنهم سارعوا من بعيد إلى بعيد ينظرون إليه ثم أنه قال لأعمامه ومن كان معه أجمعين هيا يا أبناء الأعمام أسرعوا وسيروا لعل أن تصلوا سالمين فإنا هالك بلا محالة فأسرعوا ودعوا عنكم الإطالة فقال له زهرة الجواد يا ابن أخي أزعجت روحك فنحن نبذل أرواحنا دونك فليطالما حيتنا بسيفك ورمحك قال فلما سمع عنتر من مه هذا المقال وإلا يراد قال له صحيح يا عماه أنتم فرسان الحرب والجلاد ولكن ما أسماكم وأشهركم إلا عنتر بن شداد فسيروا الآن على حالكم بعساكركم أن تصلوا سالمين إلى أرضكم وديارهم فقال بعند ذلك تباكى الجميع وودعوه وسارت بنو عبس وتقدمت بين يديه وهو ينظر إلى عبلة والدموع تتحادر من عينيه فلما غابت عنه وهو متكئ على رمحه بيديه فشهق شهقة ونفخ نفخة فارقت روحه جسده والجواد واقف تحته لم يتحرك عن مكانه لأن هذه كانت عادته عند تربيته وشأنه وكان عنتر مدة حياته إذا أنام ينام على ظهر حصانه (قال الراوي) هذا وهؤلاء العربان يظنون أن عنتر في قيد الحياة ولم يعلموا أنه شرب شراب الوفاة إلا كانه واقف

يطلب منهم الحرب والقتال فقالوا لبعضهم ياويلكم ارجعوا على أعقابكم من من قبل أن تعدموا نفوسكم وتفقدكم أصحابكم فقال الشيخ يابنى عمى إنى قد تحيرت من هذا الأمر المتدارك وأنى ما أظن إلا عنتر هالك ولو كان هو طيب فى قيد الحياة ما كنت عن قتالنا فى هذه الوديان لأنه لا مو برعديد ولا بجبان ولا ذليل ولا مهان حتى أنه يقف هكذا عن القتال ويرهب الرجال والأبطال ثم أنهم وقفوا ينظرون آخر ما يكون من ذلك الحال هذا وبنو عبس قد تبطنوا فى البرار والتلال وأمنوا على أنفسهم من شراب الوبال وهم يظنون أن عنتر تابعهم على ظهر حصانه هذا والابجر لا يتحرك عن مكانه بل تم كذلك إلى ن تدانت الشمس إلى الغروب وكلت الفرسان حتى كادت أجسامهم أن تذوب فقال الشيخ يا ويلكم أنا ما قلت لكم أنى عرفت أمره وما أظن أنه قدمات والرأى أن تقبلوا منى ما أقول لكم واحملوا بنا عليه ودوروا به من خلفه ومن بين يديه وإن كنتم ما تقدروا على هذه الفعال ولا لكم جسارة عليه محال من الأحوال فاطلقوا للأبجر حجرتى هذه فإنها طالب فإن كان به أمر من الامور فإنكم تبلغوا منه المرام قال الناقل فعند ذلك امتثلوا ما أمرهم به هذا الشيخ من المطالب ونزل عن حجرته ودفعوها إلى الابجر فى تلك السباسب فقصدته الحجرة لكون أنها طالب فلما قربت منه ووصل اليه شب عليه فوقع عنتر من عليه فعندها اطمئنت قلوبهم وقربوا منه وقالوا يا ملك من فارس كريم فأنك فى حياتك وبعد مماتك صنت الاموال والحريم ثم أنهم أخذوا عدته وسلبه وتركوه مرميا فى تلك الفلا فقال لهم الشيخ يابنى عمى لما إن أخذتم سلبه عدته وبعد ذلك تتركونه إلا ما به يستاهل أن يبقى كذا ملقى فى الفلاة والرأى أن تواروه فى التراب ويكون لكم فى ذلك الأبجر والتراث من الملك الوهاب عندها نزلوا على خيولهم وحفروا له قبرا عميق ودفنوه وأهالوا عليه التراب وكانه ما كان فسبحان الملك الديار الذى قدر على عبادة يشرب كاس الممات وصار عنتر مثل من له سنين وأوقات قال الراوى وكانت المدة الذى انجرح فيها حتى وقع فى ذلك المكان خمسة اشهر إلا خمسة أيام وأما الفرسان لما واروا عنتر بالتراب عادوا على أعقابهم فى البرارى والهضاب وأعاجوا دعنترفانه هج من بين أيديهم فى البر الاقفر ولا قدر أحد يمسكه وصار وحشا فى الفلاة قال الراوى فهذا ما كان من أمر عنتر وأما ما كان من بنى عبس فانهم بعد مفارقتهم لعنتر ساروا وهم يظنون انه لاحق بهم على الأثر وما يعلموا بما قد حل به من القضاء والقدر ولم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين حتى وصلوا إلى الاحياء من شدة التكرب التى لا تسعهم الدنيا وحققت الحقائق أن عنتر مات وشرب شراب الآفات واخبروا بما كان معه وما يكون من فرقته لدنياه عند ذلك ندبت النوادب وهلبت الخيل والجنائب وصاحوا وولولوا وعزم منهم جماعة على الرواح إلى موضع الوقعة بعد ما اكثروا الصراخ والنواح ورموا البيوت والمضارب وبعد ذلك ركب من إخوة الملك قيس ثلاثة

أبطال واخذوا معهم جماعة من بنى عبس الاقيال بعد ما أوصاهم الملك قيس إنهم لا يعودون إلا به وهو محمول على بعض الجمال وكان قيس لما بلغه ذلك الحال كاد أن يهلك نفسه مما حل به من تلك الأهوال هذا وقد سار أخوانه ومعهم هؤلاء الرجال الذين كانوا مع عنتر أول الحال ليخبروهم بالمكان الذى لقيهم فيه تلك الرجال ثم إنهم ساروا وملكوا القفار إلى أن وصلوا إلى هذا المكان قرأوا فيه قبرا فسيح فلم يخف عليهم ذلك فعلموا أن عنتر شرب شراب المهالك فنبشوا عليه وأطلعوه وهو ملفوف فى ثيابه من غير اكفان فادرجوه فى قطع من الاديم الطائى كانوا قد اتخذوه لهذا الشأن ثم حملوه على الجمل وعادوا راجعين إلى الاوطان وهم كثيرون البكاء والاحزان وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى الديار ونزلوا فيها وقر بهم القرار وعملوا المآتم والاحزان ومضت عليهم أيام الحزن ولم يجدوا أمثلها فى ذلك الزمان وندبت النوادب وبكت الحبائب على الحبائب ولما يرغو بما هم فيه من تلك المصائب حفروا له قبرا بجانب أبيه وقبر صديقه مالك وهو على ذروة العلم السعدى وتلك المسالك ودفنوه فيه وأقاموا عليه التراب وتباكت عليه الاخلاء والاحباب ورثته وندبته الشعراء والصعاليك وكان مما قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

يا مقلتى بالدمع لا تقفى ... وساعدينى بدمعك الهدف
على ابن شداد عنتر العبسى ... لما أتاه فى شده الهيف
حامى بنى عبس كلما نكبوا ... بحيرهم من وقائع الالف
كان إذا جال يوم معركة ... ترى فؤاد العدو يرتجف
لقى عليه ما كان أشجعه ... فى الحرب حين التقا ينعطف
كم فارس كانت الاسود ... طوعا ومنه فى غاباها تجف
من حاء عنتر قد ولى هاربا ... واللون بعد البياض صار مختلف
كان فارساذات الملوك له ... واتحفوه بشاشر التحف
قد صرت بعد السرور منذثرا ... فى مهمة عفير فيا أسفى
عليك ياخالى الحريم إذا ... رام العدو سبيهن بالشقف
قد كنت حمى لابناء عبس ... وهم بدلك أسود عطف
واليوم أصبحوا بغير حامية لهم ... من المرهفات البيض والجحف
يا حاميه عبس طال ماسهرت ... جفون أعدائك خيفة من السلف
وقد شمتت أعداك وصرت مجندلا ... من كف أهمى باغ غير منتصف
فاضت دموع عينى كقطر السما ... يا مقلتى بالدموع لا تقف

(قال الراوى) وبعد ذلك تعرفت الناس إلى منازلهم والحياء وقيل إن هذا العزاء بقى

سنة من العام إلى العام هذا وعبلة لم يقرها قرار ولم تنشف لها دمعة لبعد المزار ولا بردت لها لوعة ء فى قلبها من اللهيب وقد أفلقت الحى بالصياح وما كانت تكثر من البكاء والنواح هذا وقد تسامعت العرب بموت عنترفتذكرت الدماء الذى لهم على بنى عبس من أيام ذلك الفارس الفسور. قد تحركت العربان تروم أخذ الثار ويريدوا يكشفوا عن أنفسهم العار (قال الأصمعى) وكانت الحلماء والأصحاب قد قدموا للعزاء وكل منهم كثير البكاء والانتحاب وكان من جملتهم عامر الطفيل وقد قعد للعزاء سبعة أيام فلما انقضى العزاء وأراد عامر السفر أخبروه بما قد أوصاهم به عنتر من أمر عبلة وقد فرح بذلك الفعلة وشرع من تلك الساعة بزواجه بعبلة وقد رسم لها بالف ناقة من خيار الأموال والسوق والنعم وألفين رأس من الغنم وخمسين عبدا ومائة أمة وخمسين رأسا من الخيل المسومة قال ولما انقضت تلك الأشغال رحل بها يطلب ديارة والأطلال فلما وصل إلى حلة ونزل بها واستقر به القرار دخل بعبلة فوجدها جنة خلد وهى أحسن البنات الأبكار وقد صفى له زمانه بالاتصال وعاشا مدة وهما فى أحسن ما يكون من الامكان وما كانت تسكن فى تلك المدة كلة ولا تألمه يوما من الدهر فامتلأ قلبه عليها من القهر غيظا وحنقا بعد ما كان أحبها حبا شديدا وتمت معه فى العيش الرغيد ولكن لما بان له منها عين الجفا تكدر عيشه بعدما كان صفا ورحل بها إلى قبيله بنى غيلم وقد أخذت بعدما كان لها من الأموال والنعم وقال لها إننى يا أميرة أحمى حماك من العرب والعجم فقالت له هيهات أن يكون ذلك مثل ما كان ذلك الفارس الأدهم لأنه كان أشد منك وأبطش فى الحرب والكرم وأنه كان فى فعله عند الفرش أشدما يكون الحرب والهواش وكان أشد منك باسا وأقوى مراس (قال الراوى) وما لحق عامر بن الطفيل من الغيظ والحنق لما سمع منها ذلك الكلام الذى لم يرق تمنى أنه لم يكن فى تلك الأيام ولم يخلق وقال فى نفسه وحق ذبة العرب الكرام لابد من قتلها وأسقيها كاس حمامها وألحقها بأسوها ولا أتحمل عارها الذى تزعم أنه يحميها ويحمى ديارها وأقاموا على ذلك مدة كثيرة وقد لحق عامر من معاشرتها وسوء أخلاقها بلاء عليه الايذهال والحيرة (قال نجد) فلما كان يوم من بعض الايام وهم على ما هم فيه من المباشرة والالتزام وإذا بافعى قد ظهرت من بين الخيام نزعت إليها الشباب واهتموا لها غاية الاهتمام فسمع عامر بن الطفيل الضجة فقام من على صدر غبلة وقد جذب فى يده الحسام وغدا خلف الافعى بقوة عزم واهتمام فخطا إليها عامر خطوات متتابعات وزعق عليها زعقات هائلات حتى لحقها وقد صار إلى آخر الأبيات فرجعت إليه ونفخت عليه حتى تطاير الشرار من أحداقها لما صارت بين يديه فتلقاها بسيفه وضربها به قطعها نصفين ورماها على الأرض قطعتين ورجع إلى عبلة وقد ارتخى عليه إجليه وذلك مما تعب وضاق سبيله فلما رأت عبله إلى حاله ضحكت وتمايلت عجبا فقال لها عامر على أى شىء

تضحكين يا ابنة مالك فقالت له ماهو إلا أنى تذكرت ابن عمى عنتر وكان قد جرى علينا كذلك وكان ركبا على صدرى يوما من الأيام وإذا بأسد قد ظهر من جانب الحى وقد أتى من البر والآكام فصرخت العبيد والرجال ومرعت من كل جانب إليه الأبطال فقام من على صدرى وقد جذب فى يده سيفه الصامى المهند وخرج إلى ظاهر الحى ودنا من الأسد وضربه أطاح رأسه من على جسده وعاد إلى وما تغيرت حاله ودنا منى وقد قضى باقى حاجته وأراك أنت قد قتلت دودة على باب الخباء من دود الأرض وقد رجعت وأنت لا تدرى الطول من العرض وقد بطلت حواسك وتقطعت من شدة التعب أنفاسك ولا بقيت تعى على أحد من أهلك وناسب (قال الراوى) فلما سمع عامر منها ذلك الكلام وتلك المعيرة التى اورث الأسقام زاد غيظه من الحنق والغبن والهيام وقال فى نفسه لا بد لى من قتلها وإلا جعلتنى معيرة بين أهل وأهلها وهى التى تفضحنى بين العرب وهو ما حل به زاد عنده الغيظ والغضب وبقى يتمنى أنه فى ذلك الوقت لم يخلق مما اعتراه من العطب وفاضت الدموع من محاجر عينيه وكاد من شدة الغبن أن يغشى عليه وما بقى ينظر ما بين يديه ثم أنه خرج من عندها ومضى إلى أهله وحدث بنى عمه بأمر عبلة وما كان من قولها ومن فعلها فقالت له نساء قومه إن هذا أمر منكر وأن هذه المرأة لو عاذ يخلو بها اسكندر أو الملك كسرى أو قيصر لم تذكر إلا ابن عمها عنتر فقال لهم عامر لقد صدقتم يا بنى عمى والله لقد فرجتم عنى بعض ما فيه من همى وغمى وانفق معهم على قتل عبلة وبفرح عن قلبه هذه الدبلة ويستريح من مغيرتها بالجملة ثم أنه صبر إلى أن أقبل الليل وأمر عامر الجوارى التى كانت له أن يخنقوها ويحلوا بها الويل وأيمن منها وقال أقتلها ولا تفضحنى عند أهلى وناسى فتركوها الجوارى حتى عبر عليها الليل ونامت فقاموا إليها وتكاثروا عليها وخنقوها ولم يعلم بها أحد من الناس (قال الراوى) وما وقع من الاتفاق أن أبوها وأخوها قد زاد بهم الشوق إليها وكذلك أمها فاتوا إليها يفتقدون أحوالها ويسلموا عليها لما استوحشوا إليها وكانوا قد أخذوا معهم شىء كثير من الأرزاق إلى أنهم ما وصلوا إلى ديار عامر إلا فى ذلك اليوم الذى خنقت فيه عبلة وأنهم سألوا عنها بعلها فانكر حالها فلجوا عليه فى السؤال فلم يجدوا لها خبر بالجملة فسألوا عنها من الجوارى فانكروها وجحدها فزادا تحيرهم وأكثروا الصياح والعويل وقد زادهم لأجل فقد ابنتهم الهم والتكيل وقالوا ما بقى ينفعنا لا الملك الأسود ونشكى قصتنا إليه ونعلمه بما جرى على بنتنا وما تجدد علينا منهم أنهم اعتدوا إلى الرحيل حتى يشكوا حالهم إلى الملك الأسود ويخبروه بما جرى عليهم بعد موت حاميتهم وما قد تجدد وبما فعل فى ابنتهم عامر بن الطفيل وما أنزل بها من الذل والويل وساروا وتبطنوا بالقفار فبلغ خبرهم إلى عامر فخاف أن يفشوا عنه هذه الفعلة بين القبائل ويركبه العار بقتل عبلة فركب وسار خلفهم لأجل يترضاهم ويردهم وعاجزموا عليه يصدهم

وما زال تابعوهم حتى لحقوهم وأعاقوهم عن المسير فى الطريق وأحل بهم التعويق وأمرهم بالعودة إلى الديار فلم يجيبوه ولم يطاوعوه على ذلك الحال واختاروا القتل بعد ابنتهم وحاميتهم وأغاظوا على عامر فى الكلام وجذب عمر وأخو عبلة على عامر الحسام فلما رأى عامر منه ذلك المقال حمل عليه وقد زاد به شره وكفره وطعنه بالسنان فى صدره فأطلعه من ظهره فلما رأى مالك ما فعل عامر فى ولده من تلك الفعال نادى قتلت ولدى يا ابن الاندال فلما سمع عامر ذلك المقال حمل عليه الآخر واستطال واستجاده بطعنة فى فؤاده فكسه عن جواده فوقع إلى الارض صريع يخور فى دمه علقما ونجيعا ثم أنه تركهم مرميين فى القفار تأكلهم الوحوش والاطيار وعاد راجعا إلى الديار ولما استقر به القرار قيل أنه قتل أمها الاخرى وأحل بها الدمار وهجت بنو قرادا الذين كانوا اصطحبوا بمالك وطلبوا منازلهم والامصار وبعدها احتوى عامر على ما كان لهم من الاموال والنوق والجمال ومضت عبلة وأمها وأبوها وأخوها كامس مضى وما بقى لهم كر بين الرجال فسبحان الله العزيز المتعال (قال الراوى) فهذا ما جرى هاهنا وأما ما كان من أحوال بنى عبس وبنى فزارة فان حصن بن حذيفة وسنان بن أبا حارثة نظرا فى أمر بنى عبس وهم يؤملان أن يفعلوا بهم شيئا من تلك الامور الحادثة واجتمعا هم وحلفاؤهم أكثر من عشرة آلاف فارس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وحصن بن حذيفة أمام القوم راكب على حجره أبيه الصبراء فى ذلك اليوم وهى التى كانت السبب فيما جرى بين الطائفتين من الفتنة والهوم وهى تحته كانها البرق الخاطب والسحاب الواكب وهى سريعة الذهاب خفيفة الركاب كانها برق عطمت أو نسمة من الريح الدبور قد عصفت وهو غائص فى سكنه غارق فى لامته يجر رمحه من وراء ظهره وقد تكبر وتجبر على أبناء جنسه وزاد بغيه وشره والراية على رأسه تظله وسادات بنى فزارة وبنى ذبيان والكل ممتثلون أمره وسامعون قوله فوصلت أخبارهم إلى بنى عبس بأن بنى فزارة واصلون إليهم وقادمون عليهم بحدها وحديدها وعدها وعديدها وخيلها وجنودها يريدون منهم أخذ الثار وكشف العار لان فى قلوبهم من بنى عبس لهيب النار من يوم قتلوا سادات بنى بدر وحذيفة وإخوته على جفر الهباء وهو فى قلب حصن ما ينساه هذا وحصن وبنى فزارة قد ساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا فهذا ما كان من بنى فزارة (قال الراوى) وأما ما كان من بنى عبس فانهم قد اجتمعوا عند الملك قيس بن زهير ليأخذوا رأيه وما به عليهم يشير قال هل يقيموا فى مكانهم أو يعلموا منه بالمسير فقال لهم يا بنى عمى إن بنى فزارة قد اجتمعت وفيكم قد طمعت ويرجون أن يأخذوا بثأرهم منا ويكشفوا عدوهم وقد اجتمعوا علينا وحلفاؤهم من سائر البلاد واستعجروا أمرنا من بعد فقد حامينا عنتر بن شداد ولا بد ما تشمت بنا الاعداء والحساد ونحن ما بقى لنا أحد نلتجىء إليه ولا من يعز علينا ولا من نعز عليه فواحسرتاه عليك

يا أبا الفوارس ويا من كان لنا حافظا وحارس فلما سمعت بنو عبس من الملك قيس ذلك الكلام كثر منهم البكاء والنحيب والضجة والوجيب وتنادبوا بالبكاء على عنتر وتذكروا أيامه البيض الغر وصار قيس يقول لهم يا بني عمي الذي مضى فات وإن ابن عمي عنترا انقضى ومات وسيطلبكم غير بني فزارة وسائر العرب من بعدهما ومن اقترب وما بقي لكم من يلجؤون إليه ولا معول تعولون عليه إلا مقابض سيوفكم وسنان رماحكم وإتلاف نفوسكم وأن تجعلوا دروعكم قبوركم والرأي عندي من القول التمام أنكم تموتوا كرام ولا تعيشوا اللئام (قال الراوي) فلما سمعت بنو عبس ما قال الملك قيس رما أبدا من ذلك المرام أطاعه كل من كان حاضرا في ذلك المقام فعند ذلك نهض أخوه نوفل من بين الجماعة وقال له يا أخي إننا مطيعون هذا الأمر بالسمع والطاعة ولكن عندي رأي آخر إن أمرتني أن أبديه لكم لأن فيه السداد والأمر الحميد والرشيد فقال له الملك قيس قل ما بدا لك فإننا مطيعون ما تبديه من أفعالك فقال له نوفل الرأي عندي يا أخي أننا نسير من هاهنا بأجمعنا وأموالنا وعيالنا ونرحل إلى جبال الروم ووادي الرمل ونحصن حريمنا هناك ونبقى جرائد بلا ثقل ولا عائق ونركب تلك الخيل العوائق لأنك كما تعلم أن ابن عمنا عنترة في أول منشئه في معاداته للملك النعمان ودخل عليه ومعه مائتا فارس فاحمى روحه وهو ومن كان معه من الفرسان وأكل أموال العرب وأخذ الجزية من الملوك ذي الرتب وقهر الفرس والعجم وأباد الترك والديلم وما افتكر في أحد من الناس لأن ذلك المكان جزيرة ومكان أمين ما عليه قياس ولا يقدر عليه أحد إلا إن كان من بابه وإذا حصنا فيه الحريم ما يبقى الواحد منا يبالي بما أصابه وإذا وقف فيه عشرة رجال بالعرض منعوا من يدخل إليه ولو أتى كل من في الأرض فلما سمع بنو عبس كلام نوفل أجابت إلى مقاله وكذلك الملك قيس رضي بأقواله وقال إن هذا رأي صواب وفي عاجل الحال فرضوا خيامهم والمضارب وساروا بالرماح والسيوف والقواضب وسارت النساء في الهوادج على ظهور الجمال وتيطنوا في ذلك البر بالحريم والعيال ثم جعلوا قصدهم بلاد الروم ووادي الرمال وقد حصل في قلوبهم من الخوف أمر عظيم هذا وقد صار في قلب الملك قيس نار لا تنطفي ولهيب لا يخفى والبكاء والنحيب من بني عبس قد علا وقد ملؤوا بصياحهم جنبات الأرض والفلا وقد تذكروا أيام حاميتهم عنترة وما أصابهم من فقده من البلاء فهذا ما كان من بني عبس وما جرى لهم وما دبروه من تلك الأمور (قال الراوي) وأما ما كان من بني فزارة اللئام فإنهم بعد تجمعهم وإلا التمام ساروا قاصدين ديار بني عبس لتبلغوا منهم المراد ويقلعوا آثارهم بعد حاميتهم عنتر بن شداد هذا وفي قلب حصن من بني عبس لهيب النار لأجل قتل بني عبس أباه حذيفة الغدار وكان قد أنفذ حصن وسنان الأمول إلى كثير من القبائل واعلموهم بما قد عزموا عليه من ذلك الأمر والمرام وأنهم قاصدون بني عبس ليبلغوا منهم المرام هذا وحصن قد أنفذ بحث

القبائل على المسير لاجل أخذ الثار وقد أوصل لهم الكتب مع الطراق والسفار وصار يحرضهم على المجيء بهذه الابيات :

فسيروا لأخذ الثار ياسادات العرب ... لان بنى عبس فناها قد اقترب
فان رمتموا أمرا فسيروا بنا لهم ... لنسقيهم كاسا من الموت والعطب
ونأخذ لنا بالثار منهم عنوة ... ونبليهموا بالقتل منا وبالحرب
ونهلك بنى عبس ونفنى جماعهم ... ونطعنهم بالرمح فى الصدر واللبب
ونسقيهموا كاسا من الموت مترعا ... ونبليهمو بالويل والضرب والتعب
ونضربهم بالسيف فى وسط هامهم ... ونفنيهموا جمعا ونسكنهم الترب
ونأخذ بثار من مضى من رجالنا ... لا نهموا أفنوا جوعا من العرب
ألا يا بنى ذبيان سيروا والشدوا ... على قتل قيس الرأى منا فقد وجب
فمن بعد عنتر ما بقى مسعف لهم ... ولا رجل يرجى يكون لهم سبب
فهذا الذى نرجوه فى طول دهرنا ... وهذا الذى كنا نريد من الارب

(قال الراوى) ثم أن حصن أرسل كتبا كثيرة مع العبيد وغيرهم من الرجال إلى الاحياء وسن لهم من الابطال يحرضهم على القدوم لبنى عبس حتى يحل بهم النكال فما وصل كتاب إلى قبيلة من قبائل العرب إلا وساروا بالنجب وكل منهم طالب بنى لاخذ الثار وكشف العار هذا وبنو عبس قد ساروا كما ذكرنا طالبين جبال الروم ووادى الرمال على التحصن هناك لاجل القتال وما زالوا سائرين وإلى ذلك المكان طالبين فأنت طريقهم على أرض يقال لها أرض الصانع وفيها غدير من الماء نابع يتدفق ماؤه ويبرق حصباؤه وقد فاحت أزهاره وناحت أطياره وطاب مزاره فنزلوا إلى هذا المكان لما رأوا من طيبة تلك الالوان ليستريحوا مدة من الزمان ولم يعلموا ما خبى لهم فى الغيب من حوادث الزمان (قال الراوى) فبينما هم نزول فى هذا المكان وتلك الديار إذا بالغبار من خلفهم قد سار حتى سد منافس الهواء وتلك القفار قد طلعت وزوابعه قد ارتفعت وكان ذلك ساعة من النهار وبان ما تحت الغبار النظارة وانكشف عن فرسان بعدد الرمان وقطر السحاب وقد ساروا من كل فج عميق ووادى سحيق وأسنة تلك الفرسان تلمع وخودهم فى ضوء الشمس تشعشع وما فيهم إلا كل بطل صميدع ومن كثرتهم قد سدوا عين الشمس والفضاء وهم مقبلون مثل حلول القضاء وهم ألوف لا تعد ولا تحصى بعدد الرمل والحصى وفى أوائلهم كثير من بنى فزارة وبنى ذبيان وبنى مرة وبنى همدان وبنى سنس وبنى زهران وبنى أسد وبنى شيبان وبنى نمير وبنى حنظلة وبنى نبهان وبنى غنا وبنى كلاب وبنى الوحيد وبنى ضبيان وبنى هاشم وبنى صعصعة وبنى كعب وبنى أوبرة وبنى يربوع وبنى ذهل وبنى جديلة وبنى زهرة وبنى السكاسك وبنى

السكون وبنى رغبة وبنى رباح وبنى هلال وبنى جبهان وبنى طى وبنى عادى وبنى تميم وبنى قحطان وبنى أمية وبنى حمير وبنى سعد وبنى الجريش وبنى هوازن وبنى جشم وبنى مراد وبنى الأشجع وبنى الحكم وبنى وشاح وبنى بياض وبنى كهلان وسارت تلك القبائل من كل النواحى مقبلة وواصلة من سائر الوديان والشرح هاهنا يطول فى أسماء القبائل وذكرهم يطول بما يحير العقل من سماعه مذهول (قال الراوى) وكانت جملة القبائل التى اجتمعت على هلاك بنى عبس فى ذلك النهار رأيت طالبة منها أخذ ثارها ثلثمائة ألف وثلاثة وثلاثين ألفاً لأنهم سدوا السهل والجبل وملئوا الكثرتهم كل وادومنزل ولما أن رأت بنو عبس إلى ما قد أتاهم من القبائل قال لهم الملك قيس يا بنى عمى لا تهدموا ما بنيتم من المجد على طول الأبد والدهر فوتوا كرام ولا تعيشوا لئام وما بقينا نريد حياة بعد حامينا عنتر البطل الأمجد والفارس الأسود الذى كانت ناره لا تجمد وكان نخشاه كل أحد وقهر مثل كسرى وقيصر وملوك بنى الأصفر وأتته الهدايا منهم من كل شىء مفتخر والآن قد أخذه منا القضاء والقدر الذى ما للعبد منه مهرب ولا مفر وما بقينا نلقى لنا حامى ولا من يجد فى نصرتنا إلا أن يكون قوائم سيوفنا إلى أن يموت كبيرنا وصغيرنا ولا يبقى منا عبد ولا أمير وهؤلاء القبائل قد أقبلوا اليكم فقابلوا المرت بوجوهكم ولا تلقوه بظهوركم فما خلد أحد منكم فى هذه الدنيا الساحرة التى قد أهلكت الملوك الجبابرة (قال الراوى) فلما سمعت بنو عبس من الملك قيس ذلك المقال طاب لهم الموت على كل حال وأيقنت بقرب الآجال وفى دون ساعة ركبت خيولها واعتقلت برماحها وذوابلها وتقلدت بصفاحها ونصولها واستقبلت الموت بوجوهها وعملت بجهودها وتصايحت جيوشها وجنودها ورفعت أعلامها وبنودها وتقدم الملك قيس أمام بنى عبس وعن يمينه ويساره جيشه وأخوته وأعمامه ومن خلفه أكابر قومه وسار بهم إلى الميدان واصطفت الفرسان فدام الفرسان وكان حصن بن حذيفة وابن أبى حارقة سنان أمام الفرسان الذين قدمنا ذكرهم فى هذا الديوان ولما أن رأى الملك قيس قد أقبل بمواكبه وعشائره وكتائبه سار بهدد قيساً بالقتل وخراب الديار وهو يكثر عليه من التهديد والتشار ويقول له يا ابن زهير اعلم أنه ما بقى من أجلكم إلا القليل ولا بد ما يبقى حديثكم جيلا بعد جيل فيا طول ما نهبتم الأرواح وضربتم فى وجوه العرب بالصفاح أنتم وعبدكم عنتر مساء وصباح فأين حاميتكم الذى كنتم تسكنوه بأبى الفوارس وتعضلوه على كل قائم وجالس فما حسبتم حساب انقلاب الزمان ولا أيقنتم بطوارق الحدثان أنسيتم يوم جفر الهباء فإن كنتم نسيتموه فأنا ما أنساه ابن أبى حذيفة وإخوته وأكابر عشيرته فوالله ما أنسى ما جرى لأبى حتى أبقى حداه فقال قيس والله يا حصن ما نلت منا مناك ولا المراد ولا زلت مذلول الفؤاد وسوف ترى ما يقع لقومك منا عند الطراد واعلم أنه طاب لنا الموت ومذلنا كأسه استعذبناه من يوم فقدنا

حاميتنا وعدمناه فيا حصن لا تذكر من مات وراح وسكن المقابر الفساح ولو كان عمل ما عمل ما بقى عليه جناح نخر وافى أسباب الحرب والكفاح والبراز من كل فارس جحجاح وفارس وقاح والآن فهذا طريق يسلكه كل أحد ولا يخشى عليه لا أبيض ولا أسود وما هى إلا موته واحدة وكل الأشياح عليها واراده وما يموت الانسان موتتين ولا لكل واحد منا أن تصيبه هذه العين وجدوا فيما عزمتم وأتيتم بهده الجرع المجمعه وها انتم وفرسانكم وأنا فقد فرغ زمانى وبقى زمانكم فدونك والحرب واللقا لتنظر بعينك من يسعدنا ومن يشقى ولا تهددنى بكثرة القبائل وما قد جمعت علينا من الحجافل ولا تذكرلى فعل حاميتنا عنتر بعد ما مات وانقبر واغتاله القضاء والقدر وكان فارسا تكل لشجاعته الفرسان وتخاف منه وتخشاه ملوك الزمان فقال حصن وحق ذمة العرب الاكابر يا ابن زهير ما بقى لك من الموت ناصر واليوم تحمل عليكم هذه الجيوش وتقطعكم بالصفاح وضرب البواتر وتسبى أبنتك المحانة صاحبة الوجه النائر والجمال الباهر قدام عينك وأنت إليها ناظر فقال لى زمان وأنا عليك صابر حتى نقدتم ذلك العبد الزنيم والوعد اللئيم عبد شداد الذى كان يحميكم من النوائب وكنتم قد قدمتموه على كل صاحب ولكن السلام معك يا ابن زهير فى هذا الوقت ضائع لا ترحمك قفل بعدما كان طالع ثم أنهم أراعوا الحملة على بعضهم البعض حتى أنهم يفنوا بنى عبس ويقطعوهم فى تلك الأرض وكان النهار قد ضيق ودفع بهم الاياس وضيق الخناق فقال قيس يا ابن حذيفة اعلم أن النهار قد ولى ورحل وما بقى أحد يبلغ من أمل ولكن إذا أقبل النهار ويفعل الله ما يشاء ويختار مع المالك قيس ألوى عنان جواده وعاد وما كانت عودته إلا لأنه قد خطر بباله خاطر وأمل أن يبلغ به المراد ولم يزل إلى أن وصل إلى قومه وقد أيقن بذهاب أسمه وقومه فاستقبله قومه وسألوه عما جرى وصار فاخبرهم بما كان منه ومن حصن بن حذيفه من الاخبار وما وقع له معه من العتاب والملام ولا قالوا لبعضهم من المقال والملام ثم أنه قال وأما يا بنى عمى قد خطر لى خاطر وربما تجينا به من قدام هذه القبائل والدساكر وكان قيس كما ذكرنا فى مبتدأ الكلام يسمى قيس الرأى وكانت بنو عبس تقتدى برأيه فى كل ما أراد فقالوا له قل ما شئت فانا تبع لك فى كل ما هويت فقال لهم يا بنى عمى أن كنتم تطيعوا ما أقول لكم من الخطاب فانما تجمعت علينا هذه الاعداء لغنانا وليبلغوا منا الارب ويفنوا منا الشرح والشباب ويشبوا نساءنا والبنات الاتراب وهذا الأمر ان فعلوه معنا نعايره به ليوم القضاء والحساب ولكن من الرأى الصواب أننا ندعهم لا ينتفعون بعدنا من مالنا بمال ولا يبلغوا من نسائنا أمال وذلك أن كل انسان منكم يذبح ما عنده من النوق والجمال وتركب النساء على ظهور الخيل هم والعيال وتضرموا النيران فى الاثاث والمتاع والاقمشه والمصاغ وما به الانتفاع واعلقو بعض النياق والجمال وعرقبوهم بالسيوف الصقال وامنعوا عنهم

أولادهم الصغار واطردوهم بالجنادل والأحجار واعقدوا الدخان فى ذلك الوادى يا رجال حتى كأنهم جهنم عند الاشتغال وذلك نعمله حتى لا تنهبه الأعداء الانذال و عند ذلك تركب الخيل الجياد وتهجم على الأعداء وتضرب فيهم بالسيوف الصقال والرماح الطوال ولم نزل نضرب فى ذلك الجيش الجرار إلى أن ننفذ نحن والنساء الأحرار والعبيد والمولدات والجوار ونفنى ونضيع بين تلك العشائر الكبار ومن كان له عمر مديد منا يسلم ومن أجله قد اقترب يهلك ويعدم نال فلما سمعت الرجال من الملك قيس ذلك الخطاب رأوه صوابا وفعلوا كل ما به أمر من القتال وبعدها تحضروا على الحرب والقتال وما زالوا على هذا الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح فقاموا إلى جمالهم أبركوها وإلى الفصلان عن أمهاتها أخرجوها فصارت تحن إلى بعضها البعض إلى أن اضلأت بزعقاتها وضجيجها الارض وأحرجوا متاعهم وأطلقوا فيه النار وعادوا إلى الجمال المعقولة بالسيف وعرقبوها فعندها شدت الفصلان فتعجبوا من ذلك الامر والشأن وتبادرت لفرسان وساروا يبحثوا منها يشوا على النيران حتى ارتفع لها غبار ودخان فلما أن رأى حصن ابن حذيفة إلى ذلك الحال قال لسنان بن أبى حارثة الا ترى يا بن العم إلى ما فعلت بنو عبس وما هذه الاحوال فقال سنان أن هذا أمر عيان بيان يعرفه كل إنسان وذلك أن بنو عبس قد قل عندهم الماء والزاد فأرادوا بذلك التخفيف وعدم النقاد وهم رجون ويؤملون نهم ينجون من هؤلاء الفرسان ولم يعلموا أنهم قد دنا منهم القلعان وأن تلك العشائر قد أحاطت بهم من كل مكان فبينما حصن مع سنان فيما دار بينهما من الكلام وإذ قد ارتفعت الجبال الدخان وانعقد حتى صار مثل الظلام وزاد القتام وانقام (قال الراوى) وذلك أن بنى عبس لما تضاحى عليهم النهار وبان ورأت تلك العرب المجتمعة قد اشتغلت بما وقع فى أيديها من الفصلان فأطلقت النار فى الاثاث والجمال وفيما كانت قد احوت أيديهم من الاموال وبعدها ركبوا وخرجوا من بين الخيام وكل رجل منهم خلفه ماله من البنات والعيال ولما زادت النار فى هذا الوادى اشتغال ورأت الجيوش المجتمعة من هذا الحال لم تجد لها بدا من نهب الاموال وهجمت إلى داخل الجبال قبل أن تقع الحرب والقتال فلم تجد إلا نار زائدة الاضطرام والاشتعال ولم يروا شيئا مما أملوا من تلك الآمال فعادوا راجعين على الاعقاب وقالوا هذا الامر ما كان لنا فى حساب (قال الراوى) وأما ما كان لنا من بنى عبس وما صار لهم من الارتياب فإنهم هجموا على الخيمة التى فيها حصن وسنان وكان الملك قيس وإخوته فى أول الفرسان فوجدوهم قد هموا للركوب وتجهزوا للضرب وللطعان .

(تم الجزء الثانى والخمسون ويليه الثالث والخمسون)

الجزء الثالث والخمسون
من سيرة عنترة بن شداد

(قال الروى) فعندما اغتنم قيس الفرصة وأراد أن يكشف ما بقلبه من الغصة فى فلاق حصنا وهو خارج من باب المضرب وتمطى فى كعوب الرمح وطعنه فى صدره فانقلب حسن على الأرض وتكركب وشرب شراب العطب وأما سنان فإن أسيد طعنه فى صدره أطلع سنان الرمح يلمع من ظهره وبعد ذلك انعطف على مالك بن بدر وطعنه فقتله وعلى الأرض جندله وبعدها صاحت بنو عبس وعدنان وبذلوا فى الأعداء السيف والسنان وأظهروا ما فى قلوبهم من الأحقاد وانحطوا على بنى فزارة انحطاط العقبان فقتلوا منهم نحو المائتين فارس من الأعيان وبعد ذلك دارت ببنى عبس سائر العربان وحملت إليهم من كل جانب ومكان وحملت بنو عبس وقد بذلت فى الأعداد سلاحها وقد أيقنوا بفسادها بعد إصلاحها وقد أحاطت بهم تلك القبائل والجحافل وتساوى بينهم الفارس والراجل فابدلوا بالذل أعزازهم وقتلوا منهم كل فارس نبيل وصار العزيز ذليل وثلثمائة قبيلة حملت على فرد قبيلة واحدة ونساء وعبيد وجوار وبنات أبكار ولم يكن لبنى عبس بهم طاقة ولا على حربهم فكانوا بينهم كالنقطة البيضاء فى الثور الأسود فلم تكن الأسامه حتى فرشوا به بنى بنو عبس على الحصى والجندل وداسوهم فى الأرض بسنابك الخيل دوس الخنضل وجرت دماوهم على أرض مثل جريان الماء وكانت تلك الواقعة تسلى وقعة القناء ما حل ببنى عبس من الويل والعناء ولم يسهل من بنى عبس إلا من كان جواده سابق وأكثرهم فدخلت بهم البوالق فكان ممن نجى الملك قيس بن زهير فإنه بعد قتله لحسن بن حذيفه وقد أشفى قلبه من تلك الأمور المخيفة ثاره وصار هائماً على وجهه فى الوادى ونجا بنفسه وابنته خوفا من الفضيحة والشنار وأن يركبه بعد ابنته العار ولم يزل سائراً عدة أيام وليالى وهو غائص فى البر والآكام وصار يقتات هو وابنته من نبات الأرض والهوام وهو أن أقبل على بحر الفرات فعندما أرخى لجواده اللجام فهوى به فى وسط البحر كأنه النعام أو مثل ريح الجنوب إذا خرج وقد جرى به فى الأمواج واللجج فنجى هو وجواده وابنته فإنها وقعت من خلفه فى البحر فهلكت ومات موت الفجاة وأما قيس فإنه لما طلع قصد البر والفلاة فارمتة التقادير إلى جزيرة كانت هناك قريبة من بلاد الروم فسار فيها يومين وليلتين وأصبح فى أرض واسعة ومياه نابعة وفى وسط تلك الأرض صومعة وفيها راهب من بعض الرهبان قد دخل قيس إلى الصومعة وقتل الراهب وجلس فى مكانه وموضعه وترهب قيس وانقطع من تلك الصومعة ومكث فيها ليالى وأيام ينظر ما يأتى من حوادث

الزمان فهذا ما كان من الملك قيس وما قدر عليه من الاحكام (قال الراوى) وأما ما كان من بنى عبس وما وقع لهم من الكلام فانهم لما جرى لهم من ذلك الأمر الذى اتفق قاتلوا أعداءهم إلى أن أدركهم الغسق وافترقوا فى ثلاثة فرق الفرقة الاولى طلبت مكة والبيت الحرام والفرقة الثانية طلبت الجبال والآكام والفرقة الثالثة طلبت اليمن وقد خافت أن يحل بها ما حل باصحابها من المحن فكان من الفرقة التى طلبت مكة زهير بن قيس وباقى بنى عبس طلبوا البلاد وخافوا من العدى أن تقطع منهم الآثر فقال لهم زهير يا بنى عمى أن قصدنا البحر وآتينا بانفسنا إليه هلكنا مثل ما هلك أبى وإن دخلنا بلاد اليمن علت بنا المصائب والمحن لانكم كما تعلمون أن مالنا فى تلك البلاد صديق ولا رفيق ولهم علينا ثار من قديم الزمان من عهد حاميتنا عنتر وأبى قيس وجدى زهير بن جذيمة وما لنا إلا أننا نقصد مكة والبيت الحرام ونلحق بنى عما ونستجير بالبيت العتيق وتلك المشاعر العظام إلى أن ننظر هذا الرجل الذى يشيعون عنه هذا الكلام إنه يظهر فى تلك الأيام ويدعو الناس إلى الهدى والإسلام ومن بهائه تظله الغمام ويبين للناس الأحكام ويظهر لهم الحلال من الحرام ويرمى من على الكعبة الأوثان والأصنام وقد قرب الله أوان ظهوره ويشملنا ببركاته ونوره فلما سمعت بنو عبس ما أشار عليهم زهير من هذا علموا أن رأيه تمام وأن قوله شديد فقالوا له أيها الملك وما تريد فليس لنا عن هذا الأمر محيد ونحن بين يديك أطوع من العبيد ثم أنهم ساروا وقصدوا مكة والبيت والحرام بعد ما دار بينهم من الكلام وقد قطعوا البر والآكام ولما وصلوا إلى مكة كان الموسم قد انقضى وتفرقت قبائل العرب وراح أوان الحج وانقضى (قال الراوى) وما جرى من الكلام العجيب الذى يذكر قوافيه وقواعده بحسن الترتيب أن الفرقة الأولى كانت قد وصلت إلى مكة وأعلموا أهلها بالخير وقالوا لابى طالب عن موت حاميتهم عنتر وكان عبد المطلب قد انتقل بالوفاة وهو الذى كان يتعصب لعنتر وفى سائر أموره يتلافاه فلما علموا أهل مكة بموت عنتر فما منهم إلا من بكى عليه وتحسر ولحقهم عليهم الأسف العظيم وصار لهم من أجله الغم المقيم وقالوا وحق زمزم والحطيم ومقام الخليل إبراهيم أنه ما بقى مثل عنتر فى سائر الأقاليم فقالوا لهم بنو عبس أن قبائل العرب بعد موته قد اجتمعت علينا وأقبلت من سائر الجهات وقد فعلوا فينا فعل ذميم وقتلوا منا الأولاد وسبوا الحريم وتفرقنا وأنهزمنا عن الأوطان وغاب ملكنا قيس ومعه جماعة من الاخوان فما ندرى ما جرى عليهم من نوائب الزمان وهذا كله لفقد حاميتنا عنتر الذى كان تهابه لاجله جميع العربان (قال الراوى) فبينما بنو عبس مع أهل مكة فى الحديث وهم يشكون إليهم واذا بالفرقة الثانية التى فيها زهير بن قيس قد أقبلوا عليهم وسلموا عليهم وأخبروهم بما تم عليهم ونالهم ففرحوا بسلامة بعضهم البعض ووصولهم إلى تلك الأرض وجعلوا يتفارضون بالسلامة

وتلقاهم أيضا أهل مكة بالتحية والاكرام ونزلوا عندهم فى أعز مكان (قال الراوى) وكان الموسم كما ذكرنا قد انقضى وكل من العرب سار إلى دياره ومضى فنى لواد اطمأنوا على انفسهم فى نزولهم بجوار البيت الحرام وطاب لهم هناك المقام وقد سلموا مما أصاب قومهم وأهلهم من القتل والاعدام وذلك كان ببركة تلك المشاعر العظام وببركة انتظارهم إلى المظال بالغمام فهذا ما كان من بنى عبس وعنتر وما جرى لهم من تصاريف الايام (قال الراوى) وأما ما جرى من حديث عمرو ذو الكلب وأخيه الهيفا لما ذكرنهما بنو عبس وعنتر فى هاتيك الايام وساروا عنهم ومات عنتر وجرت عليه هذه الاحكام ورحلت بعدهم بنو قضاعة وكل منهم يريد أن يصل إليها فى تلك الساعة (قال الراوى) وكان عمرو ذو الكلب أمير الحلة كما ذكرنا فى أول الخبر وقد تسلى عن الاوطان بمعاشرته لعنتر فلما مات عنتر وحكم فيه القضاء والقدر عادوا راجعين إلى أوطانهم اوهى أرض شريف وتلك لوها دو نزلوا فيها ونصبوا خيامهم ودقوا المضارب والاوتاد وكانت الهيفا أخت عمرو ذو الكلب حالا من عنتر لانا ذكرنا لكم أنه تزوج بها قبل دخوله المرة الثانية مر أرض الروم ومر بلاد الملك قيصر ولما وصلوا بلادهم ونزلوا فى أماكنهم أستانست بهم الديار وأقروا فيها القرار وفرحت أهلها بهم واجتمع باصحابهم شملهم ومضت عليهم الايام والشهور وقناصة الرجال ما تدرى ما يفعل بها من الأمور وقد قل نشاطها كثر تألمها وعياطها ومازالت هذه حالاتهما إلى أن آن أوان ولادتها أوضعت مولودة وهى كأنها الليلة الظلماء مهدلة الاشداق حمرة الاحداق مفتولة السواعد والاعضاء وهى أشبه الناس بابيها عنتر بن شداد فلما أن رأتها أمها تشبه أباها وهى كأنها إياه قالت فى نفسها سبحان خالق البشر ثم عرضت هذا الامر على أخيها عمرو وقالت له أى شىء يا أخى تسمى هذه الطفلة التى كانت السبب لحركتنا والنقلة قال لها يا أختاه سميها عنيترة عسى إنها تخلف أبيها فى القوه والشجاعه والقمرة ويشيع ذكرها بعد الافقاد وتطيعها سائر العباد فسموها عنيترة وقد أحسنوا فى تربيتها الوداد وكل ذلك حبة لابيها فربتها أمها قناصة الرجال وأحسنت تربيتها بالنعم والدلال ومرت على الايام إلى أن صار لها خمس سنين فصارت تعافر الكلاب وتخاصم العبيد تراميهم باسهم النشاب ومازالت كذلك إلى أن بلغت من العمر عشر سنين وسارت أمها مع الهيفاء وأخوها عمرو وإذا ركبا يركبوها ويأخذوها معهم ويحصون بها القفار ليلا ونهار ويطاعنوها فى الميطان ويعلموها من أبواب الحرب الزيارة والنقصان إلى أن يمهرت وبقيت من أرباب الشجاعة وبابت واشتهرت بالقوة والبراعة فلما تكامل عقلها وحسن حالها واشتدت أوصالها وصارت كل صباح تركب مع بعض رجالها وهى تظن أن عمرو أبوها ولم تعلم أنه خالها (قال الراوى) وقد بلغنى عنها أنها من حين بلغت خمس سنين وهى لا تركب إلا معممة ملثمة

وكانوا بنوعمها يعلمون أنها جارية ويعرفون منها ذلك والغير ما يظن الا انها فحل ذكر وما كان أحد هما من أهلها ولا من غيرهم يقدر أن يمد يده إليها بسوء ولا يجسر أن يلم بساحتها عدوا (قال الراوى) وأن خالها عمرو ذو الكلب ركب فى يوم من بعض الأيام وخلفه أربعة آلاف فارس من الكرام وطلب الغزو إلى بلاد اليمن وهاتيك الآكام والذمن ولما ان سار هو ورفقته سارت عنيترة صحبته ثم إنهم حدوا فى المسير حتى أبعدوا عن بلادهم بأيام كثيرة فبينما هم على ذلك الجد والتشمير وإذا قد اعترضهم أسد فى قدر الثور الكبير وله زفير وشخير وهو يهدر هدير كأنه رحا فى مير وله شهيق وعياط وعزم نهيض ليس فيه تفريط فالويل كل الويل لمن به وقع وله أنياب ومخاليب كالخناجر وهو كما قال فيه الشاعر

عبوس هرير البرية ظاهر ... جريء على الشجعان للضد ظاهر
برأس كرأس العول عيناه فى الدجا ... كجمر الاظى فى وجهه الشر ظاهر
يذل بأنياب حداد بواتر ... كانها سيفان عند النواظر
ويسطو بأسنان غلاظ كانها ... إذا قلص الأشداق عنها خناجر
وطول يحاكى العود فى عظم قدره ... ولكنه يأوى ببعض الجزائر

(قال الراوى) فلما عاين الأمير عمرو إلى ذلك الأسد هاله منظره وأراد أن يقتله وهم أن يترجل إليه وإذا بعنيترة قد تقدمت إليه وكان عمرها خمسة عشر سنة وحلفت عليه وقالت له وحق ذمة العرب وشهر رجب واشهب الذى إذا طلب على العين احتجب لا يبرز إليه إلا أنا وأسقيه كاس القنا ولا أدع كلبا من كلاب البريسار يك وأ لك الاسد الفلانى انها فى ساعة الحال ترجلت عن الجواد وأدارت أذيالها فى دور منطقتها وأخذت سيفها فى يدها وسارت إلى الاسد بقلب أقوى من الجسد وساعد أقوى من العمد قال فلما رآها الاسد وقد أقبلت نحوه هدر وزمجر وزعق زعقة تفلق الحجر فانزعج بها البر الاقفر ثم أن الاسد توطا إلى الارض حتى ما يبين طوله من العرض فقصدته عنيترة ولم تعتق به وبرزت السيف حتى لمع الموت من أفرنده انتضا خكت المنايا من حده وطلبته فوثب الاسد إليها بسرعة فاستقبلته عنيترة بضربة جاءت بين عينيه ثم صار السيف يهوى بين فخذيه وذلك من شدة الضربة وقوة الهمزة فوقع على الارض قطعتين انقسم فرقتين (قال الاصمعى) وكان ذلك السيف الذى كان فى يدها عمل من صاعقة وكان قد أهداه لعنتر بعض الملوك العمالقة وكان من خيار السيوف وكان قد أداه عنتر لخالها عمرو ولما وافقه وأعطاه عمرو لعنيترة فلما قتلت به الاسد تعجب منها كل أحد ثم انها تقدمت الى الاسد ومسحت السيف فى جلده ففرح بها خالها وأظهر لها السرور والفرح واتسع صدره وانشرح وشكرها على فعالها وكذلك بنوعمها وأهلها وقال عمرو ذو الكلب فى نفسه من داخل الفؤادة أخلف الله علينا عوض عنتر بن شداد ومن تشبه بأبيه

فما ظلم قال وكان كلما رأى فعالها يتذكر عنتر والدها ثم أنهم بعد ذلك ساروا بالليل والنهار غدوا وأبكار إلى أن وصلوا إلى بلاد اليمن وقار بوا ديار صنعاء وعدن فبانت لهم حلة من بعض حلل العرب بشراعات واصلة من ذهب وكانوا قد أقبلوا عليها عند السحر وقر أوها حلة عظيمة تذهل البصر بقباب وخيام وعبيد وخدم وأموال ونعم ومواشي على مدادها نمرح وأغنام تسرح وأهل الحلة في هرج ومرج ودخل وخرج (قال الأصمعي) وكانت هذه الحلة لأخت الحارث أبو سبيع الحميري وكانت عمة ذو الخمار وكان عنتر طول عمره ما طرق هذه الديار إلا أن فرسان بني قضاعة غاروا على تلك الحلة وما فيها من الأموال والخيل والعبيد والنوق والجمال وكان في مقدمة الخيل عمرو ذو الكعب وأخته الهيفا في جماعة من الأبطال وعنترة قدام الكل وهي كأنها الأسد الربيال فعندها صاح عمرو في أصحابه وقال الخيل يا أرباب الخيل دونكم وهذه الأموال وهذه الغنيمة الذي لها قدر وقيمة (قال الراوي) فلما سمعت عنيترة من خالها ذلك الكلام أطبقت على رجال الحلة وهي ومن معها وحطموا على الأموال قطعتها عنيترة وساقها عن بكرة أبيها وتركتها وراءها وهمت أن تلوي عنان جوادها وإذا بالنفير قد وصل إلى الحلة والخيل فاطلعت من بني حمير وفي أوائلها غلام أسمر كأنه الأسد في تقاطيع الأسود يقلب أقوى من الحجر الجلمود وهيبة الامراء عليه وهو كأنه هائشة بربة واسع الباع طويل الذراع لا يخاف ولا يراجع أكحل العينين مقرون الحاجبين قوي العزيمة كثير الهمة فلما قرب من خيل بني قضاعة كشف اللثام عن وجهه وإذا هو كأنه بدر التمام حسن القوام بادي الابتسام وكان هذا الغلام يسمى أسد الفلاة الحميري وكان ابن بنت الورقاء سيدة هذه القبيلة التي ذكرنا تسميتها فلما لحقهم صار ينادي بهم ويصيح ويلكم يا مذلولين أين تنجون من أيدينا أنتم تمن يغار على أموال مثلنا وتنهبوا أموال الحية الرقطاء والذئبة المعطاء سيدة بني حمير وقاهرة كل من سكن البر والقفر التي لا ترهب الابطال ولا تخاف الاقبال معودة القتال لا تمل من الشقا سيدة بني حمير الملكة الورقاء حاكمة أرض اليمامة وسيدة أهل رامة وحكمها نافذ إلى حد أرض تهامة أتظنون أنكم تأخذون أموالها وترجعون إلى أوطانكم سالمين وتمضون من بلادها غانمين فإن من دون ذلك جز المعاصم وبرى العلاصم وفلق الجماجم وها أنا ابن بنتها أسد الفلاة وسالك طريق الملا ثم أنه أشار إليهم على هذا الحال وجعل يوبخهم وهو مع ذلك ينشد ويقول

فها نحن فرسان وقوم أعزة ... ليوث كرام فوق كل الاغارب
وتحمي حمانا بالسيوف وبالقنا ... ونسقي الاعادي من شراب المعاطب
ونفجعهم بالسيف عمداً وبالقنا ... وأحوالنا مشهورة في الكتائب
أيسمع عنا في البلاد بأننا ... عجزنا عن الاعداء وخوض المواكب

فمن ذا يجاريها ويقصد حربنا ونحن ليوث غند وقع المضارب
ومن ذا يفاخرنا وسادات قومنا بنو حمير قوم كرام الأطايب

(قال الراوى) فلما فرغ أسد الفلاة من ذلك الشعر والنظام وسمعت عنيترة ما أشار إليه من ذلك المرام أبدت من هذيانه الضحك والابتسام وقالت له فى استك أمك وأم زرقاء معك يا ويلك أقصر عن هذا الفشار يا مذلول الشارب وأخس فرسان الأعارب فنحن فرسان بنى قضاعة أهل المروءة والشجاعة والفروسية والبراعة ثم أنها قومت نحوه السنان وقالت له دونك والطعان والتقى بعيترة القضاعية التى افتخرت بأجدادها العلية وأبوها عمرو ذو الكلب الذى ذلت لهيبته فرسان العرب القضية منهم والدنية ثم أنها حملت عليه وصوبت بالدعنة عليه واستقبلته وهى تقول :

ونحن أولو العليا أصولى قضاعة رجال اللقا فى الحرب والنقع ثائر
وفارسنا عمرو فهو خير فارس له الأصل والفرع الطويل الظاهر
له الجود والإفضال والبذل والعطا وفرسانه شبه الأسود دوائر
إذا ما رأوا حرباً يريد شرورهم وما زالوا إلها بالسيوف بواتر
وإنى أنا عنيترة الوغا جدردى قضاعة ليوث كواسر
أبى قاهر الأبطال والبطل الذى تذل له الأبطال والحرب دائر
قضاعة قومى هم أجل قبيله وهم منهل للعز والخير وافر
وأنى احامى عن رباقى وعترتى وأهزم هذا الجيش والسعد ناصر
ونحن سراة الناس أولاد ماجد ليوث الوغل ما بين بادى وحاضر

(قال الراوى) ولما فرغت عنيترة من شعرها خلت على أسد الفلاة وحمل هو أيضا عليها حتى طلع عليهما الغبار ودام بينهما الجولان ساعة من النهار وقد حت حوافر خيلهما نار وتطاعنا بالسنانين وتضاربا بالسيفين والأعين عليهما شاخصة وعقبان الآجال على رؤوسهما واقعة هذا وعنيترة تصول وتجول وأسد الفلاة وقع فى أمر مهول وصار يجول ويصول وأما الجوادان قد عرفا من الطراد واللقا واعتراهما الغضب وأخذوا فى الهزل والجد والصد والرد وما كان غير بعيد حتى نان الفارس الصنديد من الجبان البليد ثم انكشف عنهما الغبار وبان للأبصار وإذا فعنيترة على أسد الفلاة قد استطالت وصاحت صياح اللبوة وانصبب عليه انصباب الغيث إذا هطل وضربته بالسيف على عاتقه طلع السيف بلمع من علائقه ثم جالت فى الميدان وقالت هل من مبارز هل من مناجز هذا موقف الطعان والضرب بالسنان (قال الراوى) فعند ذلك برز إليها فارس ثانى فقتلته وثالث جندلته ورابع أعدمته وخامس رمته وسادس فى أهله فجعته وسابع فى الحرب خزلته وثامن عجلت منيته وسابع

أهوته وعاشر فى الأرض عفرته وما زالت على تلك الحالة حتى قتلت خمسة وعشرين فارس بالتمكين وتركهم على الأرض مطروحين قال ولما رأى بنو حمير إلى هذا الأمر المنكر وإلى ما حل بهم من العبر من بنى قضاعة وقد قتلت خمسة وعشرين فى ساعة أطلقوا الأعنة وعنيترة فى أوائلهم وخالها عمرو ذو الكلب فى مائة فارس وتركوا الباقى حول المال والنوق والجمال ثم أن عنيترة نادت أنا البوة العجاج الضاربة بالحسام الوهاج أنا قاتلة الرجال أنا مبيدة الأبطال ثم صاحت وتمكنت ولم تطل الخطاب ولا كثرت من العتاب ثم أنها حملت كأنها صاعقة نازلة أو كأنها منية راصلة ثم صاحت فى فرسانها وقالت لشجعانها دونكم والقوم ودعوا عنكم العتب واللوم واتركوا الدماء على الدروع طرازا وانجزوا أمركم غاية الانجاز ثم أنها انقضت على الفوارس وأذاقتهم ضرباً يورث التلاف والوساوس وطعنت فى صدورهم أخرجتها من ظهورهم هذا وهى تحمل بتلك المائة فارس الذين من بنى عمها وكانوا فرسان الهياج وليوث العجاج وحمل معهم أيضا عمرو ذو الكلب وعمل فى القوم كما تعمل نار الحرب وصارت الفرسان قدام عنيترة تكبكب ولها قلب أقوى من الحديد وأصلب وتكسحت الفرسان وأبادت الأبطال وأهلكت الأقران وبددت الأعداء من القتلى فى ساحة الميدان ورأى عمرو منها فى ذلك اليوم العجب وأسقت الفرسان شراب العطب وأقبلت أول القوم على آخرهم وشقت بطونهم وفطرت مرائرهم ورأى بنو حمير من عنيترة وأصحابها فرسان ورأى فرسان بروز الموت مغنم والحياة مغرم (قال الراوى) فعند ذلك ولوا الأدبار قدام عنيترة هرائم كأنها البهائم وتبعهم بنو قضاعة وهم فى ثلاثة آلاف وانفرد منهم ثلثمائة فارس بلا خلاف وساقت الأموال والنوق والجمال وما زال بنو قضاعة خلف بنى حمير حتى تشتتوا فى البر الأقفر وهم يتعثرون بالأطناب والخيام والقباب ولم تمكن إلا ساعة حتى وصل الخبر إلى الزرقاء لأنها كانت نازلة على جانب من أودية تلك الأرض وكان بعيداً من موضع الواقعة مقدار فرسخ طولا وعرضا وهى تحلب مع أكابر قبيلتها ووجوه عشيرتها وهى فى أكل وشرب ولعب وانشراح وأكل طعام وشرب مدام وقد ذهب عنهم الهم والانزعاج وهم من اللهو والطرب لا يعرفون الليل من الصباح فلم تمكن إلا ساعة حتى نزلت بهم الأتراح وصل إليها الخبر بما حل من قومها من العبر ولما سمعت بهذا الخبر قالت لهم ويلكم ومن هو الذى قدم علينا من ملوك العرب وأتى إلى أرضنا وتسبب بهذا السبب فقالوا لها يا مولاتنا خيل بنى قضاعة الأساوس أتوا إلينا فى خمسة آلاف فارس ومعهم فارس أسود أسمر أغبر مضار به تسبق الموت الأحمر وهو الذى بجميع الفرسان دبر كأنه الموت إذا تصور وهو الذى أغار على ديارنا وساق أموالنا وأخذ نوقنا وجمالنا وقتل ابن بنتك أسد الفلا وأعدمه الحياة وقتل جماعة من الرجال وأهلك الفرسان والأقيال قال فلما سمعت

الزرقاء ذلك الكلام والمقال ما بقت تعرف اليمين من الشمال وقالت لهم أما سمعتم بهذا الفارس
بمن يكنى قالوا بلى سمعناه عند حملته يقول قدام أهله وعشيرته أنا عنيترة بنت عمرو ذو الكلب
أنا لبوة الاسد القسور أنا بنت قناصة الرجال القضاعية أنا ذئبة البرية وهي التي قصدتك
وقتلت أسد الفلا وأنزلت بأصحابنا البلا (قال الراوي) فلما سمعت الزرقاء ذلك الكلام صار
الضياء في عينيها ظلام ولطمت على وجهها ورأسها ورمت من يديها كاسها وانهد منها أساسها
وحيرت جميع ناسها وقالت لعبيدها ائتوني بجوادي وعدة جلادي ففي ساعة الحال
أتوها بما طلبت من غير فعند ذلك ركبت جوادها واعتدت بعدة جلادها ونادت بأعلى
صوتها يا للرجال فخرج معها جميع في الحمى من الابطال وكثر القيل والقال حتى تزلزلت
الاطلال هذا وقد صاحت الاولاد والنسوان خوفا من السبي والهوان وهرعت الفرسان
حتى تكاملت عدتهم أربعة آلاف وخمسمائة عنان وركضت الملكة الزرقاء وطلبت ساحة
القتال وسارت الرجال خلفها ليشاهدوا ما تفعل من طعانها وضربها وكانت هذه الزرقاء فارسة
العصر وفريدة الدهر وأنها لم تزل على ذلك الحال سائقة وللهدير وزجرة حتى لحقت بني قضاعة
وعنيترة الفارسة المقصورة فرأتها قد أحلت ببني حمير الوبال وأنزلت بهم الذل والخبال
وقلعت الحلة باطنابها وأذاقت الحميريين من شرابها وأسقت القوم كاس عذابها وأوقعت الخوف
في قلوب الرجال وأحلت بهم الخبال حتى أنهم صاروا يتنافرون وتمت طاحون الحرب
دائرة والحيل من زعقاتها غائرة ونافرة وقد فعلت هي وخالها فعال الجبابرة وعملت عملا
يبقى ذكره ليوم الآخرة ولما رأت الزرقاء إلى ذلك غضبت غضبا شديدا ما عليه من مزيد ثم
قالت لهم ويلكم يا أولاد اللئام غير أولاد الكرام تنهبون رجالي وتقتلون رجالي وتسوقون
نوقي وجمالي اليوم أنا أبين لكم فعالي ثم أنها صاحت على أصحابها ويلكم باللئام الارواح يا من
فعالهم قباح أتنهزمون قدام فرسان بني قضاعة الذين ما لهم نست وتفزعون من بعض أنذال
العرب وتزلون بين فرسان السبسب فلو حملت عليكم باقي أصحابكم كنتم بقيتم نهبا لخيلهم
ودوابهم ولكن أنا الزرقاء واليوم تظهر الفرسان حقا ثم أنها حملت قدام القوم وقد أكثرت
من العيب واللوم فعند ذلك التقت بهم بنو قضاعة تقدمهم عنيترة وخالها وأبوها بقلب
وفراسة فالتقى الجيش وتقابل الفريقان ودام بينهم الضرب والطعان وانطرحوا في الميدان
وجالوا على بعضهم الفريقان وقتلوا الفرسان والاقران وطلع الغبار إلى العنان وانعقد على
رؤسهم مثل الدخان ودام القتال وعمل الصارم في الابطال وتطاعنوا بالرماح الطوال
وجالت الخيل يمينا وشمالا وكثر في الارض من شدة الركض والزلزال وقربت الآجال (قال
الراوي) وكانت الزرقاء قد حملت عدة بني قضاعة في خمسة آلاف فارس من بني حمير وكان
الذين قد لاقوهم من بني قضاعة اثنين وخمسمائة فارس غضنفر والباقي متأخرون يحفظون

الأموال وما نهبوا من النوق والجمال وكانت عنيترة قدام القوم كما ذكرنا وفعلت فى بنى حمير عملا عجز عنه أبوها عنتر فى أول منشئه كما قدمنا لأنها فى ذلك اليوم كانت الرجال كيلا وأى كيل وقل من بنو حمير عند ملتقى هذه الثلاثة الجبابرة القوى والحيل وصبرت بنى قضاعة على قتلها وطمعت فيها بنو حمير لكثرتها ولما علمت عنيترة أن جيش بنى حمير وجمع غزير حملت طالبة مقدم القوم لأن الزرقاء كانت قد ساقت قدامها القوم وهى تقاتل وبنو قضاعة هاربة من قدامها ومازالت فى المواكب وتهزم الكتائب حتى التقت بعنيترة فى وسط الميدان وأخذت معها فى الضرب والطعان وجالا ساعة وقد سترهما الغبار عن أعين النظار فرأت الزرقاء من عنيترة حرباً ما لها بها طاقة ولا صبر ولا استطاعة وقد رأت أيضاً عنيترة من الزرقاء التقصير وعرفت ذلك منها معرفة خبير وأظهرت لها عنيترة الكسل والعجز والفشل حتى طمعت فيها الزرقاء وبارلها على بها مقتل فعند ذلك عادت إلى نشاطها وأظهرت قوتها وانبساطها وحملت عليها عنيترة حملة صادقة وأقلبت السنان والطارقة وطعنت الزرقاء بعقبة فى صدرها فرمنها على ظهرها وقد غبت من الطعنة عن صوابها ولم تعرف رشدها من خطابها ثم أن عنيترة انقضت اليها مثل العقاب وأوثقتها كاف وقوت منها السواعد والأطراف وسلمتها إلى عبدها وبعد ذلك حملت على سادتها وأماجيدها من بنى حمير وأذاقتهم من كفها الموت الأحمر الذى لا يبقى ولا يذر وحملت فى تلك الساعة حملات أبيها عنتر قال ولما رأت بنو قضاعة إلى عنيترة وقد أسرت الزرقاء وضربت فيهم ضرب من لم يخف فقويت قلوبهم وحملوا حملها وتعجوا من فروسيتها وذاقت بنو حمير من بنى قضاعة ساعة بالها من ساعة وحرب ما لهم به استطاعة ونظروا إلى سيدتهم قد أسرت والأبطال قد قتلت فما كان لهم فى سبيل إلا الهرب وتفرقوا فى البر والسبسب قال فعند ذلك تبعتهم عنيترة هى وبنو عمها وهى تنشد وتقول

والله تركنا آل حمير بالقنا ... عند القاصر عى تخور من القرب
وزرقاء لعقباء الفلا يأكلونها ... يحولون منها كل جزء بمخلب
فابشروا يا آل حمير فى الوغا ... فقد وافتكم عنيتره فى الحرب

(قال الراوى) فلما سمعوا بنو حمير كلام عنيترة أوسعوا فى الفلاة وطلبوا لأنفسهم النجاة وخافوا أن يموتوا موت الفجاة هذا وسيوف قضاعة تعمل فى ظهورهم أو فى عمل واشتد بهم الخوف والوجل وضاق فى أعينهم السهل والجبل وقد طار منهم العقل والمقلة لو لما أسرت عنيترة الزرقاء انهزموا أصحابها غرباً وشرقاً فأمرت عنيترة بتقديم الاسارى بين يديها وأن يعرضوهم عليها ففعلوا ذلك الشأن وإذا هم ألف وخمسمائة فارس والباقى انهزموا فى البرارى والقيعان وما بقى حولهم لا صغير ولا كبير ولا حاجب ولا وزير وانهزم كل من

كان فى الحلة فانها نهبتها ولم يتركوا شيئا من حواشيها وبعد ذلك رجعوا وعادوا طالبين بلاد شريف وهم بذلك الجيش المنيف وبنو قضاعة سائرة وبين أيديهم أسرى بنى حمير فى غاية الخوف وعنيترة وخالها عمرو وأمها القناصة فى أوائل الخيل وقد نالهم من فرحهم بانتهم غاية النيل وهى سائرة فى أوائلهم فرحانة بما بان منها من الفراسة والقوة والبراعة وهى أمام القوم وقد صارت لا تخشى من أحد لا عتبا ولا لوم ولما رأت نفسها فى تلك الحالات أشارت تنشد وتقول

رجعنا إلى حفظ السلامة والنصر ... ومعنا من الاموال ماسد للفقر
لما التقينا مع بنى حمير رأوا ... رماحنا فى النحر منهم وفى الظهر
أسرت أنا الزرقاء فى حومة الوغا ... وعدت بها فى ذلة الاسر والقهر
وانا لقوم لنا الفخر كله ... وقد مزحنا حوله العز بالنصر
أبى عمرو المعروف فى حومة الوغى ... له الغاية القصوى فى البر والبحر
وأمى هى الهيفيا وقومى قضاعة ... ونحن أصول للفخار مدا الدهر
لنا السعد والاقبال والمجد والثنا ... وبالجود والاسعاد تضعف لدى عمرى

(قال الراوى) فلما فرغت عنيترة من شعرها وسمعت الزرقاء نظمها ونثرها وفهمت ماذكرت من أمرها ونظرت بنى عمها نظرة الحنق وتمنت أنها لم تخلق وبكت وتحسرت ودموعها على خدودها جرت وقالت واأسفاه يابنى عمى كيف أسرتنى هذه العاهرة الذميمة والوغدة اللئيمة نسل اللخنا وفضلة أولاد الزنا ثم انشدت تقول

اتأسرنى القوم اللئام تعديا ... واسمى سرى فى الناس شرقا ومغربا
حميت بلاد العرب فى صولة اللقا ... وخافت ملوك الأرض منى مهربا
وقاتلت جيش الفرس حتى لقيتهم ... وشقيت نفسى من عداى تعجبا

(قال الراوى) ثم أن الزرقاء لما أنشدت هذه الابيات كانت بالقرب من عنيترة وهى بحالة الذل والارغام فلما سمعت عنيترة نظمها ونثرها قالت لها ويلك ياعاهرة النساء وأخس من قسى ومن تمنى يامل وعسى تكلمى على قدرك وليس شبرك كفترك واعيدى كلامك على نفسك واعرفى قدر من هى قدامك فقد اسرتك طفلة صغيرة السن من بنات فرسان العرب ولكن هى سيدة بنى قضاعه فى الحسب وأبوها أذل سادات العرب والفرس والديلم وفتك فى كل فارس وبطل ونكس راية وعلم وجرى له مع القوم حديث يعلم وسعده قد كتب فى اللوح والقلم وهذا هو عمرو ذو الكلب المحتشم (قال الروى) فلما سمعت الزرقاء كلام عنيترة ندمت على مقالها غاية الندم لما علمت انهم بنت هذا الاسد الضيغم ثم أنهم ساروا إلى بلاد شريف مدة المنى عشر يوما ومعهم من الأموال ماسد مفضاه وملا المسبوى وساروا

حتى وصلوا إلى ديارهم ونزلوا فيها وقر قرارهم وراح كل واحد إلى بيته وآنست المنازل بالمنازل والأوطان بالقاطن وقد راحوا واستراحوا عند ذلك أمرت عنيترة أن يضربوا الزرقاء أربع سكك من حديد ويعذبوها العذاب الشديد حتى يسمع صياحها كل قريب وبعيد وجعلت تطلب منها الفداء والأموال والنوق والجمال والزرقاء تقول لعنيترة أيتها السيدة الكريمة مهما طلبتي أحضره فين يديك ولا أبخل به عليك وأرسلي أحداً من عبدك إلى بني عمي يأتوك بالفداء والمال والنوق والجمال (قال الراوي) فهذا ما كان منهم وأما ما كان من المنهزمين لما رجعوا عنهم بنو قضاعة عادوا طالبين أوطانهم فرأوا الغربان تنوح في أبياتهم والوحوش تزق في ربوعهم وقد شبعوا من لحوم ساداتهم والديار قفرى خراب ومأوى البوم والغراب ولا فيها سارحة ولا رايح وقد صارت منازلهم فضايح قال الراوي ولما رأى الرجال إلى ذلك الحال قال بعضهم لبعض يا بني عمي البكاء من شأن النساء وأصوابه أنكم ترسلون إلى سبيع والحارث وتعلموه بأسر عمته الزرقاء ولبوة اللقا فهو يأخذ لكم بالثأر ويكشف عنكم العار (قال الراوي) فعند ذلك استصوبوا هذا الرأي والمقال وأنفذوا إليه بعض الرجال يعلموه هذا الأخبار وما جرى على عمته الزرقاء من الأسر والاضرار وخراب الديار (قال الراوي) فلما سمع بذلك ذو الخمار وأعلموه بأسر عمته الزرقاء وبموت ابنها أسد الفلا وما جرى لهم من الحرب والقتال من فرسان بني قضاعة وما أنزلوه بساحتهم من الأمور المرتاعة إلا أنه لما سمع ذلك الكلام شاط واهتاج قلبه هم وفاض ثم أنه قال الرجل الذي أتاه ويلك ومن هو الذي أسر عمتي من ملوك العرب وما تجرأ عليها من ذوي الرتب فقال له الرجل والله ما أمرها أحد من ذوي الرتب ولا من الملوك وما أسوها إلا عنيترة بنت عمرو ذو الكلب القضاعية التي أقرلها بالفروسية كل من في البرية وهي التي قد مضت بعمتك ومن معها إلى بلاد شريف وبين يديها عسكر منيف وقد سمعنا بأنها تركتها بين أربع سكك من حديد ووضعتها في العذاب الشديد (قال الراوي) فلما سمع ذو الخمار ذلك الكلام أصبح الضياء في عينه ظلام وصاح في العرب بالحمام مصيبة ما أعظمها ومن بلية ما أيشمها ولكن وحق ذمة العرب وشهر رجب لا نزلن ببني قضاعة العطب وآخذ بثأر عمي وعمتي وعشيرته ثم أنه نادى فيمن معها من بني حمير وقال لهم خذوا أهبتكم للسفر فوحق الواحد الأحد الفرض الصمد الدائم إلى الأبد لا خليت من بني قضاعة من أحد (قال الراوي) فلما سمع بنو حمير مقاله فأجابوه إلى سؤاله وأخذوا أهبتهم الرحيل من غير بطء ولا تطويل وسار معه كل فارس نبيل (قال الراوي) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من بني عبس وما جرى من الأهوال عليهم فانهم لما اجتمعوا في مكة واجتمعوا بالبيت الحرام وقد آمنوا على أنفسهم من غدرات الليالي والأيام وكان كما ذكرنا أن زهير بن قيس في جملتهم وهو الحاكم

عليه والمشار إليه لديهم وأن زهيرا كان اجتمع فى بعض الأيام هو وبنو عبس الكرام عند البيت الحرام وقد افتكروا ما قد جرى على أهلهم وعليهم من تلك المصائب والآلام ووافقهم الندم على ما حكمت به عليهم الليالى والأيام فقال لهم زهير يا بنى عمى اسمعوا منى ما أقول لكم من خطاب وهو يكون غاية الصواب وهو إننا كنا جمرة العرب من بعدمنها ومن اقترب وحكمنا نافذ على من ضرب البيد وتدا ومدطيب وقد جار علينا الزمان ورمانا بالذل والخذلان والعيشة بعد الأحباب غاية المصاب ولا بقى لنا عيش بطيب بعد فراق الأهل والحبيب فموتوا كرام ولا تعيشو لئام (قال الراوى) ثم قال والرأى عندى أن نعود بنا إلى لقاء الفرسان والعربان ولكن بعدما نشاور السيد عبد المطلب وعلمه بذلك السبب ثم أنهم قاموا من وقتهم وساعتهم وصاروا إلى السيد عبد المطلب وأعلموه بذلك السبب ثم أنهم انتظروا جوابه فقال لهم السيد عبد المطلب معاذالله أن ألقى العتنة بين قبائل العرب وافنى منهم الفارس والراجل لاسيما وقد آن أوان ظهور سيدا الانام مصباح الظلام ورسول الله العلام سيد ولد عدنان الذى ينطق بفضله الغزال ويرمى الاصنام والاوثان ويبين الحلام من الحرام يا من خالق الانام قال الراوى ولما سمع زهير بن قيس وبنو عبس هذا الكلام وما أبداه من النظام زادت بهم الآلام وحلت بهم الاوهام فقال لهم زهير يا بنى عمى أهل الميث أولى بالبكاء وما بقى أحد يقدر على أخذ ثارنا إلا نحن بأيدينا لعل نبلغ من أعدانا المنا فقالوا له بنو عبس صدقت أيها الأمير فى هذا الرأى والتدبير افعل ما بدالك فما فينا أحد يخالف مقالك ثم أن زهير لما سمع من بنى عبس ذلك الكلام جمعهم وخرجوا من مكة والبيت الحرام وساروا لكى يأخذوا ثارهم ويكشفوا عنهم عارهم فلم يزالوا سائرين فى ذلك البر والسيسب حتى بعدوا من مكة مسيرة أربعة أيام وهم يلطمون تلك البرارى والآكام ولما كان فى اليوم الخامس وهم فى ذلك البر والسيسب وإذا قد التقت بهم أربع قبائل من قبائل العرب ملما رأوا بنى عبس صاحوا على لسان واحد يا للعرب هؤلاء بنو عبس الاوغاد أسقوهم كاس العطب وما كان يحميهم إلا عنتر بن شداد (قال الراوى) وكانت هذه الاربع قبائل من بنى عبيان وبنى مدحج وبنى سنبس وبنى غيلان فلما وقعت العين على العين حان الحين وزعق عليهم عراب البين وتراموا باليدين وقال الخصم للخصم إلى اين وكالتهم مفرسان كيلا وأى كيل وحل ببنى عبس البلاء والويل وتكردست عليهم الخيل وصبر كل فارس وقيل وكثر عليهم العدد وأتتهم العرب من كل قفر وسبسب واحاطت بهم جميع العربان وأتوهم من كل مكان وما بقى لهم أخ ولا صديق ولا صاحب ولا رفيق ومزقوهم أشد تمزق واجتمعت عليهم سائر العرب من بعد منه ومن اقترب ووقعت الكسرة على بنى عبس وراخ أكثرهم تحت السيف وما نجا منهم إلا من أوسع فى البر هرب ووقع فيهم القنا وحاف عليهم الزمان حيفا وأرى حيف وهيج زهير بن قيس على وجهه فى

نفر قليل من أصحابه وكانوا ثمانية عشر فارس والباقى راحوا دوارس وانقطع منهم الاثر حتى ما بنى لهم ذكر يذكر لأنهم انقسموا على ثلاثة أقسام البعض قتل والبعض هرب والبعض أسر ولما انقطع حس بنى عبس واندثر وتسامعت قبائل العرب بما حل بهم من الخسارة تجمعوا وجاؤا إلى بنى فزارة وقال هؤلاء بنى عمهم ولحمهم ودمهم فراحوا إليهم وعاونوا عليهم وبذلوا السيف فيهم وقاتلت ببو فزاره نهارها وأحت نفسها وديارها مدة أيام قلائل وبعد ذلك تكاثرت عليهم العربان وأحرقتهم بنارها وأهلكت كبارها وصغارها وقد فتكوا فيهم بالحسام البتار ونفذت فيهم أحكام الملك الجبار فلما رأى من بقى منهم ما حل بهم من البلاء والاضرار أخذوا فى وسع القفار وولوا الأدبار وركنوا إلى الهرب والفرار وما نجا منهم إلا القليل والباقى بين قتيل وجديل (قال الراوى) وكان عتيبه بن حصن بن حذيفة مع من نجا من الوقعة إلا أنه كثير البكاء والعويل وقد سار واطا ابين أرض العراق وتلك النواحى والآفاق وهم هاربون على تلك الحالة إلى أن وصلوا إلى الحيره فتقدم زهير ورجاله الذين قد سلموا إلى مجلس الملك الأسود لانه كان سبق عتيبة بن حصن فاجتمعوا مع بعضهم وسلموا عليه وقد أرخوا العمائم فى الرقاب وبكوا بذلة وعويل وحكوا له ما جرى عليهم من العبر بعد حاميتهم عنتر فقال لهم الملك الاسود الله حكم على بنى عبس بتشتيت الشمل وفراق الوطن والاهل بعد ذلك الباع الطويل وهذا حكم من لبس له شبه ولا مثيل وفى الحال دعا زهير بن قيس وخلع عليه وأمره مكان أبيه وصاروا عند الملك الأسود فى أعز مكان وكلما ركب يركبون لركوبته وهم إلى جانبه وصاروا عنده أعز من أهله وأقاربه ولم يزالوا كذلك على هذا الحال فبلغهم أنه بعث سيدنا محمد ﷺ وصار له من العمر أربعين عاما وأنه نزل عليه الوحى والقرآن وظهرت معجزاته والبيان وبلغ خبره إلى الملك الأسود وأيده دعا الناس إلى طاعه رب الارض والسماء وبان له كثير من الآيات والمعجزات فلما سمع قيس بن زهير هذه الاخبار أقبل على بنى عمه ومن معه من بنى عبس الاخبار وقال لهم يا بنى عمى إنى اشتهيت أن أزور هذا النبى العربى لانى كنت أسمع أخباره من أبى بأن هذا النبى يكشف الضر عن العرب ويدعوهم إلى توحيد رازق الوحش والطير ويعرفهم الحلال من الحرام والنور من الظلام وأنا قد رأيت من الرأى أن نمضى إليه ونسلم على يديه ونشاهد أنواره ونتملى بجماله وأكون من جملة أصحابه وأدخل فى هذا الدين القويم والصراط المستقيم (قال الراوى) فلما سمع أصحابه ومن معه كلامه ومقاله أجابوه إلى سؤاله وقال له نعم ما رأيت أيها الامير من هذا الرأى والتدبير وقال له افعل ما بدا لك فانا تابعون فعالك فعند ذلك قام زهير من عندهم ومضى إلى الملك الأسود واعلمه بانه يريد المسير إلى النبى محمد ويبصر إن كانت العرب أطاعته أو قامت على مخالفته فلما سمع الملك الأسود من زهير ذلك المقال قال له افعل

ما بدا لك من الحال فلعلك تأتينا بعلم يقين وتكشف لنا عن هذه البراهين (قال الراوى) فعند ذلك ودعه زهير وخرج طالبا المسير بمن معه من بنى لاعمام وهم بنو عبس الكرام ولما عزموا على المسير وشدة التشمير عرضوا على عتيبة السفر فيمن معه من بنى عمه الابطال فقال عتيبة امضوا اقدامى وأنا أحقكم فى بنى أعمامى (قال الراوى) وكان عتيبة بن حصن قد قال لزهير ذلك المقال لانه جاف إن رافقه فى الطريق أن يلتقى بهم أحد فيعرفهم و بعدهم التوفيق أو يلقى أحداً من العرب وسكان البر السبسب فيسقيهم كؤوس العطب ولا يدع منهم رأساً ولا ذنب (قال الراوى) فعند ذلك سار زهير فيمن معه من بنى عبس وساروا عند مطلع الشمس ومازالوا سائرين ليلا ونهارا بلا هدو ولا قرار وهم طالبون النبى المختار الى أن وصلوا إلى مكة وتلك الديار والبيت الحرام قاصدين زيارة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام لاجل أنهم يسلموا عليه ويسلمون على يديه قال الراوى وكان من جملة من تبقى من بنى عبس أربعة عشر نفسا من غير إطالة سوى زهير وقضاعة وهم الاكرم بن رماح وسمرة بن وشاح وعياض بن ناشب وناهض بن ناهب وقراوش بن عناشم ورحمة الجواد بن قراة والعيشوب بن ماجة وفرقد ابن حنالة وسعد بن حبالة وحبيب بن جبير وفضالة وزهير أولاد قيس لاغير وكان الوزير عمرو بن نفيلة العدوى رضى الله عنه قد سمع النبى ﷺ وأنه ظهرت آياته و براهينه فترك زيد ابنه مكانه ومضى إلى حضرة النبى ﷺ وأسلم على يديه وبعد مدة من الزمان ومثل هؤلاء الاقوام إلى مكة وتلك الأوطان وهم بنو عبس عدنان وزهير أمامهم فاقبلوا على رسول الله ﷺ ووصلوا إليه واستأذنوا فى الدخول عليه ثم يقدم زهير وحياه وسلم عليه فرح بهم النبى ﷺ وتبسم فى وجوههم وحياهم وهو أكرم من يلقى الصيفان عند ملتقاهم وقال لهم يافتيان بنى عبس وحماة بنى عدنان ويافرسان الزمان فيماذا أتيتم ولاى سبب قدمتم فقال له زهير بن قيس أتيناك يارسول الله لنسلم على يديك فانا زهير بن قيس ابن زهير فابى وجدى كان معدن الجود والخير وهذا أخى وهو لاء بنى عمى قال الراوى فعند ذلك عرض النبى ﷺ الاسلام عليهم فكان أول من بادر إلى ذلك زهير بن قيس وأخوه فضالة وأفروا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وتبادرت بعده بنو عمه وأسلموا عن بكرة ابيهم ودخل الإسلام فيهم قال ففرح النبى ﷺ وأكرم زهيراً وبنى عبس غاية الاكرام وأكل هو واياهم الطعام وقال النبى ﷺ إذا آتاكم كريم قوم فاكرموه ثم أن زهيرا جعل يحدث النبى ﷺ بحديث بنى عنس جميعهم وما جرى عليهم من القتال والشتات وكيف تفرقوا فى شتى الجهات ثم حدثه أيضا بحديث عنتر بن شداد وما كان من فعاله الشداد وما كان يفعل بالعرب الجاهلية من النوى والعناد وكيف كان يشتتهم فى كل شعب وواد فقال ﷺ لو ادركت عنتر بن شداد لسددت به قطرا من أقطار البلاد

ثم أنه قال لمن كان حوله من أصحابه حدثوا أولادكم بحديث عنتر البطل المغوار فهو يشجعهم على لقاء الكفار ويترك لهم قلبا أصلب من الحجر على لقاء الفجار فلقد كان لبنى عبس عبد نجيب * روى هذا الحديث ان عن الحزة عن الزبير بن العوام عن عمر ابن الخطاب عن الإلام على كل الرجال ونقلهما حازم المكى عن الأصمعى عن البخارى بالاسانيد الصحيحة فعند ذلك أقبل زهير على النبى ﷺ وقال رسول الله أعقد لى عقد الإمارة على قومى فقال له يازهير ما تنعقد الرايه إلا على أربعين رجلا فى الإسلام فقال يارسول الله كنا فى عالم عظيم وكان لنا فى الفروسية خطب جسيم فأتتنا سيوف العرب وفرقتنا فى كل قفر وسبسب ولم يبق منا إلا ما ترى (قال الراوى) فبينما زهير بين يدى النبى ﷺ وهو يحدثه وإذا قد أقبل عتيبة بن حصن فيمن معه من بنى فزارة فلما وردوا على النبى ﷺ وسمع أن زهير وبنى عبس أسلموا عند ذلك بادر هو ومن معه إلى الإسلام ورغبوا فى دين الملك العلام فقال زهير يارسول الله هؤلاء بنو عمى ولحمى ودمى فاعقد لى عليهم عقدة الإمارة فقال النبى ﷺ الآن صحت لك الامرة يازهير وأمرك يؤول إن ساء الله إلى كل خير ثم أن النبى ﷺ عقد له الإمارة على بنى عبس وبنى فزارة وأعطاه راية سوداء مكتوبا عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وتجددت الإمارة فى بنى عبس بعدما كانوا عليه من الشر والضير وصار عتيبه بن حصن ومن معه من تحت راية زهير بن قيس وصفت قلوبهم لبعضهم البعض وبطل من بينهم الإرام والنقض وكذلك وقع للأوس والخزرج وانبسطوا وصاروا لبعضهم أحبة مع ما كان بينهم من العداوة والنكبه وقد أنزل الله تعالى فى حق زهير بن قيس وعتيبة بن حصن وهذه الأقوام هذه الآيه قرآنا عظيما وهو قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وصحت الامرة لزهير بن قيس وكان الدين قد تأمر عليهم من بنى عبس وبنى فزارة أربعين رجلا وأيضا عقد الاماره لعتبة بن حصن على بنى فزارة من تحت زهير ابن قيس وأقبل عليهم النبى ﷺ وقال لهم اضربوا لكم الخيام والعتاب وقال لهم تعلموا القرآن والأدب والسكون واضربوا لكم الأطناب والبيوت فقالوا له اعلم يارسول الله إن العرب شىء كثير ونحن قوم يسير ووراءنا أولادنا ونساؤنا وباقى حلفائنا ونريد أن نسير ونأتى بالأولاد والحريم ونجعل مقامنا عند زمزم والحطيم ونقرأ بين يديك القرآن العظيم ونقاتل بين يديك من يخالفك من العربان ومن يعصى أمرك كائنا من كان ولهم كسرى أنو شروان وقيصر ملك عباد الصلبان فقال لهم النبى ﷺ افعلوا ما بدا لكم لا اعتراض عليكم فى إصلاح شانكم سيروا بارك الله فيكم وبالخير والانعام يجازيكم (قال الراوى) ففرحوا بدعاء النبى ﷺ وقبلوا يديه المباركة ودعوه وسار واطلبين الحيرة

حتى يأخذوا الحريم والأولاد ويعودوا بهم إلى مكة المشرفة ويأمنوا من كيد الأعداء والمبغضين والأضداد والحساد بجوار النبي ﷺ زين العباد وساروا يقطعون البرارى والقفار مدة إحدى وأربعين يوم إلى أن وصلوا إلى الحيرة وتلك الديار وعتيبة يقول لزهير دعنا نقصد الملك الأسود ونعلمه لما جرى لنا وندعه أن ينفذ معنا من يغفر لنا في الطريق وينقذنا من كل شدة وضيق إلى أن نوصل إلى ديارنا وأطلالنا قال فلما سمع زهير هذا المقال قال هذا شيء ما أفعله ولا أنا محتاج إليه لأن دعاء رسول الله ﷺ خير لنا من كل أحد من أبيض وأسود وعنايته تمنع عنا من يطلبنا (قال الراوي) وما زالوا على تلك الوتيرة إلى أن وصلوا إلى الحيرة فرأوها منقلبة والخيل منهلبة والأعلام مائلة والدنيا مرتبكة فقالوا ما هذا الخبر وما هذه الحالات؟ أخبروهم أن الملك الأسود قدمات وشرب شراب الأموات وهذا الذي أعيا الملوك والسادات والأكابر والقادات فدخلوا إلى وسط الإيوان فرأوا قد تولى الملك المنذر بن الملك النعمان على مملكة العربان وهو جالس على تخت المملكة وحوله رباب الدولة والأجناد والغلمان والناس يقبلون الأرض بين يديه وبين عمه يعزوه وبالملك يهنوه وهو لا يبدي حركة (قال الراوي) وكان هذا الولد من اخت قيس بن زهير وكان اسمه المنذر لأن اباه النعمان لما قاله كسرى أنوشروان وصلب اصحابه على قل الإيوان وذلك بعد ما أرماه إلى الفيل المجنون وطالبه بالمظالم والغيون وكان من أمره ما كان وقد سبق ذلك الكلام بأيام وكان هذا الولد طفلا صغيرا وهو مع أمه فلما تزوج بها الملك الأسود بعد أخيه النعمان أقامت معه مدة من الزمان ثم قتلها وعجل من الدنيا بتحلها فأخذه عمه الملك الأسود ورباه ولم يترك أحدا سواه يربيه ولم يدع غيره يحكم فيه لأنه على كل حال ابن أخيه وما زال على ذلك الحال وقدت عليه الأيام والليالي حتى كبر وترعرع ومشى فعله الخط والبيان وتفرس مع الفرسان وسار يطاعنهم في حومة الميدان حتى أدالا الأفرار وفران وقهر الفرسان وهو عند عمه الملك الأسود في ذلك الزمان حتى وراء التراب وكان له يوم عظيم الشان ما جرى مثله في سائر الاعراب وعمل المنذر لعمه العزاء سبعة أيام فلما كان اليوم الثامن سار في خواص قومه إلى المدائن يجدد مملكته عند الملك كسرى أنوشروان وكان قد ضحبه فرسان كثيرة من أصحابه وجندة لأنهم كانوا يحبونه لكون أن اسمه المذر كان على اسم جده ولما أراد المسير اجتمع إليه الملك زهير بن قيس فيمن معه من الفرسان وعتيبة في بني فزارة العربان فاستقبلهم أحسن استقبال وأطلعهم على ما فعله من الحال وأخذ زهير بجانبه اليمين وعتيبة بجانبه الشمال لعلمه أن زهير سيد بني عبس وأيضا ابن خاله فلأجل ذلك قربه إليه وأطلعه على حاله وأمرهم بالمسير معه إلى المدائن وما زالوا سائرين الليل والنهار يقطعون السهول والأوعار إلى المدائن ودخلوا على الملك الإيوان واستأذنوا في الدخول على الملك كسرى

أنوشروان فلما أذن لهم دخلوا عليه وأومأوا بالسلام عليه وقبلوا الأرض بين يديه فأذن لهم أن يكون مكان أبيه ملك العربان ففرح الملك المنذر بما ناله فعند ذلك أمر الملك كسرى بالخلع السنية أن تخلع عليه وأن تقاد الجنائب بين يديه فعند ذلك دقت البشائر وفرحت بذلك الأصاغر والأكابر لأنهم يحبون المنذر لأجل أبيه النعمان وما سلف إليهم من قديم الزمان من الجميل والإحسان هذا والملك المنذر قد فرح فرحا عظيما بتلك الخلع والأنعام وأقام عند كسرى فى المدائن سبعة أيام فى إنعام وإكرام زائدين ولما كان فى اليوم الثامن أخذ الإذن من الملك كسرى فى المسير فأذن له ولمن معه فى السفر وخلع عليه وعلى زهير وعلى عتيبة وعلى أرباب دولته وقد فرحت العرب بولايته لأنهم كانوا يحبون الملك النعمان وذريته ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى الحيرة فخرج إليهم كل من فى المدينة وقد أظهروا الفرح والزينة وقد فرحت لهم تلك البلد وفرح بولاية المنذر كل أحد ودخلوا إلى بيوتهم بوم عظيم ما رأوا مثله فى سائر الأقاليم وجلس المنذر بن النعمان وقد صار ملكا على سائر العربان فلما بلغ ذلك إلى جميع عرب البر والقفار بولاية المنذر بن النعمان وأنه قد صار ملكا على سائر العربان أتت إليه من كل قفر وسبسب ومعهم الهدايا والأموال والخيل والجمال وصاروا يدخلون عليه ويقدمون ما معهم من الأموال إليه وكان كلما دخل أمير أو ملك من ملوك العرب ومعه أنصاره ينظرون إلى زهير وعتيبة قاعدين عن يمينه ويساره فتهابهم ملوك العرب ولم يبق لهم يد تمتد إليهم بذلك السبب ولما أعطت جميع الملوك الخدمة للملك المنذر بن النعمان ونظروا كيف خدمته الليالى والأيام وكيف نظروا بنى عبس عنده فى النعمة المخولة وكيف زهير وعتيبة فى أعلا المنزلة فلما بلغ ذلك إلى جميع العرب ممن طلعت عليه الشمس ما بقى أحد منهم يمد يده إلى بنى عبس لأن الدولة صارت لهم وهم وراء الملك المنذر وانكفت عنهم أيدى العرب من بعد منها ومن اقترب هذا وزهير وعتيبة وحصن عند المنذر فى أعز مرتبة وأعلا منزلة وما تقضى حوائج الناس إلى على أيديهم ودام وا على ذلك الحال أياما وليالى إلى أن كان فى بعض الأيام إذ قد وصل إليهم أخبار مستكثرة بأن قد انتهى فى بنى قضاعة فارس يقال له عنيترة وهو من أقارب عمرو ذو الكلب وأنه قد هان كل صعب ولم يوجد مثله فى الشرق ولا فى الغرب فقال زهير هذا والله عمرو ذو الكلب كان مصاحبا لعنتر بن شداد وهو وأخيه ولعل أن يكون من محبته فيه قد رزق ولدا ذكرا فسماه بهذا الإسم محبة فى عنتر وبعد ذلك فلا بد لنا أن نقتفى آثاره ونزوره فى دياره ونكشف عن هذا الخبر (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من حديث ذو الخمار فإنه لما سمع أسر الزرقاء عمته وأتته العبيد بالخبر نادى فى بنى عمه وعشيرته أن يسيروا معه إلى نصرته حتى يخلص

إلى عمته فامنهم إلا من أجاب وليبى وفى ساعة الحال ركبوا الخيل العوال واعتقلوا بالرماح الطوال وتقلدوا بالسيوف الصقال وساروا طالبين بنى قضاعة بقوة واستطاعة وذو الخمار أمام القوم حتى لا يدع عليه عتبا ولا لوم وهو ينشد ويقول

أتراع مخيل بالاجل الدقاق ... وضرب الروس بالبيض الرقاق
وصوت طنين أطراف العتاق ... وحسن المرهفات بالانتشاق
الذلى وأحـــلى من حبيب ... وإبريق وكاسات دهاق
ظننتنى يازنيمة أن تعيشى ... تعادى للسباع هناك باق
أسمى ذو الخمار وحد سيفى ... إذا جردته بلغ التراقى
ولى ذكر سرى فى الأرض جمعا ... وإنى فارس الخيل العتاق
وسرت إلى الشام وأرض مصر ... وكل العرب والسبع الطباق
ولى فى الحرب وقعات عظام ... وضرب فى الاعادى والرقاق
وبارزت الفوارس من معد ... وقحطان وأعراب الرفاق
وما الايام إلا مزعجات ... وماذا الدهر إلا ذو محاق
ويهدم غالبا ويحط حيطا جيدا ... وتغلب أسدها عند التلاق

(قال الراوى) ولما فرغ ذو الخمار من شعره طربت بنو عمه من تسمه وعرفت أنه ما بعد عنتر فارس غيره بذكرهم أنهم ساروا الليلا ونهارا يقطعون الفيافى والقفار إلى أن وصلوا إلى بلاد شريف وتلك الديار ولما أشرفوا عليها ووصلوا إليها نظر ذو الخمار إلى تلك الأرض والبلاد وقال رحمك الله يا عنتر يا ابن شداد فوالله كانت مهنا منزلته لما دخل على هذه الأرض بسبب ابن خاثر وصار له ما لكار جائر وكنت أنا والله عنه عاجز لقد كان والله فارس الفرسان وفريد الوقت والزمان وقاهر الفرسان فى ذلك الزمان فوا حسرتاه على قبر حواه وبعد ذلك ما صفا لى الزمان ولا صرت له من الاخوان ولا لبيعته ولا صاحبته إلا أخذته منى نوائب الزمان ثم أن ذو الخمار قد خنقته العبرة فبكى بوجد وحرقة ولما هدأ روعه وسكن هلوعه قال لا شك أن الحبل الاعلى رمانى فى يد هذه مثل نوبة غمرة بنت فائز تكون هذه ثانى مرة أكون أنا على كل حال عاجز لان قلبى من هذه الشيطانة نافر وخائف أن أكون بعد الربح خاسر قال ولما وصل بنو حمير وذو الخمار إلى تلك الارض والديار وطلعت غبرتهم ونظرتهم الرعيار وحققوهم بالعيان فعند ذلك تحاورت العبيد طالبين الحيام ليعرفوا عنيترة بتلك الغبرة التى كأنها الغمام وما زالوا سائرين وهم متفكرون فى تلك الغبرة حتى وصلوا إلى مضرب عنيترة فوجدوها جالسة وهى على ذلك اللون والصفة والعبيد من حولها مصطفة وهم واقفون فى خدمتها وخائفون من هيبتها وقد سكنت فى قلوبهم سطوتها وأكابر بنى قضاعة بين يديها وقالوا لها يا ملكة يا حامية ارض قضاعة

ياصاحبة القوة والبراعة قد أتت إلينا خيل غائرة غير زائرة وهم يريدون الغارة علينا ويوصلون الأذية لنا (قال الراوى) ولما سمعت عنيترة من العبيد كلامهم وما أبدوه من نظامهم وخطابهم وثبت كأنها الأسد الدرغام على العبيد بالكلام وقالت لهم وبلكم أما سمعتم كلامهم وفهمتم مقالهم فقالوا سمعنا مقالهم ومرادهم ورأينا فى أولهم فارس فى الحديد غاطس كأنه قلة من الفلل أو قطعة فصلت من جبل وهو للطعن احتفل وينادى إلى أصحابه الغارة الغارة أكشفوا عنكم العار وأزيلوا عنكم الشنار يا بنى حمير أنا سبيع بن الحارث الأسر الهدار الملقب بذو الخمار (قال الراوى) فلما سمعت عنيترة ذلك المقال قالت إن صدقنى حذرى فهذا ذو الخمار مبيد القناعس الذى بعد فى الحرب بسبعة آلاف فارس ثم أنها فى ساعة الحال صاحت على فرسانها والرجال الذين ما منهم إلا كل شجاع ريبال وقالت لهم دونكم وعدوكم ومن أتى يسبى حريمكم وينهب أموالكم ثم صاحت على العبيد أن يقدموا لها جواد من الخيل الجياد وأفرغت عليها صدرية زرد مضاعفة العدد كأنها عين الجرد وتقلدت بحسام مهند وركبت على ظهر جوادها وأخذت رمحها بيدها وركبت الفرسان لركوبها ثم أنها سارت تطلب الطعان وقد تتابعت خلفها الفرسان ودارت بها بنو قضاعة يمينا وشمال وقد علمت أنها بهيبتها تبلغ الآمال إلا أنهم ما خرجوا من الخيام حتى ساق ذو الخمار النوق والجمال والأنعام والأغنام وما كانت خرجت عنيترة من الحلة حتى وكانت بها مائة فارس من الأبطال الشجعان الثقال عشرين من العبيد كأنهم الجمال (قال الراوى) ولما ساق ذو الخمار أموال بنى قضاعة فى تلك الساعة أوقف لها مائتى فارس تحفظها من كل ليث غضنفر ووقف ذو الخمار فى عشرة آلاف فارس من بنى حمير إلا أن عنيترة لما نظرت إلى ذلك الحال ما أهالتها كثرة الرجال بل أكبته وأسهاف قربوص سرجها وحملت بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر إذا خر وزعقت عند حملتها يا ماخوذين بامذلولين من أنتم من الفوارس والرجال القناعس حتى تغيروا على أموال بنى قضاعة أهل الفروسية والشجاعة وفيهق عنيترة بنت عمرو ذو الكلب الفارس الندب أم الزوزع وليث الوقائع مردية الأبطال الشداد ومهلكة الأعداء والحساد فارسة الخيل خليفة الأجواد خائضة الليل قاتلة أسد الفلاه وقد أسرت لزرقاء بين الملا وأفنيت الجبابرة العتاة الذين تازهم لا تطفى وذكرهم لا يخفى خلوا يا ويلكم عن الغنيمة وامشوا فى الطريق المستقيمه وانجوا سالمين ولا رواحكم غانمين ولا حل بكم البلاء وشتت شملكم فى أقطار الفلا ثم أنها حملت وإلى عنان جوادها أرسلت ثم أشارت تنشد وتقول :

سلوا الخيل عنى والحسام المهندى ... ماذا يلاقى القرن فى الحرب من يدى
أنا صورة الموت الذى من تصورت ... له فارق الأوطان والأهل خالدى
إذا الحرب سد الأفق وارتبك العدا ... أدير رحاة الحرب فى كل فدفد

وأسقى الفوارس من يدى كل ساعة ... من الموت كاسا وهو نار توقدى
وأفنى رجال الحرب بالسيف والقنا ... وأتركهم فى الروع طعم الأساود
ترى القرن يوم الروع إن شاف سطوتى ... يعود مروعا فى الفلاة كأجرد
أنا اللبوة الفرسان فى حومه الوغى ... أبى عمرو المعروف فى كل مشهد
خليلى ما الإنسان إلا ابن يومه ... وكم فى الفلا شلو قتيل مهندى

(قال الراوى) فلما فرغت عنيترة من شعرها وسمع ذو الخمار مقالها قال لها تكلمى على قدرك وقيسى فترك بعبرك ثكلتك أمك وعدمك أهلوك يا ابنة الخنا وفضيلة تربية أولاد الزنا نحن سادات بنى حمير وفرسان البدو والحضر ومثلك أنت يا زنيمة من يقدر على أسر الزرقاء ولبوة اللقاء المسماة بالحمقا اللبوة الشمطاء والحية الرقطاء والذئبة المعطاء. (قال الراوى) فلما سمعت عنيترة خطابه وفهمت مقاله وجوابه قالت له ويلك من تكون من الرجال الدون أنت نصاب أو مجنون فقال لها أنا سبيع بن الحارث بن مزيد بن سبيع الفلا بن أسد البيدا من خيار أبناء التبابعة فارس الأقطار ومشبع الأطيار المعروف بين سادات العرب ذو الخمار ثم أركب رأسه فى قربوص سرجه وحمل على عنيترة وأشار اليها وهو يقول صلوا على طه الرسول :

دعى الفخر فالأيام تبنى وتهدم ... وتضحك محزونا وتعطى وتحرم
وترفع من قد عاش فى الذل عمره ... وتنصف من غير اقتصار وتظلم
ومن كان غر بالزمان حلت له ... مشاربه عند الصفا وهو علقم
عدمت عناق الخيل إن لم أخض بها ... بحار المنايا والغبار مخيم
واضرب بالمندى فى حومة الوغا ... وارجع يوم النقع وهو مسلم
وأبذل دون الخير بين مهجتى ... بسمر القنا والمرهفات تلثم
علوت على أبناء جنسى تكرما ... فمن ذا يضاهينى وعنى يقدم

(قال الراوى) فلما فرغ ذو الخمار من شعره همت عنيترة أن تحمل عليه وإذا بفارس من بنى قضاعة قد سبقها وحمل عليه كأنه شاب نار وقال له دونك والطعان فى حومة الميدان من أنت حتى تبرز لك عنيترة يا جبان وهى سيدة الشجعان وهى أم الزعازع ولبوة الوقائع التى ما سمعت المسامع وأنا من بعض بنى عمها وعشيرتها ومن كبراء حلتها قال وكان هذا الفارس القضاعى الذى برز إلى ذو الخمار فارس جبار وبطل مغوار لا يقع إليه فى الحرب غبار وكان تحته يومئذ جواد من أزرق الخيول الجياد وشديد القوى والخيل له غرة كالقنديل وذيل كالمنديل قوى الركب طويل الذنب لا يأخذه تعب ولا نصب والفارس غارق فى لامته متسربل بالحديد والزرد النضيد متقلد بسيف مشطف كأنه الأسد الأغلب بيده رمح أسمر

من عمل سمهر معتدل الكعوب كانه أنبوب وعليه زردية من الزرد كثيرة العدد لا يعمل فيها المهند ثم أنه حمل على ذى الخمار كانه الاسد الهدار أو شعلة نار فتصادما وتلاحما وتصارخا وتهاجما وتقاربا وتباعدا وأخذ فى الشباط والمعاركة والعياط وتضاربا وتحاربا وعظم بينهما القتال وزادت الاهوال وحمى النزال وطلع عليهم الغبار إلى أن غابا عن الابصار وشخصت عليهم النظار فبينما هم على تلك الاخبار إذا بزعقة من تحت الغبار وقائل يقول بالحير الشطار لاشقيت أنا ذو الخمار الاسد الكرار وقد بان من تحت الغبار وهو يقول الفارس القضاعى وهو أسير ذليل حقير ثم سلمه إلى بنى عمه فشدوه كتاف وأوثقوا منه السواعد والاطراف وعاد ذو الخمار إلى الميدان ومحل الضرب والطعان وقال هل من مبارز فبرز إليه عمرو ذو الكلب وأنشد يقول صلوا على طه الرسول:

أنا ابن السيوف وأبطالها ... إذا جالت الخيل أفيالها
الفت لظاها وقد أظهرت ... لهم الحادثات أهوالها
وأسقيتها الماء زائداً ... وزلزلت فى الحرب زلزالها
فدونك والحرت من ضيغم ... إذا نادت الحرب هيا لها
وأسقى رجالا كؤس الفنا ... وتجرى المقاتل أمثالها
كريم النجاة شديد الحسام ... يخوض الحروب وأهوالها
فدونك ليثاً سديد اللقا ... ويقهر فى الحرب أبطالها

(قال الراوى) فلما سمع ذو الخمار كلام عمرو ذو الكلب قال له اسكت يا كلب أكلب وما ذئب أجرب تكلتك أمك وعدمك أهلك وقومك من أنت من الرجال حتى تقول هذا المقال يا ندل يا ابن الاندال فلا بد لى من أسرك وأسر رجالك وأكيلكم فى الحديد وأوثقكم الوثاق الشديد ثم أنه أجابه على عروض شعره يقول:

تهدد بالقتال وبالنزال ... ليوث الحرب يول المجال
سيوف الهند تعرفنى حقيقا ... وأسد الغاب تهرب من قتالى
إذا ما قام سوق الحرب يوما ... بضرب السيف والسمر العوالى
وأنى من أناس فى البرايا ... كرام الضيوف وللنوال
ونضرب بالسيوف إذ التقينا ... ونطعن بالرماح وبالنبال
بنو حمير ترى فى وقت حرب ... تكر على العدا وسط الرجال
وإن كنت تسمى عمرو ذو الكلب ... فإن اسمى سبيع فى الدحال
وأنى ذو الخمار فريد عصرى ... وحيد فى الزمان بلا مثال

(قال الراوى) ولما فرغ من شعره حمل على عمرو ذو الكلب وأخذا فى معاناة الحرب

فتلقاه عمرو بضربات أحر من النار حتى علا عليهما الغبار وأخذا في الهزل والجد والكر والفر حتى جريت الخيل من تحتهما خببا وحالا بعدا وقربا (قال الراوى) لهذه الاخبار واختصرنا فيما جرى في حرب الاثنين في ذلك النهار صاحا صيحتين عظيمتين كانهما أسدين ضاريين وما زالا على هذه الاخبار إلى أن صار آخر النهار فعند ذلك انفصلا على سلامة وما أحد منهم على علم صاحبه بعلامة ونزل الفريقان وأوقدوا النيران وتحارسوا الجمعان وما زالوا على ذلك إلى الصباح فركبت الفرسان وطلبت الحرب والطعان فعند ذلك حملت بنو حمير على بني قضاعة بقلوب غير مرتاعة وحملت الرجال على الرجال والتقت الأبطال وكثر القتال بين الفريقين وعظم النزال ودامت الأهوال واختلطت السمر العوال والتقت الصفوف بالصفوف وتكردست المئات والألوف وشربوا كاسات الحتوف وصار قلب الجبان ملهوف والشجاع يسعى ويطوف وكثر الحنق وزاد القلق وتمنى الجبان أنه لم يخلق وجرت الدم واندلق هذا وعنيترة في حومة الميدان تجول وتصول وتمدد الأقران عرضا وطول وأكثرت الزلزال وساقت قدامها الأبطال وطيرت قحوف الرجال وصارت تضرب في بني حمير ذات اليمين والشمال وهي تنادي أنا أم الزعازع ولبوة الوقائع وهي تزعق في بني قضاعة الأبطال وتحثهم على الحرب والقتال فأحابوها بقلوب غير مرتاعة وحملوا على بني حمير حملة صادقة في تلك الساعة فالله در بني قضاعة بين الرجال فكم أهلكوا من بني حمير أفيال وعملوا فيهم أو في عمل وكم أبادوا من كل بطل وفلقوا الجماجم والقلل ولم تنفع في ذلك اليوم الخيل وقل من بني حمير العمل وحان منهم الأجل وكثر عليهم الوجل وضاق عليهم السهل والجبل ووقفت عنيترة ورجالها وفرسانها قدامهم وقفة الغضب وأشبعتهم طعنا وضرب وتكردست الخيل على الخيل وأنزلوا بركابها الذل والويل وكالوهم أوفى كيلا وأى كيل وصار نهارهم كالليل هذا والقتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وقد عملت عنيترة ورجالها في بني حمير أو في عمل وما زالوا على ذلك الحال إلى أن ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال (قال الراوى) فعند ذلك افترق الطائفتان من القتال ونزلوا في الخيام واستقر بهم المقام فافتقد رجاله ذو الخمار فوجد قد فقد منهم ألف وخمسمائة فارس أسود عوابس فوقع في بني حمير الارتجاف وأيقنوا بالنلاف وعلموا أنه ما بقي لهم أسعاف وأيضا عنيترة وخالها لما نزلوا في الخيام افتقدوا من قتل لهم من الرجال الكرام فوجدوا أنهم قد قتل منهم خمسمائة فارس همام فلما علمت عنيترة بذلك صعب عليها وكبر فيها وقالت لخالها يا أبتاه أنا عداة غد أبرز إلى أعدائنا لأتدال رأيهم كيف يكون القتال وأول من أقاتل ذو الخمار الخائن الغدار فلما سمع عمرو ذو الكلب من عنيترة ذلك قال لها وما ذو الخمار ما هو إلا ذو فرس جبار ما يوجد مثله في سائر الأقطار فقالت له يا أبتاه لا كلام إلا غدا وغدا أريك

ما أفعل به إذا برزت اليه بنفسى وأحامى عن أبناء جنسى فإما أقطع حسه وإما أقطع حسى لأن من قال أنا وقع فى العناء وشرب كاس الفناء ثم أنهم بعد ذلك أكلوا شيئاً من الطعام وقاموا للمنام وباتوا يتحارسون إلى الصباح فعند ذلك سارت الرجال تطلب الحرب والكفاح وركبت خيولها وجردت نصولها واعتقلوا بذبولها وتقدمت خولها وتدانت الخيل من الخيل وحمل كل فارس قبيل وعمل بيدهم السيف الصقيل والسنان الطويل وكان بنو قضاعة لبنى حمير كيلا وأى كيل وأحلوا بهم الذل والويل وتركوا دماؤهم تجرى مثل السيل وأخرجوهم من أرضهم بالحسام وخلصوا منهم أموالهم بالجملة فبينما الناس فى قطع الجماجم وجز المعاصم وإذا بمنادى ينادى من بين الرجال ويلكم كفوا أيديكم عن القتال وإذا بفارس منهم قد خرج وهو ضارب اللثام وعليه هيبة واحتشام وهو ينادى يا بنى قضاعة على مهلكم فأنا أقضى هذه الأشغال عنكم وأول بأعدائكم الذل والخبال والشناعة وأفنيهم فى هذه الساعة وإن كنتم ما تعرفون ولا لكم فى خبرة فأنا صاحبة الهمة والمقدرة أم الزعازع عنيترة ابنة عمرو ذو السكلب فارسة المعامع ثم أنها كشفت لثامها وجردت حسامها ونادت بأعلا صوتها ابن سبيع اليمن ابن الحارث الخائن الناكس فليبرز إلى مقام القتال ومحل الطعان وساحة الميدان حتى تنظرنى وتنظره الفرسان ويبين الشجاع من الجبان ويعلم من هو أقوى منا جنان ثم أنها أشارت إلى بنى حمير وأنشدت تقول صلوا على طه الرسول :

أنا الفتاة ابن الفتى من لم يمـــل ... وإن وقع فى الموت عينيه لم تمل
ويضرب بالهندى فى وسط القلل ... ويفنى الأبطال ما يخشى ملل
إذا الجبان هار من وقع الأسل ... وثاو تقع الحرب نارا تشتعل
أهجم فيها لا أخاف من وحل ... واضرب القرم ولا أخشى زلل
أنى أنا الطاعنة بالسمر الأسل ... وفكاكة الدروع فى يوم الوجل
أنى أنا ذات الوشاح والكلل ... تخاف من الأسد فى يوم الدحل
أنى إذ الموت على القوم نزل ... كنت كضرغام وليث وبطـــل

(قال الراوى) فلما فرغت عنيترة من شعرها طابت البراز وسألت الانجاز ثم أنها العبت على جوادها بآل حربها وجلادها حتى لبست عريكة الجواد وكسرت حدته بالطراد وحالت بين الصفوف وتلك الأبطال الوقوف فبينما هى تصول وتجول وكل واحد تنظره إليها ناظر وإذا قد برز إليها سبيع بن الحارث الباهر المكنى بدو الخار كأنه أسد هوار وهو فوق الجواد مدخر ليوم الطراد معدود للحرب والجلاد وهو للحرب معدل وبالحديد مسربل ومعتقل وفى يده سيف مسلول برمح تام فى الطول وهو ينشد ويقول

قد علمت ذات اليوم الجيـــد ... أنى أنا الطعان لا أحيـــد

وعن براز الحرب لا أعود ... إلا برأس البطل الصنديد
والضرب منى هائل شديد ... تبرى به الهامات والقدود
واضرب الشجاع فى الوريد ... أتركه تبكى عليه الغيد
وطعنتى فى النحر والكبودى ... بها يفك الزرد النضيد

(قال الراوى) فلما سمعت عنيترة شعر ذو الخمار ونظرت إلى قامته بادرت إليه وصدمته وتلقته واحترزت من طعانه ومضاربه وعلمت أنها إن أسرته أفنت عسكره وكسرته فعند ذلك علا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار واختفوا عن أعين النظار وجرى بينهم ضرب عوان فى طابق الجولات وتحيرت منهم الفريقان وتصادما كأنهما مركبان قد التقيا فى بحر ملان وأخذا فى الحرب والطعن والضرب وجرى بينهما كل أمر صعب وعاد القتال عليهم مثل الضباب وعقد على رؤسهم كثبان التراب وكلت منهم المفاصل والأعصاب وتضاربوا بالسيوف واللتوت وقال الخصم لخصمه عند المضايقة من أين تفوت وتلقبا على أظهر السروج وتعلمت الفرسان منها الدخول والخروج وزاد منهم الهياج وعلا عليهم العجاج وضاق بهم الفجاج وازرقت الأحداق والأدواج وهانت عليهم الأرواح وباعوها بيع السماح بعدما كانوا بها شحاح وزاد منها الصراخ وكلت الأيدى وكثر انتفاخ وحمى عليهم الخر وعاد صلاحهم إلى فساد وتضاربوا بالسيف الحداد والرماح المداد وأخذوا فى السكر والفرح حتى حمى عليهم الحر وكلوا عن البراز وطلبوا الانحياز واشتد بينهما الدعاس وضاقت منهم الأنفاس وبرد الحواس ونظر ذو الخمار من عنيترة حربا أعمره ما نظر مثله ولا ذاق شكله فوقع فى الاندهاش ونوى فى نفسه انه ما عاد يذكر حربا مدة ما عاش فعند ذلك آيس من الخلاص لما ذاق حربا تشيب من هوله النواصى ينادى المنادى لذو الخمار بالانتقاص وقل منه القوى والانتشاط وعدم الفرح والانبساط وما بقى له فسحة ولا انبساط فى الأشباع ولا وجد فى السلامة أطماع وكان طول الباع فقصر من القراع وعاقاسى من عنيترة من القتال الشديد والحرب الأكيد وأيقن بالهلاك والتلاف وأراد الهزيمة من بين يديها والانصراف ثم عاد وقوى قلبه وخاف من العار وأن العرب تعايره بالهزيمة والفرار فأخذ معها فى العراق والشباك وقد أيقن عند ذلك بالهلاك (قال الأصمعى) وكانت عنيترة كلما طال عراكها تزيد قوتها ونشاطها وحربها ونزالها وكانت أقوى من ذو الخمار فى حومة المجال كأنها اللبوة التى فقدت الأشبال لأنها ابنة قاهر الرجال لا تكترث الأبطال ولا تضجر من القتال هذا وعنترة قد شيبت من ذو الخمار اللمم وأورثته العدم وصارت تهمهم وتصدمه إذا صدم وهى مثل الأسد الضيغم وكلما هم سبيع أن يلوى رأس جواده وينهزم فتلومه مالا يلوم وما زالت معه على هذا الشأن حتى خذل منهما الزندان وكلت الساعدان فرأى سبيع أنه مع عنيترة فى حال العدم فهجم عليها وقحم

وقام فى ركابه وتمطى فى بداءه وجعل حيله كلة على سرجه فانقطع سير الركاب وعثر به الجواد على وجه الأرض كأنه طرد من الأطراد (قال الراوى) فعند ذلك انقضت عليه عنيترة فوقع فى وسط الميدان وأخذته أسير بعد ان ضربه بالسيف على قرته فأمرت عبيدها بشده كتاف فلما علم الأمير عمرو ذو الكلاب ذلك توجل إليه وعلم أنه ما بقى أحد من العبيد يقدر عليه فوقع فى ساعة الحال عليه وشد يديه مع رجليه شداً صعب بعد ما مزق جلده من الضرب وسلمه إلى جماعة من الفرسان وركب عمرو وجواده وطلب الميدان هذا وقد قويت قلوب بنى قضاعة لما بان لهم من عنيترة من الفروسية والقوة والبراعة وأوهما قد أسرت ذو الخمار وهو فارس الأقطار فعظمت فى أعين الناس وزال عنهم العنا والبأس نال ولما رأت بنو حمير إلى ذو الخمار وقد أسر وهو فى أيديهم ذليل حقير حملوا عن بكرة أبيهم وقد علموا أنه ما بقى لهم من يحميهم فصاحوا وأميراه واسيداه ثم أنهم هجموا على بنى قضاعة بجمعهم وأرادوا خلاصة من يد قناصة فعندما تلقتهم بنو قضاعة وكانت لهم ساعة يالها من ساعة قاتل فيها البطل بما عنده من الفروسة يقاتل الجبان على قدر الاستطاعة هذا وقد التقتهم بنو قضاعة وانزلوا ببنى حمير الذل والشناعة وكشف الموت لهم قناعة ومد اليهم الموت باعه هذا وقد تقدمت من سادات بنى قضاعة فى تلك الساعة ما هو مثل عمر وذو الكلاب الفارس الندب ومثل سعيد بن الديان الفارس الربيال ومثل داود بن سنان ومثل أسد بن ضبيان ومثل ربيعه بن فرقد ومثل ابن حازم ومثل عكاش ومثل الهلب بن مجلد ومثل كرار وكان هؤلاء الفرسان تضرب بهم الأمثال فى ذلك الزمان وقد أمهم أم الزعازع وخائضة الوقائع وهم يقهرون الفرسان ويبددون الأقران فى حومة الميدان ويدحرجون رؤس الأبطال مثل الاكر وعنيترة مثل الأسد وقد ضربوا بفعالها المثل فى السهل والجبل وساقت لهم الموت العجل ولم تزل النار قائمة وعقبان المنايا حائمة إلى أن مالت الشمس إلى الاصفرار وأتى آخر النهار قال عند ذلك ولت بنو حمير الأدبار وركنت إلى الفرار وتفرقت فى الأقطار هذا وبنو قضاعة وراءهم وندا أهلكوا كبارهم وفتيانهم واسقوهم كأس الممات وعجلوا فناهم وما زالوا يأسرون منهم ويقتلون مسيرة أربع فراسخ والضرب فى أقفيتهم راسخ ثم أنهم بعد ذلك رجعوا عنهم لما دخل عليهم الليل وحل ببنى حمير الذل والويل وتركدهم على وجه الأرض طرحى وحازوا غنائمهم وأموالهم وخيولهم وأسلابهم ونوقهم وجمالهم ووضعت الحرب أوزارها وخمدت لهيب نارها وبعد ذلك أمرت عنيترة الناس أن يسرعوا بالنقلة إلى تلك الوديان الفساح ففعلوا ذلك عند الصباح وأوسعوا فى البرارى والفلاح حتى يستريحوا من روائح القتل فلما سمع القوم مقالها استصوبوا رأيها ورحلوا فى ساعة الحال من ذلك المكان إلى مقدار فرسخ بعيد عن حلهم ونزلوا فى مكان

الماء فيه كثير ونصبوا الخيام وركزوا الأعلام وداموا في أكل طعام وشرب مدام وقد صفا لهم الزمان وراقت لهم الليالي والأيام فصارت الناس ما تحالف إلا بحيث عنيترة وافروا لها بالسمع والطاعة هذا وقد أمرت بشد سبيع بن الحارث إلى جانب عمته الزرقاء في بعض المضارب ووضعها الخيام ووكلت لهم عبيد وجوار لخدمتهم وجعلت الأسرى في مضرب واحد بعيد عنهم وأقاموا على ذلك الحال وهم في ذلك الضرر والاذلال (قال الراوي) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من المنهزمين فانهم صاروا ألفا وعاثين فارس قد سل بهم الذل والوساوس وتفكروا بحالهم وما صار لديهم ثم أنهم تشاوروا فيما يفعلون وبمن من الملوك يستغيثون فقال بعضهم لبعض اطلبوا ابنا الملك المنذر بن النعمان وأحكموا له ما سرى وكان وعرفوه فهذا الشأن وكيف أذت عنيترة هؤلاء الفرسان فان كل قبيلة تضام أو يحل بها نوائب الزمان تأتي إليه وتشكوا ما جرى عليها حتى يأخذ لها حقها ويقابلها بما يستحقها قال فلما اتفقوا على هذا الاتفاق ساروا طالبين بلاد العراق وهم يقطعون البراري والآفاق وما زالوا على هذه الوتيرة حتى وصلوا إلى أرض الحيرة ودخلوا على المنذر بن الملك النعمان وعرفوه بما جرى وكان فقال لهم ما الذي دهاكم ومن بشره رماكم فقالوا أيها الملك قد بلينا بقوم كانهم جبال وهم رجال وأي رجال أفنوا السادات والابطال وهم بنو قضاعة أهل الشدة والفراسة وأول من فتك فينا حاميتهم عنيترة وأظهرت فينا المقدرة وقد اشتهرت الزرقاء فارسة الخيل وأبلتها بالذل والويل ومضى سبيع حتى يحلصها فأخذته أسير ذليل حقير وقد حملت علينا فرسان بني قضاعة وقتلوا منا ألفين وخمسمائة بطل في ساعة وما كان لنا على حربهم استطاعة وبلينا منهم بشيء ما لنا قدره على اندفاعه فأفنونا بشفار السيوف ولم نقدر بين أيديهم على الوقوف وها قد أفلينا لا أيها الملك هاربين وهاربين وإلى النجاة طالبين وبك مستشفعين وإلى حنابك قاصدين فلما سمع الملك المنذر مقالهم رق لهم ورثى لحالهم وقال لهم قروا الأعين والأنفس ولا تخافوا على أسراركم فأنا لا بد أن أسير إلى غرماتكم واقتل رجالهم وأسبي نساءهم وعيالهم وانهب أموالهم (قال الراوي) وكان الملك المنذر صاحب همة قوية وعزيمة عربية وهكذا كانت الملوك فأمر باحضار العشائر وبقية الدساكر فجهزت الفرسان شأنها للقتال وعبت عدتها للحرب والنزال وداموا على ذلك الحال ثلاثة أيام وبعد ذلك عزموا على الرحيل وسرعة التشمير فخرجت العشائر والفرسان وهم حول المنذر بن النعمان وسار في ستة آلاف عنان من بني شيبان وسنبس وهمدان وترك له الحيرة نائبه زيد بن عمرو بن نفيلة باقي العشائر والجيوش والدساكر ورحل الملك بهذه الشرمة القليلة لأنه خاف أن يسير في جيش كبير فيخرق ناموس المملكة وقال إن سرت إلى بني قضاعة

فى سبعين ألف عنان أخاف من معيرة العربان وملوك الزمان وأنا بهذه الفئة اليسيرة وهذه الجنود فامضى بهذا المراد واعود ببلوغ الاغراض وإزالة الامراض ثم أنه سار يقفو البرارى والقفار والسهول والاوعار أناء الليل وأطراف النهار وهم طالبون بلاد شريف وتلك الديار ولم يزالوا مجدين المسير وسرعة التشمير أياما متوالية فى الاودية والبرارى الخالية إلى أن بقى بينهم وبين منازل بنى قضاعة نصف النهار وفوصلوا إلى مكان المعمعة التى تقدمت ما بين بنى قضاعة وبنى حمير والذئاب حول القتلى تعوى والطيور وتحوم عليهم فى تلك البقاع فعدلوا أبعدوا هذا ولما علم الملك المنذر أنه وصل إلى أرض بنى قضاعة أمر العشائر بالنزول وأمر فى تلك الساعة أن يكتب كتاب ويرسل إلى بنى قضاعة الحذر والتنذير من قبل أن الحرب بيننا وبينكم يسير فعند ذلك تقدم الكاتب وكتب عن لسان الملك المنذر ملك العرب يقال باسمك اللهم رب الارباب ومعتق الرقاب هذا من الملك المنذر ملك الاعراب إلى عنيترة ابنة عمرو ذو الكتاب الفارس الندب بعد السلام عليك وعلى جميع المقدمين وفرسان بنى قضاعة ومن فيها حاسر فى الساعة أقول أنه ساعة وقوفكم من هذا الكتاب لا يكن لكم جواب أنكم تطلقوا سبيع وعمته من الاسر والعذاب ولا تخفوا من الاسباب فاتركك دياركم خراب مأوى البوم والغراب وقد حرر من أنذر وانصف من حذر وإلا كنتم كما يقال عنكم فدونكم واللقاء ولا تظنوا أنى كمن لاقيتم من العربان والفرسان والملوك السفهاء وتنظروا بعينكم من يسعد ومن يشقى وأنا ما أخاف من كثرة القبائل ولا من الفارس والراجل والسلام على من أطاع ووافق واللعنة على من عصى ونافق ثم أنه دعا بنجاب وإعطاه ذلك الكتاب ودعى بعشرة رجال انجاب وأمرهم أن يسيروا مع النجاب فى الوقت والساعة فوصلوا إلى أرض بنى قضاعة وسألوا عن عنيترة فدلوهم الخدام فسار النجاب إليها فى عاجل الحال وقصد الضرب واستأذن فى الدخول عليها فاذنت له بذلك الحال ولما تمثل بين يديها قالت له أنيت وما معك من الاخبار فقال لها أنا نجاب وحامل كتاب من عند ملك الاعراب الملك المنذر بن النعمان الحاكم على قبائل العربان نائب الملك كسرى أبو شروان فعندها تقدم إليها واعطاها الكتاب فاخذته منه عنترة وناولته لزيد بن عروة فقراه وفهمت معناه فقابلته بالتهديد والوعد والوعيد فعندما أمرت بصلبه ومن معه واكثرت لهم من الاهانة والعذاب وفى الحال مزقت الكتاب وابيضت شفتها واحمرت عينها وتوردخدها وقالت له والله لولا الخفافة من معيرة العرب يقولوا عنيترة استسنت سنة لكنت ضربت رقبتك واطلت هذابك قبل قتلك فلا كان المنذر ولا استكان ولا عمرت الاوطان ولعنت أمه وأم ابنه النعمان ولا كان كسرى صاحب الايوان ولا كانت بنو لخم وجذام وشيبان ولا جميع العربان لمثل يهدد المنذر بمثل هذا الكلام وأنا أم الزعازع

وخائضة الوقائع والمعامع والاهوال ثم أنها صرخت فى بنى عمها النفير فى هذه الساعة يا بنى قضاعة يا أصحاب القوة والبراعة يا أهل المروءة والفروسية فلم تكن إلا ساعة حتى ركبوا وتأهبوا للمسير وقد اعتقلوا الرماح وطلبوا الحدب والسكفاح وما أبعدوا عن الحلة حتى طلع عليهم الغبار وسد منافس الأقطار وبعدها تمزق وتقطع وانجلى وبان من تحته عشائر الملك المنذر ببنى لخم وشيبان والمنذر فى أوائلهم ومن حوله الابطال والفرسان وكان سبب ركوبه الرسول لما طردته عنيترة سار إليه وهو فى أتباع العذاب وعرفه بتقطيع الكتاب فصاح يا أربابها فشدت على السروج ركابها وسار بهذا الجيش الجرار إلى أنه التقى بنى قضاعة فى تلك الساعة ووقعت العين على العين وانطبقوا على بعضهم الفريقين وحان بينهما الحين وزعق عليهما غراب البين وتزامت منهم اليدين وتوافوا من بعضهم البعض ما كان لهم من الدين وقلعت الأسنة الأعين وبجرت الأبطال وزادت الفتن وصار الدرع لصاحبه كفن وقال الخصم لخصمه إلى أين ودمدمت عليهم سباع البرية وكثرت البلية ونادت عنيترة فى بنى عمها يا بنى عمى أحيلوها رقعة الانفصال واسقوا الأعداء كاس الوبال فعندها نخت الفرسان بعضها بعض وارتجت من ركض الأرض وكثر الرفع والخفض وعمل الصفاح وطعن الرماح وامتلأت بالقتلى البطاح ونادت الفرسان لا براح وتساوى عندهم المساء والصباح وتصادمت الأبطال كتصادم الكباش البطاح وبان الفارس الوقاح وولى الجبان وراح فكم من راس قد طاح ودم قد ساح كل ذلك وعنيترة أمام القوم وقد بطل العتب واللوم وتكردست الفرسان وأهلكت الأقران وسقت الفرسان من سيفها كاس الهوان وزادت الحرب وهى تهدر وتزمجر وقد جعلت قصدها الملك المنذر ومازالت تخترق الصفوف وتخذل الكفوف وتطير القحوف وتمزق الشاة والالوف إلى أن وصلت إلى الملك المنذر وهو تحت الأعلام وقد طعنت صاحب العلم فى فاه فأخرجت الرمح من نقرة قفاه وفرقت الرجال من حول الملك للمنذر بالطعن المتواتر وقد بقى المنذر وحده وتباعدت عنه فرسانه وجنده وكانت عنيترة أخذت العلم قبل أن يقع وصاحت على المنذر أدهشته وخبلته وأرعشته وانقضت عليه أخذته أسير وقادته ذليلا حقيرا وما خلاه يصل الأرض بل رفعه على زندها بما عليه من لبسه وعدته وبقى فى يدها كالطفل الصغير وهو بحالة الذل والتغيير ولما رأت قومها أميرهم قد اخذت المنذر هجمت على بنى لخم وجذام وشيبان وجودوا الطعن بالمران والضرب بالسيف اليمان وسقوا أعداءهم كاس الهوان وأسروا منهم فى ساعة الحال الفا وخمسمائة فارس أقيال وقتلوا منهم الفين فى أقل من طرفة عين وحان عليهم الحين وزعق فيهم غراب البين قال الراوى فعند ذلك ولوا منهزمين وإلى ديارهم طالبين وتبعوهم بنو قضاعة مقدار فرسخين وبعد ذلك رجعوا

غنهم وجمعوا الاسلاب والخيل والذهاب ونالوا من أعدائهم غاية المرادثم أن بنى قضاعة بعد ذلك سارت الاسارى ذليلين حيارى والملك المنذر فى جملتهم وهم طالبون حلتهم والملك المنذر يقول لبنى قضاعة أنسيتم ضيفة النعمان وفضله عليكم والشأن وكيف كان يفشلكم على جميع الفرسان وعلى أهل خراسان (قال الراوى) فلما سمعت عنترة كلام الملك المنذر قالت له أنت أمك وأم أبيك النعمان معك وأنت أم كسرى أنوشروان وسائر العرب وملوك خراسان فوالله لا أزال أقاتل سائر العربان وجميع العباد حتى أملك البلاد وأول ما أبدأ ببنى شيبان حتى أخذ بثار جميع من قتل من الفرسان وأخذ بثار أخى وأبى الذى كان يسمى عنتر بن شداد من بنى نبهان ومن سائر العربان ثم أنهم بعد ذلك الشأن تموا سائرين فى القفار طالبين الديار حتى وصلوا اليها فتلقتهم العبيد والاحرار وفرحت المنازل بالمنازل والاوطان بالسكان واستقروا فى المكان وأمنوا من غدرات الزمان فهذا ما كان من بنى قضاعة وأما المنهزمون فانهم لما هربوا من تلك الديار وهجوا على وجوههم القفار وتموا سائرين يقطعون السهول والاوعار ليلا ونهار من ضرب البتار وهم فى ذلة وحيرة حتى وصلوا إلى أرض الحيرة والقوا فيها النفير بعد ما بكوا بكاء شديد ونعوا الملك المنذر إلى الكبير والصغير والامير والحقير وأخبروهم أنه فى الاسر وكيف جرت عليه نوائب الدهر وقد قال القائل فى المعنى هذا الشعر .

وكم أسد مات من دبابة وملك أحوجه الدهر إلى لبابة

(قال الراوى) وكنا قد ذكرنا قبل هذا الكلام بأن زهير بن قيس وعتيبة بن حصن قد صار عند الملك المنذر من خواص دولته وأعز من أهله وعشيرته وأقاربه وندمائه فلما سمع زهير وعتيبة عند الملك المنذر ذلك الكلام صار الضياء فى أعينهما ظلام لانهم كانوا مقيمين فى الحيرة كما ذكرنا عند وزيره زيد بن عمر بن نفيلة وهما عنده بمنزلة جليلة فقالوا ايها الوزير ماعندك من الرأى والتدبير فى خلاص الملك المنذر مما هو فيه وإنقاذه من أعاديه فقال الوزير أننا نأخذ العشائر ونسير اليه ويكون معنا بعض المنهزمين حتى يدلونا على الطريق لان عند الضيق يتبين كل صديق فقال زهير الامر أقرب من هذا يا وزير الملوك واعلم أن لنا صداقة عند عمرو ذو الكلب من أيام حامية عنتر ومن الرأى أننى أسير معك فى بنى عبس وبنى فزارة لاغير ونأتى بالمنذر من غير تنكير لان عمرو ذو الكلب لا يقصر من جهتنا لانه مؤاخينا ثم أن الملك زهير فى عاجل الحال أمر بنى عبس وبنى فزارة بأخذ الاهبة للارتحال وفى ثانى يوم ساروا وأخذ الوزير معه وبعض أكابر بنى شيبان وساروا يقطعون البر والقفار بعد ما أخذوا بعض المنهزمين ليدلوهم على الطريق وماز الوا سائرين قاصدين ديار بنى قضاعة وزهير يحدث الوزير بصداقة عمرو ذو الكلب لعنتر وأنه كيف أقام عندهم

ليالى وأيامافى العم السعدى وأما عنيترة هذه فاتعلم ماهى وكان بنو عبس وزهير مايعرفون أن عنيتره بنت عنتر ولاعندهم بذلك خبر وما زوج بقناصة الرجال إلا وهو على بحر الفرات ولا سمع أحد بزواجه ولا رآه إلا أن عنتر لما مات كانت قناصة الرجال منه حامل بادن من سير الحامل كماذكرنا وولدت عنيترة بعد موته كما قدمنا وجرى ماجرى لبنى عبس وتشتتوا فى القفار واندرس رسمهم والآثار ومات من مات وعاش من عاش ولدى بقى منهم ومن بنى فزارة أربعون إنسانا أسلموا على يد النبى ﷺ وأتوا إلى الحيرة بعد ماجرى لهم أمور كثيره وعلم الملك المنذر أنهم أقرباؤه وأن زهير ابن حاله فاقاموا عنده فى أعلى المنازل وأحسن إليهم وما زالوا مقيمين حتى جرى ماجرى على الملك المنذر من الأمور المقدره وأسرته عنيترة وأما زهير فانه طلب أن يسير إلى عمرو ذو الكلب ويسأله فى المنذر لأجل ادلاله عليه كل ذلك ومايعرفون بحال عنيترة وسار زهير وعتيبة وسارت المهزمين تخبر زهيرا بفعل عنيترة وكيف أسرت سبع الفلاه والزرقا مع ذى الخمار وما فعلت من هذه الأمور المحققة وهو يتعجب من تقلبات الليالى والأيام وهو يقول ما الدهر إلا عجب والأيام تأتى بكل سبب وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بلاد شريف فلما وصلوا إلى الأخياء رفع النفير وركب من قضاعة الصغير والكبير للقضاء على بنى عبس وملكهم زهير فعندها تقدم زهير أمام القوم وقال لا بأس عليكم ولا لوم نحن بنو عبس نازهير بن قيس ملك بنى عبس فلما سمع عمرو ذو الكلب بذكر بنى عبس وعرف زهير ابن قيس قبل الأرض بين يديه وقبل رجل الملك زهير فى الركاب وكان على رأس الملك زهير راية ابنه العقاب وتحته جواد يسمى السحاب فعند ذلك تذكر عمرو أيام عنتر بن شداد ففاضت دموعه كثر هلوعه وكانت أخته قناصة الرجال التقت بالملك زهير وقبلت ركابه وشكرته قدام عنيترة وبكت على عنتر بن شداد وعظم بكاها وزاد وعنيترة تتعجب وقد حارت وأخذتها هشة والانبهار من فعالهم ونادت لعمرو ذو الكلب يا أبتاه لم تفعل أنت وأمى هذه الفعال المذلون لاحد من الرجار اكنة على ظهر جوادى الصهال وبيدى رمحى العسال وحسامى الفصال وأنا نخضع لى أسد الرجال فقال لها عمرو يا أم الذعازع ولبوه الوقائع قد ظهر الحق وعاد شائع وهؤلاء بنو عمك ومن لحمك ودمك وهم بنو عبس الفرسان وقد ظهر البرهان وبقى إعلان ظهر المغطى بعد الكتمان وعاد إلى بيان وأنت أبنة مذل الفرسان عنتر بن شداد وقد رجعت الودعة إلى أهلها واللبوه إلى شبلها والاولاد إلى آبائها وأجدادها وأهلها وما وسعنى كتمانها أكثر من هذا الحال فلما سمعت عنيترة من خالها ذلك الكلام قالت له وقد تحيرت يا والدى أراك تبعد نسبى أما أنت ابى وهذه أمى فقال لها عمرو وكل الناس باهتون والملك زهير ومن معه متحيرون والله يا عنيتره إن صدقت هذه الحيناء أمك وأما أبوك فهو عنتر بن شداد فارس الطراد وشجاع الجلاد من عبس الاجواد وهؤلاء بنى عبس بنو عمه وأهل الجود

والخبر وهذا المقدم عليهم الملك زهير وكلهم بنو عمك والمحك ودمك وقد رجع الحق لأصحابه والسيف إلى قرابه واعلمي أني ما أنكرت تلك هذه الأيام إلا لما سمعت عن بني عبس أنهم قطعوا عن دابر إنسان والبعض منهم تشتت في القيعان والآن قد عاد الزمان وأنت لهم بين العربان ثم أن عمرو ذو الكلب ابتدأ وحدثهم بالحديث من أوله إلى آخره وأطلعهم على باطنه وظهره فلما سمعت عنيترة ذلك الكلام تعجبت وأظهرت الفرح والابتسام وترجلت في الحال عن جوادها وسلمت على زهير بحشمة وأدب وقبلت رجله في الركاب وأما زهير فإنه لما سمع كلام عمرو ومنشأ عنيتر تعجب غاية العجب وأخذه من ذلك الكلام الطرب وقال الأيام تأتي بكل عجب ولما ترجلت عنيترة ترجلت بنو قضاعة وكذلك ترجلت بنو عبس وزهير ومن كان معه من الفرسان ونزل الجميع في الحيام وأخذوا في اصطناع الطعام وترويق المدام ودامت الولائم سبعة أيام وقد حيا زهير لعنترة وقال الحمد لله الذي أخلف علينا عنتر بن شداد حتى نرد كلنا عليه من الأحياء والبلاد ثم أن زهيرا حدث عمرو بأن الملك المنذر بن النعمان وأن أمه المتجردة بنت الملك زهير ملك بني عبس وعدنان فلما سمع عمرو وعنيترة هذا الكلام أمروا العبيد أن يطلقوا الملك المنذر من الأسر والاعتقال وكذلك فعلوا بالورقاء وشبيع الحارث الفارس الربيال كرامة للملك زهير ومن معه من الأبطال وخلعوا عليهم الخلع وجددوا الولائم ورتع القاعد والقائم وشربوا المدام وأقاموا على ذلك سبعة أيام وبعد ذلك سئل عن جلية الخبر وفأخبروه أن عنيترة بنت عنتر فقال ما هو عجب أن تكون هذه النبوة من ذلك الأسد وبكى سبيع لي عنتر وانهمل دمعه وانحدر وقال وحق الملك الجبار الواحد القهار أنا قد حسبت هذا الحساب وقرأت عنوان هذا الكتاب وعلمت أن هذه الوقعة ما تكون إلا من مثل هذه الشجرة ثم أنه قام وقبل يد عنيترة وقال لها وذمة العرب لو تعارفنا ما تحاربنا فاعتذرت الأخرى من أسرها له وأطلقت جميع أسراهم وخلعت عليهم الخلع السنية الغالية البهية ومدت لهم الولائم ورتع فيها القاعد والقائم ثم أن ذا الخمار حدث عنيترة بما جرى له مع أبيها عنتر البطل القسور من الحروب والمعاداة وفي الآخر خاواه وصار بينهما الوداد فتعجبوا من هذه الأمور والأوراد ومن تقلبات الأيام والدهور ثم أن ذا الخمار طلب الرواح فأهدت له عشرين جوادا من أزرق الخيل الجياد وطلب العودة إلى دياره وأن ينزفيها قرارة فقالت له عنيترة أما تقيم عندنا حتى نأخذ بثار والدنا ولك مالنا وعليك ما علينا فقال ذا الخمار وحق العلي الأعلى لأحضرت قتالا ولا باشرت نزالا بعد عنتر بن شداد فلا تغصبيني يا أميره على ما لا أريد ولا أتكبر عن صحبتك بل أكون لك أقل من العبيد ولا بد لي من الرواح لأني ما بقيت بعد إظهار هذا الأمر يلذ لي شراب راح (قال الراوي) ولما رأت الزرقاء إلى ما فعل ابن أخيها ذا الخمار ما وجدت لها على فرقته اصطبارا فقالت لعنتره يا بنت الكرام وأنا كذلك اتذكر لي

بالسفر لاتى مابقى لى بعد رواح ابن أخى مصطبر فاذنت لهم عنيترة فى المسير وأطلقت اساری من جميع حمير وخلعت عليهم وتبعوا سيدتهم الزرقا على الاثر ثم أن عنيترة ودعت الزرقا وذوالخمار وجميع بنى حمير وصار كل منهم شاكر لعنيترة ابنة عنتر فهذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من الملك المنذر فى الاقامة فى بنى قضاعة والحضر فإنه أقام فى غاية الإكرام تمام سبعة أيام لاجل أن يأخذوا حظهم منه وليكرموه غاية الإكرام ولما كان اليوم الثامن طلب المنذر من عنيترة الإذن فى السفر وقال لها يا أم الزعازع إنى أريد الرواح إلى الديار والاوطان لئلا تسمع العرب أنى عندكم فى الاسر والهوان فتقوم تنقلب العرب عليكم من سائر البلدان ويأتوكم من كل جانب ومكان وربما يكون ما لكم بهم من طاقة ولا بحربهم استطاقة فلما سمعت عنيترة كلام المنذر ومقاله من تلك الامور المشفقة علمت أنه ما قال ذلك الكلام إلا من نوع المحبة والشفقة فقالت له يا مولاى أعرك أعلا وقولك أسنى وأولى فعندها تجهز الملك المنذر إلى الرحيل وساروا معه يومين حتى أنهم تبطنوا ذلك البز الاقفر وودعوه وعادوا عنه بعد ما حلف عليهم وردهم وسار هو فيمن معه من العسكر وعادت عنيترة وخالها عمرو وذوالكلب راجعين إلى الديار والاطلال وعاد معها زهير بن قيس ومن معه من بنى عبس الابطال لان عنيترة كانت منعت زهيرا ومن معه من الرواح مع المنذر وساروا إلى أن وصلوا إلى الديار ونزلوا فيها وقر قرارهم فاخذت عنيترة فى إكرام الملك زهير بكل ما تقدر عليه وتوددأنها توصل الكرامة الزائدة إليه وصارت تكرام بنى عبس غاية الإكرام وتروج لهم قدور الطعام وتروق لهم بواطى المدام إلى أن كان يوم من بعض الايام جاور المشورة والكلام فقالت عنيترة لزهير يا ملك وحق البيت الحرام وزمزم والمقام وحق الملك العلام لابد أن أدع الملوك تنقاد صاغرة إلى بين يديك وتخضع باعناقها إليك وتقابل من سطا عليكم بالهوان وتجازى من أحسن إليكم بالجميل والاحسان ولابد أن تفنى العرب وجميع القبائل وأهلك منهم بما فعلوا الفارس والراحل لايحمل ما فعلوا بعد موت أبى عنتر ولا أرجع عنهم حتى أذيقهم الموت الاحمر فقال لها الملك زهير وبنو عبس أفعلى ما بدالك فما فيا أحد يخالف مقالك ولا ترك عما تقولى وتريدى أن تعملية من أعمالك فعندها أخذت فى مكاتيب من يلوه بها من العربان والاصحاب والخلان وكان لها أصدقاء من يوم تفرست وركبت الخيل ممن يقر لها بالطاعة وهم أهل قوة وشجاعة وتحت يطها ستة آلاف من بنى قضاعة وقالت لزهير وبنى عبس كانوا أنتم من تعلموا من أصحابكم وأصدقائكم وأحبابكم لاننى عزمت على المسير أولا إلى بنى عامر ونقتل منهم الاكابر والاصاغر لما بلغنى من عامر أنه قتل عبلة وأمها وأباها وأخيها وكيف أخذ أموالها وأموال أبى بالجملة وقد كانت أمها الهيفاء قناصة الرجال وحالها عمرو وذوالكلب قد حكوا لها على جميع ما كان من تلك الاحوال فصار لها بذلك معرفة واستدلال

وقالت أنا ما أفعل هذا الفعال إلا أنه قد حكى أنه قد كان صاحب أبي وكان عنده بيال ولما مات أبي خانه وأخذ جميع ماله وقتل عيلة وعمل هذه الأعمال وفعل تلك الإهانة ومن حين بلغني عنه هذه الخيانة لابد أن أباليه بالذل والإهانة فلما سمعت بنو عبس وزهير بن قيس كلام عنيترة لم يقولوا لا لم ولا ليس وكتبوا في عاجل الحال إلى من لهم من الخلفاء والأبطال والأصحاب مثل بني غطفان وبني ذبيان وبني مرة ومن يجري مراهم من الأصدقاء والأخوان وكذلك فعلت عنيترة وكتبت الكتب وأرسلتها الحلفائها ومن تعتمد عليه في شدتها ورخاها وكانوا أربعة آلاف فارس من فيان العرب الذين قد سمعوا شجاعتها وكيف أذلت فرسان البر والسبسب وقد أسرت مثل الورقاء وذو الخمار وقتلت أسد الفلاة الفارس المغوار وأسرت الملك المنذر ابن الملك النعمان وأحلت بهم الأضرار وقال الرجال قد أخلف الله بني عبس بعد ما أصابها من الضرر هذه أم الزعازع عنيترة بنت عنتر فصارت العرب تراعيها وتهاديها من جميع القبائل وجميع سكان المناهل وقد صارت عبيد عنيترة بالكتب إلى قبائل العرب من بعد منها ومن اقترب وكانت كتب زهير وبني عبس وصلت إلى عمرو ابن معدي بكرب الزبيدي وأيضا إلى الأمير هانئ بن مسعود وأتى دريد بن الصمة فأول واحد منهم أتى اليهم وقال كل منهم أتى بعد عنتر ما بقيت أقاتل ولكن دريد ابن الصمة قال أنا ما أخيب مساعيهم وقصدهم فأرسل لهم خمسة آلاف فارس من كل مدرع ولابس من دثار بن روق وخفاف بن ندبة والعباس ابن مرداس السلمي وساروا إلى بني عبس وعدنان وكذلك تتابعت القبائل من كل شعب ووادٍ إلى عنيترة بنت عنتر الفارس الريال وما زالت القبائل تقدم عليها حتى ملؤا الأودية والتلال وكل من قدم عليها من الرجال تكثر له من الطعام والمدام وأقامت بضيافتهم ثلاثة أيام وكان من قدم عليها أيضا عتيبة بن حصن واجتمع عليه من بني فزارة ألف فارس تمام لأننا ذكرنا أنه كان في الحيرة في ذلك المكان فلما أن سمع من عنيترة وبني عبس ذلك الكلام اشتاقت نفسه إلى الحرب والصدام فجمع من قدر عليه من بني عمي الاخيار وسار حتى شاركوا بني عبس في أخذ الثار فلما تكامل جمعهم ساروا في عددهم وعديدهم إلى أن وصلوا إلى بني عبس وعدنان ولما رآهم زهير قام إليهم وتلقاهم وأكرمهم وأحسن مثواهم وقال لعنيترة هؤلاء بنو عمنا ولحمنا ودمنا فاستقبلتهم وأكرمتهم غاية الإكرام مدة ثلاثة أيام وبعدها أمرتهم بالرحيل فساروا في عددهم وعديدهم لما تكاملت عساكرهم وجنودهم وصارت عنيترة وخالها عمرو أمام القوم وزهير بن قيس وعتيبة بن حصن في الساقة وقد نشرت فوق رؤسهم الأعلام وسارت من خولهم يقطعون البراري والآكام وقد هربت الوحوش من الأوكار من ركض خيولهم في السهول والأوعار وعنيترة سائرة أمام القوم كما

تقدم طالبة ديار بني عامر وقد تيقنت من نفسها أنها ما بقيت ترجع عنهم حتى تحقهم بالسيوف البواتر ومازالت سائرة إلى أن أفيلت على ديار بني عبس وهي عدنان وهي أرض الشربة والعلم السعدى وتلك الأوطان وما في بني عبس الا من حين مرت بهم نزلت دموعه على خدوده كالغدر أن وجود أنه ما بقي رجل منها ولا يبدى ولا سيما زهير وعتيبة بن حصن لما رأوا ديارهم خرابا بلاقع ولم يجدوا فيها ناطقا ولا سامع ولا فيها إلا اليوم ساكن ورائع وحش في سائر واضع وقد صارت الذئاب والثعالب والوحوش فيها مقيمة وبعد الأنس قد صارت قديمة فعند ذلك بكى زهير بن قيس وعتيبة بالدموع الغزار وتحادرت من أعينهم كانها الامطار وكذلك فعلت عنيتره ولحقها الأخوى الحزن والضجرة وزادت في البكا والانين والاشتكا وقالت ما لدارهم من بعدهم فقراء خراب يزعق فيهما اليوم والغراب وصارت لا تجيب منادى ولا متكلم فيها من حاضر وبادى وخارت بنو عبس في تلك الاحوال وكذلك زهير وعتيبة زادت بهم الاهوال وعنيترة قد تنفست صعدا وأبدت لوعة وكمدا وقالت يا هذه الديار أراك قد شمتت ملك الاعدا فوالله الذى لا إله إلا هو الملك الجبار لآخذن لبنى عبس بالثار وأكشف عنهم ما نزل بهم من العار والدل والشنار لانه قد التهب في فؤادها وقيد النار فأشارت ترثى الديار بما خطر في بالها من الاشعار بعد الصلاة على النبي المختار عليها والصلاة والسلام

ما للديار تنكرت من أهلها ... وتغيرت جناباتها الوادى
يا ويحها من بعد فقد أحبة ... فلمن اسائل عنهموا وأنادى
والبين والتفريق اقلق مهجتى ... ورمى سهام البعد وسط فؤادى
لما وقفت على الديار مسائلا ... ماشمت من أحد سوى الوراد
كل ينوح بدمعه مسفوحة ... من أجل سادات مضوا برشاد
يا ال عبس كنتم ذا نجدة ... كنز الفقير وكهف كل منادى
ما أصابكم إلا عيون حواسد ... نالوا مناهم منكم بايادى
لهفى عليكم كيف صرتم فى الثرى ... اشمتم الاضداد الحسادى
يا ويح دهرى فيكم لما رمى ... من كيد قوس فيكم ما فادى
قد أصبحت أوطانكم قفرا ولا ... فيها أنيس غير صوت الغادى

(قال الراوى) ثم أنهم لما رأوا ذلك الحال ازعجوا أنفسهم وكثروا من القليل والقال ثم أنهم أقاموا فيها ونصبوا أبياتهم وقد كثرت ضجاتهم وكذلك أولادهم ونساؤهم وبناتهم وأكثروا من البكا والاهوال وقد أقاموا ثلاثة أيام رهم في هرج ومرج وأكل طعام وقد اجتمع عليهم لما شاعت أخبارهم من كان مشتتا من بني عبس في البخارى والاكام وبعد ذلك طلبوا المسير إلى ديار بني عامر بعد جمعهم تلك العساكر وسارت القبائل والعشائر لانهم

قد صاروا ثلاثة قبائل ما منهم إلا كل فارس وراجل يقدمهم عنترة وبنو قضاعة أهل الفروسية والشجاعة ويتلوهم فزارة بنو عبس الذئاب الطلس وساروا على ذلك الترتيب وما منهم إلا كل صديق وحبيب حتى بطحاء في مسيرهم خمسة أيام ولما كان اليوم السادس وقد تيقظوا في ذلك البر والاكام وإذا هم باثنين نجابة راكبين على نجيبين وهما وتهما يغدوا في ذلك البر كأنهما ارزمان وعيونهم تلمع في وجوههم كأنها عيون ثعبان قال الراوي ثم أن النجابين لما أن رأوا إلى كثرة تلك العساكر وهم قد انفرشوا في ذلك البر الأقفر يقدمهم الأمير عنترة بنت عنتر وهي راكبة على جوادها ومشتملة آلة حربها وجلادها وهي كأنها الأسد الضسور فعندما نزلوا عن النجيبين وهربوا وأوسعوا في البر وطلبوا النجاة وعدوا في البر ركضا وخببا كأنهما لبوتان إذا طلبا والماء إذا كان منسكبا وفي الساعة الحال غابوا عن العين في تلك التلال والرمال وقد حيروا بفعالهم من نظر إليهم من الرجال ولما أن رأت عنترة وخالها عمرو وزهير بن قيس وعتيبة بن حصن إلى ذلك الأمر وكان معهم زيد بن عروة بن الورد وقد ذكرنا كيف أوصى عليه عنترة لعمرو في حال حياته فصار عنده أعز من روحه الى بين جنبيه بعد حياته وكان كما ذكرنا في أول منشئه ذا شجاعة وشهامة وفروسية وبراعة فقال زيد لعنترة ومن معها من الأبطال لاشك أن هذين النجابين لهم حال من الأحوال فعند ذلك ركضت عنيترة وخالها عمرو وزهير بن قيس وكان تحتهما خيل جياد لم يوجد مثلها في سائر البلاد فارسما النجابان في الهرب وأخذا الآخرون لهم في الطلب ساعة من النهار فلم يلحقوا لهما غير الغبار في تلك القفار وكانوا لما أن رأوا الخيل فرت منهم وزاد عليهم الغبار فعند ذلك أوسعوا في الأوعار فوا حد عدل إلى يمين والآخر إلى يسار فلما رأوا الغلبة عن اللحاق بهم في تلك القفار صاحوا بهم يا ويلكم قفوا وعليكم الأمان منا وأيضاً من سائر مضى من العربان فنحن بنو عبس وعدنان وفزارة ذبيان أننا قد أتينا علينا جميع العربان (قال الراوي) ولما سمع النزابان كلامهم ونداءهم وقفوا إليهم إلى أن قربوا منهم قرأتهم عنيترة وعمرو وذو الكلب وزهير بن قيس وعتيبة بن حصن وزيد بن عروة وإليهم تشافوا وكذلك النجابان عادوا إليهم وقربوا منهم وظهرت عليهم الفطنة وقالوا نحن أيضا من بني عبس وعدنان ولكن نحن خائفون منهزمون من سائر أعدائنا ونحن مظلومون بحق شهر رجب لا تعينوا علينا أحد من العربان فتقدم إليهما زهير وقال لهما من أنتما من بني عبس الكرام حيا كم الله بين الأنام واعلموا أني أنا ابن عمكم زهير بن قيس فلما أن سمع النجابان كلامه استبشروا وحصل الخير ثم أنهم تقدموا إليه وقبلوا يديه فتبينهما زهير بن قيس وعمرو وذو الكلب ومن معهم من الجماعة وإذا بواحد منهم صغير السن ولكنه بطل تحرير والآخر شيخ كبير إلا أن ذلك الشيخ يعد برجال كثيرة لأنهم

رأ ا منه عضو يشبه نسلهم لما أنه على وجه الأرض تقدم وهو أسمر غميق السمرة والآخر أحور العين يضرب لونه إلى حمرة فتبينهما زهير ومن معه فعرفوهما وقد خفت عنهما بمعرفتهما الكروب وإذا أحدهم جرير أخو عنتر والآخر الخذروف بن شيبوب فعندها ترجل إليهم زهير بن قيس لما أن عرفهم كذلك عمرو ذو الكلب سلم عليهم وفى اللقاء أنصفهم وكذلك كل من حضر من الرجال اعتنقهم وسلموا عليهم وحصل لهم الابتهال وكل منهم يبكى بكاء شديدا من حلاة اللقاء وكان السبب فى مجىء الخذروف وعمه جرير وملتقاهم ببنى عبس فى هذا المكان حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك أن جريرا لما مات أخوه عنتر خاف على نفسه وعلم أن بنى عبس بعده ما تنفع وتنفر عليهم العرب ويحصل لهم الضرر فأخذ الخذروف فى المسير وطلب البراقفر لينظر له مكانا يأوى إليه ويحميه من الضرر والشر وسار هو وابن أخيه فى البرارى والقفار وهم يقطعون السهول والأوعاد إلى أن رمتهم المقادير على حى بنى سعد الأخيار فالتقت بهم الرعيار وسلموا عليهم وقال لهم من أى أرض أقبلتم ومن أى مكان أنتم فقالوا يا بنى الخالة نحن من عبيد بنى عبس وعدنان وقد جار على موالينا الزمان ورموا بطوارق الحدثان ونحن قد رامتنا المقادير إلى هذه الأوطان فمن هو صاحب هذه القبيلة حياه الله بين العربان ومن هو الحاكم عليها ومن يقال له من الشجعان فقال لهم العبيد أقيموا عندنا يا بنى الخالة على الرحب والسعة والكرامة والدعة فإن الذى تسألون عنه وهو الحاكم على هذه الحلة ما عنده بخل ولا فى ماله قلة وهو الأمير روضة ابن منيع سيد بنى سعد فارس الزمان وليث الميدان وحاوى قصب الرهبار فلما سمع جرير والخذروف يذكر روضة بن منيع الفارس النبيل فرحوا فرحا غير قليل وعلموا أن سعدهم مستطيل وقال جرير هذا والله صاحب أخى عنتر وكان يذكره بالخير إرغاب أو حضر وكانت الصلت المعرفة بينهم من حين أسره أخى عنتر لما خلص من شاس بن الملك زهير من بنى كندة حين أن صيغته المرأة العجوز أم النئات وجرى عليه ما جرى من تلك النائبات وعاد عنتر وشاس طالبين ديار بنى عبس والتقى بروضة فى الطريق ومعه أمه وأخوته وكان سائر يخطب عبلة وبارزه عنتر وأسره وأطلقه لهم واصطنعه وعرف روضة صنيع عنتر وجميله ووهبه الذى كان قد أتى به ليعطيه لعبلة مهرها وودعه روضة وعاد إلى ديار هو قد كانت الإمارة لأبيه فلما توفى أبوه أخذها بعد عمه ولما مات عمه تولى هو مكانه وعلا عند قومه شأنه وتشيدت قواعد أركانه وراق له زمانه وما زال فى إمارة إلى أن أتى جرير والخذروف وجرى لهم مع العبيد ما جرى وكان قد أتاهم العبيد بشىء من الطعم وأكرموهم غاية الإكرام ولما كان وقت العصر انصرفت الرعاة من المرعى فقال جرير والخذروف بين يديهم يسعى حتى دخلوا إلى الحى وشقوا بين الخيام وهم يتأملون إلى ذلك المقام فنظروا إلى حلة عامرة وعبيد كثيرة وخيل وجمال وأغنام

ورماح مركوزة ورحال مغرورة ومضارب مضروبة وقباب منصوبة وأعلام منشورة ورايات منشورة فقالوا لهما تنظر إلى المحل الرفيع فتقدم فى عاجل الحال وتوصل حتى صار بين يديه ورآه فى أمر جميل من الرجال والعبيد والغلمان بين يديه غير قليل والكل واقفون على الأقدام وهو جالس بينهم كأنه ملك من الملوك العظام وعليه هيبة واحتشام وهو فى دست الإمارة يشبه البدر التمام فتقرب جرير منه وابتدأه بالسلام وقال له هنيئا لك الله الأمير والبطل النحرير والملك الكبير صاحب السيف والعلم والسماحة والكرم والهيبة وحسن الشيم فقال له روضه لما أن سمع كلامه وأعجبه فصاحة لسانه وثبات جنانه من أين وإلى أين يا هو لك للعرب وتربية أصحاب النسب والحسب فقال جرير نحن من بنى عبس يا مولاى يا من عليه المعتمد فى شدة ورخاء فلما سمع روضة ذلك الكلام وذكر بنى عبس تزحزح عن مكانه وانطلق بالشكر لسانه وقال لجرير حياك الله يا كريم النسب وحيا عربك الذين هم من أهل الشجاعة وحيتم فى كل وقت وساعة كيف حالكم بعد فارس الزمان وشجاع وقته والأوان الذى كانت تفتخر به الفرسان ثم إن روضة بكى وآن واشتكى فى ساعة زمانية وأكثر من التعداد وقال يا حسرتا عليك يا أمير عنتر يا ابن شداد والله لذلى بعده طعام ولا منالى نوم على وساد ثم قال لجرير من تكون من بنى عبس أمن عبيدها أو من رجالها وصنديدها فقال يا مولاى أنا جرير أخو عنتر وهذا ابن أخى شيبوب البطل القسور فلما سمع روضة كلام جرير كاد أن يطير وقام فى ساعة الحال قدميه وسعى إلى جرير وحضنه وقبله بين عينيه وكذلك فعل بالخذروف واستقبله بفؤاد ملهوف وقال لهم لقد شرفت بكم أرضنا وزاد بكم حظنا ثم أن روضة أخذ جرير وأجلسه إلى جانبه وقرب الخذروف حتى من بعض جوانبه وفى ساعة الحال أمر العبد باصطناع لوالئم وترويح الطعام فنحرت النحور وجزرت الجزور وذبحت الأغنام وعلقوا فى ساعة الحال القدور وانصلحت فى عاجل الوقت الأمور وأقبلت العبيد ومدوا السماط وأصلحوا ما يليق بهم من الآلات واصطفت فى المجلس السادات وجلس روضة بين تلك السادات وأخذ جرير إلى جانبه اليسار وأكلت العبيد والأحرار إلى أن أتوا على المؤن من الطعام وبعد ذلك أحضروا المدام وشربوا الكاس والجام وضربته بالمزاهر المولدات وعرفت القينات وطربت السادات وأقام جرير وابن أخيه الخذروف فى الضيافة سبعة أيام وفى اليوم الثامن من عزل روضة لجرير والخذروف مضارب وخيام وعبيداً وخداماً وجمالاً وأغناماً ومولدات وجواري وأكثر لهم من الأموال والإيسار وقال لهم هذا الفعل فى حقكم يسير لأنى قد شممت فيكم رائحة ذلك الفارس البطل النحرير وأسقاه على ذلك الهمام بطول الأيام الذى هو بأمور الحرب خبير وأقام جرير والخذروف عند روضة فى أهنا عيش وأمان وراحة سرور واطمئنان مدة من الزمان إلى أن كان يوم من بعض الأيام دخل جرير

على روضة لأجل السلام فوجد قد جمع سادات قومه وهم فى شورة كلام وهو يقول يا بنى عمى خذوا أهبتكم لانى أريد أن أغزو لكم بنى ضمرة لانهم كما تعلمون قتلوا أبى وعمى وأطلقوا فى قلبى أحر جمرة ولا بد لى من أخذ الثار وكشف العار فخذوا أهبتكم للسفر فلما كان بعد ثلاثة أيام رحلوا طالبين بنى ضمرة وقد تبطنوا فى ذلك البر والآكام وجرير راكب إلى جانب روضة فى محمل وكذلك الخذروف عن يساره فى حال مستقيم وكل منهم راكب على جواد من الخيل الجياد وهو تحته يتدفق مثل الماء إذ خرج من ضيق الانبوب هذا وقد سار بنو عبس فى سبعة آلاف فارس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وساروا يقطعون البرارى والقفار والسهول والآكام مدة عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر أقبلوا على أرض بنى ضمرة فى ذلك الاكام فتبادرت الفرسان إلى صوب المزاعى وساقوا الاموال وأحثوا على النوق والجمال وهلعت الرعاة طالبين الحلال وعقل كل واحد منهم قد انزهل لانهم رأوا فرسانا كانهم العقبان ووقع النفير فى بنى ضمرة فركبت الفرسان وتتابعت الشجعان وتبادرت الأفطان وطلبوا براح الخيام والتقوا بنى سعد واصطدموا معهم أى اصطدام نال وكان المقدم على بنى ضمرة ملك من الملوك الكبار يقال له عطارد بن نهبان وكان من جملة الفرسان المشهورين فى ذلك الزمان وقد خرج فى ذلك اليوم وهو راكب على جحفة حمراء ما تلحق الخيل لها غبار وتسبق الطير إذا طار وطلت بنى سعد بصدره واستجارهم بكره وفره وحمت بنو ضمير فى الحرب ظهره والتقى الفريقان وعمل السيف والسنان وحمل الشجاع وضرب بالبتار والمدى الجبان وزمجر لم يزالوا على قتال وصدام إلى أن ولى النهار على التمام وأقبل الظلام وافترقت الطائفتان وأشعلوا النيران وتحارس الفريقان وكان الرابح فى ذلك اليوم بنى سعد لانهم قاتلوا قتالا ولبحوا منهم كل بطل أمجد ورأى عطارد من روضة ما لم يره من أحد لانه قاتله ذلك اليوم قتالا شديداً وجرحه فى موضعين ولما انفصل القتال وتراجعت الفريقان وافتقد روضة رحاله فوجد أنه قتل منهم سبعون فارس وافتقد عطارد ملك بنى ضمرة فرسانه فوجدهم قد قتل منهم أربعمائة وعشرون فارس من الاسود العوابس ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الفرسان واعتدت الطائفتان وتقابل الجيشان وحضرت وعمل بينهم السيف والسنان وطلع عليهم الغبار وغابوا عن الابصار وارتجت من شدة ركض الخيل الاقطار وأظلم ضوء النهار وطال فى ذلك اليوم الشجاع وما نجا إلا طويل الباع وصمة من قعقعة السلاح الاسماع وتهمت الفرسان كانهم السباع وحامت الطيور على القتلى وأتت على رائحتهم الضباع وما بقى بين الفرسان وبين الموت إلا باع أو ذراع وعملت السيوف البواتر فى الرقاب والاضلاع وأما الجبان فانه قاسى من شدة الخوف والنزاع وزادت من بنى سعد فى بنى ضمرة الاطماع فتقهقرت إلى ورائها بنى ضمرة وقد آيسوا من

النصرة وكسرهم بنو سعد كسره وأى كسره وأذاقوهم ساعة مرة ولهبوهم بحد الحسام البتار وأكسروا فيهم الطعن بالأسمر الخطار ولم يكن على حربهم طاقة ولا اصطبار قولوا الأدبار وركنوا إلى الانفرار واهزموا فى البرارى والقفار وطلبوا بطون الأودية والأوعار وخلوا المضارب والخيام والنساء والأولاد والخدام والخيل والجمال والانعام واكتسبوا ثوبا من الذل والشنار فعندها دخلت بنو عبس إلى المضارب والخيام وسبوا النساء والبنات والخدام والخيل والجمال والأنعام وصارت بنو سعد تنهب من حلة بنى ضمرة ما قدرت عليه حتى أن الفارس صار يحمل ويحمل فرسه لما بقى لهم سايب وزادت تلك المصائب وما وقع من الانفاق الذى تم وجرى هو أن جرير والخذوف دخلوا مع حملة الفرسان إلى أبيات بنى ضمرة وتوصلوا إلى أبيات الملك عطارد مقدم العشيرة وكان قد انهزم وعميت منه البصيرة وقد لحقه الانذهال والحيرة فوجدوا فيه من الأموال ما تحمل حملة الجمال وأروا فى البيت بنت ملك بنى ضمرة ولها وجه مثل فحمة الزهرة وكان اسمها أمية وهى واقفة متحيرة مما جرى لها من تلك الرزية فأخذها الخذروف وعمه جرير وأخذا ما كان فى البيت من المال والأمتعة الغوال ولم يدعوا فى ذلك البيت عقار وجمعوا الملك الأموال وأخذوا الثياب الحرير نهبوها والبنات الكحال سبوها وسلموها إلى عبيدهم ورجالهم لأنا قد ذكرنا لكم أن الملك روضة بن منيع كان قد انتخب جماعة من العبيد رأعداها لهم وكانوا معه فى ذلك الوقت فى خدمتهم وكان الخذروف فى تلك الساعة قد نظر إلى أمية بن عطارد سيد بنى ضمرة فنظرها نظرة أوقعت فى قلبه حسرة وانطلق فى فؤاده من جهتها حمره وكان يعنى أن لها من الجمال ما يسمى النساء والرجال ونهبت بنو سعد بنات بنى ضمرة بعد ما كسروهم أيشم كسره وما خلوا فى بيوتهم إلا ما لا ينتفع به مثل تد عادم أو مضرب مقطع وقد أقاموا بنو سعد ذلك اليوم حتى هدأوا من الوقعة وقر قرارهم ومن الغد رحلوا وساروا طالبين ديارهم إلى أن وصلوا إلى الحمى سالمين غانمين فتلقاهم أهلهم وهم فرحون وقرحت المقيمون بالقادمين وأنزلوا ما معهم من الغنائم والخيام واستمروا على اصطناع الولائم وأكل الطعام وجعلت تدور عليهم كاسات المدام وأخذوا فى اللهو والطرب والأفراح الرجال والعبيد والخدام واستقوت المنازل بالمنازل وفرحت الأوطان بالأوطان وأقاموا يرتعون فى أكل الطعام وشرب المدام وخير زاد وكثرة أنعام تمام سبعة أيام ولما أن كان اليوم الثامن من ذلك المقام شور جرير روضة فى زواج أمية بنت عطارد للخذروف بن شيبوب لعل أن تطمئن منهم القلوب فأنعم له بذلك وفرح غاية الفرح واتسع صدره بذلك الشرح قال وحق ذمة العرب وشهر رجب لا يكلف عرسها إلا أنا وليس علينا فى ذلك عتب لاغنائم أن الأمير روضة بن منيع أمر العبيد بنحر النحور ونصب القدور وتزويق الخمور وتمهيد الولائم أيضا ثلاثة أيام قد تمت فى ذلك الخاص والعام

إلى أن انقضت ثلاثة أيام ولما كان في الليلة الرابعة زفت الجارية أمية بنت عطارد على الخذروف لأن قليه عليها ملهوف وضربت قبة الزفاف وانقضى الأمر وما بقي فيه اخلاف ودخل بها الخذروف من ليلته فوقعت بينهما الموافقة وقد زالت حسرته وقد أحبها والأخرى أحبه وأقاما مع بعضهما في أرغد عيش وأهناه مدة أيام وقد سار الجرير والخذروف رونق وحظ وأقبال في بني سعد وكانوا يجلسون على مراتب عالية بجانب روضة بن منيع والعبيد والجواري تخدمهم الليل والنهار وقد صار لهم قيمة مقدار وأقاموا على ذلك برهة من الزمان ولم يغير ماهم فيه من ذلك الشأن فهذا ما كان من جرير والخذروف (وأما ما كان) من الملك عطارد وقومه من بني ضمرة فإنهم لما جرى لهم من بني سعد ما جرى وانكسروا قدامهم وهجم عليهم ملكهم الملك عطارد وقومه في ابراري والقفار وجعل يطوف سائر الأقطار ويشكوا إلى أمراء القبائل حالهم ويحكي لهم ما جرى وقد اغتمت له الأصدقاء والأحباب ومن له من الخلفاء والأصحاب لما حصل له من المصائب واجتمعت عليه جماعة كثيرة من فرسان العرب وأتوا إليه يريدون معونته من كل بدو وسبسب وانضمت إليه من بني ضمرة الذين انهزموا من تلك الوقعة وسمعت بما كان من هذه الأخبار فعادت إلى ملكها الآخذ ثارها وقد أتوا من سائر الأودية والهضاب يريدون من أخذ لهم من والنساء والبنات والأموال والأولاد وقد سار الملك عطارد في تسعة آلاف من كل ملك عداعس ما منهم إلا مدرع ولابس وسار طالب ديار بني سعد وكان قد أقبل عليهم في ذلك اليوم الأقيال والسعدى وقد سار بهذه العساكر الجميع يريد أخذ ثاره من روضة بن منيع ويجازيه على ما فعل في حقه من ذلك الصنيع وما زالوا يجدون في سيرهم إلى أن قاربوا ديار بني سعد وبعد ذلك وقع في الحالة التغير فركب الكبير منهم والصغير فعندها انعقدت العساكر جالبين الأهوال وقد عزموا على القتال والحرب والنزال والتقت الرجال بالرجال وانطرحت الفرسان على الرمال هذا وقد طلع الغبار وغابت الطائفتان عن الأبصار وما صبرت بنو سعد غير ساعة ولم يجدوا على قتال العساكر الاصطبار فولوا الأدبار فتبعهم بنو ضمرة وانكسر بنو سعد أيشم كسره وكانت هذه النوبة على بني ضمرة أسعد سفره ونجا بنفسه كل فارس همام فنهبت بنو ضمرة ما وقع في أيديهم من النوق والجمال وقد سبوا النساء والبنات الأبكار واجتمع عطارد بابنته أمية زوجة الخذروف لأنه كان على خلاصها ملهوف وأخذ ما حوته يد الخذروف ونهبوا أيضا بيت روضة بن منيع وما حوله من المضارب الجميع وما فيها من الغيرات والأنعام وقد أحلوا بهم المصائب والآلام (قال الراوي) وأما جرير والخذروف فإنهم لما رأوا ما حل ببني سعد من المصائب وما طرقهم من النوائب ركب كل واحد منهم على نجيب من النجب الملاح وطلبوا الهرب في ذلك البر وخافوا على أنفسهم من موت الفجأة

فطلبوا لأنفسهم النجاة وما زالوا سائرين على تلك النجب يقطعون البرارى والقفار مدة أحد عشر يوما وفى اليوم الثانى عشر القوا بفرسان بنى عبس الاخيار كما ذكرنا يقدمهم عنيترة بنت عنتر وزهير بن قيس وعتيبة بن حصن وزيد بن عروة وعمر ذو الكلب وقد عرفهم زهير ومن معهم من الرجال وجرى من الحديث وما وصفناه من ذلك المقال وقد رجعنا إلى سياق الحديث والخبر بعد الصلاة والسلام على سيد البشر ﷺ (قال الراوى) ثم انهم لما فرغوا من المعرفة والكلام رجعوا بهم وقد أكرموهم غاية الاكرام وبعدها ساروا طالبين أرض بنى عامر بعد أن حلفت عليهم عنيترة وعلى عمها جرير وابن عمها الخذروف وأركبتهم الخيل الجياد وخلعت عليهم مما عليها من ذلك الخير الوافر وساروا يقطعون القيافى والقفار وكذلك السهول والأوعار إلى أن بقى بينهم وبين أرض بنى عامر مسيرة يومين وإذا تلك العساكر فى بعض المواضع فقال الخذروف لابنة عمه عنيترة يا بنت العم الرأى عندى أن أتقدم أمامكم وأكشف لكم الأخبار وأعود على الآثار فقالت له عنيترة نعم ما به قد أشرت سر على بركة الله تعالى فيما قد عزمت فسار الخذروف وقد غير زيه واختفى عن سائر العربان وسار يقطع البرارى والقفار إلى أن وصل إلى ديار بنى عامر فوجدهم على يقظة من أمرهم وهم على ما هم عليه من ذلك الخير الوافر وقد أخذوا أهبتهم للحرب والقتال واستعدوا للطعن والنزال لأنه كان وصل إليهم من بعض العبيد الخبر بأن الواصل لكم عنيترة بنت عنتر وكان ذلك العبد ماهر وكان قد أرسله مولاه الامير عامر فى بعض اشغاله لعرب يقال لهم بنو ضبية فقابل عنيترة ومعها هؤلاء العساكر المسميه وهى طالبة ديار بنى عامر فى تلك الهمة القوية فرجع على أثره كأنه الطير الطائر وقد أخبره قومه بنى عامر فلذلك أخذوا أهبتهم للحرب والقتال وقد رأى الخذروف إلى ذلك الحال فعاد على أثره يقطع البرارى والتلال واعلم ابنة عمه عنيترة وزهيرا بما فيه بنو عامر من ذلك الأمر النكير فقال الملك زهير وحق خالق الليل والنهار لابد من قتل عامر بن الطفيل وأن أنزل به الذل والويل فقالت عنيترة لابد من هذه الفعال واجتدل منهم الابطال وأدحرج رؤس الأقيال ولا أرضى بقتل فارس واحد فى قتل عمى وأولاده الأقيال قال الراوى هذا وقد أمرت عنيترة الجيش بالرحيل فرحلت العرب من غير تهاون ولا تطويل وساروا ذلك اليوم وتلك الليلة يقطعون الروابى والبطاح فصبحوا حى بنى عامر ايشم صباح ولما قربوا البيوت أكثروا من الصياح وظهرت بنو عامر أيضا وقد ضاقت عليهم الأماكن الفساح وتدانت من بعضهم رجال الفريقين وحان بينهما الحين ووزعق عليهما غراب البين وتراموا باليدين والرجلين وأصابتهما العين وصار حالهما شين وقربت المواكب من المواكب وهزوا فى أيديهم القواضب وقد بان المغلوب من الغالب وصاروا بين مغلوب

وغالب ومنكوب وناكب ومنهوب وناهب ومضروب وضارب وظهرت بينهم العجائب والغرائب وما تنفع فى تلك الساعة لاخل ولاصاحب (قال الاصمعى) الراوى لهذا الديوان وكان فى أوائل الفرسان أربعة وهم حماة بنى عبس وعدنان وأشهر وافى أيديهم السنان وهم عنيترة بنت عنتر سيد الفرسان وخالها عمرو ذو الكلب الاسد الغضبان وزهير بن الملك قيس سيد العربان وزيد بن الامير عروة بن الورد سيد الفتيان وعتيبة بن حصن الفارس القسور ثم انهم حملوا على ذلك الجيش وأذاقوا بنى عامر فى ذلك اليوم الموت الاحمر والبلاء الاكبر وأروهم فى أرواحهم العبر من سيوف لاتبقى ولاتذر (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب والامر المطرب الغريب الذى يجب أن نسوقه على الترتيب فعند ذلك لقاهم عامر ابن الطفيل وملاعب الاسنة والاخوص بن جعفر وكان لهم يوم شديد أغبر كأنه من أيام الساعة التى هى أدهى وأمر وحمل أيضا مع بنى عبس خفاف بن ندبه ودثار بن روق ولهم هزيمة وهمة وكانوا كما ذكرنا قد أرسلهم لهم الامير دريد بن الصمه وحمل أيضا سبيع اليمن بن مقرى الوحش فارس النياق وحمل فى أثره عتيبة بن حصن بن حذيفة وبذلوا فى بنى عامر السيوف والرماح وأظهروا ما عندهم من الشجاعة والقوة ولم يأخذهم فزع وزادت منهم المروة وصاحوا صياح الليوث العوابس وانصبوا على مواكب بنى عامر انصباب الليث العابس وقد أسروا ثلاثين كأنهم الجن والابالس (قال الاصمعى) وقد قام بنو عبس وبنو قضاعة وأقاموا الحرب على قدم وساق وطوقوا بالدم الرقاب والاطواق وضربوا الرؤس وبروا الاعناق ومحقوهم أى امتحاق وبانت الارواح التراق وأكثروا الصياح والزعاق وذهبت من شدة الكرب والاخلاق وجالت الخيل على بعضها البعض ونطرحت الاجساد على بسط الارض ورأت فرسان بنى عامر وكلاب من بنى عبس وبنى قضاعة ساعة وأى ساعة فعند ذلك قال علقمة بن علاقة وكان من فرسان بنى عامر الموصوفة وشجعانهم المعروفة لبنى عامر يا ويلكم دونكم وهؤلاء الانزال لاتدعوا منهم سامعا ولاناظرا وقربوا منهم الآجال راسقوهم كأن الهوان والوبال وضيقوا عليهم المجال وأرموهم ذات اليمين والشمال وخذوا بثاركم منهم فلما سمعت بنو عامر ذلك المقال والقيل مالوا على بنى عبس وبنى قضاعة كل الميل وحمل قدامهم علقمة بن علاقة ومروان بن سراقة وعامر بن الطفيل فاستقبلهم عنيتره وعمرو ذو الكلب وزهير بن قيس وعتيبة بن حصن بن حذيفة وزيد بن عروة ودثار بن روق وخفاف بن ندبة وقناصة الرجال وسبيع اليمن بن مقرى الوحش صديق عنتر وباقى الفرسان وأوقعوا ببنى عامر الذل والهوان وأبلوهم بالحرب والطعان وأبادوا منهم الشجعان وأهلكوا الاقران ولم يزل الحرب يعمل والدم يبذو والرجال تتجندل ونار الحرب تشعل إلى آخر النهار فدقوا طبول الانفصال وعادوا إلى الخيام والاطلال

وباتوا يتحارسون إلى الصباح ولما ظهر الفجر ولاح ركبت الفرسان على الجرد القداح بعد ما اعتقلوا بالسلاح وطلبوا من بعضهم الحرب والكفاح ونادى فيهم الموت لا براح لمن يبيع روحه بين الأرواح فعند ذلك برزت الفرسان إلى حومة الميدان فكان أول من برز من بني عامر ملاعب الأسنة وردادا الأعنة فصاح وطلب البراز فبرز إليه واحد من بني عبس فقتله وثانى جندله وأسر منهم خمسة فرسان أقيال فلما رأت عنيترة إلى هذا الحال خافت على رجالها من الوبال فبرزت إليه في عاجل الحال وقالت له دونك والحرب يا ابن الأندال ويا فضيلة أوباش الرجال فصاح بها غشم بن مالك وحمل عليها حملة الأسد الربال فقتلته عنيترة كأسها السمر الحردان وجالا الاثنان في المجال وطعنته وأظهر الأهوال وكانت عنيترة أثبت منه في القتال وراوغته وضايقته في المجال وطعنته بالسنان في صدره أطلعته يلمع من ظهره فانجدل ومال كأنه قطعة من بعض الجبال فلما رأى بنو عامر هذا الحال حملوا على عنيترة من اليمين والشمال عند ذلك تلقتهم بنو عبس وبنو قضاعة كأنه أسود الدحال وطال بهم المطال والحرب والقتال وجرى الدم وسال كأنه السيل إذا سال وزادت نار الحرب اشتعالا إلى آخر النهار فدقوا طبول الانفصال ورجعوا عن المجال لما أقبل الليل بالانسدال وعول النهار على الارتحال ولما كان ثاني الأيام برزت عنيترة للمجال وطلبت الحرب والقتال وهي تنادي يا بني عامر دونكم والقتال والطعن والنزال ولا يبرز إلا فارسكم عامر بن الطفيل الذي خان العهود والمواثيق وأنكر صحبة الصديق وقتل زوجة أبي وأباها وأخاها وحمل هذه العملة ولم يعلم أن صاحب الثار لا ينام فليبرز ذلك اليوم إلى الحرب والصدام إلا أنهما استمرت كلامها حتى صار عامر بن الطفيل قدامها فلما نظرته عنيترة علمت بما في مراده فعند ذلك أنشدت تقول :

أيا عامر يا ابن بنت العواهر ... أتاك القضا من كف بنت الأكابر
أبي عنتر المعروف في حومة الوغا ... همام البرايا ضارب بالبواتر
فكافأته لما توفى بفعلة ... وجازيته بئس الجزا بالعشائر
أما كنت ترعى حرمة الود بينكم ... وتكرم له عيلة بطيب العناصر
ولكن جرى المقدور فيها لا تكن ... يعز عليك اليوم ضرب العناتر
فقد قيل في الأمثال بيت محرب ... جرى ذكره بين الورى في العناصر
ومن يفعل المعروف في غير أهله ... يلاقى كما لاقى محير أم عامر

(قال الراوي) ولما فرغت عنيترة من شعرها وما أنشأته من نظمها ونثرها حملت على عامر ابن الطفيل حملة الأسد الضرغام وتضاربا بالحسام الصمصام وتطاعنا بالرماح المعتدلة القوام وأخذ معها عامر في الجد والكر والأخذ والرد والاقتراب والابتعاد وكثر بينهما الشر

والعماد وكان لهما ساعة تقشعر منها الأجساد ونظر عامر بن الطفيل من بين الفريقين الغبرة ما رأى عمره مثله في الزمان لا من فارس ولا من عشرة وسرتهما على أعلا مية عنيترة حربا وعلمت أم الزعازع أن عامرا بقي قدامها قليل المقدار قسطت عليه بقوتها سطوة جبار وحملت عليه حملة صادقة ما عليها عيار وضربته بالسيف صفحا على قمة فوقع من على الجواد وكادت ان تعدمه مهجته وبقي مدا على الأرض من غشوته لأن الضربة نزلت عن رأسه مثل حجر المنجنيق فعدم منها السعادة والتوفيق وما أفاق عامر من غشوته حتى انقض عليه وشده شدا وثيقا وساقه قدامه وهو في بحار الهم غريق (قال الراوي) ولما نظرت بنو عامر إلى حاميتها قد أسر وبعد العز ذل وقهر انحلت عزائمها وارتعت من الفزع قوائمها وحملت تروم خلاصة يد قناصة فاستقبلهم بنو عبس وبنو قضاعة بقلوب غير مرتاعة وصدقوا في حملتهم في تلك الساعة وكانت عنيترة بعد أسرها لعامر بن الطفيل حملت على بني عامر هي وخالها عمرو ذو الكلب وزهير بن قيس وزيد بن عروة وسبيع اليمن ودثار بن روق وخفاف ابن ندبة ودعثروا في بني عامر واذاقوهم الحرب المتعاسر وافنوا منهم الأكابر الأصاغر وعدم صبر بني عامر حتى لم يبق فيهم من يحارب ولا يضارب ودخل في قلوبهم ما حير الخواطر وأبهر النواظر وانصب عليهم بنو عبس كالهم الأسود الكواسر فلم يجدوا لهم بها طاقة ولا على حربهم استطاقة فلم يكن لهم أرفى من الحرب فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار لأنهم لم يبقى لهم على الثبات قوة ولا اضطبار فهجوا على وجوههم في القفار وتفرقوا في السهول والأوعار وتبعتهم بنو عبس وبنو قضاعة ومكنوا منهم الصارم البتار وما زالوا خلفهم إلى آخر النهار فرجعوا عنهم وقد حصل لهم الفرح والاستبشار ونهبت العرب أحياء بني عامر وأخذوا أموالهم ونياقهم وجمالهم وبعد ذلك دخلت عنيترة أبيات عامر بن الطفيل ونهبت هي ورجالها ما فيها من الخيرات وأسرت كبشة أم عامر وأخته وأحلت بهم الذلة وذلك لتأخذ منهم بثار عمها مالك وولده عمرو وابنته عبله وأخذت جميع ما كان تبقى من أموالها وبذلك أخبرتها رجالها وفرح زهير بن قيس بما كان من أحوالها وأخذت من عنده الدروع التي كانت لأبيها عنتر ومن حملتهم الدرع واغاحيجي وسيفه الصامي الابتر وأخذت الخيل التي كانت له ولم يعدم منها سوى الأبجر لأنه كما ذكرنا شرد عند وقوع عنتر من عليه وتوحش في البر الاقفر لأن عبلة كانت أخذتهم معها لما تزوج بها عامر كما أمرها عنتر وسارت كبشة أم عامر لما رأت ما حل بها من ذلك الأمر الجسيم تقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والله أن ولدي كان ليكم ظالم وقد أصبح اليوم على فعله نادم وحرمة العزيز الدائم هذا وبنو عبس قد نهبوا المضارب والخيام وسبوا الجوار والمولدات والخدام وشالوا الحلة وأخذوا كل ما فيها ولم يدعوا شيئا له منتفع وقد هج على وجهه الاخوص بن جعفر ورأى

جميعه الموت الاحمر وبات بنو عبس وبنو قضاعة فى ذلك المكان وفرحوا بأخذ الثأر وعلو الشأن ومن الغد عادوا طالبين الديار والاطلال قاصدين أرض الشربة والعلم السعدى ليعمروا المنازل ويؤنسوا الديار ولا يعود أحد يتعدى عليهم (قال الراوى) ولم يزالوا إلى أن وصلوا إلى الاوطان والديار ونزلوا فيها وقد فرحت بهم الديار وتعمرت الاوطان بالقطار والمنازل بالسكان ولما نزلوا ضربوا الخيام واركزوا الاعلام وروجوا قدور الطعام وقدموا بواطى المدام وقد أخذوا فى اصطناع الولائم مدة سبعة أيام وضربوا لعنيترة مضرباً مكان أبيها على غدير ذات الارصاد وأتتها الشعراء والقصاد وكذلك زهير ابن قيس نزل من منزل أبيه وخرج بنو عبس وملكهم بما هو وكذلك عتيبة بن حصن نزل فى منازل بنى فزارة وحصلت لهم الفائدة بعد الخسارة وتعمرت الديار بعد الخراب واستأنست بأهلها بعد أن كانوا عنها غياب وهراب وكانت قفراء خراب لا يأويها إلا البوم والغراب فسبحان الله العزيز الوهاب الملك العظيم التواب الذى إذا دعا أجاب وإذا سئل أعطى بغير حساب يحكم فى خلقه ويريد وله البقاء والنصر والتأييد قال الراوى واقامت بنو عبس فى منازلهم والاوطان وقد خافت منهم وحسبت حسابهم جميع القبائل والعربان من بنى عدنان وبنى سبيان وبنى قحطان وخافت وهابت من عنيترة جميع الشجعان والافران وقالوا لبعضهم ها قد عاد ملك بنى عبس أحسن ما كان وقد تعرضوا عن عنتر بابنته عنيترة التى أذلت الشجعان وقهرت الاقران وأسرت مثل ذو الخمار ومثل عمته الورقاء الذين هم معدودون من فرسان الحرب واللقا وأسرت مثل عامر ابن الطفيل وقتلت ابن خالته ملاعب الاسنة وأحلت به الفنا والويل وأخذت منهم بالثار وكشفت عن عبس العار وشتتت بنى عامر فى البرارى والقفار وخلت منازلهم قفراء ما فيها ديار ولا نافخ نار (قال الراوى) وقد مضت الاخبار بذلك إلى عمرو بن معد يكرب فتعجب كل العجب من ذلك واحتفل فى سادات قومه وسار إلى بنى عبس السادات الغر ليهنى عنيترة بما أتاها من النصر والظفر ومازال سائراً إلى أن وصل الى بنى عبس ومن عندهم من القبائل فوجد المنازل قد أنست بالنوازل وازداد عددهم كما كانوا فى تلك الايام الاوائل لانهم كانوا فى أيام عنتر أربعة آلاف فارس والآن قد صارت عنيترة وزهير فى اثنى عشر ألف فارس لان زهير قد اجتمع عليه من بنى عبس الذين تفرقوا ألف فارس وبنو قضاعة قد جاءوا مع عنيترة وخالها عمرو فى خمسة آلاف فارس وبنى فزارة قد اجتمع منها خمسمائة فارس ممن كانوا قد اختفوا فى الجبال وشىء منهم قد تخفى وسكن فى أحاقيق الرمال والباقى من فرسان العرب الذين قد أتت إلى خدمة عنيترة ولما بان منها هذه الشجاعة والقوة والبراعة وهم مثل دثار بن روق وخفاف بن

تدبه لأنهم رأعوا ما كان بينهم وبين والدها عنتر من المودة والصحبة وكان كما ذكرنا قد أمرهم بذلك شيخ العرب دريد بن الصمة فاجتمعوا بجماعة من هوازن أهل العزيمة والهمم وكانوا قد ألفوها وأحبوا المقام عندهم لأنهم رأوها جيدة الخصال ولأجل ما كسبوا بسببها من المال والنوق والجمال (قال الراوى) ولما أتى الامير عمرو بن معد مكرب إلى زيادة عنيترة ترحبت به وأكرمته غاية الإكرام وقد وجد عندها الأمير هانىء بن مسعود فى جماعة من فرسان بنى شيبان الكرام لانه كان الآخر قد أتى إلى عنيترة لاجل السلام هذا وعبيترة قد قامت لجميع العربان بالضيافات والعلوفات وأكثرت لهم من الخيرات الزائدات وأصبحت أرض الشربة والعلم السعدى ترتج بسكانها وتفرح بقطانها وقد صارت أحسن ما كانت فى أول زمانها وصار سادات العرب ما لهم حديث إلا فى عنيترة لما بان منها من الشجاعة والقوة والكرم وحسن الشيم وجعلوا يقولون لقد أحببت عنيترة ذكر بنى عبس مد ما كانوا كما مضى من أمس لانه من خلف مثلها ما مات لانها قد أسرت جماعة من الفرسان والسادات مثل ذوالخمار وعمته الزرقاء وأردتهما فى الحرب واللقاء وقتلت ابن منها أسد الفلاقو وارثته الفنا قال الراوى وقد ذكرنا أن عامر بن الطفيل عندما أسور وقد أحلت به البلا والثبور وقتلت ابن خالته ملاعب الاسنة غشيم بن مالك وأنزلت به المهالك وكذلك عندها والدته وأخته فى الاسر والهوان فلما اجتمعوا عندها سادات العربان لم يجدوا لهم كلاما سوى ذلك الشأن وخلاص عامر مما هو فيه من الاسر والهوان لانه كما قدمناه معدود من جملة الشجعان فعند ذلك سألها الامير هانىء بن مسعود وعمرو ابن معد يكرب بعامر بن الطفيل لاجل من معه من النسوان فأجابتهم عنيترة إلى ذلك السؤال ولم تغلظ عليهم فى ذلك المقال ولم يخطر لها ذلك الامر على بال ثم أنها أمرت باطلاقه فى عاجل الحال وخلعت عليه وأحضرته فى جملة الرجال ثم قاموا عندها فى أرغد عيش وأهنى بال مدة سبعة أيام وهى فى أكل طعام وشرب مدام وبعد ذلك استأذنوها فى الانصراف فأذنت فى ذلك ولم يكن عندها خلاف بعد ما خلعت عليهم الخلع الحسان وساروا من عندها وهم يتعاهدون ما فعلت فى حقهم من الاحسان وأقامت هى بعد ذلك وقوهها وما اجتمع عليها من العربان وهم فى أمان واطمئنان برهة من الزمان (قال الراوى) وأما الفرسان الذين انصرفوا من عندها فكل منهم قصد ما له من الاوطان ومن جملتهم عامر بن الطفيل وقد نالته ما حل به من الاسر والذل والويل لكن شقاوة غالبة عليه بما قضاه الله تعالى من إيصال الكفر إليه وذلك أن عامر لما وصل إلى ديار ونزل فيها وقر قرار مع اجتمعت عليه العربان الذين كانوا قد انهزموا فى البرارى والقيعان ونزلوا واستقرت بهم الاوطان قال الراوى ومما قضاه الملك الديان أنه لما بعث سيد محمد سيد

ولد عدنان وشاعت أخباره فى سائر الأماكن والبلدان ودعا الناس إلى الاسلام والايمان ورمى ما كان على البيت الحرام من الأصنام والأوثان فبلغ ذلك إلى عامر بن الطفيل فمن خبث نفسه ما يلحقه من ذلك فتور ولا توان بل قال أريد أن أمضى إلى هذا الرجل الذى شاعت أخباره وأغزوه فى داره فقد بلغنى أنه بمكة مقيم وأنه قد دعا الناس إلى دين قديم وحط القصائد عن البيت الحرام وأطاعته أصحاب كثيرة من الخاص والعام ولما عزم عامر ابن الطفيل عن ذلك أقبل على فارس كان قد نشأ فى بنى عامر يقال زيد بن ربيعة وكان الآخر كافراً جاهداً فقال له يا زيد هلم لنقتل هذا الرجل الذى قد ظهر وتقطع منه الآثار وتدع لنا ذلك خبراً يذكر فقال له افعل ما بدا لك فإننى مطيعك فى جميع أفعالك ثم اتفقوا على ذلك الحال وساروا يقطعون البرارى والتلال وما زالوا كذلك إلى أن وصلوا إلى مكة شرفها الله تعالى ونزلوا فى بيت امرأة تسمى سلوى وكانوا يعرفونها قبل تلك القضية وهى أخت عبد الله ابن سلول المنافق لعنة الله تعالى عليه (قال الراوى) ولما أن نزلوا عندها واستقروا فى دارها سارت تخدمهم هى وخدامها وجوارها وأقاموا عندها يوماً بدون فرصة من رسول الله ﷺ فبينما النبى ﷺ جالس فى بيت خديجة الكبرى والدة فاطمة الزهراء وإذا بجبريل قد هبط عليه وقال يا رسول الله ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك إن رجلين من بنى عامر يقال لأحدهما عامر بن الطفيل والثانى يسمى زيد بن ربيعة العامرى قد أتيا إليك ليقتلوك وهما قد نزلا فى بيت أخت عبد الله بن سلول المنافق وأنهم قد أملوا أملا بعيداً وقد أضلهما الله تعالى ضلالا شديداً وتبعا كل جبار عنيد وربك يقول لك يا محمد إن أردت خسفت بهم الارض كما خسف الله دار قارون وربما اخترت فوهم على كل حال يهلكون فقال رسول الله ﷺ رب اهد قومى فانهم لا يعلمون وقال يا أخى يا جبريل دعهما فى عيهما وجهلهما يعمهون وقد وصف الله أخلاقه فى القرآن فقال عز من قائل وإنك لعلى خلق عظيم وخرج النبى ﷺ وجلس فى المسجد وإذا بعبد الله بن سلول المنافق قد أقبل المسجد فى جملة الصحابة ودخل وكان النبى ﷺ يعرف المنافق من المؤمن الصادق ولكن كان المنافق يحقن دمه وماله بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله قال الراوى ولما أقبل عبد الله بن سلول إلى المسجد قال له رسول الله ﷺ يا عبد الله امض إلى دار أختك وائتنى بمن عندها من بنى عامر فسار عبد الله إلى دار أخته لما سمع كلام رسول الله ﷺ وطرق الباب ففتحت له أخته وقال له أهلا وسلاما بك يا أخى هل من حاجه فقال لها عبد الله يا أختاه هل عندك ضيوف من بنى عامر من قرائب مالك فقالت له نعم فقال لها دعيهم يتجولوا بأنفسهم وإلى أهلكم محمد بن عبد الله فلما سمعت ذلك منه تغيرلونها واضطرب كونها ودخلت من وقتها وساعتها إلى عامر بن الطفيل وإلى زيد بن ربيعة العامرى وقالت لهما انجوا

بأنفسكما من العطب وإلا قتلكم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أشر قتلة ومثل بكما أقبح مثلة فلما سمعوا ذلك الكلام من أخت عبد الله قاما إلى خيولهما فركبوها وإلى عددهما فلبسوها وخرجوا من وقتهما وساعتهما وسارا فى البر على وجوههما هاربين وإلى النجاة طالبين وقد صارا فى حيرة عظيمة فى ذلك البر الأقفر واعتراهما الخوف والكدر إلى أن وصلوا إلى بنى عامر وكل واحد منهم عقله من رأسه طائر وعلم أن رسول الله ﷺ أن الاعتداء من عامر بن الطفيل فدعا عليه وقال ابتلاه الله بغدة كغدة البعير فطلع له شىء فى رقبته يسمى الخوانيق فلما وصلوا إلى عامر ضعفوا أياماً كثيرة وأجيبت دعوة رسول الله ﷺ فى عامر وطلع له غدة فى رقبته حتى صارت كالطبل العظيم ولم يزل بها حتى هلك فلعنة الله عليه (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما ما كان من عنيترة وبنى عبس وأحوالهم فانهم لما أقاموا فى أرض الشربة والعلم السعدى وقد بلغوا من النصر على الأعداء وآمالهم وهم فى العيش الرغيد والجمع العديد وإذا بنجاب على ناقة طويلة الخطام قد أقبل من بين تلك الروابى والآكام حتى أشرف على أرض الشربة والعلم السعدى وهو راكب على ناقته وهو بها يحدى ويعيد ويبدى فلما بانت له الخيام وظهرت له الرايات والأعلام ونظرته العرب تسابق عليه العبيد والخدام فرأوه قد ترجل من نجيبه فى طرف الخيام وصار ماشياً على الأقدام وسأل عن مضرب الأمير عنيترة فأرشده إليه الخدام ومازال سائراً حتى وصل إليها وقدم عليها وصار بين يديها فرأها جالسة فى مصربها وعندها سادات العرب وهى بينهم كأنها الأسد الأغلب وكل منهم ينظر إلى ما أعطاها الله تعالى من الهيبة ومن شجاعتها وهى أيضا تتعجب كيف أذلت بفروسيتها فرسان البر والسبسب (قال الراوى) وإذا بالنجاب قد أقبل فاستأذن له الخدام فأذنت له فى الدخول فدخل فترحبت به ولديها أقبل ولما هدأ المكان من السلام والخطاب أخرج من عمامته إلى عنيترة كتاب وقال لها إذا قرأتيه وعرفتى ما فيه اتردى الجواب فأخذته عنيترة وسلمته إلى زيد بن عروة وقد ذكرنا أن زيد بن عروة لما مات عنتر كان صغير السن فوصى عليه عمر ذو الكلاب فقبل فيه الوصية ورباه أحسن تربية فى العيشة الهنية المرضية وكنا قد ذكرنا أيضا أن أباه قبل مماته علمه الخط والنجابة والفروسية والتصق بعد ذلك إلى هذا الفارس الجسيم فخرج منه هذا المخرج العظيم وصار يد طويلا فى الخط والقراءة والشجاعة وقد كان ذا قوة وبراعة فصار عند الأميرة عنيترة فى أعلا مكان والمعطف محل وأعز شأن وهو الذى كان يكاتب لها سادات العرب وكان فيه فضل وأدب

(تم الجزء الثالث والخمسون ويليه الجزء الرابع والخمسون)

الجزء الرابع والخمسون

من سيرة عنترة بن شداد

(قال الراوى) ومما اتفق من الأمر أنه كان فى تلك الأيام لا زوجة له ترضيه لأن زوجته كانت قد توفيت والتى كان قد تزوجها فى زمن أبيه وكان للأمير عمرو ذو الكلب ابنة يقال لها الرباب ولم يوجد لها نظير فى الحسن والأدب وكانت من ذوى الأحساب والأنساب مليحة القد قاعدة النهد لها خصر نحيل وردف ثقيل وكان من محبة يزيد بن عروة عند الأمير عمرو ذو الكلب زوجه ابنته وأقام عنده فى نعمته وعمل له الولائم وذام لها العز الدائم سبعة أيام وفى اليوم الثامن ضربت الزفاف وانقضى الأمر ولم يبق فيه خلاف ودخل بها زيد بن عروة ووقعت بين الاثنين المحبة والتخوة فراقامت معه مدة من الأيام ورزق منها ولدا ذكر كأنه بدر التمام فسماه عروة على اسم أبيه وتربى على أيدى العبيد والخدام وقد صار لزيد بن عروة خيل وجمال ونعم وأموال وصار بعد ذلك من الأبطال وصارت عنيترة لا تفارقه بحال من الأحوال (قال الراوى) ولما أتى ذلك النجاب وناول عنيترة الكتاب منه وأعطته إلى زيد بن عروة وأمرته أن يقرأه حتى أنها تسمعه وتعرف معناه وإذا به من عند الملك المنذر بن النعمان وكان لذلك الكتاب شأن وأى شأن قال وكان السبب فى ذلك هو أن الملك المنذر كان فى كل سنة يحمل حملا إلى الملك كسرى أنوشروان وهو شىء كثير من الأموال والهدايا والذخائر والتحف الغوال فاتفق من الأمر العجيب والحديث المطرب الغريب أن المنذر قد جهز الحمل فى تلك السنة على جرى العادة وأرسله إلى المدائن وسارت به الرجال وكان مع صحبة الحمل ألفان من الفرسان السادات وكان المقدم عليهم عمرو بن هند أخو النعمان الذى كان قد أرسله إلى بلاد اليمن ليرد بنى عبس لما أن كان النعمان عليهم غضبان وعاديهم وأنزلهم فى أرض بنى عامر كما أمره أخوه النعمان وكان عمرو بن هند قد رزق هذا الولد النفيس وكان فارسا ورئيس بعد إذا برز إلى الميدان بألف بطل من الشجعان وكان يسمى ماء السماء ولما أراد الملك المنذر أن يرسل الحمل إلى كسرى أنوشروان انتدب له ابن عمه ماء السماء حتى يكون لتلك الأموال حافظا وحمى وأرسله مع الحمل وصحبته ألف فارس أبطال وسار ماء السماء بما معه من الأموال والنوق والجمال والصناديق الملانة من الذهب والجواهر الغوال وطلب مدائن كسرى وتلك الأبطال وما زالوا كذلك سائرين على ذلك الجمال وهم فى السوق الشديد إلى أن وصلوا إلى بزية وقعيد والدواب بين أيديهم تسوقها الخدام والعبيد وإذا قد طلع من جانب الوادى ألف عنان وهم على خيول أخف من الغزلان والكل من منتصرة العربان

وكانوا خمسمائة من الروم الذين هم عبده الصلبان يقدمهم فارس كأنه الأسد الغضبان وهو أسمر اللون مليح الكون وقد نادى برفيع صوته بلسان فصيح ونطق مليح باويلكم ياعباد النار واللهيب ويامن غضب عليكم الصليب خلوا ما فى أيديكم من المال والذوق والجمال وانجو بأنفسكم فى هذه البرارى الخوالى والا وحق المسيح وما رى حنا المعمدان أركبكم رؤسا بلا أبدان وتحوم عليكم النسور والعقبان (قال الراوى) ولما سمع ماء السماء بن عمرو ابن هند مقدم الجيش ذلك الخطاب من ذلك الفارس المهاب نادى باويلكم من تكونون الروم الكلاب أو من أصحاب الأصول والانساب فعند ذلك تقدم إليه ذلك الفارس وانطبق عليه مثل انطباق السحاب وقال لماء السماء باويلك أتقال لمثلى هذا الخطاب وأنا أسد الدحال ومقتنص الابطال أو هذا المقال يعرف عم أو خال أو تذكر احساب وأنساب هذا مقام الضرب بالصارم القرضاب ومحل قطع الرقاب ثم أن فارس الروم بعد هذ الكلام أنصب على فرسان بنى لخم انصباب الغمام وتبعته الخمسمائة فارس والفارس بالدمه كأنه أسد الهيجا وحملت معه الألف الذين من العرب المنتصرة وطلعت على الطائفتين الغبرة ورهقتهم القترة وتضاربوا ضربات متواترة وصارت عقبان المنايا على رؤسهم طائرة ودارت عليهم الدائرة وطمعت فيهم فرسان الروم والعرب المنتصرة وذلك الفارس الرومى الذى على الفرسان تقدم قد ساق الفرسان قدامه سوق الغنم ويرى كل ذباع ومعصم وقد ذل من بنى شيبان القدم (قال الراوى) وكان هذا الفارس الرومى ينادى يقول أنا فارس الروم والعجم أنا الغضنفر فارس هذه الارض وابن الملكة مريم ثم أنه صار يجول على الارض كالدحال ويكرس بين يديه الرجال ويردى الاقيال ويرميهم ذات الشمال فعند ذلك هابته الشجعان وولت من قدامته الاقران وتجاروا فى الميدان وكل منهم يقول ليس الخبر كالعيان وكانت ساعة من ساعة الزمان انهزمت بنى شيبان وبنو لخم عن الغنيمة وطلبوا الهرب والهزيمة واعترض الغضنفر إلى ماء السماء قد طلب الآخر الفرار فتلقاه قبل أن ينهزم وقد طعنه فى صدره بعقب الرمح فأرداه فى تلك القفار فغاب عن الدنيا وكاد أن يحل به الدمار وتسلمته غلمانه الذين حواليه وأوثقوا بالشديد يديه ورجليه وبعد ذلك انحط على بنى شيبان وشتتهم فى البرارى والقيعان وما زال يقتل فيهم ويأسر إلى أن صار آخر النهار وعاد عنهم وقد خلص الغنيمة وهو ذو فرح واستبشار وصار أمام قومه وهو كأنه قد غرق فى بحر من الدم مما سال عليه من أدمية العرسان وقد قتل من الروم مائة وخمسين فارسا ومن القوم المنتصرة مثل ذلك ونزل الغضنفر وقد ضربت له الخيام ووقفت بين يديه العبيد والخدام عرضوا الغنيمة التى أخذوها من العساكر التى هى سائرة إلى كسرى فوجدوا فيها شيئا كثيرا لا يكيف ولا يرى من لؤلؤ وذهب وياقوت أحمر وقطع الزمرد الاخضر وقصوص

المعادن والجوهر وأشياء تذهل العقول والبصر عندرؤيتها وشيء كثير من الخيول والجمال. والنوق العصافيرية والبغال وأكثرها محملة من الهدايا الغوال وأيضا معهم جوار وخدم وأموال ونعم تعجز على جمع مثلها ملوك العرب والعجم (قال الراوى) ففرح الغضنفر بذلك فرحا عظيما وعلم أن طالعه مستقيم وقد أقام هناك ذلك اليوم وتلك الليلة ورحل بما معه من الأموال وقد تعجبت من فروسيته الأبطال وكيف كسر بنى لخم وشيبان بشدة عزمه وقوة ماعنده وهم ألف عنان وأسر ماء السماء ابن عم الملك المنذر وأخذه معه أسير وقد شدوا بين يديه الأموال تسوقها الخدم والعبيد وقد بلغ من زهاته ما يريد وتلك الغنيمة قد سدت الفضاء وملات المستوى ومازال سائرا إلى أن وصل إلى قلعة أهل الرشاق ومعه جميع أصحابه وجماعته (قال الراوى) وقد أخبرت الرواة أن الغضنفر كان يحكم على أكثر من عشرة آلاف فارس من الروم منها خمسة الاف من أصحابه وخواصه وكان عبيده فى القلعة مقيمين ومنها خمسة الاف فى الطباع والرساتيق دائرين وكان الغضنفر قد نشأ فى ذلك المكان وقد طلع فارسا لا يوجد مثله فى الآفاق ولا نظر أحد شكله لا فى الشام ولا فى العراق (قال الراوى). ولقد سألت عن هذا الفارس ونسبته وفى أى أرض وبلاد كان منشؤه وتربيته لأن حديثه عجيب وقصته توجب الطرب وكيف لا أسأل عنه وقد كسر فى ساعة واحدة ألفين فارس من بنى شيبان ولخم وهما من سادات العربان وفيهم مثل ماء السماء وكان يعد بألف فارس من الشجعان وأيضا كان الغضنفر هذا صين يقاتل يحامى عن نفسه وعن جميع من معه من أهل قلعته ومن فرسانها ورجالها مثل ماتحامى اللبوة عن أشبالها وذلك أن هذا الفارس كان نشأ فى القسطنطينية عند ملك الروم قيصر وكانت والدته بنت أخى الملك يقال لها الملكة مريم وقيل ان من خواص سراريه وقد رزقت هذا الولد وكان اسمر اللون وله سواعد شداد مثل العمد وكان الملك قيصر كلما راه مال قلبه إليه وأحبه ولكن كان فى بعض الأوقات طبعه ينفر منه لاجل سواد لونه دون الروم ولما دخل فى نابه الشك من اجل ذلك اللون الذى صار فيه قدمه قدمه على خمسة الاف فارس من الروم وهو من البلوغ وأرسله هو وأمه وجوارها وجميع أموالها وذخائرها وما يعز عليها إلى قلعة برقعيد وكانت هذه القلعة حد ملك قيصر من ملك الفرس كسرى وكان الملك قيصر أنفى مراده أن يجعله فى تلك القلعة ليكون فى وجه العدو وليدفع من يريده بسوء فسار الغضنفر بعسكره كما رسم له عمه إلى أن أتى إلى قلعة برقعيد وكانت هذه القلعة عظيمة فوجدها قلعة حصينة ولكن أرضها برية مخيفة غير أمينة فصعد إلى تلك القلعة وأقام فيها وجعل معه فى القلعة من ذلك الجيش من هو مثله فى العمر وأكبر منه ودونه والبعض كان من قرائبه وقرائب أمه ثم انه استخدم أيضا من كان قد انضاف اليه خمسة الاف بالديوان وجعلهم فى الضياع والرساتيق لأنه عمر تلك الافاق

وجعلهم يستخلصون له الخراج ويرفعون إليه الأموال فى كل عام (قال الراوى) ثم بعد ذلك تفرس الغضنفر وصار يركب فى خمسمائة فارس وأكثر ويتصيد بهم طول النهار ويهجم الغابات ويقتنص منها السباع الضاريات ويقهرها بقوة ساعده فى كل الاوقات وقد صار له بهذا عادات وما زال على ذلك الحال أياما عديدة وليالى إلى أن بقى له من العمر عشرون سنة صار يبارز الفرسان ويقهر الشجعان ويرميهم فى الميدان مدة من الأيام وسطا على الفرسان وزاد أمره وعظم شره وما رأى قافلة دخلت عليه من تلك الأرض إلا ويلقاهم وحده وما معه إلا فرسان قلائل من جيشه وجنده وما زال على ذلك الشأن إلى أن سمع بتلك الغنيمة سائرة إلى كسرى أنوشروان من عند الملك المنذر واخبره الذى أتى إليه بالخبر أن معها ألفين فارس من بنى لخم وشيبان فقال وحق المسيح لاسرب إليهم إلا وحدى ولا آخذ معى أحداً من جيش ولا من جندى فقالت له والدته بحق المسيح يا ولد لا تفعل هذه الفعال وخذ معك من يعينك من الرجال وكذلك قامت عليه أرباب دولته وجماعة من أهله وعشيرته فصحب معه تلك الخمسمائة من الروم والآلف من العرب المنتصرة وسار فى طلب الغنيمة وقد وقف مرتقبا للفرسان فى فم المضيق حتى أنهم يعبرون على الطريق وكان ذلك الموضع مسيرة يوم وليلة من القلعة فى ذلك البر الأقفر وقد سار الغضنفر وله قلب أقوى من الصخر (قال الراوى) فبينما هو كذلك سائر قدام قومه فى تلك القفار إلى أن عبر عليهم نصف النهار وقد نفخ عليهم البرنار وإذا قد اعترضهم أسد فى تلك الطريق وهجم عليهم ومنعهم عن المسير والتعويق وكان ذلك الأسد قد خرج عليهم من بين الغابات والشجر وهو أسد أغبر الحجر يطير من عينيه الشرر ويقلب الوداع بالصياح إذا زأر وزجر له أنياب أحد من النوائب ومخاليب أشد من المصائب واسع الأشداق عبوس ضيغم أفطس الأنف أدغم يسمع من غرغرته الرعد إذا همز وهمهم وتنظر البرق من عينيه اذا أظلم الليل واقتم الميل وهو كأنه القضاء المبرم وهو كما قال فيه الشاعر هذه الأبيات

وليث عبوس تصدع القلب وثبته ... وترتعو الابدان من عظم صرخته
بشدق كبير كالغليب وعجه ... كشعلة نار فى الدياجى وظلمته
وأنيابه مثل الكلاليب اذ بدت ... يروخ قلوب الناظرين برؤيته
اذا مارأته الخيل صارت شرودا ... إلى القاع تخشى من صواعد سطوته

(قال الراوى) ثم ان ذلك الأسد طلب الخيل وهو يتمايل على جنبيه وفى مشيه يتمخطر ولما رآه الغضنفر قال لاصحابه لا تكلم من يخطى من مكانه حتى تنظر ما يكون من شأنه وشأنه ثم ان الغضنفر ترجل عن ظهر جواده وخلع عن عدته وأدار أذياله فى دور منطقته وأخذ سيفه بيمينه وأخذ فى شماله ورقته وتقدم بحظر إلى الأسد بقلب أقوى من الصخر والجلد

وما زال ماشيا على قدميه حتى قرب منه ووصل إليه فلما نظره الاسد امتد حتى صار كمثليه ثم انجمع بعد ذلك حتى صار كمثليه وحمل على الغضنفر وحمل الاخر عليه وضربه بالسيف بين عينيه فى قوة الضربة وشدة حمل الاسد طلع السيف يلمع من فخذيه فعندها ارتاعت قلوب الفرسان من تلك الضربة لما نظروا إليه (قال الراوى) هذا وقد رجع الغضنفر بعدما مسح سيفه فى جلد الاسد وقد تركه على التراب عدد وركب على جواده وفى ما جل الحال كانه ما عمل شيأ من تلك الاعمال ولم يزل سائرا هو ومن معه من الفرسان إلى أن التقى بماء السماء بن عمرو ابن هند أخى النعمان وجرى له معه ومع قومه ما جرى من ذلك الشان واحتوى الغضنفر على جميع الغنيمة وطلب بنو لخم وبنو شيبان الهزيمة ورجع هو وقومه قاصدا إلى قلعته وطلع إليها واجتمع باهله وعشيرته ونظرت والدته الملكة مريمان إلى ما اقتنى معه الاموال والذخائر المثمنة والنوق والجمال وتلك الصناديق المحملة على البغال ففرحت بما بان منه فرحا شديدا زائدا عن الحد ليكون أن ولدها قد صار حامية تلك الارض (قال الراوى) هذا ما كان من الغضنفر ورجاله وما جرى لهم (واما) ما كان من حديث المنهزمين الذين هم من بنى لخم وشيبان واحوالهم فانهم لم يزالوا فى هزيمتهم إلى أن وصلوا إلى مدينة الحيرة وكل منهم فى ذل وحيره ودخلوا على الملك المنذر وقد عميت منهم البصيرة وهم صارخون مولولون وقد حل بهم الذل والخبال وجعلوا ينادوا ويقولوا أيها الملك نهبت الحال والاموال وقتلت الرجال وسارت بها الاحوال قال الراوى فلما سمع الملك المنذر ذلك المقال تغيرت منه الاحوال وتغير لونه واضطرب كونه وقال لوزيره انظر ما ترى من الرأى والتدبير واضرف همتك إلى ما ترى فى هذا الامر الذى قد صار عسير وكان وزير المنذر فى ذلك الزمان زيد بن عمرو بن نفيله العدوى وزير الملك نعمان كان قد طلع مثل أبيه رجلا فاضلا خبيرا وكان ذا عقل ورياسة وأدب وفضل وسياسة فقال له أيها الملك اتى سمعت عن هذا الغضنفر أنه فى ذلك الزمان فارس البدو والحضر وأنه فارس لا كالفرسان وبطل تخضع لفروسيته الشجعان وما له إلا فارس مثله وبطل شكله كشكله ويكون يفعل فى الحرب كفعله وما يوجد اليوم له مثيل فى الزمان والدهر إلا ركانت أم الزعارع عنتيرة بنت عنتر التى من بعض فعالها أنها أسرت ذو الخمار وعامر بن الطفيل الفارس المغوار وقتلت مثل ملاعب الاسنة فارس بنى عامر واحلت به الويل ولما أرسلنا إليها نعلمها بذلك الخبر فهى تاتى إلى الحد به بقوة قلبها وشدة عزمها وتكشف هذا الضرر ونرجو على يديها النصر والظفر والا يا ملك إن ارسالنا إلى الغضنفر جيشا اخر فانه يكسره ويخرق الهيبه ويبقى الامر وضيعا منكسر ويروح منك ناموس الملك ويحل بنا العبر وأنا الرأى عندى أيها الملك أن ترسل إلى ابن خالك زهير بن قيس الذى قد ربك على يديه قبل الان على الخير فانه يامر ابنة عمه عنيتره بالمسير هى وبنى عبس وبنى قضاعة

فانى أعلم منها أنها إذا سمعت بذلك تأتى ولا تتأخر وترسلها من ههنا أنت إلى الغضنفر فانها تذيقه الموت الأحمر وتنزل به بشجاعتها الذل والعبر (قال الراوى) فلما سمع الملك المنذر من وزيره ذلك الكلام فرح واستبشر بهذه الأسباب وأمر الوزير فى عاجل الحال أن يكتب اليهم كتاب وأن يشرع بارساله مع النجاب ففعل الوزير ما أمره به لما سمع من المنذر ذلك الخطاب فارسل بالوقت النجاب فسار من وقته وساعته طالبا أرض الشربة والعلم السعدى وهو يلمع فى ذلك البر ولناقته يحدى حتى صار إلى الديار والأطلال فرأى إلى حلل ترتج بسكانها من كثرة ما فيها من الرجال والأموال وفيه بعض العبيد فسأله عما جاء فيه من الأحوال فقال النجاب أريد الأميرة عنيترة بنت عنتر فقال له العبد ألا تنظر إلى ذلك البيت الرفيع العماد الأحمر فامض إليها واستأذن بالدخول عليها واشرح لها حالتك فانها تقضى لك حاجتك وإن كنت مظلوما فانها تعينك على ظلامتك (قال الراوى) فسار النجاب قاصد المضرب فرأى العبيد تمرح وتلعب وهم فى أمن من غبرة الزمان وفى غاية ما يكون من الإحسان فلما رأى العبيد إلى النجاب تسارعوا إليه وأعلنوا بالسلام عليه وسألوه عما جاء فيه وليبدى فيه الأمر ولا يخفيه فاستأذنوا له فى الدخول فأذنت لهم بدخول الرسول وكانت جالسة وفى حضرتها من قدمنا ذكرهم من الأصحاب وإلى جانبها الملك زهير بن قيس وهو كأنه الأسد الوثاب فدخل عليهم النجاب فى عاجل الحال وقبل بديها وأوصلها الكتاب فأخذته وناولته لزيد بن عروة وأمرته أن يقرأه حتى يسمع كل الحاضرين ما فيه وتعرف معناه (قال الراوى) ورجعنا إلى سياق الحديث والخبر فعند ذلك فضه زيد وقرأه ولما سمعت عنيترة والملك زهير ومن حضرهم من الأصحاب ما قرأه زيد بن عروة من الكتاب قالت عنيترة للملك زهير ما ترى يا ملك فى هذا الحال وأى شىء الذى تراه من الأعمال فقال لها زهير ما والأمر إلا المسير وسرعة الجد والتشمير ونكشف عن ابن عمى الملك المنذر فى قضاء حاجته وكذلك قال كل من حاضر القراءة هذا الكتاب وسمعوا ما جاء به النجاب وعرفوا ما جرى من تلك الأسباب وهم كما قدمنا فرسان الأعراب الذين كانوا قد أتوا للسلام والتهنئة بما وصل إليهم من الأنعام فقالوا كلنا نسير فى خدمة أم الوعازع ولبوة الوقائع فقالت عنيترة ولا حق ذمة العرب وشهر رجب لا سار إلى الملك المنذر فى قضاء حاجته إلا أنا وحدى وبنى عمى لا غير ولا يكون فى صحبتنا إلا ابن عمى الملك زهير وأما أنتم أيها السادات الأخيار فاننا ما ندخركم إلا للمهمات الكبار وإذا أتانا شىء أقوى من هذا فذلك الوقت يكون ما تريدونه من الاختيار فتعجبوا الحاضرون من قولها وما منهم إلا من أعزها وأحبها وتمت فرسان العرب على ما هم عليه وما هم فيه بقية ذلك اليوم فى أكلهم وشربهم (قال نجد) ولما كان من الغد ودعت عنيترة والملك زهير من كان عندهم من الفرسان وسار كل منهم يطلب ديار والأوطان ولما أن تفرقت سادات العرب من عند عنيترة وقد

أوصلت إليهم الخير الكثير فقالت للملك زهير بالك ما بقى غير المسير فقال لها نعم ما تفعلين وما اليه العم يا إبنة نعم تشير بن فعند ذلك أمرت عنيترة الفرسان بتجهيز حالها فسمع الجميع لمقالها واهتموا فى إصلاح العدد والسلاح وقد تجهزوا للسفر والرواح (قال الراوى) ولما كان بعد ثلاثة أيام سارت بنو عبس وبنو قضاعة يقدمهم عنيترة وزهير وعتيبة بن حصن وزيد بن عروة وشبيع اليمن بن مقزى والوحش ومن شاكلهم من الأبطال وأقامت الحيفاء وأم عنيترة هى وبعض الرجال لاحق حفظ المنازل والاطلال وسارت الجيوش والفرسان يقطعون الأودية والقيعان وينزلون على المنازل والوديان والمناهل والغدران وما زالوا كذلك إلى أن وصلوا إلى الحيرة فوجدوا عليها جيوشا كثيرة فنزلت العشائر فى المضارب والخيام ودخل الملك زهير وعنيترة على الملك المنذر لأجل السلام وفى حال دخولهم كانت عنيترة داخلة وإلى جانبها اليمن زهير بن قيس البطل الهمام وإلى جانبها اليسار عتيبة بن حصن وبين يديهم العبيد والخدام ولما رآهم الملك المنذر فرح بهم وقام لهم على الأقدام وترحب بهم غاية الترحيب لأن كلا منهم له قريب ونسيب وأجلسهم إلى جانبه وصار واعنده أعز من أهله وأقاربه وقد قرب عنيترة اليه من دونه غاية القرب لأنه سمع عنها كل أمر عجيب وجعل يحادثهم ويباسطهم فى الكلام إلى أن حضرت الرجال بالطعام فأكلوا ما طاب لهم ورفعت الأوانى الخدام وبعد ذلك قال الملك المنذر يا أم الزعازع ولبوة الوقائع قد حدث علينا أمر سريع وحال شنيع وهو إنى أرسلت الحمل إلى الملك كسرى حكم الرسم والعاده وأرسلت معهم ألفين فارس والمقدم عليهم ابن عمى ماء السماء والمشيئة والارادة رافقتهم فى الطريق قلت السعادة والتوفيق فخرجت عليهم خيل من برية قعيد وهم مقدار ألفين فارس صناديد بلغنى أنه قد كان المقدم عليهم بطلا عنيد وفارسا سنديد وذلك الفارس يقال له النعمنعر ابن دادة الملك قيصر وقيل أنه ابن أبنه أخى الملك وهكذا قالوا عنه فى الخبر وقد خرج منه فارس عظيم لا كالفرسان وبطل لا كالشجعان وقد قطع عليهم الطريق واعدمهم السعادة والتوفيق وأخذ منهم الحمل بعد قتل الفرسان وأسر ابن عمى وقد حل بهم الذل والهوان وقد زاد ذلك همى وغمى والمراد ومن احسانك يا أم الزعازع ولبوة الوقائع أن تسيرى بمن معك من بنى عبس وبنى قضاعة وأسعفك أيضا بعشرة آلاف فارس ممن يعرف بالفروسية والشجاعة لبوث عوابس وسيرى بهم إلى قلعة برقعيد لتخلصى الحمل وابن عمى ماء السماء من ذلك البطل العنيد وتخربى تلك القلعة وتعودى إلى فى عاجل الحال مسرعه (قال الراوى) فلما سمعت عنيترة ما أخبرها الملك المنذر من ذلك المرام فقالت له أيها الملك الهمام وحق البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام وحرمة الواحد الأحد الفرد الصمد الذى خلق الإنسان من ماء مهين وجعله أبيض وأسود وأحمر وأخرج الماء من صم الحجر

الجليد ما تبغي من فرسانك أحدا أبيض ولا أسود ولا أخذ معي غير ألف فارس من بني عمي وخمسمائة من بني قضاعة واقضي حاجتك واعود عجله الامر بالسمع والطاعة (قال الراوي) فلما سمع الملك المنذر من عنيترة ذلك الكلام تعجب وأخذه الفرح والطرب وقال ما قد اخلف الله على بني عبس عنيترة ابنة عنتر بن شداد واحيا ذكره بين العباد في سائر البلاد وقال يا أم الرعازع ليس بالكثرة من ياس ولا يذمها أحد من الناس فقالت عنيترة أيها الملك وحق من يعلم تردد الانفاس وخلق هذه الصورة الآدمية وما فيها من الحواس ما أسير إلى هذا الامر في أكثر من ألف فارس ممن يكونوا يحملوا همي وضيزى ولا أرسل في هذا الحاجه غيري ولا أكون قد ساريت أكثر الناس (قال الراوي) فقال لها الملك المنذر يا أم الزعازع افعلي ما بدا لك فما هنا أحد يخالف مقالك فلما سمعت عنيترة كلام الملك المنذر فرحت بمقاله واعجبها سائر أحواله وانطلقت اليها جميع اقواله ثم انها قامت من وقتها وساعتها وأخذت من بني عمها ألف فارس ممن يبادروا إلى طاعتها فيهم مثل خالها عمرو ذو الكلب الملك زهير بن قيس وزيد بن عروه وسبيع اليمن وعتيبه بن حصن ومن يحرى مجراهم من والابطال والشجعان وصارت تفتخر بهم وتقول فلان وفلان إلى أن عزلت ألف فارس من كل مدرع ولابس وبرزوا كانهم الاشود القناعس وهي امام القوم كانها اللبوة شمطاء وما زالت سائر الليل والنهار تقطع البراري والقفار إلى أن وصلت إلى بريه برقعيد ونظرت إلى ذلك البر والبيد وبانت لها الضياع والرساتيق ورأت الخيل سائبه ترعى في تلك الاوديه والآفاق ورأت إلى شيء كثير من الخيل الجمال والشياق قال الراوي ولما رأت عنيترة إلى تلك الاحوال أمرت الفرسان بنهب الاموال وأخذ الخيل والنوق والجمال فتبادرت الفرسان اليها ودوروا واحاطوا عليها وسائر الاموال وهربت الرعاة وطلبت الاودية والجبال ومنهم من طلب القلعة فرصلوا اليها في عاجل الحال والقوا النفير في الرستاق وأكثروا من الصياح والزعاق ووصل الخبر إلى القلعة واعلموا في عاجل الحال الغضنفر بما كان من تلك العجمه وأنه لما سمع ذلك الكلام صار الضباء في عينيه ظلام وزيغت عينيه في أم رأسه واضطربت جميع حواسه وهمهم ودمدم حتى هابته جميع جلاسه وصرخ في العبيد وقال لهم يا ويلكم يا بني الزوانى من ذا الذي طرق ارضي من قاص ودانى فقالوا له أيها الملك ما طرق ديارنا عشائر ولا جيوش ولا دساكر وما اغار على أموالنا وأحد جمالنا والنياق غير ألف فارس ونظنهم من فرسان العراق لاننا سمعناهم يتكلمون باغة أهز تلك الافاق ورأينا يا ملك يقدمهم فارس اسمه وله صوت مثل الرعد إذا هدر وكالاسد إذا رأى الفرسية قدامه اندعر وسمعناه يتكنى ويقول أنا عنيترة بنت عنتر الذي كان فارس البدو والحضر (قال الراوي) فلما سمع الغضنفر من العبيد ذلك الخبر هدروز بحر رطار من عينيه لهيب الشرر وزعق على الفرسان فركبت وإلى نحو الصياح طلبت ثم أنه في عاجل الحال ركب جواده واعتد

بعدة جلاده وركب أمام الخيل وطلب فرسان بنى عبس وبنى قضاعة وقد انصب عليهم انصباب السيل فراهم فدخر والرستاق وأفسدوا جميع ما بين أيديهم فى تلك الآفاق فلما رأى إلى ذلك الشأن حمل وحملت معه الفرسان فتلقتهم بنو قضاعة وبنو عبس وعدنان وعمل بينهم السيف والسنان والتقت الفرسان بالفرسان والأقران والشجعان بالشجعان وطلع على رؤسهم الغبار إلى العنان (قال الراوى) هذا وعنيترة قد كردست الأبطال وأرمتهم ذات اليمين وذات الشمال وجندلت الأقران على الرمال وكذلك فعل العضنفر ورأت فرسان بنى عبس وبنى قضاعة منه الموت الأحمر وعاينوا من طعنه وضربه الأمر المنكر وقاتل قتال من لا يبقى ولا يذر وخسف الصدور وقلع العيون وأفسد ونزال القتال بعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والسؤال لا يقبل إلى أن أظلم الظلام ومنع الناس من ضرب الحسام وقد افترقت الفتيان وانفصل الجمعان وأكثروا وقيد النار وتحارس الفريقان وما زالوا على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح واصطفت الصفوف وتعدلت الالوف وجردت وعزم الفريقان على شرب كاسات الحتوف وإذا بفارس قد برز إلى الميدان ومشى فى ركابه مائة فارس أعيان وهو بينهم كالأسد الغضبان راكب على حصان خفيف الجريان أشقر اللون مليح الكرن سابل الغرة مليح الطرة ظريف الوفرة هضرب شعره إلى حمرة راكبه مراحد ثان فى أمان يطير فى الهواء كأنه الطير فى الطيران وهو كما قال فيه الشاعر :

يسابق الريح فما يسبقه ... لأنه يسبق لمح البصر
كأنه فى حسنه عادة ... محسنها تسبى عقول البشر
راكبه فى عيشة راضية ... لأنه دوما قرير النظر

(قال الرواى) وعلى الفارس درع مكوكب مذهب مقصب وفى صدره مرآة من الجوهر ينبو عنها الصارم الذكر يأخذ نورها بالبصر ومن فوق الكل ثوب أطلس أصفر مليح الزى والمنظر محشوا بالشك الأذفر تنوه فى حسن نقته الفكر وأكمامه قد عقدها إلى وراه بشراريب إبريسم حرير أخضر وقد أخرج الفارس يده من جلباب درعه فى ذلك الوقت وفى كفه صارم ذكر لو ضرب به جبل لطار منه الشرر وعلى صدره صليب عجيب يساوى من المذهب الأحمر خراج إقليم والفارس له عينان كأنهما شراى ان أو نجم بارق اللمعان والصليب مكلل بالياقوت والمرجان وقد خرج ذلك الفارس فى هذا الزى والمنظر الذى تحير فيه الفكر وكان هذا الفارس هو الغضنفر لما توسط الميدان رجعت من حوله الرجال والأقران فوقف فى ذلك المكان ونادى يطلب البراز والطعان ولما تبينته فرسان بنى عبس وبنى قضاعة عرفته عنيترة من تلك الساعة وهمت أن تبرز اليه وتحمل عليه وإذا قد سبقها فارس مليح الشمائل أليق الخصائل للفروسية عليه علائم ودلائل وهو راكب على حصان أبلق يحاكى النجم إذا خرق والطير إذا نطاق مليح الرونق سابل الغرة كبير الحدق وعلى ذلك الفارس زردية

فكثيرة العدد وهو متقلد بحسام مهند ومعتقل برمح مسدد فتبينتا فرسان بني عبس وإذا به زيد بن عروة ذو المروسية والبراعة وقد برز إلى لقاء الغضنفر وهو كأنه الأسد القسور (قال الراوي) ولما صار زيد في الميدان ومعه ذاك الجولان حمل عليه الغضنفر وانقض عليه مثل السيل إذا انحدر والنمر إذا انذعر وصاح عليه ويلك من تكون من فرسان بني عبس يا أخس من طلعت عليه الشمس فقال له زيد بن عروة الويل لأبيك وأقاربك وذويك يا ويلك أنا زيد بن عروة بن الورد صاحب الفروسية والشجاعة والنخوة فقال الغضنفر يا شر الفارس المهين وأنت أحقر أن تكون لي قرين ثم أن الغضنفر حمل عليه وصمم بالطعنة إليه فالتقى زيد الطعنة بحسن صناعته وقد سحبها على درقته وأبطلها بقوة همته فسل سيفه الغضنفر وهجم عليه هجوم الأسد القسورة وتضاربا وتباعدا وتواصلا وتكافحا وتراحا وقد رأى زيد ابن عروة من الغضنفر فارساً لا كالفرسان وبطلا تبطل عند قتاله قوة الشجعان وقد زاد عليه الدرهم قنطاراً بالقبان هذا وقد قل منه الاصطبار وسطا عليه الغضنفر سطوة جبار وهجم عليه هجمة الأسد الهدار وضربه بالسيف صفحا على رأسه فكاد أن يجعد أنفاسه وانقلب إلى الأرض بثقل ما عليه من الزرد فصار كأنه الجذع الممدود وانقض عليه وأخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وانكشف بعد ذلك الغبار وبانوا لأعين النظار وإذا بزيد بن عروة منقاداً أمام الغضنفر أسيراً فلما رأت عنيترة إلى ذلك الحال همت أن تبرز إليه لعلى أن تخلص زيداً من الاعتقال وإذا بفارس قد برز إليه وسبقها عليه وتقدم بين يديه لافزعا ولا خائفا فتبينته عنيترة وإذا به عتيبة بن حصن بن حذيفة وقد طلب البراز وسأل الانحاز فتلقاه عتيبة الغضنفر بقلب أقوى من الحجر وجنان أقوى من تيار البحر إذا زخر وكذلك تلقاه الآخر وتضاربا أحر من الجمر وأمر من الصبر وتباعدا وتقاربا وتضاربا وتقلا تلا ثم أن الغضنفر همز بجواده وتعطى في بداده وطلب عتيبة إلى أن حك الركاب بالركاب ومسك درع عتيبة من الجلباب وجذبه إليه بعد أن عرف دخله من خروجه وصاح به وانتلعه من بحر سرجه وسار مفلتا في يده بعد أركاد يعمى عليه وقد ملكه أسيرا وأقاده ذليلا حقيرا وسلمه إلى بعض الغلمان وعاد بعد ذلك إلى الميدان وطلب الضرب والطعان فبرز إليه عمرو ذو الكلب ولم يخف من لوم ولا عتب فتلاقيا من غير كلام ولا خطاب وطلع عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وجرى بينهما قتال حير الأفكار ويقصر الأعمار وما زالا كذلك إلى آخر النهار وأقبل عليهما الليل بغياهب الاعتكار وافترقا على سلامة وكل منهم يأكل كفيه على صاحبه ندامة وبات الفريقان إلى الصباح وكل منهما قد أراح واستراح (قال الراوي) ولما طلع النهار وبان ضوءه للابصار برز الغضنفر إلى الميدان وطلب الضرب والطعان وما استقر به المكان حتى برز إليه عمرو ذو الكلب وصارة الله بين الطائفتين وإذا بعنيترة قد خرجت من حرقة

قلبها على خالها وحسن وداده وأطلقت فى عاجل الحال رأس جوادها ومرت مثل البرق الخاطف أو السحاب الواكف فقد ردت خالها عن البراز وقد طالبت بذلك الانجاز فلما رآها الغضنفر داخله بها الطمع وقد التقته عنيترة مثل الأسد الأدرع وحملت عليه حملة البطل الصميدع وتضاربا ضربا يحير الأفكار ويعمى الأبصار ورأى الغضنفر من عنيتر أمراً مهولا وقتالا يحير العقول وأخذ فى الميدان عرضا وطولا وكلما همت عنيترة أن تضرب الغضنفر يأخذها عليه الرأفة والفكرة وتلحقها عليه الجنة وهى لا تعرف أى شىء ألحقها من تلك المحنة ولا تدرى ماذلك الحال وما وجدت لها يداً تمد إليه بالحرب والقتال وحملت عليه وقومت السنان إليه وكذلك فعل الغضنفر وكان بينهما فى الحرب أمر منكر وقد أخذوا فى الكد والجد والأخذ والرد والملاصقة والمفارقة والمباعدة والمطابقة وسطا كل منهما على بعضهما بعض حتى تدكدكت من تحت خليلهما الأرض وقد أخذوا فى الإبرام والنقض فعند ذلك قام الغضنفر فى ركابه وتمطى فى بداده وضرب عنيترة ضربة واصلة وقال إنها تكون لعمرها قاصلة ولها قاتلة فتلقت الضربة بقوة ساعدها فنزلت على الدرقة أسرع من طبق العين فانقسمت الدرقة نصفين وأرمتها من يدها قطعتين وهجمت عليه أن تفعل له كما فعل بها وشالت بالسيف يدها وضربته بقوة جنان فتقهقر إلى خلفه بالحصان وإذا وقعت رجلاه فى بيب البربوغ فما كان له بد من الوقوع فوقع على الأرض وقد تمددعن جواده بالأرض فانقضت عليه أخذته أسير وقد جعلت حمائل سيفها فى رقبته وسارت بين يديها حقيراً ذليلا وقد ضجت الجيشان وتعجبت من هذا الاتفاق الفريقان (قال الراوى) ولما رأت بنو عبس وبنو قضاعة إلى عنيترة وقد أسرت الغضنفر أخذهم الفرح والطرب وأيقنوا بالنصر والظفر فعند ذلك حملوا حملة منكره وكردسوا الروم خمسة خمسة وعشرة عشرة وعمرو ذو الكلب أمام الخفل وأنزلوا بالروم البلا والويل وجعل عمرو يكيال الرجال كيلا وأى كيل وقد قل من الروم القوى والحيل وأخذوا فى الهرب وأعطوا ظهورهم للعرب وأوسعوا فى جنبات تلك الأرض ولعب السيف فيهم طولا وعرضا وانهزموا طالبين قلعة برقعيد ومانجى منهم بنفسه إلا من كان تحته جواد جليد وتبعهم بنو عبس وبنو قضاعة إلى منازلهم والخيام وقد كلوا وملوا من ضرب الحسام ولكن قد نهبوا فى أموال الروم ومضاربهم وخيامهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولما نزلوا واستقروا فى الخيام وأكلوا مما راج لهم من الطعام فعند ذلك أحضرت عنيترة إلى بين يديها الغضنفر وقد بان منه أن قلبه قد انكسر وقالت له ويلك يا ولد الزنا وتربية اللخنا وحق الدائم الباقى بلا زوال والفناء الذى جعل الليل كفنا والنهار معاشا لئن لم تفد نفسك بمن عندك من الأسارى والأموال وإلا عذبتك عذابا لا تحمله الأرض ولا الجبال وفيها زيد بن عروة

وعتيبة وحصن ومن معهم من الرجال ثم أن عنيترة سلت سيفها ووثبت عليه وأرادت أن تبطش به فما طاوعها ذلك ولكن ما تدرى ما هذا الأمر الموجب لذلك وقد ارتعدت يدها وتحرك كل عضو فى جسدها فأرمت السيف من كفها وأمرت العبيد أن تقيده بالحبال وتعيده إلى ما كان فيه من الشد والاعتقال فقال لها الغضنفر لما رأى نفسه قد صار فى هذا الحال أيها الأمير اطلبى ما تريدين من المال وخلاص الرجال واحملينى إلى تحت القلعة التى لنا إن أردت نجاة نفسك من المهالك فإرأمى تفدينى بكل ما تملك يدها بسرعة فقالت غداً أفعل ذلك (قال الراوى) ثم أن العبيد تسلموا الغضنفر وأمرتهم بالحفظ عليه ولكن لا تأمن عليه من الحنية التى أخذتها عليه فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم وأما ما كان من الروم المنهزمين وأحوالهم فإنهم ما زالوا فى هزيمتهم إلى أن وصلوا إلى القلعة وأكثروا من الصياح والزعاق وأخبروا بما نزل بهم من تلك الفجعة فوصل الخبر إلى الستة يم أم الغضنفر التى قدمنا ذكرها أنها ابنة أخى الملك قيصر وأن ولدها قد أسرته عنيترة بنت عنتر وقد حكم بذلك القضاء والقدر فلما سمعت بذلك الحديث والخبر انقطف لونها وتغير كونها ثم أن رجال ولدها أحضروا بين يديها المأسورين وهم زيد بن عروة وعتيبة بن حصن وما معهم من الرجال وأخبروها بما جرى لهم من الحرب والقتال وبما رأتهم قالت دعوهم فى الشد والاعتقال ويتوكل بهم إلى غداة غد جماعة من الرجال لعلى أن أفدى بهم ولدى بما هو فيه من الخيال فقال لها رجالها سمعا وطاعة أنهم فعلوا ما أمرتهم به فى تلك الساعة (قال الراوى) وكان هذا الغضنفر بن عنتر من مريم هذه وقد ذكرنا كتابنا هذا فيما تقدم كيف تزوج بها فى رومة الكبرى لما كان أرسله الملك قيصر إلى بلاد الافرنج وقتل بهند أخى خيلار ملك الافرنج وقد ذكرنا أصل زواجه بها وكيف أخذها من عند أخيها ابن أخى الملك قيصر وأتى بها إلى القسطنطينية وخلاها عند عمها ويقال فى الأقوال أنها من بعض سراريه الخواص (قال الراوى) وأن القول الصحيح الثابت الذى ليس ينكر أنها ما كانت إلى بنت أخى الملك قيصر ولما أبقاها عنده وسار طالبا بحر الفرات وجرى له ما جرى من الأسد الرهيص وقتل ومات وكان موته بذلك الحال رخيص لكن ما تم نعيم إلا ويكون وراءه تنغيص وذلك كما قيل فى المعنى وأى نعيم لا يغيره الدهر وقد ولدت مريم هذا الولد الغضنفر وكان أشبه من أبيه عنتر ولما رآه الملك قيصر نفر قلبه عنه لما رآه على ذلك اللون الأحمر وقال فى نفسه إن الذى أراه من الرأى المدبر أننى أعطى هذا ولد أمه بعض القلاع يعتشون فيها ويكون معهم جيش فأخفاه عنده وما أخلى أحدا ينظره لا من جيشه ولا من جنده وما زال عنده كذلك إلى صار للغضنفر من العمر عشر سنين فأعطاه خمسة آلاف من خواص جيشه وأمره بالرواح إلى قلعة برقعيد وأرسل معه أمه بجميع ما معها من

الأموال والخدم والجوار والعبيد والحلى والحلل وسار بينهم الغضنفر وهو كأنه الأسد القسور إلى أن وصل إلى تلك القلعة فرأى ما زهى أرض وأحسن بقعة ووجد أيضاً فى صناعها خمسة آلاف فلاحين من منتصرة العرب وهم فى تلك الأرض مقيمون فصار الحاكم على الرفيع منهم والوضيع وانتشى وكبر وصار له شأن وظهرت منه الفروسية وقهر كثيراً من الشجعان وأذل الأقران وهابه الأبطال وخافت باسه الرجال وشاع ذكره فى سائر الأقطار والبيان ومن جملة ما وقع من الاتفاق أن وصل إليه خبر الحمل الذى أرسله المنذر من أرض العراق إلى كسرى وجرى ما جرى من الأمور وسار إلى الغنيمة وأحوى عليها وأسر ماء السماء ابن عم الملك المنذر هذا ومريم تطول روحها عليه وتعلم أنه لابد لابنى حبس من القدوم عليه بعد ذلك تعرفه بأهله ويجتمع بهم شمله ووصلت إليه أخته عنيترة وأسرته وحكم عليه القضاء والقدر وذلك كله لأجل تدبير رب البشر ووصل إلى أمه ذلك الخبر ففرحت فى قلبها وشكرت على ذلك ربها وما زالت صابرة إلى أن أصبح بالصباح وأضاء بنوره ولاح وأمرت من بقى عندها من الفرسان أن يسيروا معها حتى أنها تخلص ولدها وتطفىء بخلاصه نار كبدها وقد أخذت معها ماء السماء ابن عم المنذر الذى أسره الغضنفر فى النوبة الأولى لما أخذ حمل كسرى ثم أخذت أيضاً زيد بن عروة وعتيبة بن حصن ومن كان معهم من بقية الرجال. وسارت الست مريم فى أربعة آلاف فارس من أهل الرستاق وخلت المنهزمين مقيمين فى القلعة إلى أن تعود لما يقع من الاتفاق وسارت بمن معها ذلك النهار وتلك الليلة فصبحت القوم صباحاً وأمرت جيوشها بالنزول فلما واذلك الوادى عرضاً وطولاً علموا أنها لما استقرت أرسلته فى ساعة الحال إلى عنيترة رسول وكتبت معه كتاب وأعلمته بما يقول (قال الراوى) وكان الذى كتبته فى الكتاب بعد السلام أما بعد فان الذى اعرضه بين يديك يا أميرة من الكلام بأن الدهر كثير العجب وهو باهله ينقلب والعاقل من اعتبر وتعلم ممن مضى قبله من الأمم وأنى أريد منك يا أم الزعاع وليوة الوقائع المهلة إلى الليلة ونبطل اليوم القتال وركوب الخيل ومهما أردت بعد ذلك حملت لك ما تريدينه من المال وقد أتيت معى بجميع الاسارى وهم مطلقون من الاعتقال وهذا الذى أريد منك والسلام ولكن أريد الاجتماع بك فى هذه الليلة عند المنام (قال الراوى) فسار الرسول بذلك الكتاب إلى عنيترة فلما وصل إلى مضربها استأذن عليها فاذنت له بالدخول فلما دخل عليها وجدها جالسة فى ذلك المضرب ولها هيبة تفلق الحجر وإلى جانبها اليمين زهير بن قيس وإلى جانبها اليسار خالها عمرو ذو الكلب ولا أحد فى ذلك المضرب والمحضر بحسر أن يقول لا لم لا ليس فلما حضر الرسول ناولها الكتاب فأخذته منه واعطته للملك زهير بن قيس فقرأه وعرف مجيعهم معناه فقالت عنيترة للرسول سلم على الست مريم وقل لها قد سمعت لها بكل ما تريدين وأكون بين يديها كبعض الخدم ومهما قالته وفعلته

عانى ما أخالفها فيما به تتكلم (قال الراوى) فسار الرسول إلى الست مريم بغير كتاب واعلما بما ردت عليه من الجواب لما أنها قد عرفت ما فى الكتاب من الخطاب ففرحت بما تيسر من تلك الاسباب وصبرت إلى الليل وقامت هى بنفسها بعدما أمرت الغلمان بحمل الاسارى من حبسها فأتوا بهم إلى بين يديها وعرضوا هم فخلعت عليهم الخلع الغالية الثمنه وانعمت عليهم بالنعم الشاملة وأحسنت اليهم غاية الإحسان وأخذتهم بين يديها وخرجت من ذلك المقام وأخذت معها مائة غلام وبين يديها أربعة من خوص الخدام وما زالت سائرة وقد سمعت لاجل خلاص ولدها بالمال والنفس إلى أن وصلت إلى قرب جيش بنى عبس وأخذت الاذن من الحرس وطلبت منهم المشورة فمضى بعضهم وشاور الامير عنترة فأذنت لهم بالدخول عليها وأن يحضروها إلى بين يديها فعند ذلك دخلت عليها المضرب وبين يديها الخدام الاربعة فقامت اليها عنيترة قائمة على الاقدام ومشت اليها واستقبلتها أحسن استقبال وكانت المضارب فى ذلك الوقت خالية من الرجال فسلمت عليها وأخذتها بالاحضان وكل منهما فيما هو فيه من ذلك معزو الشأن وعادت بين يديها وجلست على السرير وأخذتها بجانبها وقربتها إليها وتميزتها فرأتها فى ضوء الشمس المسكوفر أشبه الخلق بولدها الغضنفر فقالت فى نفسها سبحان خالق الصور الذى انبع الماء من الحجر ثم أنها بكت وأنت واشتكت فقالت عنيترة ثم تبكى أيها الملكة الاميرة والسيدة الكبيرة إن كان خوفا على ولدك فانه لاجل قدومك علينا قد نجا من المهالك وها أنا الساعة أحضره إلى بين يديك وأقر برؤيتك عينيك فقالت لها مريم أيها الاميرة وحق المسيح إن كان الكذب حجة فالصدق أحسن وأنجى وهو شىء مليح رانى أخبرك بما كان من الامر الصحيح واشرح لك فى هذه الساعة حديثا أعجب من كل عجيب وكلاما تلتذ به السامع وتطرب له الاذان ويؤرخ الدفاتر ويكتب وهو أن هذا ولدى الغضنفر هو أخوك من أبيك منتر وحق خالق البشر لان حديثى وحديثه عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن تبصر وذلك أنه تزوج بى لما أرسله إلينا عمى الملك قيصر وأنى إلى رومة الكبرى وكسر الافرنج رأحل بهم العبر والذليل على ذلك أن ولدى مثلك أسمر وذلك بخلاف أهل بلاد الروم وهذا الكلام صحيح وحق الحى القيوم (قال الراوى) فلما سمعت عنيترة من الست مريم ذلك الخطاب والكلام ظهر الفرج على وجهها ولحقها الوجد والهيام ففرحت به غاية الفرح واتسع صدرها والشرح وقالت عنيترة وحق مالك الملك المنجى من المهالك لقد صدقت أيها الملكة فى ذلك لانى كنت كلما رمت أن أضربه ونحن فى الحرب والقتال لا تطاوعنى نفسى على هذه الاعمال وكان يأخذنى من ذلك العجب لانى قاتلت وقتلت كثيرا من فرسان العرب وما رأيت هذا العجب (قال الراوى) فلما فرغوا مما دار بينهما من القيل والقال قامت عنيترة فى سيعة الحال ودارت بالغلمان يمينا وشمالا وسارت إلى المضرب

الذى فيه أخوها الغضنفر وهى تكاد أن قلبها من الفرح يتفطر وما زالت كذلك حتى دخلت عليه وأمرت الغلمان فحلوا يديه ورجليه وأمه معهم قد حضرت إذ ذاك المكان وصارت تقول سبحان الجنان المنان الذى كل يوم هو شأن وأقبلت عنيترة على أخيها الغضنفر وانكبت عليه وصارت تقبل صدره وبين عينيه وهى تقول سبحان من جامع الشتات الذى يعلم ما مضى وما هو آت الغضنفر يتعجب من ذلك غاية العجب ولا يدرى ما الأمر الذى أوجب ذلك السبب وإذا بأمه قد أقبلت عليه وصارت تقبل رأسه وبين عينيه وتقول له يا ولدى إن الله تعالى رد الوديعة إلى أهلها وكانوا أحق بها وأولى بها فلما رأى أمه جعلت تفعل ذلك أمن على نفسه من شرب كأس المهالك وقال لها بلسان عربى معتبريا ويلك أعلمينى ما الخبر وأى شىء هذا الذى قد ظهر فقالت له الملكة مريم يا ولدى أتيت لأخبرك بما تقرر وذلك أنك أخو هذه الأميرة عنيترة وأبوكم عنتر كان فارس الفرسان وأبا الفوارس عند الطعان وقد ظهر ما كان قد اختفى ومضى الحقد واحتفا فقال لها ويلك يا أماه ولما لا كنت أعلمتينى من زمان وحدثتينى بما جرى من ذلك الشأن فقالت أمه يا ولدى كانت بنو عبس قد انقطعت وظلبتهم جميع العربان وفيهم طمعت وخفت أنى قول لك أنك ابن عنتر فتخرج من يدى وتغلبك الأعداء وربما قلعوا منك الأثر ولما رضى عنهم الزمان وجمع شملهم الواحد المنان وعادوا إلى منازلهم والأوطان وخافتهم جميع العربان لحياة أختك أم الزمازم عنيترة قاهرة الشجعان وقاتلة الأبطال والأقران وقد عوضت أباها عنتر سيد الفرسان ما كان تجمع شمل العشيرة من كل جانب ومكان وأخذت حمل كسرى وجرى لك مع ماء السماء ابن عم المنذر ما جرى فعلمت أنه لا بد أن تطلبك بنو عبس وكان ظنى أنك تأسر منهم من يفديه بالمال والنفس وأعرفك بعد ذلك أنهم بنو عمك وربما أن أحدهم يقيم عندك وما كان ظنى أن فيهم ومثل هذه الأميرة عنيترة ولا أن لها فى الحرب مثل هذه الصولة والمقدرة فلما أسرتك وفعلت هذه الفعال ما بقى لى صبر على إخفاء الحال فأسرعت وأتيت عندك وأعلمتك بما كان من الأحوال وأن هذه أختك الأميرة عنيترة بنت أبيك من الحيفاء قناصة الرجال وقد عادت وعمرت بلادهم التى هى العلم السعدى وأرض الشربة واجتمعت عليها الأصحاب وأتت إليها سائر الأحبة وخافت من هيبتها جميع العرب من بعد منها ومن قرب (قال الراوى) فقالت عنيترة وحق الملك الجبار الذى يعلم ما تكنه الصدور وما تخفيه الأسرار وهو الله الواحد القهار أننى ما أسرته لا بقوة ولا بافتدار لأنه والله فارس فى الحرب ما عليه عيار ولكن ما ساعدنى عليه إلا الأقدار حتى يتضح المخفى وتصح الأخبار (قال الراوى) فلما سمع الغضنفر كلام أمه وأخته تعجب غاية العجب وعلم أن الدهر بأهله يتقلب وفرح إذ ظهر أن بنى عبس أقاربه وأن عنيترة أم الزمازم أخته وأن عنتر ابن شداد أبوه لأن اسم بنى عبس كان بين العرب كبير ولا سيما بذكر عنتر بن شداد الفارس

النحرير ثم أنه قال لأمه الآن عرفت مرهوا بي وهو قومي وعرابي ثم أنه أسرع إلى أخته عنيترة وقبل رأسها ويديها واستقر بذلك أعينه وقبلت الأخرى يديه وصدره وباست عارضيه ونحره وخلعت عليه في عاجل الحال وسمعت سائر الأبطال فأتاها الملك زهير ليهنيها بما صار من تلك الأحوال وكذلك خالها وعمرو ذو الكلب أتى إليها في الرجال وهناها أيضا الجماعة الذين خلصوا من الاعتقال وقد زادت البشائر وارتفع بذلك قدر بني عبس في العشائر وكانت لهم ليالي وأيام ما رأوا مثلها في سائر الأيام وكان أمر الخلق بذلك الملك مريم وذلك باظهار نسب ولدها وارتفاع قدره بين العرب والعجم ثم أنهم أقاموا في ذلك المنزل ثلاثة أيام وهم في أكل طعام وشرب مدام وأيامهم كانها أضغاث أحلام فاض عليهم من الخير والإنعام لأنه قد تسامعت بذلك فرسان قلعة برقعيد فاتوا لأجل ملكهم الفضنفر بالخير المزيد وبعد ذلك قالت عنيترة لأخيها الفضنفر يا أخي إذا سمعت العرب أنك أخي ويشتهر ذلك الأمر ويظهر فهم يحسدوني وربما أن يبرز شيء من الحقود الكامنة ويكون ذلك أمرا وضيعا منكرا والرأي عندي أن تسير هي إلى ديارنا والأوطان وتكون عندي في أعظم منزلة وأعلى مكان وإذا كنا مجتمعين مع بعضنا بنا العربان وهجموا عليهم آخر وهو أن لنا ثارا على قوم يسمون بني نهبان فنريد تأخذه منهم وتكشف عن أنفسنا العار وتزيل عنا الهم والشنار فقال الفضنفر هذا هو الرأي الصواب والأمر الذي يعاب وتكون كلنا يدا واحدة على ما ترجوه من المعونة والمساعدة (قال الراوي) لهذ الكلام ثم أنهما لما اتفق بينهما ذلك الرام أقاما في هذا المكان بقية الثلاثة أيام هما ومن معهما من الرجال الكرام وهم بنو قضاعة وبنو عبس فرسان المنايا والموت الزؤام وفي اليوم الرابع عزموا على المسير والجد والتشمير فقال الفضنفر لعنيترة يا أخاه لابد من العودة إلى قلعة لأقضي منها حاجتي وأخذ منها ما عز علي من مالي ومال والدتي (قال الراوي) ثم أنه سار في عاجل الحال طالب قلعته وأمه ورجاله في صحبته وقد دارت به من كل مكان أرباب دولته وكبراء عشيرته وقد سار في ستة آلاف فارس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وقد ذكرنا فيما تقدم من هذه الأقوال النفائس أنه حاكم عليه عشرة آلاف فارس وكان خلى في القلعة ألفين فارس لأجل حفظ أموالها والألفين الأخرى متفرقة في القرى والضياع لأجل قضاء أشغالها ولما كان ثالث يوم كان قد قضى أسكالة وحاجته وعاد طالبا أخته عنيترة كما اتفق بينهما الميعاد وكان من الأرض قد منا أنهما خلصوا ماء السما ابن عم الملك المنذر وزد عروة وعتيبة بن حصن سيد بني فزارة وقد خلصت عن ماء السما خلعة سنية تساوي ألف دينار كسروية وأعطته جميع ما كان أخذه أخوها الملك الفضنفر من الجمل بتاع الملك كسرى أنوشروان الذي كان من تحت رأسه هذا السفر فانهم لما تعارفوا وشاع الخبر لم يكن له منكر ولا جاحد بلى أنه قال لها يا أخاه هو عندي

ولم ينقص منه الدرهم الواحد وان الله تعالى على ذلك وكيل وشاهد (قال الراوى) وأنه لما مضى إلى القلعة ليقضى منها اشغاله أتى بالحمل جميعه وفى صحبته أمواله ولما عزمت عنيترة هى وأخوها على المسير سيرت ابن عمها ماء السماء بذلك الحمل والمال الكثير وسيرت معه ألف فارس من بنى قضاعة وبنى عبس الرجال الاقيال ليحفظوا ما معه من ذلك الاموال وسارت الاميرة عنيترة بعد ذلك طالبة أرض الحجاز ومنازل بنى عبس وصحبتها الاميرة الغضنفر أخوها ابن الاميرعنتر وأمه تودأن تفديه بالمال والنفس والسمع والبصر وذلك لما رقم فى قلبها من الوداد والاخوة والمحبة وجعلوا قصدهم العلم السعدى وأرض الشربة (قال الناقل) المصنف لهذا الكلام وكان مسيرهم على على أرض الشام ولم يخافوا من أحد من سائر الأيام لانهم قد كبرت شوكتهم وعلت كلمتهم واشتدت حميتهم ولاسيما من حين اجتمعت عليهم هؤلاء الفرسان والتمت عليهم تلك الأفران وقد اجتمعت عليهم وحواليهم جيوش كثيرة من العربان من بنى قضاعة وبنى فزارة ومن الروم وبنى عبس وعدنان قال الناقل المرتب لهذا الديوان فبينما هم سائرون فى تلك البرارى والقفار وهم يقطعون السهول والأوعار وإذا بغبار عن يمينهم قد ثار وبعد ساعة تقطع وما رموا إلا كشف عن خمسمائة فارس كرار ما منهم إلا كل شجاع مغوار وفى مقدمتهم فارس كأنهما الأقران وما على مثل فرسيتهم عيار فأما الاول فهو أسمر أكحل تضرب سمرته إلى الحمرة وكان الآخر أبيض أشقر كأنه من أولاد الملوك الكبار (قال الناقل) المصنف لهذه الاخبار فلما رأت عنيترة وأخوها الغضنفر إلى ذلك الجيش الجرار قالوا الواحد من الفرسان الذين بين أيديهم اكشف لنا عن هذه الأخبار وانظر لنا ما تحت هذا الغبار فان كان أصدقاء فيا شراهم وان كانوا أعداء فبشرهم بدمارهم وفنائهم فسار ذلك الفارس حتى أنه التقى بتلك الفرسان وإذا بهم على رؤسهم رايات وصلبان وعلائمهم تدل على أنهم من بنى غسان ومنتصرة العربان (قال الراوى) فلما وصل إليهم ذلك الفارس من نادامهم هذه الابطال القناعس أخبرونى من تكونوا من العربان فانا نرى عليكم زى فرسان بنى غسان وأيضاً منتصرة العربان وأعلمكم أن هذه الفوارس المقبلة عليكم هى من فرسان بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان والمقدم عليهم أم الزعازع عنيترة وأخوها الغضنفر أولاد الاميرعنتر بن شداد الذى كان شجاع الزمان ومقنص الشجعان والملك زهير بن الملك قيس ملك بنى عبس وعدنان (قال الراوى) فما هو إلا أن سمعت تلك الفرسان من ذلك الرجل الذى قاله من الكلام حتى أنهم نادوا عن لسان واحد وابشراه بملتقى أحباء وأصدقاء ونخبركم ها نحن فرسان بنى عبس وعدنان الكرام المعروفين بين الأنام بفرسان المنايا

والموت الزؤام واخبركم عن هذين الفارسين أحدهما يسمى ياسر بن ميسرة القادس الغضنفر والثانى يسمى ليث الميدان بزرزن بن شداد ابو الأمير الذى ذكره قد ملأ السهل والجبل وهو باق إلى يوم المحشر (قال الناقل) المحرر لهذا الخبر وقد كان السبب فى ذلك الأمر الذى تقرر أن عنترا لما أتمسك فى مدينة دمشق عند الحارث سيد بنى غسان بحيلة الربيع بن زياد القرنان وأيضا أبى حارثة سنان وقعد فيها مدة كبيرة من الزمان وسار الحارث بجيشه لقاء الفرس وذاكر الخبر سان وأتى أبو الدوح ان أخى الحارث وهجم على البلد هو ومن معه من الفرسان من أجل ابنة عمه حليمة كما قدمنا فى هذا الديوان ودخلت حليمة على عنتر هى ومن معها النسوان وأخبروه بما صار لهم من ذلك الشأن وأطلقوه هو ومن معه من بنى عمه من القيود بعدما أخذوا عليه الإيمان العهود وقتل أبو الدوح وأحيا البلد وأعطاهم الامان وعاد إلى القيود والاصفاد كما كان ولما عاد الحارث سيد بنى صفان وأخبرته ابنته بذلك الشأن وبعد ذلك اصطلحوا وكان منهم ما كان وأهدا الحارث إلى عنتر الثلاثة جوارى الحسان لما أراد السفر والرواح إلى الأوطان فأعطى واحدة لميسرة وأعطى لأخيه مازن الجارية الاخرى واعطى لعروة الوردة الثالثة من غير تهاون ولا فترة وقد عادوا بعد ذلك راجعين إلى الأوطان وأقاموا عندهم برهة من الزمان ورزقوا منهم هذين الولدين باذن مكون الاكوان فلما قتلا ميسرة ولازن وشربا كاس الهوان ورحل عنتر إلى بحر الفرات وأقاموا فى ذلك المكان واشتهت الجوارى على عنتر أن يروحوا إلى ستهم حليمة ويزوروها لهم فمضى لها الولدان وكانوا ثلاثة بواعلى صدرها صغار وبعدها قتل عنتر شرب كاس البوار وحكم عليه بذلك العزيز الجبار الذى ما لاحد من حكمه مهرب ولا فرار وأقام هذا الولدان مع أمهاتهما إلى أن صارا كبارا وهم يسمعون عن بنى عبس تلك الأخبار وبعد ذلك سمعوا من بعض السفار أنه قد انتشى فى بنى عبس فارسة تسمى أم الزعازع وقد قهرت مثل ذوى الخمار وقد اجتمع عليها بنو عبس الكبار ومنهم والصغار فعند ذلك استأذنوا ستهم حليمه وأخاها عمرو الفارس القسمة وقد سارا فى هؤلاء الخمسمائة فارس لينظروا ما كان جرى من تلك الأخبار والنقوا فى تلك البيد والقفار فعندها سار ياسر بن ميسرة وليث الميدان حتى التقوا بعنترة وأخيها الغضنفر شجيع الزمان وتعارفوا وكان منهم ما كان وتلقتهم عنترة وأخوها والملك زهير ومن معهم من الفرسان بالترحيب والكرامة وأحسنوا لهم غاية الاحسان وساروا كل طالبين أرض الشرية وعلم السعدى ومنازل بنى عدنان وما كان معهما فى الطريق سوى مائة فارس ممن كان صحبها من الفرسان وأناف اليها تلك الخمسمائة فارس الذين مع ياسر وليث الميدان لأننا قدمنا فى هذا الديوان أنها خلت فرسانها فى الحيرة عند الملك المنذر وسارت هى فى ألف فارس من الاعيان لخلاص الحمل فانضى الشغل وهان أيضا أرسلت من

كان معها من الفرسان مع ماء السماء ليحفظوا الحل من شياطين العربان وأمرت بنى عبس الذين ساروا إلى الحيرة مع ماء السماء أن يأخذوا من كان متخلفا فى الحيرة من بنى عبس وعدنان وبنى قضاعة ويسيروا بهم إلى أرض الشربة والعلم السعدى وتلك الوديان هل النازل لهذا الشأن ولما وصلت عنيترة وأخوها الغضنفر ومن معها من الفرسان تباشر بهم كل من مكان فى ذلك المكان واستأنست بهم الديار كثر فيهم الفرح والاستبشار واطمأنت المنازل بالنازل والأوطان بالقطان وشاع ذكرهم وصاروا إلى أهل مكان وما أقامت عنيترة وأخوها الغضنفر ومن معهم إلا أيام قلائل حتى وصلت بنو عبس وعدنان من عند الملك المنذر ومعهم الحلى والملابس الحسان والنوق والجمال والخيل المسومة الغالية الأثمان ومن النوق العصافيرية خمسمائة نوق بيض الألوان أرسلها الملك المنذر لعنيترة خاصة من دون الفرسان وبعضها تحمل خزا وبزا من تحف العراق وشيئا كثيرا لا يحصيه ديوان ومال كثير تمخضه من عندها من الشجعان وأخبروا عنيترة أن الملك المنذر عليها غضبان كتف أنها ما سارت مع ابن عمه ماء السماء وكانوا يجتمعون مع بعضهم برهة من الزمان فقالت لهم والله يا بنى عمى ما فعلت ذلك احتقارا به ولا أردت بذلك إلا التخفيف عنه وأنى ما أريد أن آخذ على ما فعلت من جميل جزاء ومع هذا فانه قد غمرنا بجمله وأرسل لنا ما فيه الكفاية وفوق النهاية وزاد عليه بتفضيله فقال الملك زهير والله يا أم الزعازع أن المنذر أكرمنا غاية الإكرام وأقام بواجب حقنا بما نريد من الأنعام وذلك كله إكراما لك ويريد أن يجازيك على فعلك معه فقالت له عنيترة والله يا ملك أن الفضل لكم على وأنتم الذين أحسنتم إلى غاية الاحسان وأنى بسيوفكم أضرب وبهيبتكم أغلب وما أضرب فارسا إلا بحسامكم وما طعن بالرمح إلا بعزمكم ولا سيما من حين وصلنا وجاءنا أخى هذا الفارس الغضنفر الفارس الكرار والليث المغوار وهؤلاء الفارس الاخران ابن أخى ياسر وابن عمى ليث الميدان واجتمعت علينا هذه الشجعان فلابد لنا من حين يخلى بالنا وتلتم رجالنا أن نسير إلى أخذ الثار وكشف العار من بنى نبهان اللئام الفجار فشكرها الحاضرون وزهير بن قيس على كلامها وقوة فلبها وحسن اهتمامها وأقامت بنو عبس ومن اجتمع عليها فى اصطناع الولائم وقد رتع فى تلك الخيرات القاعد القائم وقد خاتهم جميع العرب من بعد منها ومن اقترب وغاد عزهم أعظم ما كان وأخلف عليهم الزمان أقوى من حاميتهم عنتر بن شداد الذى كان قاهر الأقران وقد صارت بيوت قراد أحسن ما كانت فى أو الزمان لأنه انضاف إلى بيوت عنيترة أخوها الغضنفر بمن معه من الفرسان وأيضا ياسر بن ميسرة وابن عمه ليث الميدان ومن قدمعهم من بنى نبهان وكذلك عمهم جرير وابن عمهم الخذروف وأيضا زخمة الجواد أخو شداد ربيع اليمن بنى مقرى الوحش ليث الطراد وزايد بن عروة والأمير عمرو

ذى الكلاع وأحته الحيفاء قناصة الرجال وكان قد انتشى لغصوب بن عنتر فى بنى قضاعة ولد لما غصب من عموه وسار طالب مكة وجرى له مع أبيه ما جرى وانتشى ذلك الولد وبقى لرسا تسور وانصاف إلى عنيترة وإلى أخيها الغضنفر وكان فارسا شديد يسمى أسيد (قال الراوى) وكان أيضا قد ظهر الغضنفر من زوجته ولدا وكان اسمه الدبال وكان يعد فى الحرف بألف فارس من الأبطال وكان الآخر قد انصاف إليهم على ذلك المثال وكان كل واحد من هؤلاء الذين ذكرناهم من الأهل والأقارب يحكم على رجال بطاوولة حيام ومضارب ونوق وجمال ونعم وأموال وخيول وجنائب وأما بنو زهير فإنهم ما بقى منهم سوى زهير بن قيس وبعض أعمامه الكبار وكانت عنيترة توقره عاية الوقار وما تعده إلا من جملة الملوك الكبار مثل ما كان أبوها عنتر يعمل مع الملك قيس فإنه كما ذكرنا كان عنده جليل المقدار وأما بنو زياد فإنهم انقطعوا من بنى عبس وبفذفيهم حكم رب العباد لأن عنتر لما قتل الربيع ابن زياد وأخاه عمارة القوادو أذل بهم الذل والخسارة ورحل إلى بحر الفرات وأقام هناك على ما قدمناه من تلك العبارة أنزل الله بقدر حينه على بنى زياد الهلاك والفناء والذى تبقى منهم انقطع يوم وقعة بنى عبس وحل بهم الارتباك (وذكر الأصمعى) مصنف هذا الكلام أنه لم يبقى منهم ولا تخلف منهم غير الشمر بن زياد الذى قتل سيدنا الحسين بن على بن أبى طالب فى أرض كربلاء وذلك بأمر رب المشارق والمغارب وكانت قد سبقت فيه دعوة رسول الله ﷺ لأنه دعا عليه بالعطش والظمأ فصار كل يوم يشرب عشر مرات من الماء ولا يروى حتى انقطعت بطنه ومات وذلك بدعوة رسول الله ﷺ سيد السادات ونرجع إلى ما كنا من الكلام وأقامت عنيترة حامية ديار بنى عبس هى وأخوها مثل ما كان أبوها عنتر وقد هابتها سائر العربان وخافت من بأسها سائر الأقران (قال الأصمعى) راوى هذا الديوان فهذا ما جرى من الأمر والشأن وأما ما كان من الأمير قيس بن الملك زهير وإخوته فإنهم قد دخلوا إلى الصومعة وعملوا رهبان لأننا قد ذكرنا أنه لما مات عنتر وانتهم العرب من كل سهل ووعر وجرى عليهم من ذلك الأمر المنكر ومحى شأنهم واندثر وانقطع منهم الأثر أخذ قيس ابنته الجاثة على كمل جواده داحس وسار بها أياما حتى وصل إلى بحر الفرات فارمى روحه فيه وهو من الحياة آيس فقطع به الجواد البحر وقد أمل النجاة فوقعت ابنته من خلفه فغرقت وماتت موت الفجأة ونجا قيس وطلع من البحر وركب على ظهر جواده وسار هائما على وجهه وآيس من بلوغ مراده إلى أن وصل إلى الصومعة التى ذكرناها وقتل الراهب وقد سكن موضعه وصار من الأمر ما قدمناه وبقى مدة من الزمان وقد طالت نوبته (قال الراوى) فبينما هو قاعد إذ قد أتى إليه ثلاثة من إخوته وقد خافوا على أنفسهم من الموت لما رأوا إلى بنى عبس قد انقطعوا وفات فيهم القوت وقصدوا إلى تلك الصومعة وهم يظنون أن فيها أحد

من الرعيان وهو مقيم فيها من قديم الزمان فارمتهم المقادير على أخيهم قيس فلما عرفوه وعرفهم عولوا على الاقامة فى ذلك المكان وكادوا أن يخرجوا من عقولهم من حسن هذا الاتفاق الذى لم يسمع بمثله فى سائر الآفاق وكانوا الثلاثة الذين قد واعلى قيس من أخوته أحرا عنهم من ذكر هذا القول بالتحرير أنهم كانوا ورقة ونوفل وكثير فأقاموا عند أخيهم جملة من الأعوام وقد أمنوا من حوادث الليالى والأيام وهم فى ملك البرارى والآكام وكانت هذه أقاليم من أشرف الأقوام إلى أن بلغهم ما جرى لبنى عبس وعدنان وكيف عادت دولتهم مثل ما كانوا فى أول الزمان وقد خافتهم سائر العربان وقد انتشى فيهم فارسة مانهاب الموت الأحمر يقال لها عنيترة بنت عنتر وأمها الهيفاة قناصة الرجال أخت عمرو ذو الكاب سيد بنى قضاعة وقد أطاعت عنيترة سائر القبائل بالسمع والطاعة وسار وا نازلين فى أرض الشربة والعلم السعدى ومن الهيبة التى لها فى قلوب الناس لم يكن أحد على أحد متعدى وزهير بن قيس حاكم على ألف وخمسمائة إنسان وهم من بنى عبس فزارة وبنى عطفان وعنيترة وخالها وأخوها الغضنفر قد صاروا فى عشرة آلاف فارس وأكثرهم اليوم فى أمان واطمئنان هابت بنو عبس وبنو فضاعة سائر العربان (قال حازم المكى) ناقل هذا الديوان ولما تحقق قيس واخوته ذلك الكلام من السمار والعابرين بهم فى الليل والنهار ممن يهدون لهم الهدايا ويقربوا لهم القربان وهم يعتقدون أنهم رهبان واتضح ذلك القول والبرهان فقال قيس لاخوته ما عندكم من الرأى الرشيد فقالوا له أنت أحق منا بالقول السديد والأمر الحميد والعرب تسميك قيس الرأى فافعل ما تريد (قال الراوى) فلما سمع كلام اخوته علم ما اتفقوا عليه من اتباع مشورته قال لهم أرى أن تسيروا تطلبوا أرض الشربة والعلم السعدى والعمر الزمان يكون قد غير الأحوال فقالوا له اخوته نعم ما ذكرت والصواب ما به أشرت قال الراوى وكانت خيولهم سائبة فى تلك الأرض عندهم كل هذا الزمان تاكل من ذلك الأرضة وتشرب من تلك العدوان وقد كانوا كلهم فاكان لهم دأب إلا أنهم شدوا على خيولهم وأخفوا أحوالهم والأمور التى يعرفوها وساروا طالبين ديارهم وأطلالهم وهم يتأسفون على ما جرى فى أموالهم وعيالهم (قال الراوى) أنهم لم يزالوا يقطعوا البرارى والقيعان حتى أرمتهم المقادير على أرض بنى نبهان وكان جوازهم عليها فى جوف الليل فكروا عند ذلك من تحت الخيل فأصبح صبحهم على أطواف بلادهم وتحققهم الرعيان وكانت سائر قبائل العرب تعرف فرسان بنى عبس بعيدها وصناديدها وتعرف أوباشهم أما جيدها إلا أنها كانت طائفة قليلة وأعوادها كثيرة وقد فعلوا بهم ما فعلوا فى تلك الوقعات الكبار ولا سيما الملك قيس بن زهير وإخوته وما فعلوا فى العرب فى أيام عنتر وشجاعته فقام عليهم العائط من الرعيان وتجمعت خلفهم عبيد بنى نبهان ودار واحوالهم من كل ناحية

وهكان وقد تبع قيس وأخوته أوفى من ثلثمائة عبد من العبيد الشداد فوقف قيس وتفانه المعروفة ووقعت أخوته وتجالدوا أشد جلاد وقال لهم يا بنى أبى موتوا كرام ولا تموتوا لئام فانا لا بد لنا من ضرب الحسام فقال له أخوه نوفل نعم ما قلت يا أخى من هذا الكلام (قال الراوى) ثم أنهم أكبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وحملوا على العبيد وحملت العبيد عليهم وهؤلاء فرسان بنى عبس الأماجيد وليوثها الصناديد وهؤلاء الذين التقوا بهم على كل حال رعيال وعبيد فما كان الا ساعة حتى أرموا منهم تسعين عبد على الصعيد وقد تثروهم فى الميدان ومددوهم على الصحصحان وقد سالت الدماء من السيوف وتناهلوا كاسات الحتوف وبان كل بطل موصوف (قال الراوى) وكان قيس وأخوته كما قدمنا من شجعان العرب وقد قدمنا ذكر قيس وما جرى له يوم الجبلين مع معديكرب فقتل هو واخوته فى تلك الساعة أكثر من نصف وأيسلوا بهم العطب وقد عول الباقون على الفرار والهرب يطلبون لأنفسهم النجاة فى ذلك البر والسبسب (قال الراوى) وإذا بالغبار قد علا من ناحية بنى نبهان بعد ساعة وبانت من تحته الفرسان وقد ظهرت الشجعان وكانوا أو فى من ثلاثة الاف هند وقد أتوا إلى قتل الملك قيس بن رهير وأخوته ليعدموا كلا منهم مهجته لأن العبيد مضوا فى عاجل الحال وأعموا السادات بذلك الشأن فركبت فى الوقت والساعة فرسان بنى نبهان وطلبوهم فى تلك البرارى والكثبان (قال الراوى) هذا الديوان ولما رأى قيس وأخوته ما أتاهم من فرسان العرب قال لهم يا بنى أبى أطلبوا بنا الهرب والا متنا موت الهجا وحل بنا العطب فقال ورقة نعم ما قلت يا أخى من هذا الرأى الصائب ثم أنهم ألووا رؤس خيولهم وطلبوا النجاة فى ذلك البر والسبسب ولما رأى فرسان بنى نبهان وقد فعلوا تلك الفعال أخذوا عليهم سائر الطرقات وطلبوهم من جميع الجهات فلحقوا منهم نوفلا وتكاثروا عليه فقتلوه وأحلوا به الندمير (قال الراوى) وأما قيس فكان تحته داحس وقد ذكرنا فيما مضى من حديث هذا الجواد وما كان فيه من الأمور النفائس فطار بقيس فى ذلك البر والتلال وطلبته الخيل من اليمين والشمال فما لحقوا منه إلا الغبار ونجا بقيس وتبطن فى تلك البرارى والقفار وطلب ناحية البحر الأعظم وقد خاف قيس على نفسه من الهلاك والعدم وما زال كذلك وهو قدامهم وهم وراءه حتى أرمى روحه فى بحر الفرات هو وجواده داحس فغرقوا الاثنين وحان عليهم الحين قال الراوى هذا وبنو نبهان لما عاينت ذلك الحال ورأوا ما فعل قيس من تلك الفعال وقد أرمى روحه فى البحر وغرق شرب كاس الوبال ولا رضى بمن يحكم فيه وينزل به الاذلال قالوا لبعضهم يا لك من فارس من بين الفرسان اخترت الموت على الذل والهوان ثم أنهم جعلوا ينادون وفيما فعلوا خاسرين وفيهم من بكى عليه ولاموا أنفسهم بما اساؤا عليه (قال الراوى) فهذا ما كان من قيس وما جرى له وأما ما كان ورقة أخيه

وأحواله فإنه لما اشتغل عنه بنو نبهان فى اتباعهم لقيس فى تلك البرارى والقيعان وتلهم لأخيه نوفل فنجا بنفسه وقد اشتغلت عنه الخيل وما زال سائرا بجواده إلى أن دخل عليه الليل وكان هذا الجواد التى تحته معدوم المثال فى الخيل وكان الحق سبحانه وتعالى قد أسكن القوى والحيل ولما أنه أقبل عليه سار طول ليله إلى أن أصبح عليه الصباح وقد أيقن أنه نجا بنفسه من ذلك الأمر العام فرأى روحه قد قارب ديار بنى عامر فتحايد عن الطريق وسار فى أودية وأوعار إلى أن صار آخر النهار ونزل على بعض الغدران وأراح واستراح إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركب جواده وسار طالبا إلى السعدى وأرض الشربة وهو مشتاق إلى من الأهل والأحبة وقد أنكبه الدهر فى إخوته أى نكبة (قال الراوى) وما زال سائرا إلى أن اقبل على الديار والأوطان وباتت له المضارب والخيام والغدران فنهاطلت دموعه على خديه مثل الجمان وما زال كذلك إلى أن شق بجواده بين المضارب والخيام وكان ذلك بعد ثمانية عشر من الأيام فتبادر إليه أهل الحلة وعرفوه بالصياح والزعاق وانحلت الدموع من الأحداق وتبادرت إلى صوته وقة الرجال وأقبلت عليه الأبطال ووصل الخبر إلى المالك زهير بن قيس فخرج للقائه ماشيا على رجليه وقد كاد من الفرح أن يغشى عليه وما زال إلى أن التقى جمعه وورقه وهو لا يصدق أن ذلك الأمر صدق ولا يؤمل أنه يراه حقا وما رآه ورقة ترجل إليه واعتنقه وضمه إلى صدره وسلم عليه وصار يقبله فى عارضه ونحره وبين عينيه وأقبلت أيضا عتيرة وأخوها الغضنفر وحاطا عر ذو الكلب الأمير وأقبل أيضا جرير وابن أخيه الخذروف وكل منهم على لقاء ورقة ملهوف وصار الناس متعجبين من هذا الأمر وهم وقوف فسلمت عتيرة على ورقة غاية السلام وتبادر إليه جرير والخذروف وسلما عليه وسارا مع جملة الناس وجعلوا يتذاكرون ما مضى وقد تباكوا مما جرى عليهم وحكم به القدر والقضاء ولما انتهوا إلى السلام انعزل كل خل بخله وقد سار المالك زهير ومعه عمه ورقة وقد كاد قلبه من فرحة يطير ويتفطر كذلك الأميرة عتيرة بنت عنتر وأخوها الملك الغضنفر وعمها جرير وابن عمها الخذروف وسبيع اليمن بن مقرى الوحش وزيد بن عروة وعتيبة ابن حصن ووجوه القبيلة وما زالوا كذلك إلى أن وصلوا إلى مضرب الملك زهير وجلسوا للحديث والكلام بعد ما فرغوا من بعضهم من السلام وقد جعل ورقة يحكى لزهير ولمن حضر ما جرى له وما عليه قد تم من هذا الأمر المنكر وعلى إخوته من بنى نبهان وكيف مات أخاه نوفل وكثير وقد أخبرهم كيف غرق قيس وجواده وابنته فى النهر والله أعلم (قال الراوى) فلما سمع زهير كلام عمه ورقة بكى بكاء شديدا وبكت الجماعة الحاضرين بكاء شديدا مما عليه من زيد فقالت له عتيرة ما بالك أيها الملك تبكى لا أبكى الله لك عينا ولا أنعمت بك إنسان وكيف تبكى يا ملك الزمان وحولك هنا رجال مثل العقبان وكل فارس منا يقوم

بجماعة من العربان فدع عنك البكاء والأنين والاشتكاء وسر بنا إلى بنى نبهان لتقلع آثارهم وتخرب ديارهم وتنزل بهم الذل والهوان ونأخذ منهم بثار أبيك وأعمامك وأيضا ثار أبى سيد الفرسان وأخلى ديارهم مثل أمس معنى وكان وتفعل بهم ذلك وحرمه الملك الديان المنان الذى لا يشغله شأن عن شأن (قال الراوى) ثم ان عنيترة التفتت إلى أخيها الفضفر حوله من الفرسان وإلى خالها عمرو ذو الكلب ومن تحت يده من الشجعان وقالت لهم خذوا أهبتكم حتى أننا نسير للحرب والقتال ونأخذ ثارنا من بنى نبهان ثم قالت لهم كل منكم بنهى وجاله ويوصى أبطاله ثم أنها الأخرى صرخت فى بنى عبس وبنى فزارة وكان قد التم منهم جماعة كثيرة وساروا من تحت يد عمها زهمة الجواد وقالت الخيل يا أرباب الخيل ترفعوا عن أنفسكم ما حل بكم من الويل (قال الراوى) فركبت بنو عبس لوقتها وساعتها وصرخت أيضا فيمن تحت يدها من الفرسان وقالت لهم خذوا أهبتكم وكذلك قالت للملك زهير ثم يا ملك وأزل عن قلبك بأخذ ثارك وما قد اعتراك من الهم والضير فقام الملك زهير قائما على الأقدام لما سمع منها ما أبدته من ذلك الكلام وقدموا له الجواد النوبة والعبيد والخدم فركب وركبت لركوبه سائر الفرسان ومن قد اجتمع عليهم من قبائل العربان وكانوا حقيقيين الظهر متأهبين لهذا الشأن ولم يأخذهم من ذلك اهمال ولا توان وساروا فى عاجل الحال طالبين أرض بنى نبهان وهى بحرفه النلان تقول لا بد ما أشتت شملهم فى الفلا وخرمة اعلى الأعلى (قال الراوى) ثم سارت القبائل تتبع بعضها بعض أطلاب أطلاب وهم بنو عبس وبنو قضاعة ومن يليهم من الاعراب وتبعهم أيضا بنى فزارة وكان قد اجتمع عليهم ألف وخمسمائة فارس عن لهم من الخلان والأصحاب وكذلك المنصرين الذين أتوا مع الفضفر وهو سائر بين أيديهم كأنه الأسد القسور وقد كملت عدتهم اثنى عشر ألف فارس وقد وكلوا بالأموال ألفين فارس أعيان لأن عدة من كان قد اجتمع عليهم من بنى عبس وعدنان ألفا فارس أعيان من كانوا قد اجتمعوا فى الجبال وسكنوا فى الأودية الخوال (قال الراوى) وقد ذكرنا أن الفضفر قد أتى فى أربعة آلاف وعنيترة وخالها عمرو ذو الكلب من بنى قضاعة فى أربعة آلاف فارس أنجاب وانضاف عليهم من بنى فزارة الخلفا وأصحاب ستة آلاف وأكثرهم من الفرائب والأحباب فصاروا فى ذلك اليوم أربعة عشر ألف فارس أنجاب وقد قدمنا فى هذه الأقوال النفائس أن بنى عبس كان عدتهم فى زمان عنترة أربعة آلاف فارس فقولا قد زادوا بهم الأمر عن حد القياس وقد زاد فى قلوبهم لهيب النار لأخذ الثار ولأجل أن يخمدوا منهم الأنفاس فصاروا يقطعون البرارى والقفار والقيعان طالبين ديار بنى نبهان ليحلوا بهم الذل والهوان ويكشفوا عن أنفسهم العار والذل والشنار (قال الراوى) لهذه الأخبار فنبيناهم سائرون على ذلك الصوب وهم يقطعون المناهل فى الليل والنهار ولا يقر لهم قرار إلى أن كان يوم

من بعض الأيام وإذا قد ثار من بين أيديهم غبار وقتام ساعة وقد انكشف ذلك الظلام وبان من تحت ألف فارس كأنهم الأسود العوابس بين أيديهم هودج عال والرهج من كثرة الذهب الذى عليه يتلألا وهو مقبل بين يدى تلك الأبطال السائرين على عجل طالبين أرض الحجاز من غير مهل وكان إقباله من ناحية أرض الشام وتلك الفرسان محتاطون به فى ذلك البر والاكام (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب فلما رأت فرسان بنى عبس إلى ذلك الحال وإلى تلك الفرسان المقبله وما معهم من المال قالت الأميرة عنيترة لابن أختها ياسر وابن عمها ليته الميدان أن انظروا ماهؤلاء الفرسان فانى أراهم مقبلين من أرض الشام وتلك الفرسان من بنى غسان فعند ذلك سارا كما أمرتهما إلى أن قاربا تلك الفرسان وتبينوهم فعرفوهم وإذا هم من متنصرة العربان والراكبه التى فى تلك الهودج هى الست حليمه بنت الحارث والوهاب وبين أياديها خدمها ورجالها وجماعة من الأصحاب فلما أبصرهما فى عاجل الحال نزلا عن خيولهما وقبلا بين أياديها الأرض والمهاد وكان قد تبعهما جماعة من الرجال فلما رأوهما قد فعلا تلك الفعال عاد الرجال إلى عنيترة وأخبروه بما رأوه فلما أخبروه بذلك الحال فعند ذلك سارت عنيترة والفضنفر فى مقدمة الرجال والتقيا ببعضهم البعض فرأهم تدأبركوا الجمل الذى عليه الهودج ونزلت الست حليمة إلى وجه الأرض فعند ذلك ترجلت إليها عنيترة هى وأخوها الفضنفر ولما رأوا عليها من جلالة القدر وحسن المنظر وقد انذهل من رؤيتها كل من حضر وقد تلقتهم بالبكاء والنحيب وأكثرت من الصراخ والعديد حتى انزعج كل من كان حولها من الفرسان الاماجيد (قال الراوى) فتقدمت الأميره عنيترة واعتنقها وجعلت تسألها عن البكاء والأحوال وتسألها عما جرى لها من تلك الأحوال التى هى سبب ذلك النحيب والأحوال ثم أنها أمرت بنزول الجيوش فنصبت الخيام حتى يأخذ الهم راحة فى ذلك المقام ونصب أيضا رجال الملكة حليمة لها سرادقا من الحرير مرصعا بفصوص الجواهر ولما نزلوا واستقر بهم القرار بدأت تحدثهم بما كان لها من الكلام (قال الراوى) وقد كان السبب الذى أوجبت تلك الأحوال وأتى بهذه الملكة حليمة إلى هنا بحالة الإذلال بعد ما كانت بغاية العز والاماو هو أن الست حليمه وأخاها عمر ولما ولاهما عنتر وكان قد سار كما ذكرنا إلى جانب الفرات وعمل ما فعل معهم من ذلك الأمر قد أقاما بعده من تحت يد الملك قيصر على هذه الأحكام مدة هذه الأعوام إلى أن كان فى بعض الأيام فبينما هما فى غفلة عما تحدثه الليالى والأيام وإذا قد بلغهما الخبر أنه قد ظهر من البحر جيوش بعدد الرمل وقطر المطر وإنهم قادمون على أرض دمشق وما بينها من الأقاليم والأحكام ولهم ملك ما رأى أحد مثله فى سائر الانام وقد قتل الرجال وأباد الأبطال وخرب الديار والأطلال ونهب ما ادخرته الملوك من الأموال وفعل فعلا لم يفعله قبله أحد

من الملوك ولا من الأبطال وقد نقلوا عنه أنه جبار عنيد وشيطان مريد لا يهاب الرجال ولا يخشى من الأبطال فى يوم الحرب والنجال (قال الراوى) لهذا الكلام فلما سمع الغضنفر كلامها وما حدثته من مراسها طار من عينيه الشرار وقال لها اى شىء دين هذا الملك أما يعبد الصليب ويشد الزنار فقالت يا مولاى هو على دين المسيح بن مريم ويعرف قدر الإنجيل المعظم فقال أما وما السبب الموجب لقتاله فى أهل دينه حتى أحل بهم المهالك فقالت يا مولاى وحتى المسيح ما نعلم بذلك وهذا الذى سمعنا به من أحواله وما وصل إلينا أعلمناك به وأطلعناك عليه وقد ذكروا لنا عنه أيضاً أن له عند عرب الحجاز ثارا يريد أن يستوفيه وكذلك له عند قيصر ملك الروم يريد أن يقضيه (قال الراوى) فلما فرغت من كلامها وفهم الغضنفر مرامها أشار إلى بنى عمه وجميع مقدمى الجيوش وقال لهم يا بنى العم ما ترون فى هذا الأمر المنكر والحال الذى قد ظهر فقالت عنترة وجميع من حضر يا أمير الرأى عندنا أننا نسير إلى هذا العدو وظلمه ونحكمى الناس شره وما يأتى منه من ضرر فإذا أمنا من شره وذوا هيه عدنا إلى إلى الأمر الذى كنا فيه وعزمنا على أخذ ثارنا فقالت عنترة يا أخى وحق ذمة العرب هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب وإن لم نفعل هذا الأمر فى الأول وإلا انقلبت علينا الأعداء وقصدوا الاغتيال ديارنا ويشغلوا خواطرنا وأسرارنا وتصير العرب جميعا مع الأعداء علينا وتفتح باب ما نقدر أن نسده ولا نعلم بعد ذلك ما نلتقى وما يحدثه فينا الدهر فاستصوب جميع الحاضرين هذا الرأى وباتوا تلك الليلة وهم مازمون على المسير إلى دمشق الشام ويلقوا هذا العدو الذى هو الجوفران بن الملك كوبرت ملك جزيرة الكافور وتلك البلاد ولما فرغوا من ذلك الكلام بذل الملك الغضنفر للملكة حليمة ومن معها غاية الاكرام ورفعها على أعلى مقام وتولى خدمتها تلك الليلة ياسر بن ميسرة وليث الميدان وتذاكر جميلها ومالها لديهما من الاحسان (قال الراوى) حتى لما أصبح الله بالصباح وبان لهم الضوء من الشرق ولاح أمر الغضنفر أن ينادى المنادى بالرحيل وأن يعتدوا بآلة الحرب للتحويل فرحل جميع الجيوش طالبين بلاد الشام ونشرت على رؤسهم الرايات والأعلام على رؤس السادات والفرسان الكرام ونشرت على رأس الملك زهير بن قيس رايه أبيه العقاب وكانت الراية أخذتها عنيته من بنى عامر لما وقع لبنى عبس ما وقع مع القبائل والاعراب فأوصلها عامر بن الطفيل إليهم فى جملة المال الذى كان أنفذه مع كوكب مع ما كان عليه كما قدمنا ورفعوا حليمة إلى هودجها بعد ما طيبوا قلبها ووعدوها بانكسار العدو عن بلدها وتسليم غنائمها إليها وسار الجيش وفى المقدمة عنيترة بلت عنتر وخالها عمرو ذو الكلب وياسر بن ميسرة وليث الميدان الآخر وفى القلب الملك زهير وفى الميسرة الملك الغضنفر وسادات بنى عبس وفى الميمنة أسد بن غصوب والملك الغضنفر

يترنم وينشد ويقول :

سأعد للحدثان طعنا واعـــد للأعداء حدا أنا لى حسام قد قد
البيض والأبدان قدا وعلمت أنى من بنى عبس الكرام أبا وجد
قوم إذا لبسوا الحديد تراهموا كالنار وقدا كل امرىء يجرى إلى
يوم أغاح بما استحدا لما رأيت الصارخات يصحن باذ العزم شدا
وأتت حليمة كالبدر التمام ذا تندى وبدت محاسنها التى
قد حوزت للحسن حدا لما رأيت نساءنا يعددن الأحزان شد
ما إن جزعت ولا علمت ولا يرد بكاء رفدا أنى ثناء الذاهبين
وأعد الأعداء عدا ذهب الذين أحبـــهم وبقيت مثل السيف فردا

ليس الجمال بمئزر فاعلم وان ردیت بردا
إن الجمال معادن ومناقب أورثن مجدا

(قال الراوى) المصنف لهذه المقالات وكان النضنفر وكان ينشد هذه الأبيات والحذروف بين يديه يبكيان بغزير العبادات ويظهران أكبر الحسرات فقال لهما النضنفر لاى شىء تبكيان لا أبكى الله لكما عينا فقال جرير وحق ذمة العرب يا ابن الأخ ما بكائى إلا لأنى تذكرت أبيك عنتر ونحن سائرون قدامه طالبين دمشق وعنك شيبوب فى صحبتنا وأخى عنترة امامنا ينشد أبياتا تقارب هذه الأبيات فوحق عالم الخفيات العالم بما مضى وبما هو آت لبكائى أسمع أباك وهو ينشد هذا الكلام وهذا الشعر فى النظام وكأنك ما خلت من أبيك شيئا من خلقه هذا الأمر الذى جرى فى خاطرى وأجرى دموعى بماجرى فصرخ الجميع من حولهم بالبكاء والعويل وقد تذكروا ما جرى لهم وبنى عبس من الويل والتنكيد والعذاب الطويل (قال الراوى) لهذه الأخبار ولم يزالوا سائرين الليل والنهار وهم يقاسون ما هم فيه من قطع الأودية والقفار والسهول والاوعار إلى أن أشرفوا على غوطة دمشق وتلك الديار وكان دخولهم فى النهار فلما رأوا إلى البساتين وهو فى وسط البساتين قال النضنفر لجرير هذه البساتين تمنعنا عن المجال وترد أعيننا عن الوصول إلى هؤلاء الأبدال فقال لهم الحذروف اتبعوا أثرى حتى أقطع بكم هذه البساتين بالرمان وأريكم على الابدال فى أرض خالية من الاشجار الطوال فقال له جرير افعل هذا فانه الصواب والامر الذى لا يعاب ثم أنهم ساروا خلف الحذروف طول الليل فى ذلك المدا فما طلعت الشمس إلا وقد صاروا من غربى الاعداء (قال الراوى) وطلع الغبار الذى ظلمهم حتى أظلمت منه الاقطار وصارت الافرنج طالبة الغبار والقفار وقد ظنوا أن بعض ملوك الافرنج قد وصل اليهم من بعض جزائر البحار (قال الراوى) فلما وقعت العين وصحت الاخبار ونظرت الافرنج إلى قلة جيش العرب وهم فى تلك

البيداء وقد تفرقوا فطمعت فيهم وحملت حملة الحنق فالتقتهم العرب بقلوب جريئة من غير فزع ولا قلق وتصادموا بالسيوف والرماح والدرق حتى فاض الدم من الأجساد وانهرق وابطبقت عليهم الافرنج مثل انطباق البحر إذا اندفق وماجت الجيوش فى بعضها البعض حتى ساروا مثل البحار الزواخر وانعقدت على رؤسهم الزوابع والغبائر قال الراوى ونادى الغضنفر فى عشائره اجملوا الطعن والضرب من كل جانب فاصدمت الفرسان والمواكب وخاضت الشجعان فى الكتائب وطارت الرؤس عن المناكب وحميت عنيترة فى ذلك اليوم وأظهرت العجائب وحمل من خلفها ياسر بن ميسرة وليث الميدان والديال بن العضبان وسبيع اليمن بن مقرى الوحش شجاع الزمان وعمرو ذو الكعاب ودريد بن الصمة شيخ مشايخ العربان ودثار بن روق وخفاف بن ندبة فتى الفتيان وكذلك فعل الملك زهير بن قيس فى ذلك اليوم فعلا يحير الأعيان وصاحت الأقران وصرخت الفرسان وبربرت الشجعان وطلع الغبار إلى العنان وتعبت الخيل من كثرة الجولان وحميت على بعضها بعض تلك الطوائف المختلفة والجموع التى هى غير مؤتلفة (قال الراوى) وكانت بنو عبس قد داخلهم من كثرة الجموع القلق ولمع حسام الموت على رؤسهم وبرق وتقطعت الأكباد وتمزقت القلوب من كثرة الجزع وضاق بهم البر المتسع وصاح الصائح فلم يسمع (قال الراوى) لهذا الديوان هذا وقد نظر الغضنفر إلى كثرة الجيوش وازدحام الكتائب والعصائر فصار يضرب ضربا لا ترده الدروع ولا المغافر ولا تقية الزرديات ولا العدد ولا يخاف الموت إذا ورد ويطعن شجاع قادر يحرق به الورد فتركهم كلهم مطروحين على الأرض مثل العمد وصارت الرجال بين يديه مثل الغنم وعمل فى ذلك اليوم عملا يحير الالباب والاذهان مع فرسان الحجاز والشجعان (قال الراوى) ولولا أن عشائر الافرنج كثيرة وإلا كانت كسرتها عشائر العرب وأحلت بها الدمار والعطب وكان هذا القتال كله والملك الجوفران واقف تحت الاعلام والصلبان كأنه شيطان من شياطين الخان وهو يقول وحق المسيح أن فرسان الحجاز هم ليوث الميدان وأبطال الزمان ولا بد أن برز غدا إليهم وآخذ فرسانهم وأفر شجعانهم وإلا فما أبلغ منهم مراد ولا تقع هيبتى فى قلوب العباد (قال الراوى) وكان جيش بنى عبس ثمانية آلاف وعشائر الملك الجوفران اثنين وستين ألف لأنه كان قد فرق عشائره على القلاع والحصون وأيضا سير ثلاثين ألف إلى انطاكية فصاروا فى أسرع ما يكون وكان المقدم عليهم بطريق من بطارقة الافرنج وهو جسيم وسيم كأنه الفيل العظيم وكان الذى تبقى عند الجوفران على حصار دمشق هؤلاء الاثنين ألف فارس ما منهم إلا كل مدرع ولا يئس وذلك لعمه أن ما فى البلد من يلقاه ولا له عدو يقصده ولا يطلب ملتقاه وأنه هو قاصد الأعداء ويريد أن يحل بهم الردى وما كان يقول أن عرب الحجاز تقدم عليه ولا تسير بهذه العشائر إليه (قال

الراوى) ويحارب الطائفتان فى تلك البطاح إلى أن أقبل عليهم الظلام وهم على ما هم عليه من الجرب والكفاح وانفصلوا الطائفتان وتباعدوا عن بعضهم الفريقان ونزلوا إلى الميدان لراحة الأبدان إلى أن برق الصباح وبان وأشرق نوره ولاح على الكثبان فتقدموا عند ذلك إلى الميدان يطلبون الحرب والكفاح راكبين على صهوات الجرد القداح وهم متقلدون بالسيوف ومعتقلون بالرماح قال الراوى هذا والصياح فى البلد قد علا حتى بلغ إلى وسيع الفلا وصاروا يدعون للعرب بالنصر والحما ويطلبون لهم الظهر من رب الأرض والسما فلم تكن إلا ساعة ودقت فى عساكر الافرنج الغرات وعلت بينهم الضجات وقد أخذتهم العرحات والمسرات وركب الملك الحوفران ونشرت على رأسه الرايات والصلبان وتقدمت بين يديه البرسان (قال الراوى) ولما اعتدلت الصفوف وترتبت المئات والالوف برز من عشائر الافرنج فارس فى الحديد غاطس راكب على جواد أباق كبير الخدق له بين الخيول زى وروق متقلد بسيف أبتر نوره يأخذ بالبصر وهو معتقل بقنطارية خلنجية ثم أنه سار على ذلك الجواد الموصوف حتى بقى بين الصفوف وأشار بيده بطلب البراز ويسأل الانجاز فما استتم كلامه وما أشار به من مرامه إلا وقد برز إليه ياسر بن ميسرة وله همهمة قوة ومقهرة وهو راكب على جواد أجرد متقلد بسيف مهند ومعتقل برمح أسمر من عمل سمهر ثم أنه جال بجواده حتى صار مع الافرنجى فى الميدان وقاربه حتى سار الحصان فعند ذلك وقف ياسر وأنشد يقول هذه الابيات :

سل السيوف وخوض الصفوف ... وقرب الحتوف وضرب القلل
ونقع الهجاجة فى الخافقين ... تريك المنايا برؤس الاسل
ألذ واشهى من الغانيات ... وشرب المدامه يوم الظلل

(قال الاصمعى) ثم أن ياسر حمل على الافرنجى حملة جبار لا يبقى ولا يذر وكذلك الافرنجى التقاه بقلب أقوى من تيار البحر إذا زخر وتطاعنا بالرماح حتى تكسرت وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت وأخذ فى الحرب الشديد والقتال العنيد وأبعدا فى الكر والفر والهزل والجد والأخذ والرد والبعد والقرب والملاصقة والموافقة والمطابقة حتى قل من الافرنجى الحيل وضعف عن خصمه وحل به الويل فعند ذلك أطبق عليه ياسر وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه وقد انهد أساسه وخمدت أنفاسه قال الراوى فعند ذلك برز إليه أخو المقتول فما أمهله ولا تركه يحول حتى سعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ثم أنه وقف بالميدان ونادى يا معاشر الافرنج من عرفنى فقد اكتفى ومن كم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا يا ميسرة الفتى القسور صاحب الهمة والمقدرة فابرزوا إلى فرسانكم المذكورة وشجعانكم المشهورة (قال الراوى) فلما سمعوا منه ذلك الكلام لم يمهلوا دون أن برز إليه

فارس وهو لابس درعا حديدا وهو كأنه قصر مشيد فأمهله ياسر يجول حتى تركه على الأرض مجدول وقد ضربه على هامه أدمى رأسه لدامه ثم أنه طلب البراز وسأل الانجاز فبرز إليه رابع فقتله وخامس فجندله والسادس أهواه والسابع أرداه والثامن عجل فناه وألحقه برفقاه وتركهم مطروحين فى الفلا ولم يزل يخرج إليه فارس بعد فارس وهو يقرب دماره ويعجل بواره حتى قتل من الافرنج ثلاثين فارسا وهم فرسان عوابس إلى ان قرب المساء واعتمت الدنيا وتخندس الظلام ورجعت الطائفتان إلى الخيام هذا الخيام هذا الملك الحوفران الدحار ولحقه الانبهار لما شاهده من فرسان العرب وكان كلما هم أن يبرز ليأسره لم يمكنوه أرباب دولته وخواص مملكته وابنو عبس فانهم فرحوا بياسر مفرح الاكبر وشكروه وأثنى عليه الملك الغضنفر وكذلك عنيترة بفت عنتر ثم قام الغضنفر وتولى الحرس بنفسه وقد أراد بذلك ان يفدى أبناء جنسه وقد اشعلوا النيران وتحارس الفريقان قال الراوى لهذا الديوان ولما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركب الفرسان الخيول واعتقلوا بالذبول وتقلدوا بالنصول وبعد ذلك اشتهرت السيوف وتعدلت الالوف وقابلت المواكب وترتبت الكتائب وصهلت الجنائب وهمت الطوائف أن تحمل بعضها على بعض وقد ارتجت من ركض خيلهم جنبات الأرض واذا بفارس قد برز من فرسان الافرنج وهو كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهو بالحديد مسربل فجال فى الميدان يرهب بالرمح ساعة على ظهر الحصان ومسك العنان واشار إلى ناحية بنى عبس بطرف السنان وكانت اشارته انه يطلب البراز ويسأل الانجاز فهم ياسر بن ميسره ان يبرز إليه فسبقه ليث الميدان بن مازن وحمل عليه وسار فى وسط الميدان وساوى الافرنجى فى موقف الطعان وكان عليه درع داودى ومن فوقه زردية فضية وعلى رأسه طاسة بيضاء عادية ترد مضارب السيوف الهندية وهو متقلد بصمصامة كسروية بشراب الموت مسقية وهو كما قال فيه وهب بن عطية هذه الابيات الشعرية

أتاك غداة الروع شهم كأنه ... من الله فى قبض النفوس رسول
وكان على افرنجة موج لجة ... يقاصر فى صحصاحة ويطول
إذا ما انتضى للسيف من جنباته ... فلابد من رءوس هنالك تميل

(قال الراوى) وهو معتقل برمح يخرق صم الجلاميد وعلى رأسه سنان ممدود وكان راكبا على جواد من الخيل الجياد وقوى الاعصاب وقوائمه طوال وفى المجال صنور على ملاقاة الابطال فى ساحة المجال وهو على صهوته كأنه الاسد الربيال وحمل على الافرنجى حملة الغضنفر لكن يسقيه كأس العطب وهو ينشد ويقول

أعاذلى كفى ملامك انى ... مشرق إلى نار لها الحرب تشعل

وشرب دما الابطال فى وهج الوغا ألذ من الصهباء والكاس ينقل
وصوت طنين المشرفى على الطلا ألذ وأشهى من حبيب يعلل

(قال الراوى) فاستتم ليث الميدان كلامه وشعره ونظامه حتى تقرب منه الافرنجى وصار قدمه وقد انقض عليه انقضاض القضاء والقدر وضربه بالقنطارية أسرع من لمح البصر ونظر ليث الميدان إلى القنطاريه وهى واصلة إليه فعلم انه لا توانى عن نفسه قضت عليه فمال عنها أسرع من البرق إذا تناها ولحقها بالحسام طير أعلاها وعطف على الافرنجى وضربه بالسيف على رأسه فشق البيضة والرفادة والبطانه ونزل إلى السيف إلى حد رأسه فما عن الجواد وهو يحور فى دمه ويضطرب فى عندمه وبعد ذلك صال وجال وطلب البراز والقتال

(قال الراوى) برز إليه فارس من خواص الجوفران وسار حتى ساواه فى حومه الميدان وقيل انه كان من الفرسان المذكورة والابطال التى فى الحرب مشهوره وكان قد لقى وقعات كثيرة وله مواقف هائلات خطيرة فحمل على ليث الميدان وأخذ فى الضرب والطعان وتصادما بالابدان وتقاتلا بالسيف والسنان (قال الراوى) ولم يزالا فى حرب وكفاح حتى وتكسرت فى أيديهما الرماح وتثلمت من الضرب على الدرق الصفاح وانهما لم يزالا على ذلك الرواح إلى نصف النهار حتى كل الافرنجى ومل ولحقه الانبهار فرأى منه ليث الميدان التقصير وعرف ذلك منه معرفه فتمطى فى كعوب الرمح وطعنه فى صدره خرج السنان يلمع من ظهره ثم صال وجال وطلب البراز والقتال ونادى وقال هل من مبارز هل منا جزفلا يبرز إلى هذا المقام لا جبان ولا عاجز الا من يكون بطل الهزاهز فلم يزل يبرز إليه فارس بعد فارس وهو يقتل ويأسر حتى فعل ذلك بخمسة عشر فارس (قال الراوى) فعند ذلك حلفت عليه الافرنج وحملت على ليث الميدان باذن الجوفران ولما نظرت بنو عبس إلى غدر الافرنج اللئام صرخ فيهم المالك الغضنفر الحملة الحملة يا بنى الاعمام فهذا يوم الحرب والصدام فعند ذلك أكبت رؤسها فى قرابيص سروجها وطلبت بنفوسها وطلقت أعنة خيولها تؤمل وترتجى بلوغ مأمولها والتقت قنطاريات الافرنج بصدورها وطعنتها برماحها فى صدورها ونحورها (قال الراوى) وقد التقت الاقران بالاقران والشجعان بالشجعان وطلع عليهم الغبار حتى حجبهم عن أعين النظارة وتقسطل النقع الموار وازداد من القوم الافتكار وحمى على رؤسهم من حرارة الشمس النهار وقدحت الارض فى ذلك الوقت شرار النار واحتدمت النفوس وذل الفارس العبوس وفر الجبان المنحوس وقاتلت أفرسان الشوس وعظمت الاهوال على الرجال وفلى القبل والقال وتقصفت الرماح الطوال وجاء الجد وذهب المزاح والمجال وتجالدوا بالصفاح وسمحوا بالارواح بعدما كانوا بها شحاح ونادى الشجاع لابراح وتصايحوا أعظم صياح وتنا من شرب المنية اقداح وعدموا فى

ذلك اليوم الصلاح وسالت الدماء من الجراح وتقلعت المقل الصحاح ودام القتال وعظم النزال وارتجت الأرض بالزلزال ولم يزل السيف يعمل بالدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار بأنواره وأقبل الليل باعتكاره ونادى منادى الانفصال فى الفريقين ورجعوا إلى المضارب والخيام وهم سكارى من شرب كاس الحمام لأجل الراحة والمنام وتذكرت بنو عبس ما جرى لهم فى يومهم من عظم القتال وما لاقوا فيه من الأهوال الثقال وكثر عدد الأبطال فقالت عنترة والغضنفر أن هؤلاء القوم ما لهم إلا البراز والنزال لعل أن تأخذ منهم الأبطال وأنا وأخى نفعل هذه الفعال ويأتوا على ذلك الحال وقد تناولوا الطعام وأخذوا الراحة بالمنام (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما دبروا من المرام (وأما) ما كان من الملك الجوفران ومن فرسان الحرب والصدام فانهم لما نزلوا من الحرب واستقر بهم المقام أخذوا يتسابقون فى الحديث والكلام وقد رغبوا كما فعل بنو عبس فى الراحة وأكل مطعام وقال لهم الجوفران لابد من خروجى غداة عد إلى الميدان وأفعل به كما فعلت اليوم بالفرسان وأخذ منهم الأبطال والأقران والشجعان وإلا فما تنكسر حدتهم ولا يصغر لهم شأن ثم أن كلا منهم قام إلى مناه بعد ما فرغ كل واحد منهم من كلامه ولم يزالوا على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح وضاء بنوره ولاح فعند ذلك اصطف الجيشان وتقابلت الفريقان ووقفوا ينظرون من يفتح باب الحرب ويعول على الطعن والضرب ولما اعتدلت الصفوف وترتبت الألوف قفز من بين عشائر بنى عبس فارس فى الحديد عاطس راكب على جواد ابلق كبير الخلق له بين الخيول زى ورونق وهو متقلد بسيف أبتر نوره ياخذ بالبصر ثم أنه سار حتى بقى بين الصفوف وأشار يطلب البراز ويسأل الانجاز فما استتم كلامه وما أشار به من مرامه حتى ترجل من عشائر الإفرنج مقدار القد فارس وبينهم فارس راكب والكل يمشون قدامه فلما صار فى وسط الميدان عاد الكل عنه وقد نادى بلسان عربى طليق أنا الملك الجوفران وكان راكبا على جواد مثله فى الخيول الجياد ومعتقلا بقنطارية خلنجة من صنعة معلمين الافرنج ذلك الزمان ثم أنه حمل على ذلك الفارس الذى ذكرناه والبطل الذى وصفناه فما هو إلا أن قاربه حتى طعنه بعنب تلك القنطارية ألقاه على وجه الأرض فتبادرت إليه الافرنج فشدوه كتاف واوثقوا منه الأطراف (قال الراوى) ثم أنه صال وجال وافتخر على أبناء جنسه وقال يا فرسان الحجاز دونكم والبراز ومقام الانجاز إنى أقسمت بالتوراة والانجل والصليب والزنار أنى لا أدع أحدا منكم يعود إلى أهله والديار لأن البترك قد بخربى برجيعة الشائع فى الأقطار فليبرز إلى منكم كل فارس وبطل مغوار (قال الراوى) فلما استتم كلامه وما نطق به من مرامه حتى قفز إليه ليث الميدان وصوب إلى ناحيته بالسنان وحمل عليه حملة منكرة وزعق عليه زعقة لها هدير وزمجرة

وصال عليه صولة من له على الحرب مقدرة فثبت له الجوفران ثبات من له عادة بلقاء الأقران. وتمثل عليه حتى جاوزه بالحصان وأخرج رجله من الركاب ورفس ليث الميدان أوماه على وجه الصحصحان فانكب عليه رجلان فاخذوه فى عاجل الحال اسيرو قادره ذليل حقير ومازال الجوفران على حالة فى الميدان ويطلب يراز الفرسان ولقاء الأقران فبرز إليه خفاف بن ندبة فما أمهلة يجول معه سير صبر عليه حتى حاذاه رفى الجولان ضايقه وساواه فعلق به وقبض على أطواقه وجذبه بمقدرته من ازياقه فاقتلعه من على ظهر الحصان وحذفه من يده على قاع الصحصحان فشده الرجلان اللذان خلفه كتاف وقووا منه السواعد والأطراف وقد أشرف على التلاف وبعد ذلك نادى الجوفران بلسان عربي يفهمه كل من حضر هل من مبارز هل من مناجز هذا مقام الخطر فبرز إليه دثار بن روق كأنه نار محرقة أو صاعقة مبرقة. فباره الجوفران بضربة صادقة فنزلت عليه كأنها بازقة وكانت الضربة بالسيف صفحا فلم يتمكن أن يقيم فى يده الطارقة فجاءت الضربة على البيضة كأنها صاعقة فانقلب عن الجواد إلى الأرض والم دفاسرعت إليه الغلمان من غير خلاف وأوثقوه كتاف وقووا منه السواعد والأطراف وقاده إلى الجيش أسير وهو ذليل حقير قال الراوى هذا وقد ضجت القسوس والرهبان ورفعت الأنجيل وشالت الروم صلبانها ثم أن الملك الجوفران جال وصال فى حومة الميدان وفتش برجميع البطيرك وطلب البراز من فرسان وسأل الإنجاز حتى يشتهى من الأقران فتعجب العرب مارأت من ذلك الشيطان من القوسية وقوة الجنان وحسن قتالة الشجعان فعند ذلك برز إليه دريد بن الصمة على العزيمة والهمة وكان لما رأى فعل الجوفران بأصحابه قد اعتد للقتال وليس آلة الحرب والنزال وسار حتى قارب الملك الجوفران وقد عيره الكبر وأوهنه طول الزمان مناداه احترز على نفسك ياشيخ من الطعان ثم أنه بعد ذلك الكلام انطبق عليه انطباق الغمام فالتقاه دريد بقلب أقوى من وصخر وجنان أجرى من تيار البحر إذا زخر وأخذا فى الكر والفر والانطلاق والمستقر والهز والجد والصدو الرد وتطايقا وتضايقا وعاد افرقا بعدما كانا قد التصقا وانفرقا عن بعضهما فى تلك الساحة ووقفا متقابلين لأجل الراحة قال الراوى فقال الجوفران لدريد لما رأى قتاله وماشاهد من حربه ونزاله ياشيخ المسيح ما طلع ظنى فيك صحيح فقال له دريد وما كان ظنك يافارس الفرسان وحق ديني وما اعتقد من عبادة الصلبان لما نظرت إليك وإلى كبرك ورأيت دموعك جارية على خديك ظننت أنك تموت من شدة خوفك من الحرب وكثرة فزعك من الطعن والضرب (قال الراوى) فناده دريد وقال له خاب والله أملك وأخطأ ما أملته من سهمك على أنني وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ما أنا إلا غارق

فى بحر فكرتك ومتحير فى أمرك وقضيتك فقال له وكيف ذلك ياشيخ فقال دريد لانى أراك فصيح اللسان بكلام العرب وعندك فصل زائد وأدب وقد خالطت صفة الافرنج وبنى الاصفر فى اللون والزى والمخبر فقال له الجوفران اعلم أن الخالق الرازق قادر أن يخلق الابيض من الاسود والاسود من الابيض وليس عليه من ذلك معترض وأما كلامى فمن أمى تعلمته وأتقنته وفهمته وانى أحب لسان العرب دون الافرنج محبة متكاثرة لان فيه معانى ظاهرة وأشياء فاخرة فقال له دريد بن الصمة يا فارس الخيل وأما سبب بكائى فما هو من خوف الموت ولا من ارتباك القوت لانى قد بلغت من العمر خمسمائة عام وأنا الآن أشتهى الاضرب الحسام والخوض فى الظلام وما بكائى إلا على فارس كان فيما مضى من الزمان قد ساد على الفرسان وعلا بشجاعته على سائر الاقران وقتل بعيا وعدوان فلما أن برزت إلى حومة الميدان تذكرت فعاله وقتاله للاقران ثم أن دريد لما فرغ مما دار بينه وبين الجوفران من الكلام أشار ينعى عنترا بهذه الابيات ويقول

على شهم جليل القـــدر ليث ... وحيد فى الزمان بلا مثال
فتى تبكيه جن الارض طرا ... وتنعيه الاكابر والموالى
فقد كان الحمى لجميع عبس ... وبخشاه الملوك ذووا المعالى

(قال الراوى) فلما فرغ دريد من شعره وذلك النظام اطبق عليه الجوفران كأنه الباشق إذا انقض على الحمام وهو من الاسد الغضبان وتضاربا بالقضب اليمان ضربات تتعدد منها مرده الجان علا الغبار على زوسهما إلى العنان وسار اتارة يظهر أن لليمان وتارة يغيبان عن أعين الفرسان وهما فى منازلة ومجاولة ومطاولة وقد أخذا فى الكد والصد والاخذ والرد والانطباق والالتصاق والبعد والاقتراب وقد اتسع عليهما المجال بالميدان وضاقت العينان ونظر دريد من الجوفران ما حير منه وكذلك نظر الملك الجوفران من دريد ما توقف به البنان ويذهل العقول الشجعان وكان فى ظنه قد غيره الكبر وما علم أنه مثل النسر المعمر إلا أن دريدا كل ملى فى آخر النهار ووهى عزمه واضمحل فحمل عليه الملك الجوفران حملة جبار قد مارك الاهوال ومارس الاخطار ولاسقه وضايقه وسدد عليه طرائقه وقبضه من جلباب درعه واقتلعه من سرجه وأخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وعاد به إلى خيامه وسلمه إلى غلمانه وحداته والليل قد أقبل بظلامه (قال الراوى) فعند ذلك انحلت عزائم العربان وخافته سائر الشجعان والاقران هذا والغضنفر قد لحقته الآلام والاحزان وماذاق تلك الليلة شيأ من الطعام ولا التذ بمنام حتى طلع الصباح بالابتسام وولت كتائب الظلام وركبت الطائفتان تطلب القتال ومعاناة الحرب والنزال وتقدمت تطلب بعضها بعضا وانشروا فى جنبات تلك الارض (قال الاصمعى) الراوى لهذا الكلام ولما اكتملت

الصفوف وترتبت الآلوف وإذا بالملك الجوفران قد خرج للبراز فى الميدان بزيه المعروف وجواده الموصوف وتادى بلسان عربى يسمعه كل إنسان ولا يحتاج مع ذلك إلى ترجمان فتكلم وقال هل من مبارز هل من مناجز فإن هذا يوم الهزاهز فلا يبرز فيه جبان ولا عاجز إلا من يكون فى الحرب بطلا وان كان يقى فيكم بطل مقاتل فليبرز ويدع التكاسل وإن كنتم عجزتم عن الحرب والقتال وخفتم من الموت وقرب الآجال فسلموا إلينا الخيول والاسلاب واطلبوا لأنفسكم النجاة والذهاب وأنا لم تقدروا على البراز وما فاه من الأمور النفائس فابرزوا فارسا بفارس أو مائة لفارس أو ألفا لفارس وأن يتيم والبغى أتيتم فاحملوا بجمعكم على فانى بحربكم وفى وبقتالكم ملى (قال الراوى) وما تم الجوفران من كلامه وما نطق به من مرامه إلا وعنيترة بنت عنتر قد سارت قدامه بعد ما تعلق بها أخوها الغضنفر فاقسمت بمن خلق الشمس والقمر وبحق تربة أبيها عنتر لأدقن ثبرز إلى هذا الشيطان إلا أن أموت وأقبر أو يكون الأمر على مقدور فذلك الوقت أفعل ما عليه تقدر (قال الراوى) فسمح لها بذلك أخوها الغضنفر فعند ذلك خرجت إلى الميدان أسرع من لمح البصر وحملت على الملك الجوفراز بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر إذا زخر وكانت راكبة على جواد أحمر ملمح المنظر عظيم المخبر وهو فى حدة الا بحر الذى كان لأبيها عنتر ناعم الملمس أن حبستا انحبس وإذا ضايقتا الخيل تركها واختلس وكان عليها يومئذ درع من دروع الأكاسرة من التى كانت عند أبيها عنتر مدخرة وعلى رأسها خوذة عاد تزدان بأسباب المنية وتضرب بها الرجال المسومة وتدهدهها ضارب السيوف الهندية وبيدها صارم أبتر صقيل الماتن جوهر فى حده الموت الأحمر ومعتقد برمح اسمر من عمل مهر وعلى رأسها سنان يلتهب كأنه عقرب أو قيس على مركب أو نار ذات لهب (قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه والتقى طعنه وضاربه وأبدى كل واحد منهما فى الحرب عجائبه وغرائبه واغتم دليهما مشارق الأرض ومغاربها ومدر كل واحد منهما كأنه الأسد الهدار أو البحر الزخار وعلمت عنيترة أن الجوفراز فارس مغوار وبطل كرار ليس فى الحرب عليه عيار وصرخا فى وجوه بعضهما بعض صرخات متواترات فكادت أن تزول من شدتهما الجبال الراسيات ولم يزالا كذلك حتى تتابعت منهما الصرخات مع الهزات إلى أن يقيس القلوب مرتاعة وكانا فارسين تبطل عندهما الشجاعة وكان لها ساعة وأى ساعة كشف الحق فيها قناعه وصرخا على بعضهما صرختين صرت الخيل لها آذانها وارتعدت أبدانها قال الراوى إلا أن عنيترة بنتها هى فى شدة جولانها وإذا قد عثرت بها حصانها فانقلبت من علية كأنها جذع نخل أو شجرة باسقة تكسرت أغصانها فانقض عليها الجوفران قبل أن تثور كانقضاض الباز على أضعف الطيور فاخذها اسيرة وقادها بعد أن وضع حمائل سيفه فى رقبتها ذليلة حقيرة

وسلمها إلى غلمانه وقد حلت بها الدهشة والحيرة وأقربوها إلى الاسري وقد تحير الغضنفر مما جرى (قال الراوى) ثم أن الملك الجوفران بعد ذلك عاد الى ساحة الميدان وهو كأنه الأسد الغضبان وقد اعجبته لما رأى نصرته على تلك الاقران وصولته على تلك الفرسان وبعد ذلك صال وجال وطلب الحرب والقتال ونادى وقال ويلكم ابرزوا يا معاشر الابطال ودعونا من هذا التكاسل فقد طال بنا المطال فانى من أمرى على استعجال (قال الراوى) فلم يتم مقاله حتى صار عمرو ذو الكلب قباله بعدان تعلق به الغضنفر فاقسم عليه بتربة أبيه عنتر أن يدعه قتال من براز هذا الفارس الوطر ثم أنه سيل على الجوفران بقلب من الحنق ملان وفؤاد غير فزعان وقد ذكرنا فرسية هذا الأمير عمرو ذو الكلب فى غير هذا الديوان فتلاقاة الجوفران بقلب غير خائف ولا وجلان وانفسحا فى حومة الميدان وكانت ساعة بينهما تقشعر منها الابدان وقد صار الغبار على رؤسهما مثل الدخان وعايا عن الابصار وتعجبت مما جرى بينهما النظار ورأوا أن الوصول إلى بعضهما بعيد والدنو إلى ما بينهما صعب شديد فالفرا عند ذلك مين أيديهما رماحهما وجذبا بعد ذلك سيوفهما كانت اعجل لقبض الارواح ورقع الجد بينهما وطال الكفاح وذهب من بينهما اللعب والمزاح وعلا منهما الزعاق والصياح ولم يزالا فى ذلك لامر إلا أن تتلت فى أيديهما الصفاح هذا وقد أرتعدت من قتالهما قلوب الرجال وخرس اللسان واذهل الجبان وقد تعبت مما حل بهما الأبدان وأيقنا بحلول الاجل الاثنان إلى أن انقضى عليهما النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار ولحقهما التعب والانبهار وأيقنا من بغضهما بالبوار ولم يزالا على ذلك الحال إلى أن ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال ونادى المنادى هما بالانفصال فافترقا على سلامة ولم يعلم أحدهما على صاحبه بعلامة وعاد كل منهما إلى جيشه وقومه وكل منهما يذكر ما لاقى من خصمه فى يومه وكل واحد تلقاه رفقته وباركوا به وهنوه بسلامته (قال الراوى) ولما رأى الغضنفر إلى ذلك تغيض بالمغيض ولم يبلغ عمرو ذو الكلب من خصمه الغرض فاقسم بمن خلق الأرض والسماء وعلم آدم الاسماء لا برزن غد إلى هذا الجوفران إلا أنا اعمل أن أظفر به وأستريح من التعب والعناء إن كانت الاخرى ولم تصل يدى إليه فتهيؤا كلكم فى أمر تعتمدوا عليه ثم انهم تناولوا شيأ من الطعام وأخذوا الراحة للمنام إلى أن أصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح وترتبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح فعند ذلك الملك الجوفران بزيه المعروف إلى ساحة الميدان واشتهر بين الفريقين وجال وصال حتى لين عريكة الجسان ونادى كما سبق له فى الايام الخالية من الزمان وسمعت نداءه العربى جميع الفرسان من شدة عزمه واهتمامه فلم يتركه الغضنفر يتم كلامه حتى برز إليه وصار قدامه بعد ما تعلق به عمرو ذو الكلب فلم يفعل وكذلك زهير بن

بقيس فلم يقبل ولاجل ما فى قلبه من الأهوال لم يسمع لاحد منهما مقال (قال الراوى) ثم أنه لما سار فى الميدان جال وصال حتى لاين عريكة الحصان وكان عليه فى ذلك اليوم درع أبيه المانع وهو مقلد بسيفه الضامى القاطع وجال فدام خصمه فى ساحة الميدان ونادى وقال له ويلك ياقرزان يا ابن ألف قرزان يا كثير الفشل الهذيان دونك والحرب والطعان ثم مد إليه لسان السنان وصال وجال وترنم وأنشد وقال هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

ألم تعلموا انى همام عشيرتى ... شديد القوى والحرب غاية مقصدى
فان ماجد فى القوم أبدى فخره ... فمجدى فيها باسق غير مفقد
وأنى من قوم كرام أعزة ... تحامى عن الاخوان بالرمح واليد
وانى لقتال الرجال بصارم ... فرى فى مجال الحرب ألف مهند
ولست من الحرب العوان بفازع ... ولم أك رعديدا ولا رعش اليد

(قال الراوى) فلما سمع الجوفران شعر الغضنفر شخر ونخر وتجبر واخذته الحمية ونخوه الجاهلية والعزيمة القوية وقد هاج كأنه الأسد القسور ونطق بالشعر لسانه وما قصر لأنه قريبة بنى الأصفر وأجابه على شعره يقول

أنا البطل الندب الذى شاع ذكره ... ببذل المعالى واكتساب الرغائب
فمالى مبذول لكل مؤمل ... وسيفى فى هام العدا والترائب
يعلمنى هام العالمين ذبابه ... وما كنت رعديدا بكل الشمائل
ففى السلم سلام وفى الحرب قاهر ... وللجود مبذال وفى الحرب غالب
أنا الجوفران الندب سيد قومه ... أبيد الاعادى بالسيوف القواضب

(قال الراوى) ولما فرغ الجوفران من شعره ونظامه سل فى يده حسامه وأبدى ما عنده من وجده وغرامه وحمل على الملك الغضنفر حمله ليث اسود ما التقاه الملك الغضنفر بوجه نشوش أزهر وجنان أجرى من تيار البحر إذا زخر وتحاربا وارتطما بالرمحين وتماشقا فى أيديهما بالسيفين حتى تحيرت من فعالهما الطائفتان وقد كل من تحهما الجواد (قال الراوى) ودام بينهما القتال واستطالا فى الحرب والنزال وانظمت الأهوال وتضاربا بالنصال وتكسرت فى ايديهما الرماح الطوال وانالوا بالأهوال الثقال واصطدما بالابدان كأنهما الجبلان وطلع عليهم الغبار إلى العنان وتغيرت منهما الوجوه وخاب ما كانوا يؤملونه ويرجوه واشتقت السنتهما من العطش وحار كل منهما واندهش ولم يزالا على ذلك الحال وهما فى حرب وقتال إلى أن أذن الله للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال ورجعت الطائفتان إلى الخيام لأجل الراحة والمنام وقد التقى بنو عبس بالغضنفر وسألوه عن خصمه وما كان بينهما من ذلك الامر المنكر فقال لهم وذمة العربة ما رأيت مثله فى الحرب

أقوى همه وقد تعيت فى هذا اليوم من قتاله وحربه ونزاله ولكن غداة غد يكون نهاية حربه وانفصاله ويكون النصر لواحد منا إما لى وإما له (قال الراوى) هذا ما كان من الغضنفر وأما ما كان من الجوفران فان أصحابه وأرباب دولته التقوة وسألوه عن خصمه وما رأى من شجاعته فقال لهم وحق المسيح ما هو إلا فارس مليح وهو جسور القلب فى طعنه وضرابه ولكن لولا المساء أدركنى ما كنت عدت الا به ثم انهم أحضروا إليه الطعام فاكل وبعد ذلك انكا لأجل الراحة والمنام بعدما أوصى أصحابه بالحرص والمنام (قال الراوى) ولما كان الغد عند الصباح ركبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح وركب فى مقدمتهم الملك الجوفران وسار قدام الدساكر إلى حومة الميدان فرأى الغضنفر قد ركب وسبقه إلى الميدان فى مكان الضرب والطعان فعند ذلك برز إليه الجوفران وناداه دونك والمبارزة فانى ما أبقيت عليك بالأمس الا حتى تنظر شجاعتى وتخبر من عندك من الفرسان عند مفارقتى فيشهدوا إلى أتى أوحد الزمان فى فروسيتى فرعق فيه الغضنفر بصوت مذعر وقال تقصير يدك عن هدايا كلب بنى الأصفر ثم أنه أشار إليه بقول هذه الابيات

أنا الفارس القمقام يوم الكتائب ... أخا المجد والعليا كريم المناسب
أكر وأحمى الجار حقا ولا أرى ... لنفسى روعا عند وقع القواضب
ولا عجبا فيما أقول لاننى ... أبيد كماة الحرب عند التضارب
فهيجنى ليث يصول مبادرا ... وعزمى فى الميدان ليس بكاذب

(قال الراوى) فلما سمع الملك الجوفران منه ذلك الكلام والنظام اندبق عليه كانطباق الغمام وأجابه على شعره بقول

لست بالحايد المحيد عن الحرب ... لاولا بالجبان عند الضراب
وإذا كانت النفوس جميعا ... تخشى من الفرسان عند الطلاب
وأنا الفارس المقدم فى الحرب ... كريم من سادة انجاب
ليس لى فى الحروب كفؤ وانى ... لشجاع لاانثنى عن حراب

(قال الراوى) ثم بعد ذلك حمل الفارسان على بعضهما بعض واتسعا فى جنبات تلك الأرض وأخذوا فى معاناة الطعن والضرب حتى عقد عليهما الضباب وتقيا عن أعين الناظرين فى حجاب وحارت مما وقع بينهما أولو الالباب وحكمت فيها السيوف الرقاق وحرى لهما ما يهر الأخلاق وحير الاحداق الا أن الغضنفر طعن الجوفران طعنة هائلة قاتلة وكانت إلى صدره واصلة وقال لاخذها ملو فارس عبس وعدنان فوقعت فى كتف الملك الجوفران فابذل دمه وارتعد منها وصار فى رجفان ولكن قوى عزمه وهدى روعه وصبر عليه وطاول خصمه الى أن أقبل الليل وعاد كل منهما عن صاحبه وهو يتأسف على خصمه ويتحسر وعاد الملك الجوفران وهو

مرتبك مما قد اعتراه فالتفت إليه أرباب دولته وصاروا ينشفون له دماءه وكانت الجراح قد أوهنته وعن المنام منعته فوضعوا له الرهبان على جراحاته حشائش يعرفونها وشدوها شدا وثيقا وقد زادت به الاشجان وبات وهو بقلق كأنه الجمر الحردان ولم ينم تلك الليلة مما ناله من الهيمان (قال الراوى) ومزال على ذلك الشان إلى أن أصبح الله بالصباح وما صدق الصباح أن يصبح حتى ركب وخرج إلى الميدان ونادى وطلب البراز وسأل الانجاز وإذا بالغضنفر بما به من الحنق قد خرج إليه مثل البرق أو الغيث إذا اندفق أو السهم إذا انطلق ثم أنهما حملا على بعضهما بعض وحالا طولا وعرضا حتى تدكدكت بن تحت أرجل خيلهما الارض وصار طويلا واعتركا وميلا وأخذا ميمنة وميسرة وصارت الخيل تجرى بهم تارة خببا وتارة تهقرى وشخصت لهم أعين الفريقين لأنه جرى بينهما حرب تحيرت منه كل الطائفتين واندهلت الفرسان مما جرى لهؤلاء البطلين من شدة ما صار بينهما من القتال وما لقوا فى ذلك اليوم من الاهوال وقد صرخاصر ختين تفطر منهما القلوب وكاد الأكباد منهما ذوب وجرى بينهما حرب شديد يحير منه الطرف الصنديد ويشيب له الطفل الوليد ولم ير الاعلى ذلك وهما فى حرب أكيد وقتال عنيد وهما على ما هم عليه من ذلك الحال إلى أن أقبل الليل بالانسدال وعزم النهار على الارتحال وعاد عن بعضهما بسلامة ولم يبلغ أحدهما من صاحبه عرضه ومرامه ورجع كل واحد إلى أصحابه وقد زادت به أوصابه وكل منهما تلقاه قومه وأجناده وقد امتلا بالحنق اؤاده وقال عمرو ذو الكلب الغضنفر كيف رأيت خصمك فى هذا اليوم الاغبر فقال لعن الله الكذب فانه يزرى بالرجل ولو كان من أكابر القوم ووالله ما هو إلا فارس عظيم وبطل جسيم ولقد لاقيت منه فى هذا اليوم ثبات شهم جسيم وهو بذلك الجرح العظيم مثل ما لاقيه منه بالامس وهو سليم وفى غداة غد يكون الانفصال بمشيئة الملك المتعال (قال الراوى) فهذا ما كان من الغضنفر ومانم له من الاهوال مع قومه وأما ما كان من الملك الجوفران فانه التقاه خواصه وقومه بأحسن استقبال وقالوا له كيف رأيت خصمك فقال لهم وحق المسيح ومزمار داود والحوارى المليح ما هو إلا فارس شديد وبطل صنديد وهو جيد الحرب والنزال وعدا يكون بينى وبينه الانفصال (قال الراوى) ثم أنهم تناولوا الطعام وأخذوا الراحة لاجل صحة الاجسام وباتوا تلك الليلة على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وركبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح وترتبت الصفوف وتدلت الالوف وبرقت فى أيديهم السيوف (قال الفائل) فعند ذلك ركب الملك الجوفران وصار فى عاجل الحال فى وسط الميدان وطلب البراز وسأل الانجاز ونادى وقال هيا يا فرسان الحجاز ابرزوا إلى فارسكم المغوار وبطلكم

الذى عندكم بطل الطراز فما تم الجوفران كلامه إلا والغضنفر حمل عليه وصار قدامه وكان قد خرج على مهل من غير انزعاج ولا عجل والجوفران يظن ذلك من الخوف فعند ذلك قصده الغضنفر وانطبق عليه انطباق الأسد القسور وقامت فى رأسه حمية أبيه عنتر فاشار يقول .

سلوا الخيل عنى حين اعلو سروجها ... واسرى بها نحو الأعادى مسرعا
أليس أنا الموت المفجع للعدا ... إذا اشتبكت زرق الاسنة طلعا
أبيد كأة الحرب فى حومه الوغا ... وامنحهم فى السلم أفضل موضعا
أقوم بهم لاعطى الحرب حقها ... اجندل منهم كل قرم تصدعا
ادير عليهم كاس حنق من الردا ... تمازج سما فى الجوانب ناقعا

(قال الرواى) ولما فرغ الغضنفر من شعره وما أبداه من نظمه ونثره حمل على الملك الجوفران واطاق الجواد العنان وقوم بين أذانه السنان فالتقاه الجوفران بقلب أقوى من الصوان واوسع معه فى الميدان وأجابه على عروض شعره بفصاحة اللسان وقوى عزم وثبات جنان

الا سائلا عبس يوم الوغا ... عداة التقينا جميعا معا
دهمتهمو فى وسيع الفلا ... على صافنات لها أربعا
جندلت بالبيض هاماتهم ... وقطعت يوم الوغا من سعى

(قال الراوى) ولما فرغ الجوفران من شعره والنظام انطبقا على بعضهما بعض وأخذو المجال طولا وعرضا وأخذ الغضنفر من الجوفران الحذر وكاشحة الحسام الذكر وصار بينهما حرب تذكر ماطلعت الشمس والقمر وكان لها ساعة تقشعر منها الجلود وظن كل واحد أنه لا يعود وحملا على بعضهما نقوة وزجرة وتصادما صدمات منكرة ورات الفرسان ومنهما فى ذلك الوقت شاعة عسرة وجالا حولانا طويل واعتركا غير قليل ولم يزالا فى كر مفر ومقام ومستقر واخذور دوهزل وجد وطعان ونزال حتى تحطمت من طعناتهما تلك القنطاريات الطوال وتثلمت فى أيديهما من كثرة الضرب السيوف الصقال ولم يزالا على ذلك الحال وهم فى مجاولة ومحاولة ومقاتلة حتى قاربت الشمس إلى الزوال وتيقن كل واحد منهما أنه لا يرجع إلى ديار ه بما اوقدوا فى الحرب عليهما من ناره وخاف الغضنفر أن ينقضى عليه النهار ولم يبلغ من خصمه ما يختار فلاصق الغضنفر الملك الجوفران وطابقه وسد عليه طرائقه وقام فى ركابه وتمطى بين يديه وأراد أن يضربه بالسيف يقضى عليه والجوفران قد احترز من ضربته واستربد حقته فى قوة حنق الغضنفر قام بركابه وضرب الجوفران فعند ذلك انقطع به الركاب وقد سقط عن الجواد ووقع على التراب وقد انوهن بعضه فى بعض فانقض عليه الجوفران أسرع من البرق وعجل به قبل نزول الدق وأخذه من

على وجه الأرض بسرعة وهو متوهن من تلك الواقعة وعاد به وهو فى صفة الأموات وقد علت من تلك الافرنج الأصوات ودقت الطبول والكاسات وصرخت الرجال ونعرت البوقات وحملت فرسان بنى عبس على الأثر وأيضا بنو هوازن وبنو قضاعة صاروا يرمون خلاص الغضنفر فالتقتهم الافرنج كأنهم السيل إذا انحدر وعمل بينهم الصارم الذكر ولعبت الخيل بجماجم الرجال كأنهم الأكر وعمل الشجاع أعمالا تحير البصر وانهزم الجبان وتقهقر ولم تزل الأبصار حائرة خاسرة والسيوف أحكامها فى الأبدان جائرة وأفاعى الرماح الى نهش الأرواح متبادرة والوحوش إلى جيش القتلى نافرة وقلوب بنى عبس على الغضنفر متطايرة (قال الراوى) هذا وقد عمل الحسام فى الروس والأجسام واختلفت رسل الحمام ولمعت نجوم الاسنة من تحت سحائب القتام وقامت عروس الحرب على الاقدام وانتشرت عليها جماجم الكرام وماز از السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى الليل وانسدل وانفصلت الطوائف عن الحرب والعمل وعادت فرسان العرب وهى تخوض فى بطون القتلى وقد حل بهم من أمر عنيرة والغضنفر البلا وما أحمى نار الحرب إلا عمرو ذو الكلب فانه هو الذى دفع عن قومه فى ذلك اليوم البلا ورجعت الطوائف عن بعضها بعض وفيهم من هو آمن وخائف وبات بنو عبس وما فيهم من استطعم رد ولا تهنا برقاد ولا قوله فؤاد (قال الراوى) هذا وعمرو ذو الكلب يقول ما بقى الامر إلا فى غداة غد أبرز إلى الميدان وأطلب براز الملك الجوفران وأبذل فى قتاله المجهود فاما أن أرجع بفيل المصود أو أبقى معفرا فى الثرى ملحودا وافترق الجمعان وباتت الطائفتان وتحارس الفريقان وبات عمرو ذو الكلب على هذه النية وقلبه وقلوب بنى عبس على حر النار يشويه (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء وما وقع لهم من الأحكام وأما ما كان من الملك الجوفران وما يريد أن يدبر من المرام فانه أقبل إلى سرادقه وهو فرحان ومن حوله الابطال والفرسان ودار به القسس والرهبان وقد صلوا عليه صلاة الموتى بطيب الالحان وهو مما لاقاه من الحرب سكران (قال الراوى) وبات الحرس يدورون بين الطائفتين إلى أن أصبح الله بالصباح واسفر بنوره الوضاح فعند ذلك ركبت بنو عبس ومن معها من الطوائف واصطفت الصفوف وأهترت الذوابل واشهرت السيوف وفى ذلك الوقت أقبل على عمرو ذو الكلب ابن شيبوب الخذروف وقال له يا أمير نالا بدلى إذا شتملتم فى هذا اليوم بالحرب والصدام إن اختلط بالافرنج وإذا عادوا أعود معهم إلى الخيام وأتسبب فى خلاص أولاد عمى عنيرة والغضنفر ولو أنى ألاقى فى خلاصهم الموت الاحمر (قال الراوى) فقال له عمرو نخاف عليك أن تعرف فتهلك ويعدمك قومك وأهلك فقال له الخذروف يا أمير ما يكون من الرب العظيم إلا كل خير كثير ثم أنه خلع عنه ألوانه وليس أثوابا تصلح لهذه

الاشغال لأنه كان قد خلف أباه وفاق عنه وتكامل فى المكر والمحال ثم ألقى ساقيه الريح وطلب البر الفسيح وكان قد عصب رأسه بعصابة حرير ولبس فوقها كنوشا أسود كبير وشد وسطه بسير عريض وأخذ فى يده عكازا كبيرا غليظ وافق مع تلك العصاه عصاة ألطف منها وشد الاثنين شدا وثيق وأخذ فى يده الأخرى قطعة خلنج وأبرق وعمل على صدره صورة صليب مزمك بعقيق ولبس برجليه ملابس بطريق ونزل بزى شماس حتيق وخرج من الجيش كأنه شيطان أو من بعض عمار الجان وأخذ فى عراض الجيش ودخل من بين البساتين كأنه الذئب الأغبر وقطع فى الفلا قساسة زمنية إلى أن علم أنه صار أخلف جيوش الافرنجية فعند ذلك عرج وأتى من خلفهم حتى أنه يتجسس ويدخل إلى جيوشهم (قال الراوى) وكان للاتفاق وقد ركبت الافرنج للقتال لما رأت بنى عبس قد استحدثت للنزال لأنهم طمعوا فيهم بعد أسر حماتهم عنترة وأخيها الغضنفر الأسد الريبال هذ وقد ارتجمت الاقطار وأظلم ضوء النهار وهتكت الاستار وذهلت من هول ما عاينت الأبصار وحار من شدة الحرب نظر النظار وحملت الصفوف على الصفوف وتلاطمت الألوف مع الألوف وتقطعت المناكب والكفوف وحكمت الأجسام الرماح والسيوف وقاتل فى ذلك اليوم عمرو ذو الكلب القتال الموصوف وجعل يكفكف الفرسان عن قومه فى الطاح ويتلق عنهم بصدره أسنة الرماح وأما أم عنترة قناصة الرجال فانها حيرت بفعالها الشجعان وأذهلت بقتالها نظر العينان ونكست عن السروج الأقران من شدة الطعان وضربت بالسيف اليمان وهى إلى جانب أخيها عمرو كأنها الأسد الغضبان ولله در سبيع اليمن بن مقرى الوحش وما فعل فى ذلك اليوم العظيم الشأن وسابق وأخوه لاحق يا ما فعلوا فى حومة الميدان وكذلك الدئال بن الغضبان فإنه حير بفعاله الرسان وأذل الجيشان وتثبت الفرسان وفر الجبان وهو منذهل العقل حيران (قال الراوى) ولله در الجوفران وما عمل فى ذلك اليوم بالأقران والشجعان وكان قد التقى بعمر ذو الكلب آخر النهار وجرى بينهما حروب يحير النظار ويذهل الأبصار وافترقوا عند اقبال الظلام لطلب الراحة والمنام وكذلك افترق الجيشان ورجع عن القتال الطائفتان وباتوا يتحارسون الفرسان (قال الراوى) ونزل الملك الجوفران فى سراداته وقد كاد الغيظ يأكل فى ذلك اليوم أن يخنقه وقد أشعلت الشموع بين يديه والبطارنة والحجاب دائرة من حواليه وهو يدير فيهم عينيه ويجلس خواصه ومن يعز عليه وينظر إلى الأسارى ويريد أن يقدمهم إليه فحانت منه التفاتة فنظر إلى الخذروف وهو واقف بين الصفوف وهو ينظر الى الخيمة التى فيها الأسارى بنظر خفيف فقال لبعض خدامه ائتونى بذلك الرجل الضعيف صاحب الجسد النحيف فما كان بأسرع من أن أحضروه بين يديه ولما حضر الخذروف بين يديه أومأ بالسلام إليه

وصلب على وجهه وكشف رأسه وسكب التراب قبل قال وركب الراوى فقال له الجوفران من انت ومن أين تكون وما هو دينك من الأديان اصدق بالحق إلا وحق المسيح وماري حنا المعمدان ضربت رقبتك بهذا السيف اليمانى وأنزلت به الهوان فقال له الخذروف يامولاى أنت من بلاد الملك ساساو قد جار على الزمان ورمانى منه الحرمان وقد فقدت الأهل والخلان قال الراوى فقال له الجوفران ومن فعل بك هذا الفعال من أهل ملة الصلبان فقال له الخذروف يا مولاى وحق المسيح ودبرقته وصومعة الرهبان ما فعل بى هذا الفعال إلا هؤلاء الأسارى الذين هم أوشم العربان الذين فى قبضتك الآن وقد فعلوا بى ذلك على زمن الملك خيلجان وأنت بنو عيس وحمه العربان وهم فى عزمة وهمة وخلصوا الاسارى مع هذا الشيخ الذى يسمى دريد بن الصمة الذى فى قلبى منه ألف رزية وغمة ولو حصل هذا الشيخ فى يدى يامولاى لأكلت لحمه وسربت دمه لأنهم قتلوا إلى ثلاثة أخوة وولدى وقد فطروا فؤادى وكبدى وقد هدوا قواى وجسدى وكانوا قد أخذونى معهم أسير بحالة الويل والتنكيد والتعسير وكنت قد بقيت معهم أسوق الاموال والنوق والجمال ووصلت معهم وقد قربت من هذه البلاد فهربت منهم وبقيت مشتتا وحيداً على حالة الانفراد وبعد ذلك توصلت إلى أن دخلت القسطنطينية وخدمت فى بعض مكناتس لأهل ملة النصرانية إلى أن أتت هذه الأيام وسمعت أنك أيها الملك الهمام والبطل الضرغام قد استأسرت من بعض بنى عيس أقوام فاتيت إلى ههنا لأنظرهم النظر التام ولئن قتلت منهم أحد أيها الملك وأبدت عزمه وشويت لحمة أكلته وتلطخت بدمه (قال الراوى) ثم ان الخذروف أظهر الحسرات وتصاعدت منه الزفرات وأسال العبرات وأشار يقول صلوا على طه الرسول

لا تعجبا من عبرتى ونحيبى ... يا صاحبى ليس ذا بعجيب
ونخوفا يوم الفراق ذاته ... لا شىء أعظم من فراق حبيب
ترك الغراق العاشقين كأنما ... أجسامهم خلقت بغير قلوب
من لم يكن عرف الغرام وذاقه ... فلقد أخذت من الهوى بنصيبى
أرأيت يا هذا أشد بلية ... كتبت على بشر فراق حبيبى

(قال الراوى) ثم ان الخذروف أظهر البكاء والأحزان وأجرى دموعه من الاجفان حتى رحمه الملك الجوفران وبكى كل من كان حاضرا فى ذلك المكان وقال له الملك الجوفران يا هذا أقلل من بكائك فنحن نأخذ ثارك ونبلغك مناك ونأمرك أن تضرب منهم اشقاب وترمى لحومهم إلى الكلاب فقم وادخل إلى الخيمة واصنع بهم ما شئت من العذاب ولكن لا تقتل منهم أحدا حتى انى أوبخهم وأعاتبهم فقد وكلتك بهم حتى انك تعذبهم (قال الراوى) فنهض

الخذروف إلى خيمة الاسارى التى جعلت لهم فى ذلك المكان وكانت إلى جانب سرادق الملك الجوفران فرفع سجاف الخيمة ونظر إليهم من خلف ظهورهم وإذ بكل مقيدين حيارى فى أمورهم لما حل بهم من ذلك الامر الذى قامت منه صدورهم فعند ذلك تقدم إليهم الخذروف حتى أنه قارنهم بعزيمة وهمة فوقعت عينيه على دريدن الصمة فصرخ عند نظره إليه صرخة عظيمة وقد زاد له فى السب والشتيمة وقال له وحق المسيح وما مسح وحق البيعة الكبيرة والمذبح ان هذا هو شيخ الذى قتل ولدى وأحرق عليه كبدى واضنى بفراقى له جسدى ثم أنه فى عاجل الحال تقدم إليه وطعنه بين كتفيه وساير بعض اذنيه ويضربه بهاتين العصاتين اللتين فى يده على يديه ورجليه هذا والملك الجوفران يضحك عليه ودريد يسخر فيه ويقول يا ابن الملعونة أوضح لى معرفتك فلعن الله مرضعتك واهلك وقومك وعشيرتك. قال الراوى فتبسم الخذروف لما سمع من دريد ذلك الكلام فعرفه الضفدع معرفة تامة وقال لدريد يا أبا النظر لا تشتمه فانه ابن عمى الخذروف وما أتى إلا ليسعى فى خلاصنا من هذا الامر المنكر ويتسبب فى أطلاقنا مما نحن فيه من العبر قال الراوى فقال له دريد يا هذا ومن أين الخذروف يقدر أن يأتى إلى هذا المكان وإنما هذا رجل قد افقره الزمان وهو من فقراء مدينة ساسار إلا أنه قد احرق ظهرى بالضرب هذا الالف قران ثم تحقق فيه بنظره فعرفه فقال له يا ابن الملعونة قد قطعت لحمى باسنانك ومتى قتلت أنا ولدك ونهبت مالك وبددت شانك تتبسم الجوفران وغمز دريدن الصمة فزاد فى شتم الخذروف وفى سبه والملك الجوفران يضحك عليهم هو ومن حوله من الرجال فبينما هم على ذلك الحال وإذا نضجة قد أقبلت وعشرة جوار قد ارتحلت وعلى الملك الجوفران سلمت وبين جارية صاحبة حلل وافتخار ولها هيبة ووقار وعليها حلة سابلة معقودة بالجواهر الكبار (قال الراوى) ولما قربت من الجوفران قام لها على الاقدام وكذلك كل من كان حاضرا فجلست إلى جانبه وهى كانها من خيار قومه وأقاربه وليس هذا عند الافرنج بقبيح فانهم يجلسون بين الرجال بالزى المليح فلما جلست واستقر بها المقام بادرته بالكلام وقالت له مالى أراك أيها الملك ضحكك صار عاليا بزيادة وما عهدت منك أن لك بهذه عادة فقال لها يا أما أضحكنى هذا الرجل الساسانى فى خدمة الملوك فانه ليس له فى خدمة الملوك ثانى قال الراوى ثم أنه قص عليها مجىء الخذروف وقصته وما سمعه من كلامه وحيلته قال الراوى وكانت نازلة بعيدا عنه فى غير ذلك المكان واتفق أنها جاءت إليه فى ذلك الوقت والاوان فقالت له وابن هذا الرجل الساسانى الذى ذكرته فقال لها عند هذه الاسارى الذين قد أسرتهم فقالت على به وأمرت أن يحمل إليها فاتوا به وأحضروه بين يديها فرمقت له ومزت إليه بالنظر وحققت فيه العينان ثم التفت إلى الملك وكلمته باغسان فلما سمع كلامها عند ذلك التفت إلى الخذروف وأمر بالقبض عليه

قال الراوى وكانت قد قالت له يا ولدى أعلم ان هذا الرجل سلالى قد أتى بطلب أن يخلص منك الاسارى بالمحال فوحق المسيح لولا وصولى فى هذه الساعة لكان قد تم عليك محاله خداعه فعند ذلك أمر الملك الجوفران بأن يوثقوه كتافا بالحبال وهو بذلك الزى الموصوف ولما رأى روحه على ذلك الحال لحقته الحيرة والانذهال وكذلك دريدو عنيترة والغضنفر وما منهم إلا من انذهل وتحير مما رأوا فى أمورهم وضاقت من تلك الفعلة صدورهم وكذلك من معهم من الفرسان وهم ثلثمائة وخمسون فارس وليث الميدان لأنهم كانوا قد أملوا به الخلاص من الذل والهوان . بعد ذلك قدمه إلى بين يديه الملك الجوفران وقال له يا ملعون أصدقنى فيم جئت فى هذا الأمور والشان والا وحق المسيح ومزمار داود دين الصحيح ضربت رقبتك وتركت دمك فى هذه الساعة على الأرض يسيح قال الراوى فقال له الخذروف يا ملك النصرانية لا تفعل فانى ما تكلمت بين يديك إلا بالصحيح وما أنا الا رجل من بنى ساسان وحالى وضيع وقد رمانى لزمانى بالذل والحرمان وهذا من تمام الذل والهوان قال الراوى فبقى الملك الجوفران من كلام الخذروف حيران ثم أنه نادى ببعض حجابه وأمرهم باحضار الغضنفر إليه ففى عاجل الحال أتى به واحضروه إلى بين يديه فقال الجوفران يا هذا قد صح عندى أنك شجاع والكذب لا يليق بالشجاع والصدق أحسن ما تزين به الرجال فبحق ما تعتقده من رب زمزم والمقام وبحق البيت الحرام والمشاعر العظام هل تعرف هذا الولد نسل الزنا وابن اللئام قال الراوى أفعند ذلك قال الملك الغضنفر وقد تعجب مما حلقه به من تلك الايمان وتحير وقال له يا ملك لا تسبه فان الكذب قبيح وما أقول والله إلا الصحيح أنه ابن عمى ولحمى ودمى ومفرج همى وغمى وقد أتى ليخلصنى بالحيلة فوقع فى يدك بهذه الوسيلة قال الراوى فلما سمع الخذروف كلام الغضنفر قال الذنب ما هو لكم ولكن الذنب لمن أتى خلفكم يثعثر ويروم خلاصكم من هذا الأمر المنكر فقال له الغضنفر ويلك يا خذروف فانا ما كنت أكذب وأنا قد صرت بين العرب معروف وهو قد حلفنى برب زمزم منى المستحق الحمد والثنا فقال له الخذروف لا تكذب يا ولد الزنا بل أنت سلكت طريقا أبيك عنتر العبد الزنيم وأوقعتنى بصدقك فى هذا الهول العظيم فقاسوا الذل والهوان والعذاب الأليم ولعن الله الحاكم أجمعين قال الراوى هذا الملك الجوفران قد تعجب من فصاحة الخذروف وجسارته وصدق الغضنفر وهم فى مقام الخطر والوقوف ثم أنه قال للخذروف يا ولد الزنا وتربية الأمة اللخنا لابد أن أعذبك العذاب الأليم الشديد وأربطك مع الكلاب فى القيود الحديد بتهجمك على مقامات الملوك وأنت فقير صعلوك ثم أمر أويقيد بقيد ثقيل وثيق ووكل به والاسارى عشرين بطريق كل واحد منهم مثل حجر المنجنيق وأوصاهم عليهم بالاعتزاز لكونه ثبت عندهم فرسان الحجاز (قال الراوى) وبعد

ذلك أمرهم بالانصراف من بين يديه وقام إلى منامه لأجل الراحة إلى بدء فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وكبت الطوائف وتقابلت ببعضهم البعض وانتشرت الفرسان فى جنبات تلك الأرض وحملت الشجعان واتسعوا بالجولان فى الميدان وتضاربوا بالبتار وطلع عليهما الغبار حتى غاصوا عن الابصار وسطا السيف فى حكمه وبار ونثرت الرؤوس عن الأبدان وثبت الفارس الكرار وولى الجبان الأدبار وركن إلى الفرار وجرى بين الجيشين العجاب وشابت الذوائب واعترت وتحت أرجلهم الأرض وزلزلت الجنائب وعدم الحبيب الحبايب ودارت عليهم الدوائر وقد اصطدمت عليهم العساكر واختلطت العشائر حتى صار الأول منهم ما لحق الآخر ولم يزالوا على ذلك الحال وهم فى قتال ومدافعة وجدال حتى حطت الحرب أوزارها وأوقدت الحرب نارها وطابت كل طائفة الأخرى بثارها ونادت بنو عبس بكناها وافتخارها وكذلك بنو قضاعة وفارسها الأمير عمرو ذو الكلب وأخته قناصة الرجال أثاروا فى الحرب غبارها وخاضوا قساطلها وقتارها وعمت منهم الرماح فى الأشباح وليست الأجساد من الدماء وشاح ونادى المنادى بلا جناح وصاح أوتمى الفارس أن طير بلا جناح وبيعت الأنفس بيع السماح وتساوى فى أعين الفريقين المساء والصباح وبانت فى وجوههم شخوص الموت ولاح وعبست الوجوه الصباح وضجت الفرسان من ألم الجراح ضجيج النوق عند الرحيل والرواح وزعق غراب البين وناح وفر الجبان وطلب الروح وضاقت على الهارب الأماكن الفساح ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وارتحل وأقبل الليل والسدل وقد تحير الملك الجوهران وتبلبل من قتال بنى عبس وما عملت فى ذلك اليوم من العمل لأنه ما ظن أنهم يثبتون بين يديه لضرب السيوف ولا علم ان كل واحد منهم يعد بألوف لاسيما ومقدمهم الأمير عمرو ذو الكلب البطل الموصوف وأخته قناصة الرجال وهى كأمها اللبوة إذا فقدت أشبالها وعادت الطائفتان عن الحرب والطعان وكل منهم ما يصدق بالخلاص من الميدان (قال الراوى) والعجب ما جرى فى هذه القصة الحجازية من أحاديث العربان أن الملك الجوهران لما نزل فى سرادقه وأحاطت به البطارقة والرهبان من كل جانب ومكان أقبلت أمه على جرى عادتها ومن حولها أكابر دولتها وأرباب خبرتها وكان قد انحرف عنها لأجل الكلام وما لاقى فى ذلك اليوم من الحرب والصدام وقد خلت إلى الأسارى فوجدتهم بما حل بهم من الأسر حيارى فتعجب من أمرهم واهالها عدم صبرهم فقالت لهم من أى البلاد أنتم ومن أى القبائل ومن أى العرب قد تجمعتم (قال الراوى) فقال لها درید بن الصمة يا ملكة أما نحن فرقيلة واحدة وان قبائلنا من بعضها متباعدة ونحن من ثلاث قبائل ولكننا من قوم كرام أصايل أنا من هوازن وجشم

وهذا الفتى ورفيقه ينتسبون إلى بأولاد عمى وأشار إلى دنار بن روقه وخفاف بن ندبه وكانت رحتهم الملكة مما حل بهم من تلك الأمور الصعبة وهؤلاء الأربعة من بنى عبس وعدنان وأشار إلى الغضنفر وعنيترة وياسر وليث الميدان وكذلك هذا الولد ابن الزنا وأشار إلى الحذروف وأنه من دوننا بالمكر والخداع موصوف (قال الراوى) فعند ذلك تقدمت الملكة أم الملك الجوفران ووقفت على رأس الغضنفر وكذلك أم الزعازع عنيترة بنت عنتر وقالت له يافتى أنت من بنى عبس كما تقرر فما يكون منك ابن شداد عنتر فقال لها ياسيدتى هو أبى كان فقالت ما أضابه من غدرات الزمان فقال الغضنفر قتل ظلما وعدوان فقالت له وابنه حبلة افعل بها الزمان فقال لها قد قتلها شخص من بنى عامر وأحل بها الهوان وكان يقال له عامر بن أطفيل ولكن كان من شجعان الزمان وقد روجها بعد أبى ورحلته لما قتل وخانت منيته (قال الراوى) ثم حدثها بالحديث على جليته فقالت له وأنت أمك تزوج بها أبوك بعد عودته من عند الملك قيصر قال بل أن أمى أقرب ما يكون إلى الملك من دون البشر وهى بنت أخيه وتسمى الملكة مريم وكان قد تزوجها من الملك قيصر بحضور أخيها بلقام وكان ذلك منه للاكرام لما أتى إليه فى مدينة الكبرى وله فى حمايتها خدم لما سطا عليه الملك بهمند أخو الملك خيلجان الذى قتله أبى عنتر فى بلاد العجم وكان ذلك منه فيما تقدم فقالت له وما تكون منك هذه الفارسة السمرة اللون المليحة المنظر والكون فقال لها ياملكة هذه أختى من أبى وقد حل بها من قتل والدى ما حل بى وهى تسمى أم الزعازع ولبوة الوقائع وجامعة شملنا وحامية كلنا فقالت له وأمها تزوج بها أبوك بعد رجوعه من بلاد الروم فقال كذلك أنه عاد إلى الحجاز وتلك الرسوم وأمها تسمى الحيفاء قناصة الرجال أخت الأمير عمرو ذو المكائد العتى الربال فقالت وهؤلاء الفرسان الآخران ما يكونان يافتى منك فأخبرنى بالصدق وأبشر بزوال الضيق عنهما وعنك وكانت قد عنت باشارتها على ياسر وليث الميدان وكانت قد ظنت فى نفسها أنها أخوان (قال الراوى) فقال لها الغضنفر ياملكة أما هذا فهو ابن أخى ميسرة بن عنتر وأما هذا فهو ابن عمى مازن أخى أبى وكان الأصغر وأننا ما اجتمعنا عليهم إلا بعدة لأبى وانتثر لأجلهما وبياعند الملكة حليمة بنت صاحب الشام وكانه أوهما قتل قبل أبى وربما أفتاه ولكن عندها وعند أخيها الملك عمرو فى حيرات وإنعام (قال الراوى) فقالت له الملكة وهذا السلال هو ابن عمك شيبوب فقال نعم هو ذلك ياقوت القلوب فقالت له وعمك شيبوب ما كان منه فقال وانقبر قبل أبى بثمانى سنين أو أكثر فقالت لها الغضنفر ما أراك ياملكة إلا عارفة بهذه المعرفة وتصفى أنسابنا بهذه الصفة فمن أين لك علم ومعرفة بهذه الاخبار فقالت له أمورك كانت تصل إلينا مع السفار ولكن طيبوا قلوبكم فأنا إن شاء الله أكون السبب فى خلاصكم وإزالة كروبكم وأسيركم إلى بلادكم باقيين من جيوشكم وأجنادكم وتجتهد فى خلاصكم (قال الراوى) ففرح الجماعة بمقالها وشكروها على ما أبدت من

جميل فعالها ثم أنها مضت من عندهم بعد ما وعدتهم بخلاصهم من ضيق سجنهم وأرسلت ما كولا ومشروبا من الطعام ثم أنها أقامت إلى أن انفصل القتال في اليوم الثالث وقد خافت من ولدها أن يحدث في حقهم شيئا من الحوادث (قال الراوي) وبينما هم على هذا الحال وقد انفصلت الطوائف عن القتال ورجع كل جيش إلى مقامه وأقبل الجوفران إلى سرادقه ومحل منامه وغلمانه وخدامه يمشون قدامه وقد أتى وهو ممتلىء غيظا وحنقا كيف لم ينل من كسر جيوش بني عبس مرامه فما أكل طعاما ولا غسل يديه إلا بشيء قليل من المنام فرأى في منامه ما أزعجه وأبهره فضاق صدره وزاد تكدره وصار من تلك الساعة لا يأخذه منام ولا التذ بأكل طعام ولم يزل على ذلك الحال حتى طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح وبطل في ذلك اليوم القتال القتان حتى ينظر ما يكون له من الأحوال ويفسر ما رآه والمنام على أحد يكون يعرف في تأويل الأحلام وكان من أمره ومنامه عجبة وكل ما يأتي على الإنسان له سبب وذلك أنه لما أصبح الله بالصباح وجلس في مقامه وطلب أن يفسر ما رآه في منامه وقد انزعج لذلك وضاق صدره وزادت آلامه أمر باحضار القسس والرهبان حتى أنهم يعبرون له رؤياه فحضر قسيس ومطران وأحضر أيضا البترك الكبير والمعمدان فقالوا له أيها الملك أبدلنا ما رأيته في منامك ولذيذ أحلامك وأعلمنا ما هو الذي أزعجك من أحلامك (قال الراوي) فأقبل عليهم يحدثهم بما رآه ويبدي لهم ما نظره في نظره في رؤياه وقال لهم إني رأيت كأني أقبلت إلى سرداقي هذا وجلست على سريري كذا وإذا أنا بكتفي اليمين قد احتاج اختلاجا عظيما قد طلع منه بدل مثل يدي هذه ولها ساعد مستقيم وامتدت من أصل كتفي حتى أنها لحقت بأصابعي وكفي فقلت في نفسي وحق المسيح لقد بطلت همتي عن القتال وقد عجزت عن مكافحة الحرب والنزال وأنني خائف من هذه الأحوال وإدبارها قد التمت وصارت يدا واحدة وعادت إلى ما كانت عليه وبقيت في أمورها متساعدة وانتبهت بعد ذلك من منامي واستيقظت من أحلامي وأنا خائف مرعوب متكدر الخاطر وفي أسري مكروب ومن عاقبة ما رأيته من أحلامي فبينوا لي شرح ما أنا لكم قائل إن كان أحدكم عارف بتفسيره عاجل فبينوا لي هذا المنام وفسروه قوام (قال الراوي) فتعجبوا الجميع من ذلك المناه وعجز الكل عن تفسيره وبلوغ المرام فقالوا له بأجمعهم يا ملك النصرانية وسيد أهل ماء المعمودية أعلم أننا ما لنا علم بتفسير المنامات ولا نعلم بهذه الكائنات وحق المسيح والسبع كلمات وتربة الراهب ساحات الذي قد أربعين سنة في دير الزرزور ولم يغسل وجهه إلا من المعموديات ما عندنا علم بتفسير هذه المنامات

﴿ تم الجزء الرابع والخمسون ويليه الجزء الخامس والخمسون ﴾

الجزء الخامس والخمسون

(من سيرة عنتر بن شداد)

(قال الراوى) فاغتاظ الملك الجوفران غيظاً شديداً مما عليه من مزيد من خطابهم وما أبدوا الرهبان من جوابهم فبينما هو على ذلك الحال الذى قد حصل إليه وإذا براهب من بعض الرهبان قد قام على قدميه وتقدم عنده وقبل الأرض بين يديه وقال له يا ملك الزمان أن أردت أن تعلم تأويل هذا المنام وما فيه من البرهان فأحضر الأسارى الذين عندك من هؤلاء العربان واستخبرهم فإنهم عارفون بمثل هذا ويبدون لك ما يكون من التأويل وما كان (قال الراوى) فاستصوب الملك كلام ذلك الراهب من دون الرهبان ثم أمر بإحضار الغضنفر وأصحابه اليه فمضى الحاجب وأحضر جميع الأسارى إلى بين يديه (قال الراوى) وكان من القضاء والقدر ومن جملة الأمر الذى فى علم الله مدبر أن الغضنفر أيضاً رأى مناماً فى تلك الليلة وهو منه فى همه وقعد فى ذلك الوقت يفسره على شيخ العرب دريد بن الصمة وليس عنده فى ذلك الأمر حيلة فقال له يا أبا النظر لقد رأيت الليلة فى منامى أمراً عجيباً وأرجو من الرب القديم أن يكون عاقبته إلى خير قريب فقال له دريد بن الصمة حامية عبس ما الذى رأيت أبده ولا تخفيه لعل أن أعرفه وأبين لك معانيه فقال له اعلم أنى رأيت كأنى فى حفيرة على صفة القبر وهى حربة مدثورة وكان اقواماً يهددون بالقتل وقد ألقونى فى تلك الحفيرة ومضوا حتى وتركونى فيها فقمت وقفت على أقدامى أريد الخروج منها فرأيت الحفيرة منطقة من ذهب أحمر مرصعة بأنواع الدر والجوهر فمددت يدى اليها وقد مسكتها ومن الأرض على ساعدى رفعتها وتأملت فيها وتبينتها وإذا بها قد صارت منطقتين فشددت وسطى بهما الاثنين ثم تميزتهما وإذا بهما قد صارا منطقة واحدة وهذا منامى فبينه لى عسى أن يكون فيه الفائدة يا أبا النظر لأنه عبرة لمن اعتبر قال الراوى فقال دريد وحق الإله السميع المجيب أن تفسير منامك هذا يدل على أن يظهر لك أخ عن قريب فقال الغضنفر يا أبا النظر أن هذا لا يصير ولا يتم ومن أين يتفق هذا وأبى قد عدم فقال دريد على طريق الملاعبة والمجون أنا أخبرك عن هذا الامر بما يكون وما فى الامر إلا أمك الملكة مريم تتزوج ببعض وترزق منه ولداً فيصير أخاك (قال الراوى) فقال له الغضنفر أى شىء هذا هذا القول المنكر يا أبا النظر فقال لهم الحذروف وقد زاد به الغضب واملأ غيظاً وأنت ربما أن يكون هذا الملك الجوافران أخاك وقد حملت به بعض النساء من أبيك فعلل نفسك بهذه الافعال لانه يشابهك فى الزى واللون والقد والهيكل (قال الراوى) فعند ذلك

أجابهم دريدبن بكلام مذعر وقال وحق البيت والحجر والركن اليمانى المطهر أن هذا الملك الجوفران أشبه الخلق بالملك الغضنفر وقد ضحك الخذروف من هذا الكلام فقال لازلتم تعللون أنفسكم بالمحال والخلاص من القيود والأغلال (قال الراوى) فبينما هم فى المشاجرة والكلام الذى هم عليه وإذا بحاصب الملك الجوفران قد دخل عليهم وأمرهم بالحضور إلى بين يديه فامتثلوا أمره وقاموا إلى الملك الجوفران ودخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه ووقفوا مع جملة الحجاب القيوم فامرهم بالجلوس ليقص عليهم ما رآه فى المنام وسألهم عن تفسير تلك الأحلام وذكر لهم الرؤيا كما وصفناها على جملتها (قال الراوى) فقال له دريد أيها الملك أن الذى قد ظهر لى من تعبير أحلامك وتفسير ما رأيته فى منامك أن يظهر لك أخ ويكون له جيش مثل جيشك وأجناد مثل أجنادك أو يتغلب عليك بعض الملوك ويأخذ منك بلادك ويقهر جميع أجنادك فقال الملك الجوهران ياشيخ أبى قد مات وأمى ما بقيت تتزوج أبداً على مدى الأوقات وما هو إلا قد ذكرت أن يتغلب على بعض الملوك الذين هم لى من جملة الاعداء فقال له دريد هذا ما عندى من شرح ذلك المنام (قال الراوى) ثم أنه لما سمع من دريد ذلك الكلام وسمع تفسير المنام أخذه هم كثير ووسواس حتى ضاقت منه الأنفاس وقال فى نفسه ما فى الأمر إلا أننى أرمى رؤس الذين أسرتهم إلى أصحابهم حتى تنحل عزائمهم وأعمل بعد ذلك على عشائرهم وأبيد دساكرهم وأعود إلى بلادى من قريب قبل أن يظهر لى عدو غريب (قال الراوى) ولما قويت همته على ذلك عول أن يضرب رقابهم ويسقيهم كاس المهالك ثم أنه فى عاجل الحال دعا بسيافه وأمره أن يضرب رقاب الاسارى ويسقى كلا منهم كاس اتلافه فقال له الخذروف لا ستر الله عليك واحل لك الارتباك هذا يكون جزاؤنا منك على تعبير رؤياك ثم أنه التفت إلى دريد وقال له وحق البيت الحرام ما جلب لنا هذا البلاء والانتقام إلا انت بتفسيرك لهذا المنام وقد خاف على بلاده لما سمع تفسير منامه وقال فى نفسه إذا نحن قتلنا انكسرت عشائرنا قدامه فقالت لهم عنيترة سلمنا امرنا إلى رب العباد ومنشىء السحاب الذى إذا دعى اجاب هذا والملك الجوفران قد صرخ فى سيافه بصوت مريع وامره بضرب رقاب الأسارى الجميع فاقبل عليهم السياف واول ما وقف على راس الغضنفر واشهر فوق راسه حساما ابتر ورفع يده ليتزل بالضربة عليه وإذا بام الملك الجوفران قد وصلت إليه وفى عاجل الحال حصلت بين يديه لأن الخبر قد وصل اليها بما قد عول عليه فى ساعة الحال اتت والى نحوه سعت واشرعت فنهض قائما إليها واجلسها إلى جانبه وسألها عن سبب مجيئها فقالت له ايها الملك على ماذا عولت فانى ارالك فى همة فاخبرنى على ما عزمت عليه من تلك الملمة فقال لها قد عولت على قتل هؤلاء الأسارى الذين فى قبضتى وارمى برؤسهم إلى اصحابهم واشفى بذلك علتى حتى تنحل عزائمهم واحل عليهم وافرق جمعهم واطرحهم على الصعيد واطحنهم

طحن الحصيد وأبلغ منهم ما أريد وأرجع إلى بلادى عن قريب غير بعيد فقالت لها أمه يا ولدى ماهذا صواب وربما ينفتح من هذا أبواب لأنك تعلم أن وراء هؤلاء من لا يغفل عنهم وأن قبلت الراى فلا تقتلهم إلا إذا وصلت بهم إلى بلادك وجزائرك ومعك جيوشك وأجنادك حتى علم سائر الطوائف الذين كانو يترقبون عارك وانك قتلت الذين يعايرونك بهم وانك قد احذت بثأرك (قال الراوى) فما هو إلا ان سمع الملك الجوفران من امه ذلك الكلام حتى قال لها وحق المسيح ما بقيت استطعم فى ليلتى هذه بطعام ولا اذوق طعم منام حتى ابرى رؤسهم عن الأجسام فقالت له يا بنى لا تفعل فربما تندم ويحل بك الندم فغضب لما سمع منها ذلك الكلام الذى يوجب الخلاف وغضب عند ذلك ولح على السياف وامره ان يضرب رقابهم ويحل بهم التلاف والسياف يتقدم فى ذلك ويتأخر ويترقب كلامها لما رآها قد اكثرت فى ذلك اهتمامها انها المارانه مصمما على قتلهم تقدمت إليه وقد علمت انها إن توانت عليه قتلهم وفعل ما عزم عليه فعند ذلك تذكرت جميل عنتر وإحسانه اليهم وما صنع معهم من المكرمات وتفضلاته عليهم وكيف قتل عدوهم الملك صافات وكيف سلموا إليهم جزائر الواحات فعند ذلك اقبلت بلسان الافرنج على الملك الجوفران ولطفت له فى الكلام حتى أنه لأن وقالت له يا ولدى كيف تطيب نفسك ان تقتل اخوتك واولاد عمك (قال الراوى) فلما سمع ولدها كلامها سارت عيناه مثل لظى الجمر وصار كأنه قد شرب كثيراً من الخمر وقال لها ومن هم اخوتى واولاد عمى وما هذا الكلام وما اظنك إلا فى اضغاث احلام فقالت يا ولدى وحق الإنجيل المكرم والمسيح المعظم وحق السيدة ام النور مريم ان هؤلاء الاثنين اخوتك ونسبتهما لاحقة بنسبك وابوهما عنتر ابوك وهذه عنيترة اختك وهذا الغضنفر اخوك (قال الراوى) فلما سمع الجوفران كلامها وما ابدته له من مرامها قامت عيناه فى امر راسه وخاف من سطوته جميع جلاسه وقال لها من شده ما ضاقت انفاسه ويلك يا ملعونة ابليس ابى الملك كوبرت فقالت له يا ولدى اسمع ما به إليك اشرت فان حديثى عجيب وامرى مع ابيك غريب لأنه لو كتب بالذهب على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن تبصر ثم انها انعطفت عليه وتقربت بنفسها اليه وابتدات تحدثه بحديثها وكان الكلام بينهما بلسانها وحكت له من اول الأمر إلى آخره وعرضت عليه باطنه وظاهره وما جرى لها من اول الزمان وما سبق حديثه فى هذا الديوان من امر عنتر بن شداد وما جرى له مع ملك قيصر لما حضر عنده القسطنطينية وتلك البلاد وكيف اهداها له الملك قيصر لأبى الفرارس عنتر وكيف باتت عنده ليالى كثيرة وكيف كان قد لحقها من رؤيته الانبهار والحيرة وكيف اراد شيبوب قتلها والأمر الذى كان بين كوبرت وبينها وكانت قد علمت من عنتر لما اهداها له الملك قيصر وايضاً احبرته بمسير ابيه عنتر مع هرقل ابن الملك قيصر وقتله للملك اليلمان وابنه سرجوان وزواج الملك هرقل

بالملكة مريمان ابنة الليلمان وأيضاً حدثته بحديث المرج والقصر وما جرى لها مع شيبوب وما كان وأظهرت له سرها وبان الكتمان وقالت له يا ولدى والآن قد صح الخبر وبان الامر واشتهر وأنت بعد هذا ورأيك أخبر وقد أطلعتك على ما كان من الأمور المخفية ولم أكتم عنك شيئاً من هذه القضية (قال الراوى) ولما سمع الجوفران من أمه هذه الأخبار أخذته الحيرة والانبهار وقال لها يا أماه ما كان من هؤلاء القوم أحد معكم فى ذلك الزمان حاضر حتى أسأله من حديثكم أولا وآخر ويكون الذى قلتيه له عندى تأكيد وبيان وتقوم لك بذلك الحجة والبرهان فقالت له أمه يا ولدى وحق المسيح لقد قلت قولا صحيح أعلم يا ولدى أن من صحة الخبر ان أباك الامير عنتر لما دخل الجزائر ما كان معه إلا هرقل الملك قيصر وأخوه شيبوب وكذلك هذا ابنه الخذروف الآخر فقال لها ومن هو بين هؤلاء الجماعة الخذروف فأشارت اليه وقالت له ها هو هذا السلال الذى هو باللصوصية والخداع موصوف وهو الذى أتى بتلك الحيلة ليخلص منك الرجال من الشد والاعتقال (قال الراوى) فعند ذلك أمر الجوفران باحضار الخذروف اليه فقدم فى ساعة الحال إلى بين يديه وجميع جوارحه تخفق الخوف اليه فقال له الجوفران أنين الخذروف فقال له نعم أنا ابن شيبوب الذى أخوه عنتر بن شداد المعروف فقال له الجوفران ويلك يا خذروف أبوك شيبوب قد دخل إلى جزيرة الكافور وحضر مع عمك عنتر فى فتح قلعة البلور كان كذلك فاشتهى منك أن تخبرنى كيف كانت هذه الامور (قال الراوى) فلما سمع الخذروف من الملك الجوفران هذا الخطاب خاف من عاقبة هذه الاسباب وقال فى نفسه ربما يكون عمى قد قتل الملك الجوفران من يقرب اليه فيريدان يأخذ بثارة منا ويقضى علينا فبقى مرتبكا فى أمره وقصته ولكن قد علم أن لا بد له من إجابته فقال له نعم يا مولاى كان ذلك من عمى عنتر قبل موته (قال الراوى) ثم أن الخذروف تذكر أيام أبيه شيبوب وعمه عنتر فجرت دموعه على خديه كأنها المطر وتنهد وتحسر وكذلك أولاد عمه عنيترة والغضنفر (قال الراوى) هذا والملك الوقفران قد أخذه عند بكائهم الدمع والرجفان وقال للخذروف هل تعرف أحد إذا رأيته من أهل ذلك المكان من الرجال أو من النسوان فقال والله يا مولاى ما أعرف غير الملكة مريم والملك كوبرت وكنت من نحو خمسة وعشرين سنة من عندهم قررت فقال له الملك الجوفران وأنت إذا رايت الملكة مريم فى غير جزيرة الكافور اتعرفها فقال له الخذروف نعم يا مولاى وحلاها واوصافها فقال له الملك الجوفران فهل اجتمعت عليها فى جزيرة الكافور فقال له نعم يا مولاى وفى مدينة القسطنطينية ومضى لنا فيها ايام ذات بهجة رضية (قال الراوى) ثم انه ابتدا يحدثه بالقصة من اولها إلى آخرها وشرح له فيها جميع باطنها وظاهرها وما جرى لعنتر والملك كوبرت وقال له هذه حكايتى فلما سمع كلامه وافق كلام الملكة مريم وما حكت

له عليه فصح عند الملك الجوفران أنه ابن عنتر وأنه من بنى عبس وعدنان لما بانت له تلك العلائم والبراهان فعند ذلك قال له يا خذروف والجارية مريم فى ذلك الزمان كانت قد حملت من عنتر قال أى وحق خالق البشر ولاجل هذا كان يريد قتلها عمى عنتر حتى لا يخلف منها فى بلادا الافرنج ولد (قال الراوى) فعند ذلك أمر الجوفران باحضار عشر جوار وقال لأمه أذهبى واخفى نفسك عن هؤلاء الرجال الحضار فاذا طلبتك اتى إلى ويكون صحبتك هؤلاء العشر جوار ويكون ملبوسكم ملبوساً واحداً حتى يكون ذلك أقوى برهان وأعظم شاهد فأجابته بالسمع والطاعة وقامت من حضرته فى تلك الساعة ثم أن الملك الجوفران من وقته وساعته أمر بإحضار الجـــوار إلى حضرته وكان لهم كما أمرهم لبس واحد وزى واحد وصفة واحدة فاتين إليه ووقفن صفاً واحداً بين يديه وصاح عند ذلك على الخذروف وقال له يا هذا هدىء روعك وارفع عنك الفزع والخوف واخبرنى من هى الملكة مريم فى هؤلاء الجوار (قال الراوى) فرمقهم الخذروف وحققهم بالنظر وناداه يا مولاى وحق العزيز الغفار أن الملكة مريم ما هى بين هؤلاء الجوار وحاشا تلك الملكة أن تتمثل إلا بنساء الملوك الكبار وهى ملكة وزوجة ملك صاحب قلاع وأمصار فتبسم من كلامه الملك الجوفران وطاب قلب الخذروف من تبسمه وأيقن بالامان (قال الراوى) هذا كله يجرى والغضنفر عنيترة بنت عنتر ودريد بن الصمة وبقية الفرسان الآخر قد حاروا فى أمورهم وتقطعت من شدة الخوف من القتل ظهورهم بعد ما كانوا قد صبروا أنفسهم على مرارة القتل والهوان كل هذا السياف واقف على رؤسهم ينتظر أمر الملك الجوفران (قال الراوى) ثم أنه استدعى بأمه فى تلك الساعة فحضرت كما أمر فى جملة عشر جوار آخر وقد لبست الجميع حلل الافتخار ووقفن بين يدى الجوفران بذلك الزى والملبوس بعد ما سلمن وخدمن وأمرهن بالجلوس ثم التفت إلى الخذروف وقال له بعد أن تعدت الجوار من الوقوف أيتهن الملكة مريم من بين هؤلاء الجوار فقال له أومرهن أن يكشفن لى وجوههن لأتحقق الاخبار (قال الراوى) فأمرهن بذلك فكشفن عن وجوه مثل الأقمار فطال الخذروف فى وجوههن الانتظار إلى أن أتى تسعة من الجوار وأخرها كشف عن وجهها الملكة مريم فكان وجهها شمس النهار (قال الراوى) فلما نظر إليها ضرح بمل، رأسه وقد زال عنه الخوف والفزع وكاد من شدة الفرح أن يغشى عليه ويقع وقال له يا ملك وحق البيت الحرام وبئر زمزم والمقام هذه هى الملكة مريم زوجة عمى عنتر البطل الهمام قال الراوى فعند ذلك أمر الملك لبعض البطارقة الوقوف أن يتقدموا ويحلوا وثاق الخذروف فعند ذلك قام الخذروف على قدميه وتقدم قدام الملك الجوفران ووقعت بين يديه فنظرت إليه الملكة مريم بعيون أحد من السيف فانكب على يديها وهو بقلب ملهوف وصار يقبلها

وقد استقر منه فؤاده المرجوف قال الراوى فعند ذلك دمعت عين الملك الجوفران وأخذته حنانة الإخوة ولحقته الرعدة والرجفان وطار قلبه إلى إخوته عنيترة والغضنفر فقام فى عاجل الحال بنفسه وهو مثل الأسد القسور وقد أخذ السيف من يد السياف فعند ذلك أيقن الأسارى بالتلاف لأنهم لم يعرفوا ما وقع بين الملك وبين والدته من الاختلاف وما ذكرناه من تلك الأوصاف أنه تقدم إلى أخيه الغضنفر وحل كتافه من يديه وفك قيده من رجليه وكذلك فعل بعنيترة وأمرهما بالقيام قياما على أقدامهما وكأنهما فاما من مقبرة وقد قبض على يد الملك الغضنفر بيده اليمنى وقبض على يد عنيترة بيده اليسرى وأجلسهما معه على السرير وقد نال بذلك الفرح والتبشير ثم أنه قدم بقية الأسارى بين يديه وقد أزال من عليهم الوثاق والقيود وهم لا يعلمون لذلك سببا محدود وكل منهم قد أقر بذلك عينيه ولا يعرف من أين الفرج أتى إليه (قال الراوى) ثم أن الملك الجوفران قال لأمه يا أمى اشرحى حديثك لهؤلاء الفرسان كما حدثتينى فى الأول بهذا الشأن فأخبريهم كما أخبرتينى ليزداد بذلك يقينا وبرهانا (قال الراوى) فعند ذلك شرعت الملكة مريم دريدا والجماعة الماسورين بلسان عربى فصيح وأخبرتهم بحديثهم من أوله إلى آخره وما كان من ذلك القول الصحيح والخذروف يصادقها على ذلك بالتصريح وفى آخر الحديث قالت إن هؤلاء الأمير عنيترة وأخوها الغضنفر إخوة ولدى هذا من نيتهم عنتر (قال الراوى) وأعجب ما فى هذا الديوان أن الخرزة التى كنا ذكرناها فى كتابنا من قديم الزمان التى كانت أعطتها مريم لعنتر عند دخوله القصر من أجل الطعام المسموم لما جرى بينه وبين الخذروف ما جرى من ذلك الكلام المعلوم وكانوا ثلاثة فأعطت لعنتر واحدة والخذروف واحدة وادخرت الثالثة عندها لأمور لتكون عائدة وكان عنتر لما تزوج بالقناصة وجرى له ما جرى أعطاها تلك الخرزة وأوصاها بحفظها وأعلمها بما يكون مناقعها فلما وضعت بنتها عنيترة بنت عنتر وظهر منها ما ظهر خافت عليها من مكايدة العرب وعواقبها فوضعت تلك الخرزة فى عنقها وأوصتها عليها وأعلمتها بمناقعها قال الراوى وفى تلك الساعة نظرت الملكة مريم بعين الخبرة فرأت الخرزة فى رقبة عنيترة فصاحت صيحة عالية وقد بان لى فى هذا الوقت الأمر الصحيح فقال لها وما هو هذا الأمر الصحيح فقالت أن الخرزة التى أعطيتك إياها وأمرتك أن تجعلها فى عنقك لتقيك من كل أمر يحذر كنت أعطيت لابيك عنتر خرزة مثلها وها هى فى عنق أختك عنيترة وقد بان الحق وظهر ثم أنها قالت لعنيترة يا ابنتى أرينى هذه الخرزة التى فى عنقك لعل أن يكون كمال إظهار الحق ببركتك قال الراوى فنزعتها عنيترة وناولتها للملكة مريم وسألت عن الخذروف على الخرزة التى ذكرها تقدم وما صنع بها من الأمر المحكم فحدثها بحديث رواجه بأمية الضمرية وكيف أعطاها لها ليلة دخوله عليها وما جرى لها من تلك الأمور المبقية وكيف لبست حلتها وما

جل بها من السبي وما أصابها من الرزية قال الراوي وما جرت هذه الامور في تلك الساعة حتى أيقن الجوفران وتحقق أنه ابن عنتر فوثب قائماً على قدميه وقبل وجوه إخوته عنيتره والغضنفر وبان الامر له ولكل من في ذلك المقام حضر ثم أنه عاتق دربدو بني عمه كذلك بني عبس السادات وفي دون ساعة دقت الكؤسات ونعرت البوقات وزادت الضجات وعظمت المسرات فسمع بنو عبس أصوات الزمور وحس النقاربات وصهيل الخيل الصافنات فركبت الرجال والفرسان وركب عمرو ذو الكلب وأخته الهيفاء وجميع الشجعان وركب زيد بن عروة والديال بن المضبان وقالوا ما عنده الفرحة التي في جيوش أهل ملة الصلبان إلا أنهم قتلوا أصحابنا وسقوهم كاس الهوان قال الراوي ونظرت الافرنج إلى خيل العرب وندركب والرجال على القتال قد عولت فأخبروا الملك الجوفران بما قد جرى فأمر ابن عمه الخذروف أن يسير إلى بني عبس ويعلمهم بما جرى وأن الملك الجوفران قد بان أنه ابن عنتر وهو أخو عنيترة والغضنفر فما كانت إلا ساعة كلمح البصر حتى صار الخذروف بين يدي عمرو ذي الكلب وهو كأنه النار ذات الشرر فوجده طائر العقل وهو في غاية الخوف والحذر فناداه يا أمير ليزول همك ويطمئن قلبك فاشكر إله السماء على ما أوصلك من الفضل والنعمة فقال له عمرو اكشف لنا صحة الخبر وأزل عن قلبي هذا الفكر هل خلص من الاسر عنيترة والغضنفر فقال له نعم يا أمير الامرا وابشر لا ببشارة اخرى تسرك وتزيل عن قلبك الضرر وتبقى في الكتب تؤرخ وتذكر وقد صح الخبر بأن الملك الجوفران قد ظهر انه ابن عمي عنتر وهو اخو عنيترة والغضنفر فلما سمع عمرو ذو الكلب هذا الخبر قد لحقه النحيب والفكر فقال اخبرني عاجلا واوضح لي عند هذا القول المشتهر فقال له الخذروف هو صحيح ما قلت لك وحق البيت العتيق المطهر وحق زمزم والمقام والركن اليماني والحجر قد صح ان الملك الجوفران اخو اولاد عمي عنيترة والغضنفر وقد أبان هذا الامر واشتهر قال الراوي ثم أن الخذروف ابتدا وشرح لعمرو ذي الكلب بما جرى وكان وأوضح له عن طريق الهدى والبرهان فزادت سماع تلك القصة أفراحه وكثرت مسراته وزاد انشراحه واشتاق إلى رؤية أم الزعازع عنيترة وأخيها الغضنفر والجوفران ومن معهم من الفرسان فركب مع الملك زهير وزيد بن عروة وسبيع اليمن والديال بن المضبان وسادات بني عبس ومن معهم من بني قضاعة الشجعان وركبت الهيفاء قناصة الرجال قد اشتاق قلبها إلى رؤية ابنتها أم الزعازع قتاله الابطال وساروا إلى ملتقى بعضهم بالسرور والاقبال بعدما كانوا عازمين على الحرب والقتال ولم يزالوا سائرين والخذروف أمامهم حتى وصلوا إلى سرادق الملك الجوفران ونظر الغضنفر إلى الملك زهير وإلى عمرو ذي الكلب وسادات بني عبس وعدنان وقد أقبلوا وجوههم متباشرة بالقبول والرضوان فقال للجوفران يا أخي هذا

الملك زهير سيد بنى عبس وغطفان وهذا الذى بجانبه الأمير عمرو ذو الكلب سيد بنى قضاعة إلى حد بلاد السودان فعند ذلك قام لهم الملك الجوفران وتلقاهم بالفرح والهناء والاطمئنان وخدم الملك زهير تلقاهم أحسن الملتقى وزال عن الطائفتان تعب الحرب والبؤس والشقا وكذلك عنيترة والفضفر التقوا بعمر ذو الكلب ومن معه من الفرسان وأخته قناصة الرجال وظهر الحق وبان الكتمان وزال الشك واتضح البرهان وجلس الملك زهير إلى جانب الملك الجوفران بعدما سلمت الفرسان على الفرسان ثم أنهم اجتمعوا فى السرداق وحققت لهم الحقائق وبلغوا من بعضهم البعض المراد وزالت من قلوب الطائفتين الأضغان والاحقاد (قال الراوى) هذا والملك عمرو بن الوهاب وأخته حليمة على أسوار دمشق وقد أخذهم الخوف وهم يظنون أن بنى عبس قد اصطلحوا مع الافرنج على تخليص الاسارى وضاقت صدورهم وبقوا متحيرين وفى أمورهم حيارى وباخى حالهم على العضنفر فأرسل إليهم السور ونادى وأعلن بالفرح والسرور وصاح بأعلا صوته أنا الخذروف بن شيبوب وقد عاينتكم بما يسر القلوب ويزيل الكروب فعند ذلك فتحوا له الباب وفى عاجل الحال أحضروه إلى بين يدى الملك عمرو بن الحارث الوهاب وأخته حليمة قد أخذها من ذلك الامر الذى حصل الخوف والارتباك وكذلك أخوها وعن عنده من الحجاب وقد أوقدت من قلوبهم نار الالتهاب فقال لهم الخذروف يا ملوكنا يهنيكم الفرح والسرور وإزالة المحذور ثم أنه ابتداء حدثهم بجميع أموره فهنالك دقت الكاسات ونعرت البوقات وزالت الفرحات وعظمت المسرات وأمر الملك بفتح أبواب البلد وأظهروا الزينة والسلاح والعدد وفرقوا الصدقات على الايتام والارامل وزالت عنهم المخاوف وفى عاجل الحال ركب الملك عمرو فى خواص قومه وحجارته وقرائبه وأصحابه وساروا إلى خدمة الملك الجوفران وأخيه العضنفر وأختهم أم الزعازع الأميرة عنيترة بنت عنتر وقد لبسوا ألوان المنسوجات من الثياب والتقوا الملوك فى أطراف الخيام والاطناب وسلموا على بعضهم البعض بعدما حققت الحقائق واستقر بينهم الحال وانقطع القيل والقال قال الراوى كان السبب فى طلوع الجوفران وفى هذه الأحوال وأصل هذا القتال سببا عجيبا وأمرا مطربا غريبا لأنه هو وأخوته أصل هذه السيرة وأخبارها وفروعها وبسببهم كان وقوعها حتى تكمل لهم لذة الكمال وذلك أن عنتر لما كان أتى إلى عند الملك قيصر وفعل ما فعل من ذلك الأمر تحرر وكيف أهدى له الجارية مريم وباتت معها ليالى عديدة كما تقدم وكانت قد حملت من عنتر وما أراد أن يظهر له منها فى بلاد الروم ولد ذكر وكان مشيئة الله وإرادته أقوى وأقدر وأذن الله تعالى أن يظهر له ولد ان ذكور ويكون لها أمر مشهور ويحدث من بعد الامور أمور وأرسل شيبوب إلى خلفها حتى

أن يقتلها وكان الله تعالى قد أراد سلامتها وقد ضربها شيبوب بالخنجر ولم تعمل ضربته فيها بالخنجر فجرحها وأخذها كوبرت ونزل بها في المراكب وسافر بها إلى جزيرة الكافور ونواحيها واتفق أن عنتر سافر هو وهرقل ابن الملك قيصر إلى الكافور وزلمه البلور وقتل الملك الليلمان وكذلك ابنه سرجوان وملكوا ابنته الملكة مريمان وجرى له في تلك الديار ما قد شرحناه من الكلام وأعطا هذه الجارية مريم الزمام وسافر بها إلى جزيرة الواحات وملكها بعدما قتل الملك صافات وكانت غيبة عنتر عشر سنين معدودة وأشهراً معلومة مفهومة فوضعت مريم هذا الولد بعد مضيه إلى جزيرة الواحات وكان الملك كوبرت قد تخلف عن المسير معه ليستعد لهم بالعلوفات ويلحقهم بها إلى مدائن الواحات فولدت مريم هذا لولد وهو أسمر زائد السمار وكان يضرب لونه إلى احمرار (قال الراوى) فلما نظر الملك كوبرت إلى صورته نفر قلبه من رؤيته وقال لها يا مريم أنا أبيض أشقر وأنت كذلك بهذا اللون وأبهر فمن أين هذا الأسود وصل لك بحق المسيح إن لم تخبرني وإلا قتلتك فقالت له يا ملك اعلم أن هذا الولد من عنتر بن شداد الذي أنعم علي وعليك بهذه البلاد فقال لها كوبرت صدقت في قولك وأنا أعلم أنهم عليه غضبوك ولكن هذا الولد إن خليناه عندنا نصير به مسيرة بين الملوك فقالت له كيف يكون التدبير فقال لها نقتله ونستريح قلوبنا من مسيرته عند الكبير والصغير فقالت إن كان ولا بد فاعمل على حتى أرضعه وبعد ذلك أفعل ما تريد فإن قلبي ليس راضياً أن يرميه ولا يضيعه في اليد فلعل قلبي بعد الرضاع يساره وعنه يرجع يجفوه (قال الراوى) هذا يجري وصاحب الأمر يريد والأمر بحسن الإرادة وهو الذي يكفل الولد في بطن أمه إلى حين الولادة فأخذت الطفل إلى حجرها وألقمته ثديها ورضع وفتح لها عينه فوقعت الحنية في قلبها عليه وكثر عليه تأسفها وزاد لأجل قتله لهفها وتناثرت دموعها على وجنتها وبكت بوجدها وحرقتها فنظر إليها الملك كوبرت وكان يحبها فتقدم إليها ولاعبها وزاد في قربها وقال لها ما أبكاك يا ملكة أوقاك الله تعالى كل بؤس وهلكة فقالت له أعلم أن بكائي على هذا الطفل الصغير وما عنده علم من التدبير وهو على كل حال ولدي وقطعة من كبدي وأنا يا ملك ما يهون علي قتله من أجل أمرين أحدهما أنه كما تعلم ولدي وقلبي قد تعلق به والثاني أن عنتر بن شداد أمير بني عبس وقردان رجع من جزيرة الواحات وعبر علينا فما يخفى عليه هذه الحالات وربما أخبره بذلك الجواري والخدام ليخذبه عنده وجهاً وأنت أعرف الناس به من دون العباد فإن قتل ولدي منه كان يخرب هذه البلاد ويسبي النساء ويقتل الأولاد وإن كان ولا بد من قتله فاقتلني أنا الأخرى قبله ولا تريني قتله (قال الراوى) ثم أنها بعد ذلك أكثرت من البكاء والأنين والاشتكاء وكان الملك كوبرت يحبها كما ذكرنا في الأول فرحمها لما رأى دموعها تجري غزاراً وخاف من عنتر ومعرفته

به أنه بطل كرارغا بقى على الطفل الآثار فأخذته مريم وسلمته إلى الداداة وأقامت له السرارى والجوارى المرضعات ولم يعلم بقصته أحد لا أبيض ولا أسود وكانوا لا يقولون إلا أنه الملك كوبرت ولم يزل عندها حتى مضى عنتر إلى ما كان فيه وقضى الأشغال وعاد من الحرب والقتال وكانت غيبته ثلاث سنين كوامل لأنه كان قد مضى وتركها حامل ولم يعلم بشىء من تلك الأمور ولم يدر ما هو فى الكتاب مسطور ولما رجع من سفرته كان الولد عندها وفى خبائها مدخور (قال الراوى) ولم يزل هذا الولد يكبر وينشى ويد القدرة تكتنفه كلما قام ومشى وهو يربى حتى ركب الخيل والجنائب وبقى حوله المماليك والبطارقة والحبائب وكل من يخدمه ويتقرب له ويسير فى خدمته ولا راعب ولم يزل فى ذلك الحال حتى مات الملك كوبرت وشرب كأس الوبال وشاعت أخبار موته فى تلك الديار والجزائر العربيات فعست عليهم أهل جزائر الواحات وتجهز ملكها فى عالم عظيم وسار يطلب جزيرة السكافور وقلعة البلور وما حواليها من الأقاليم ووصلت الأخبار إلى الملكة مريم فخافت من الحضار فأحضرت من أصحاب الملك كوبرت المقدمين الكبار وأعلمتهم بما كان من أهل جزيرة الواحات وما بلغها من المقال ثم أنها أخذت رأيهم فى أمر القتال فرأتهم كما تحب وترضى وهم لها طائعون ولقولها مسمعون فأمرتهم أن يأخذوا أهبتهم إلى السفر وخرجت فى جيشها ودساكرها وهى على غاية من الحذر وأخرجت الأموال وأنفقت على الرجال واستخدمت الأبطال وكان ولدها الجوفران معها صغير ولكن همته عظيمة ونفسه نفس ملك كبير (قال الراوى) ولم تزل الجيوش متبارة وهى مع بعضها بعض وهى طالبة فسيح الأرض وهى سائرة طولا وعرضا إلى أن وقعت العين على العين وهمت بالحملة على بعضها جميع الطائفتين وأراد أن يلتقى الجيشان فمنعتهم من ذلك الرهبان والقسوس ودخلوا بينهم بالصلح وطيبوا منهم النفوس ويستقر الأمر بينهما بأن الملكة مريم تحمل الأموال فى كل عام وأن يبطلوا الحرب والصدام ويكون حمل المال إلى الملك شمروط بن دامات الذى هو فى ذلك الزمان صاحب جزيرة الواحات فلما تم الأمر واستقر عاد الملك شمروط طالب بلاده وقد كثرت عشائره وأجناده وقد ضيق على الملكة مريم البلاد وقد دانت له العباد (قال الراوى) وقد نشأ الجوفران نشأة الفرسان وتفرس على ظهور الصافنات فى الميدان وعلم على الشجعان وجندل الأفران وارتفع ذكره فى بلاد الأمرنج الخاص منهم والعام والقريب والدان وخافت منه جميع عبدة الصلبان رأها بوه الملوك والسادات وحملوا إليه العقازات حتى لم يبق عليه إلا جزيرة الواحات (قال الراوى) ثم أن الملك الجوفران كان جالسا فى بعض الأوقات وإذا قد جرى بين يديه ذكر مدينة الملك صافات وأنه كان يحكم على مدينة الواحات ولما قتل دومات تولاها من بعده أبوه الملك كوبرت وقعد تحت حكمه سنين معدات ولما مات

تغلب عليهم الملك شمروط بن دامات وملكوا منهم غصباً بعدما كان فيها ثباتاً خذها بغير استحقاق قال فلما سمع الملك الجوفران هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وأمر فى الحال بتجهيز العشائر وإخراج الدساكر وصار يفرق عليهم أموال وآلة الحرب والقتال بعد ما جمع الفرسان والأبطال وسار طالباً جزيرة الواحات ومن حوله الحجاب والسادات وهو فى عزمة قوية وهمة زائدة فوصلت الأخبار إلى شمروط بأن الملك الجوفران واصل إليه وقام عليه فلم يعتن به ولا عنه سأل وأمر الآخر فى عاجل الحال بتبريز العشائر وإخراج الدساكر وكان ذلك فى أقل من سبعة أيام وكان ذلك من كثرة ما عنده من الخيرات والأنعام وسار بين يديه الأبطال والأقران ليلتقى بهم الملك الجوفران قال الراوى ولم يزالوا سائرين حتى التقت العشائر بالعشائر والدساكر بالدساكر وقد ملأوا الأرض طولا وعرض وأوسعوا فى تلك الارض فعند ذلك قاتلوا قتالا شديداً ما عليه من مزيد وتقابلت الشجعان وأوسعوا فى الميدان وسالت دماء الأقران وصارت الأرض وردة كالدهان مما سال عليها من أدمية الفرسان وتقابلوا حتى جرى الدم وساح وتكسرت العدد والسلاح وتطاعنوا بالقنطاريات وتضاربوا بالصفاح وامتدت الجثث فى البطاح وسمعت الفرسان بالارواح بعد ما كانوا بها شحاح وعدموا أيام السماح وتقدم الشجاع وطاح وجال الفارس الجحجاح وتاجر الجبان وطلب الهرب والرواح وتمنى أن يكون له جناح ولم يزالوا فى حرب أكيد وطعن شديد يفر منه البطل الصنديد إلى أن فرق بينهم الليل ورجعت الرجال والخيل وانفصلت الطائفتان وتحارس الفريقان إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعند ذلك ركبوا الجواد القداح وعولوا على الحرب والكفاح وقد جردوا البيض الصفاح هذا والملك الجوفران قد سطا على أعداه وبلغ منهم مناه والتقى بذلك شمروط فى وسط المعمعة وهو ينكس الأبطال ويطعن فى صدور الرجال طعنا يقصر الأعمار الطوال فحمل عليه حملة بطل قد لاقى الأبطال وقاسى الأهوال ولاصقا وضايقه وسد عليه طرائقه وضيق عليه الرياح والبطاح وصاح فى وجهه أعظم صياح وضربه بسيفه وإذا برأسه عن جثته قد طار وجرى دمه على الأرض وساح وحمل بعد ذلك على صاحب العلم الأخضر والصليب الجوهر وضربه بالسيف على صدره وخرج يلمع من خرزة ظهره فوقع على الارض وقد مال العلم فأخذ الجوفران قبل أن يقع على الصحصحان وبعد ذلك صار يطعن به فى صدور الفرسان ويرمى رؤسهم من على الابدان وحملت من خلفه بطارقته والشجعان وعاونوه على الحرب والطعان وكان لهم ساعد تقشعر منها الابدان وتعد من سامات الزمان مما قد سال فيها من أدمية الفرسان هذا والعشائر لما نظرت إلى قتل ملكهم شمروط وقد صار مرمياً فى الميدان علموا أن ما ليس لهم على الجوفران ولا بحربه طاقة ولا بحربهم استطاقة

فولوا الادبار وركنوا الى الفرار ومنهم من توجل الى الجوفران وطلب منه الامان فامر برفع السيف عنهم ولم يقتل واحداً منهم وقد ملكوا أموال الملك شروط واثقاله ودخلت تحت طاعته جميع رجاله فعند ذلك فرق الملك الجوفران الخلع على الابطال وقسم عليهم تلك الاموال ووهبهم النوق والجمال وألف قلوب الرجال ورحل طالباً جزيرة الواحات وقد رفعت على رأسه الاعلام والرايات ودقت بين يديه النواقيس بأصوات مرتفعات ولم يزل كذلك حتى وصل الى جزيرة الواحات ودخلها فى يوم مشهور وقد زادته الفرح ومسرور بما ناله من تلك الامور وترجلت بين يديه عشائره وأرباب دولته ودخل القصر وجلس على كرسى مملكته وقد زادت فرحته وقعد بعد ذلك يزور فى تلك الاماكن والقصور وأخذه الفرح والسرور وطابت له تلك البلاد وانت له العباد فعند ذلك أرسل خلف والدته الملكة مريم فلما وصلت بين يديه فرحت له بما وصل اليه وما ناله من تلك النعم وكان الملك الجوفران يتفرج فى تلك الايام فى قصر الملك اسكندر وهو يدور فى جوانبه وينظر ما فى المكان من عجائبه ومعه وجوه قومه واصحابه وأمراؤه وحجابه ونوابه وكان الجوفران إتخذ له من جزيرة الواحات وزيراً عاقل وكان رئيساً فاضل فانتهى الملك الجوفران وذلك الوزير معه وهو يتفرج ويتأمل فى حيطانه ونواحيه وأركانه ولا يمر بمكان ولا بباب ولا بحدران إلا ويسأل الوزير عنه وهو يخبره بأموره وما كان منه ومازالوا يتنقلون حتى وصلوا إلى قبة الاقفال التى قدمنا ذكرها فيما سبق لما حصر أبو عنتر إلى ذلك المكان ولم يقدر على فتحها من دون الجماعة إلا عنتر كما اتفق لما وجد الفرس الذى هو ملك الجن مما كان فيه من القيود والاغلال وأعانه على أخذ ثاره ولده الغضبان لما وقع له ما وقع من الجن من الحرب والقتال كما تقدم (قال الراوى) فلما وصل الجوفران إلى هذا المكان أمر بفتحه فى عاجل الحال فازالوا ما عليه من الاقفال وفتحوه ودخل الملك الجوفران لينظر من بعد فتحه ما قد تجدد فنظر إلى صورة راكبة على ظهر فرس أسود فحار الجوفران من أمرها وسأل الوزير عن تلك الصورة وسبب وضعها فأخبره الوزير بخبرها ثم أنه دخل مخدعاً من جملة المخادع فوجد فيه صندوقاً كبيراً ففتحه فوجد فيه ثوباً حريراً فى وسط ذلك الثوب لوح من ذهب وعليه نقوش وكتابة بسكدنورها يلتهب فقرأها الوزير فرأى فيها اسم يأتى هذه المدينة وأنها تفتح على يد فارس أشبه الخلق بهذه الصورة وهذا أحاديث عن الاقدمين منقولة ومخبوره (قال الراوى) ثم ان الوزير جعل يشرح للملك الجوفران ما كان من قديم الزمان وما جرى فى هذا المكان من حديث هرقل ابن الملك قيصر وأخبره عن أصل مسيره إلى تلك الجزائر وكيف كان حديث كوبرت وقتل عنتر لعمة الخاجان وأيضاً ما عامه سوبرت ونوبرت والملك الهمان وكيف قتل بعده ابنه سرجوان وكيف تزوج هرقل بعد ذلك ابنته الملكة مريمان

لما دخل إلى هذا المكان وكيف شد مع الملك قيصر وفعل تلك الفعلات وقتل الملك صافات
وملك جزيرة الواحات وكيف سار بعد ذلك إلى جزائر الاندلس وحدثه بكل ما جرى من
تلك الحكايات الماضية قال فلما سمع الجوفران ذلك القول من الوزير قال له أيها الأب
الكبير وهذا عنتر بن شداد أين يكون من البلاد حتى أني أسير إليه وأقتله وآخذ منه بالثار
وأكشف بقتله عن ملة النصرانية العار فقال الوزير أيها الملك هذا في بر أغبر ومسلك وعر
أغبر يقال له بر الحجاز وهو كثير الخطر صعب المفاز فقال له الجوفران والطريق من أين إلى
تلك البلدان فقال له الوزير من بلد يقال لها دمشق الشام فقال الجوفران دمشق لمن تكون من
الحكام فقال له الوزير هي من تحت حكم قيصر ملك الروم قال الراوي فعند ذلك حلف
الجوفران وشدد في الأقسام وقال وحق الإنجيل والصلبان وما رى حنا المعمدان لا عدت
أشرب مدامًا ولا التذ بمنام حتى أني أخرب القسطنطينية وأقتل الملك قيصر وأملك الشام
وأرحل بجيوشي بعدها إلى الحجاز وأقتل أهله بحد الحسام الصمصام واقتل هذا الذي ذكرتم
لي أن اسمه عنتر بن شداد وأخذ بثار عمي ومن قتل له من الأولاد وأهلك من لنا من الأعداء
والحساد (قال الراوي) ثم أن الملك الجوفران لما فرغ هو والوزير من ذلك الكلام أمر جيشه
بالرحيل ودق كاسات النحويل وأخذوا أهبتهم وامتثلوا مقاله وما مضى على ذلك الأمر
إلا مقدار عشرين يومًا حتى فرغ من جميع أشغاله وسار في دساكره وأبطاله وسافرت
والدته الملكة مريم في صحبته وذلك خوفًا عليه وشفقة منها إليه ولكن لم تعلمه بشيء من
قصته حتى تعرف آخر فعلته قال ولم يزل الجوفران سائرًا إلى أن وصل إلى شاطئ البحر
واطراف الجزائر ونزل في المراكب بجميع ما حاز من تلك الدساكر وقد طاب لهم الريح باذن
العزيز القادر حتى وصلوا إلى ساحل طرابلس وطلعوا إلى تلك البراري كما قدمنا ووصلوا إلى
مدينة الشام كما ذكرنا وملكوا البلاد على حسب ما شرحنا وسارت الملكة حليمة إلى بني
عبس واستجارت بهم فأجاروها كما وصفنا وساروا في صحبتها وجرى من الأمر والقصة
ما قدمناه وعرف الجوفران أخته عنيترة والغضنفر وأنهم الثلاثة أولاد عنتر وعدنا إلى
الحديث والخبر قال الراوي ولما اجتمع الملوك في السرداق عند الملك الجوفران خلع عليهم
الخلع الغالية الأثمان وأركبهم الخيل البحرية التي لم يوجد مثلها عند الملك كسرى
أبو شروان وعرفه أخوه الغضنفر بموتة أبيهم عنتر ثم أنه شرح له ما كانوا عليه عازمين
وعلى أخذ ثاره قادمين فأتت إليهم حليمة واستجارت بهم فأجاروها وحكت إلى الملك
الجوفران كيف أتوا معها وفي صحبتها بنو عبس لأجل أن يبصروها وأخبرته بالقصة التي جرت
وأيضًا سأل المقدمين عن أبيه عنتر فحكوا له ما وقع به من الأمر المنكر فعند ذلك حلف الجوفران
وشدد بالأقسام وقال لأخذن عظام أبي وأتركها في قطع قديم وأخيط عليها وأحلف أنه

ما أدفنه دون ما نأخذ بثاره من سائر العرب الذين قتلوه ونأخذ بثار بني عبس من القبائل التي اجتمعت عليهم لما فقدوه قال فلما سمع الملك الغضنفر كلام الجوفران أخيه أمر باحضار الثوب الذي عليه دماء عنتر أبيه وكان دم عنتر من يوم أن قتل لا يفارقهم لا في السفر ولا في الحضر فعند ذلك أحضروه في الحال بين يديه وهو في ثوب اديم مخيط عليه فبكى الجوفران وتباكت الرجال من حواليه وتصارخت الرجال تقربا إليه هذا وشيخ العرب دريد قد ناله أعظم منال وكذلك عمرو ذو الكلب فعل مثل ذلك الفعال فعند ذلك نهض الجوفران قائما على رؤس الملوك والفرسان ونادى يا ملوك الزمان أشهدوا علي أني وحق مكون الأكوان وخالق الانس والجان لا بقيت أذوق الشراب ولا ألبس من الحرير أثواب حتى أخذ بثار أبي من جميع العربان وأول ما أبدأ بهؤلاء الذين يقال لهم بنو نبهان ثم أنه أشار إلى شيخ العرب دريد بن الصمة دون من كان حاضرا في ذلك المكان لما ظهر عليه من الكبر وعلو الشأن وقال له يا شيخ اكتب لي أسماء القبائل التي اجتمعت بعد قتل أبي على هلاك بني عبس حتى أسير إليها وآخذ منها بالثار ولو صلت إلى مطلع الشمس قال فعند ذلك ابتدأ الأمير دريد وجعل يذكر له القبائل ويخبره عنهم الفارس والراجل وأول ما كتب بنو جشم وهوزان ولم يكن في ذلك الأمر متهاونين لأنها كانت شاركت العرب فيما فعلت وكأن دريدا نهاها عن ذلك فانتهت قال ولما فرغ الجوفران ودريد من كتابة القبائل ولم يفته منهم لا فارس ولا راجل فعند ذلك استدعى الجوفران بخازن السلاح فحضر إلى بين يديه فأمره أن يعرض خزائن السلاح وقال ائتني بالدروع السوابغ التي هي برسمي فاحضرت إليه وكانت مغموسة بالذهب الأحمر وقال لهم ائتوني بالدروع التي بخزانتي فني عاجل الحال أحضرت نصارى يأخذ منها درعا بعد درع ووجه لذلك الفعل عابس وصار يتركها في الخل فتصير سوداء مثل الليل الدامس وكذلك فعل بالخوذ وسائر الملبوس والزرد هذا كله يفعل والملوك شاخصة بأبصارها إليه ولم يقدر أحد أن ينظر هذا الفعل أن يسأله عليه ثم أنه بعد ذلك دعا بالثياب الكتان المصبوغة بالأسود وفصل منها ثوبا وعمائم تكفي عرب البر والفدافد ثم أنه بدأ بنفسه وخلع ما كان عليه من الملبوس النفيس ولبس عوضا عنه ثوبا خاما أسود وعمامة سوداء وغير حالته حتى بقي في حال مهول وحلف برب مكة والحجر الأسود أنه ما بقي يخلع لباس السواد حتى يأخذ بثار أبيه عنتر بن شداد قال فأول من وافقه على ذلك الغضنفر وأخته أم الزعازع عنيترة بنت عنتر ولبسا من السواد وتظاهروا كلهم بلبس الزرد ومن فوقه أثواب السواد وكذلك فعل ياسر بن ميسرة وابن مازن ليث الميدان وزيد بن عمرو والديال بن الغضبان وكذلك فعل مثلهم عمرو ذو الكلب وابن مقرى الوحش سبيع اليمن وكذلك وافقهم الملك زهير ومن معه من بني عبس الشجعان وتقدم دريد بن الصمة فيوافق القوم على ما هم فيه من تلك الفعلة فاقسم عليه الجوفران أنهم

لا يفعل لاهو ولا بنو عمه شيئاً من ذلك الفعل وقال له يا أبا النظر أهل الميت أولى بالبكاء ولا بهذا الفعل نريد منك جزاء ثم أن سائر الملوك وسائر الكبار والصغار لبسوا السواد وتظاهروا بالحداد ثم أن الملك الجوفران نصب له بيتاً من الشعر الأسود الحالك وبنو عبس وبنو غطفان جعلوا بضاربهم كذلك وفعلت الأفرنج جيوش الملك الجوفران مثل ذلك وبعدها أقاموا على دمشق عشرة أيام وبعد ذلك عزموا على ذلك الارتحال فبينما هم على ذلك الحال إذا بغبائر رومية قد طلعت وأعلام قيصر به قد بدرت وكانت هذه الغبائر غبائر الملك هرقل بن الملك قيصر وكان السبب في مجيئه إلى هذا المكان عمرو بن الحارث سيد بني غسان وذلك أنه صح عنده الملك الجوفران بن عنتر فارس بني عبس وعدنان اصطلحوا وطابت قلوبهم بذلك الشأن فانفذ على أجنحة الطير واعلم الملك قيصر فخار قيصر هو وأولاده من ذلك الخبر وأخذه الوسواس والفكر لأنه كان حمل على قلبه هماً عظيماً بسبب الجوفران وظهوره من تلك الأقاليم فانفذ ولده هرقل بهدية حسنة للجوفران وأخيه الغضنفر لما سمع أنهما أولاد الأمير عنتر وانفذ إليهما وأمرهما بالمسير إلى القسطنطينية ليكن عهداً بهما وبين يديهما من العطية قال فعند ذلك ركبت الملوك والأمراء والفرسان إلى ملتقى الملك هرقل من أبعد ملاقاة مكان وترجلوا له وعظموه ومشت بنو عبس بين يديه واحترموه وهم كأنهم العربان السود فسألهم الملك هرقل عن حالهم وما هم فيه من ذلك الشأن فعند ذلك أخبره الملك عمرو بن الحارث بحالهم والإيمان التي حلفها الجوفران فتعجب من فعالهم وبعد ذلك نصب لهم الملك عمرو سرداقاً عظيماً من الحرير المخلف الألوان وانزلهم بعد ذلك إلى الصبح في الميدان ولما كان من الغد استأذن الملك هرقل في الدخول إلى البلد وكذلك الجوفران وأخوه الغضنفر فأجابوه إلى ذلك ودخلوا دمشق وأدخلهم إلى القصر وهو لا تسعه الدنيا مما حصل له من الفرح والسرور وبقي معهم الملك هرقل عشرة أيام وهم يرتعون في حلل الافتخار والانعام وبعد ذلك أمرهم الملك هرقل بالمسير معه إلى مدينة القسطنطينية فأجابوه بالموافقة على ذلك النية ورحل معه من الشام أولاد أبي الفوارس عنتر وهم الجوفران وعنيترة والغضنفر قال هذا والملك هرقل قد سير قاصده بشيراً يعلم أباه الملك قيصر فلما بلغ قيصر ذلك الخبر فرح واستبشر وأمر بتزيين البلد وقد نادى المنادي في المدينة أنه لا يبقى أحد من النساء ولا من الرجال إلا ويطلع إلى لقاء الملك هرقل وفرسان الحجاز الأبطال وركب أيضاً الملك قيصر في عساكره وخواصه وزاياه وسار من البلد مسافة يوم كامل وهو بتلك العشائر والجحافل حتى لاح لهم غبار الملك هرقل ومن معه من الفرسان وانكشف عنهم الغبار وبانوا للعيان ونظر بنو عبس إلى رايات الملك قيصر والصلبان فأسرعوا إلى أن

تقربوا من الملك ودنوا من بعضهم الطائفتان فعند ذلك ترجل الملك قيصر وكذلك فعلت فرسان بني عبس مثل ما فعل وترجلت أمراء الفرسان والعربان وترجل الغضنفر وأخوه الجوفران وكذلك أم الزعازع وليث الميدان وياسر بن ميسرة والديان بن العضبان وكذلك شيخ العرب دريد بن الصمة وخفاف بن ندبه وبدثار بن زوق ومن معهم من الشجعان وأقبل أكابر الجميع إلى بين يدى الملك قيصر ملك عبدة الصلبان وقبلوا رجله فى الركاب وبدؤه بالسلام والخطاب إلا الملك الجوفران وأخاه الغضنفر فانهم لم يفعلوا ذلك الحال لأن أنفسهم أنفس الجبابرة من الملوك العوال غير أنهما بداه بأيديهما بالسلام فعند ذلك التقاهما أحسن ملتقى وتبسم فى وجوههم وقد أخذه العجب من زيهم وملبوسهم وسال ولده هرقل عما هم فيه من ذلك السبب فأعلمه بما جرى منهم وما اتفقوا عليه فتعجب غاية العجب قال ولما فرغوا من السلام على بعضهم عادوا راجعين إلى القسطنطينية وقد انتشروا فى فسيح تلك الأرض حتى أشرفوا على المدينة وأمرهم الملك بالدخول إلى البلد ليشرفوها وهم بتلك التجملات وتلك الزينة فابوا عن ذلك الشأن وقالوا يا ملك الزمان نحن علينا عهود وإيمان أننا لا نأوى إلى الجدران ولا نستظل بسقف ولا حيطان ولا نحضر شرب مدام ولا نفارق لبس الخام. ولا نلتذ بمنام حتى أننا نأخذ من جميع العدى ثارنا بحد الحسام ونفنى جميع أعدائنا اللئام فقبل الملك قيصر عذرهم بذلك الشأن وأنزلهم فى مرج على باب القسطنطينية وأخرج لهم الزاد والعلوفات وأقاموا مدة والملك كل يوم بنفسه يخرج ويزورهم وينزل عندهم فى ذلك المرج ويسألهم عن أمورهم ويذكرهم الأمور التى تشرح بها الصدور إلى أن كان آخر يوم حضر الملك قيصر وباسطهم بالحديث وقد زادهم فى علو الشأن فعند ذلك نهض الملك الجوفران قائماً على قدميه دون كل الناس وقال للملك قيصر يا ملك الزمان أن أردت أن تنفذ من نوابك من تختاره إلى جزيرة الكافور وقلعة البلور وجزائر الواحات وأعمالها من تلك المقامات فافعل فليس لى حاجة فى تلك البلاد وما بقى لى رغبة فى سلطنة ولا حكم على أحد العباد ولا بقيت أقدر على فراق أخوتى وبنى عمى الذين ينفرج بهم همى وغمى قال ففرح الملك قيصر بذلك الكلام وأجابه إلى ذلك المرام وفى عاجل الحال أحضر لهم الأموال العظام والثياب الفاخرة التى يلبسونها حين يفرعون من ذلك الاهتمام ومدهم بالخيل المسومة والرايات والأعلام وانعم عليهم غاية الانعام ثم أن الملك قيصر قال للملك الجوفران أعلم أن جميع خزائنك وأموالك التى فى البلاد فهى لك وإذا طلبتها أرسلها إليك وأنا وأولادى وسائر بلادى بين يديك ولا تبخل بشىء منها علينا قال فشكره على ذلك الجوفران وعنيترة والغضنفر وسائر العربان ثم أنهم طلبوا الإذن فى الرحيل فعند ذلك قال له الملك قيصر يا فارس الزمان دع كل شىء على حاله إلى أن تأخذ ثار أبيك وتوارى إلى ترابه وارجع إلى أهلك وبلادك لأنك

قد ملكتها بعد أبيك بقائم حسامك وما لنا إلا رضاك رحم الله أباك (قال الراوى) فشكره على ذلك الجوفران وقبل يده وأثنى عليه ثم أنهم طلبوا الإذن فى الرحيل فأذن لهم وأمرهم بسرعة التحويل فباتوا تلك الليلة إلى الصباح ثم اهتموا وعزموا على الرواح وساروا طالبين بلاد الشام وقد سار معهم هرقل بن الملك قيصر لأجل وداعهم ثلاثة أيام وبعد ذلك حلفوا عليه وردوه بالعنف والإرغام ولم يزالوا سائرين ليلا ونهاراً يقطعون تلك البرارى والقفار إلى أن وصلوا إلى دمشق الشام ونزلوا فى تلك البروج الفياحة واستقر بهم المقام وأخرجت لهم الملكة حليمة الأقامات والعلوفات وأنواع الطعام وأكرمتهم هى وأخوها غاية الإكرام وبعد ذلك أحضر الملك الجوفران ما تحت يده من العشائر وجهز أحوالهم بالسفر إلى ناحية بلادهم وأماكنهم وذلك المستقر ثم أن الملك الجوفران قال لوالدته الملكة مريم يا أماه هل تختارى معى السفر مع إخوتى عنيزة والغضنفر والا ترجعى إلى جزيرة الكافور وتقيمين على ملكك وما تحت يدك من الجيش حتى آخذ ثار والدى من العدو وأقر بعد ذلك وأهدى فقالت له يا ولدى وحق المسيح ليس لى على فراقك مصطبر لأنك أنت السمع والبصر ثم أنهما بعد ذلك عزما على المسير وسرعة التشمير إلى ناحية بلاد الحجاز لينجزوا ما هم عازمون عليه من أخذ الثار غاية الانجاز فعند ذلك تقدم الغضنفر بين يدى أخيه الجوفران قبل أن يركب وقدم له مركوب أبيه كوكب والمهر غيهب وقدم له الدرع الداودى والدرع المذهب وقال له يا أخى هذا مركوب أبيك وهذا سيفه الصامى وسلاحه وأنت أحق به منى لأنك أنت ولده الكبير وأنا الأصغر لأن أختى عنيترة قدمت لى ذلك وأنت أحق به منى فقال له الجوفران وحق من خلق الشمس والقمر وأنبع الماء من الحجر انى ما أركب جواداً أنت علوته ولا ألبس ثيابا أنت لبستها ولا سلاحاً قد تقلدت به فها أنت والله اخى ابن الأمير عنتر ابى ومشاركى فى حسبى ونسبى ثم ان الجوفران تقدم ومسك ركاب اخيه الغضنفر واقسم عليه برب الركن والحجر انه يركب كما مر وبعد ذلك ركب الجوفران الآخر وركب سائر العربان وبقية العشائر وساروا طالبين البر الأنفر وقد نشرت راية العقاب على راس الملك زهير وقد حفت به السعادة والخير وعاد عز ملك بنى عبس كما كان وصار اقوى واعظم صولة واثبت واعلى شأن وصاروا طالبين ارض الحجاز وذلك البر والمفاز لأجل اخذ الثار وكشف العار وعنيترة والغضنفر افرح الخلق بأخيهم الجوفران الذى ظهر أنه ابن ابيهم عنتر وساروا الثلاثة كل واحد منهم مقدم جيشه (قال الراوى) ولما تمادى بهم المسير افتكر عمرو ذو الكلب فى تقلبات الزمان وما يفعل بالإنسان وتذكروا أيضاً مصاحبته لعنتر وما كان فيه من ذلك الشأن وكذلك شيخ العرب دريد بن الصمة تذكر ما كان لعنتر عليه من الأيادى

والاحسان فتجددت عليهم الاحزان ولكن زادت أفراحهم بأولاد عنتر هؤلاء الثلاثة وسلامهم فرحهم عما هم فيه من الاضغان فعند ذلك حلف الملك الجوفران على شيخ العرب دريد بن الصمة أنه لا يتعب نفسه معهم لاخذ الثار بل يسير من ههنا إلى ديارهم والاوطان فعند ذلك أجابه دريد إلى ما أمر وترك عنده خفاف بن ندبة ودثار بن زوق والعباس بن مرداس ومن معهم من الناس وساروا إلى ديارهم لان أولاد عنتر جدوا المسير ليلا ونهارا يقطعون البرارى والقفار والسهول والاوعار وقد اتفق بينهم الحال أنهم إذا عزموا على الحرب والقتال يجعلوا غزوهم على ديار بنى نبهان حتى يأخذوا منهم بثارهم ويقلعوهم غاية القلعان (قال الراوى) فبينما هم سائرون وفى سيرهم مجدون وإذا قد ظهر من بين أيديهم غبار حتى أسودت منه الاقطار وتكدرت تلك البرارى والقفار من أعظم ذلك الغبار الذى أذهل النظار وحير الافكار وأشغل الاسرار قال فتوقفت بنو عبس عن المسير فى ذلك البر والفدافد وقد اشتغلوا بذلك الغبار الذى أتى نحوهم وبعد ساعة انكشفت تلك الغبائر وتمزقت وإلى السماء تعلقت وبان من تحتها أسنة رماح تلمع وبيض تشعشع وسيول خيولهم قد ارتفع فعند ذلك أشار الملك الغضنفر إلى عمه جرير وابن عمهما الخذروف وقال لهما اكشفا عن خبر هذا الغبار الطائر وذلك الجيش العابر وانظروا إلى أين هم قاصدون فى هذا القفار وهم واردون من أى ديار وعودوا إلينا بيقين الاخبار قال فلم تكن إلا ساعة من النهار حتى وصل إليهم الخذروف وعمه جرير وقد تحققا ذلك الجيش الكثير فوجدوهم كلهم سودان وكلهم من أولاد حام وهم دهم الالوان كأنهم الغربان فعند ذلك تبادروا منهم جماعة كأنهم العقبان واحتاطوا بجرير والخذروف وأحضروهما بين يدى مقدم السودان والزنج والحبشان فناداهم حاجب الملك من تحت الرايات والاعلام وقال لهما إن الملك يقول لكما لا تخافا ولكما الامان والذمام إن صدقتما الكلام يا أولاد الاعمام وأخبرتموه عن هذا الجيش القادم من أرض الشام وإلى أين قصدهم والمرام ومن هو الحاكم عليهم فى النقض والابرام فعند ذلك قال لهم جرير يا أولاد الخالة الكرام والله إننى أخبركم بالصدق فى الكلام وأعلمكم بأن هذا الجيش السائر من أكرم القبائل والعشائر وهم بنو عبس أصحاب العز والثناء والمفاخر والمقدم عليهم الفارس القسور والبطل الغضنفر ابن أبى الفوارس عنتر وأيضاً قاتل الفرسان ومبيد الشجعان أخوه الملك الجوفران وأختهم أم الزعازع ولبوة الوقائع الضاربة بالحسام الذكر عنيترة بنت عنتر وكذلك بجندل الاقران والحائزون قصب الرهان الامير ياسر وليث الميدان وأسد الفرسان والدبال ابن الغضبان وأما سبب مجيئهم من أرض الشام وتلك البلدان فهو أنهم طالبون ثارهم من سائر العربان وقد جعلوا أول قصدهم إلى بنى نبهان (قال الراوى) فوالله ما أتى جرير على آخر ما أبدا من الكلام إلا وصرخة عظيمة قد بدت من تحت الاعلام

وفارس قد ترجل عن جواده من بين تلك الصفوف وسار على عجل حتى سار قدام جرير والخذروف ونادى وقال وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر إن هذا جرير أخو عنتر فعند ذلك صار جرير من معرفته وتعجب من أمره وقصته قال ثم أن المتكلم قال له يا فتى أما أنت جرير بحق اللطيف الخبير قال نعم وحق الرب القدير (قال الراوى) وكان هؤلاء السودان جميعهم قد ترجل وكل منهم عن جواده قد نزل كرامة لهذا الفارس الذى نزل فى الأول ثم أنه ناداه يا جرير ما أظنك حققت معرفتى فقال جرير لا والله يا مولاى إننى قد أشكلت على قصتك فقال له أنا الملك صفوان بن معدان صاحب بلاد السودان وأنا خالك وخال أخيك عنتر بن شداد وسبب وصولنا إلى هذه البلاد أنه قد وصل خبر أخيك عنتر إلينا وأخبارا جتماع العرب عليكم فصعب ذلك الأمر علينا وسئل بعد ذلك إلينا خبر عنيزة أم الوعازع وما فعلت من الوقائع وما تجمع عليها من العشائر كم أبادت من العساكر وظهور أخيها الملك الغضنفر وكيف أنه ظهر أنه ابن عم عنتر فلما سمعنا ذلك فرحنا فرحا إلا من فرح واستبشر ولعلنا بوجود هؤلاء النصر والظفر وأيضا قد وصلت إلينا الأخبار أنهم قد اجتمعوا وقصدوا أخذ الثأر وكشف العار فسرنى ذلك فأتيت إلى معونتهم فى هذا الجيش الجرار وقد جمعت عشائرى وأجنادى وملوك أرضى وبلادى وقد أتيت بهم لأخذ ثأر ابن أخت زبيبة وأمحو عنى ما نزل بى من المصيبة قال فعند ذلك فرح جرير الفرح التام لما سمع من خاله ذلك الكلام وقال له والله يا خال إننى أعلمك بشىء يزيد فرحتك وعلو شأنك وتزداد به يقينا وبرهان وذلك أنه قد ظهر لأخى عنتر ولد يسمى الجوفران وقد صار ملكا من ملوك الزمان وقد ترك ملكه وما هو فيه من تلك الأيسار وأتى معنا يساعدنا على أخذ الثأر وكشف العار قال فلما سمع الملك صفوان من جرير والخذروف تلك الأخبار أخذه الفرح والاستبشار وعاد جرير والخذروف على الآثار وهما كأنهما شعل النار حتى وصلا إلى بين يدى الملك الغضنفر وأخيه الملك الجوفران وأخبروهما بخبر أخوالهم السودان وقالوا لهما لقد عظمت أخوالكم وزادت أفراحكم وقد علمتم أما لكم بقدوم صفوان ملك السودان خالكم فها هو قد أتى إليكم يساعدكم على أخذ ثأركم فقال: الجوفران أوضح لنا عما معك من البرهان وبين لنا صحة هذا الكلام وأخبرنا جئت فيه والسلام فقال جرير اعلم يا ابن أخى أن هذا الجيش القادم هم أخوال أبيك عنتر والمقدم عليهم أخو ستك زبيدة أخت الملك الأكبر وهذا الملك صفوان بن الملك معدان وقد أتى فى عشائر السودان لعينكم على أخذ ثأركم من العربان ثم أنه أخبرهم بالخبر وأطلعهم على ما جرى وما ظهر فما منهم إلا من فرح واستبشر وزاد بنى عبس الفرح والسرور وتجارت الفرسان إلى بعضها مثل الطيور ووصلت عشائر السودان وترجلت الملوك للملك صفوان بن معدان وترجلت أيضا فرسان بنى عبس وعدنان واعتنقت بعضها بعضا الطائفتان وانتشروا فى فسيح تلك

الارض والمكان (قال الراوى) هذا والملك زهير قد أقبل مثل الأسد الوثاب وعلى رأسه راية أبيه وجده العقاب وطلب أن يترجل فلم تمكنه عنيترة من النزول إلى صفوان ليكون ذلك أعلى له قدراً وأرفع شأن وكذلك الملك الجوفران لم يترجل لأنه جبار من جبابرة الزمان ونفسه نفس مرتفع القدر وكذلك أخوه الملك الغضنفر بل أقبلوا على بعضهم جميعاً وهم ركاب وسلموا على بعضهم سلام الأحباب للاحباب وضربت السرادقات والأطناب ونزلوا فيها وقد تذاكروا من قتل لهم من الأصحاب وعظم البكاء والانتحاب (قال الراوى) ولما قر بهم المقام أخذا فى الراحة ثلاثة أيام ثم أجمعوا أمرهم ورأيهم على المسير لاخذ الثار فقال الملك ما الرأى إلا أننا نسير إلى الديار حتى نزل فيها ويقربنا القرار وتستأنس الديار بالسكان وتجتمع فيها الخلان وينظرها ابن عمنا الجوفران وكذلك خالنا الملك صفوان بن معدان ويجتمع علينا أيضاً من بحرنا من العربان فقال له سائر الملوك إن هذا هو الرأى والصواب والأمر الذى لا يعاب ووافقوه كلهم هذه المآرب رحلوا فى اليوم الرابع يقطعون البر والسباسب (قال الراوى) ولم يزالوا يقطعون الأودية والقفار ويجدون فى المسير ليلا ونهار حتى إنهم وصلوا إلى الديار ونزلوا فيها واستقر بهم القرار ونصب بنو عبس وعدنان البيوت الشعر التى اصطنعها لهم الجوفران وأنست تلك الديار بالسكان والأوطان بالقطان وصارت الديار أعمر مما كانت وأكثر رجالا وفرسان لان قبيلة بنى عبس كانت عدتهم فى سالف الازمان أربعة آلاف عنان وكلما فقد منهم واحد ينتشى عوضه من الشبان فلما انتهى بهم الامر إلى هذا الاوان اجتمعت فرسان بنى عبس الذين كانوا تفرقوا فى الجبال والوديان لما كانت اجتمعت عليهم قبائل العربان وفعلوا فى حقهم ما فعلوا من ذلك التشتت والهوان وقتل فى تلك المرة حصن بن حذيفة وابن أبى حارثة سنان لما كان أشار الملك قيس على بنى عبس بمرقبة الجمال وذبح الفصلان وخرجت بنو عبس وهجت فى الصحارى والوديان ولم يزالوا إلى أن أتى عليهم هذا الاوان وجلست إليهم تلك الملوك والفرسان وقد اجتمعوا من كل جانب ومكان وأقاموا تحت ظل الامير عنيترة والغضنفر والجوفران فكانت عدتهم ثلاثة آلاف عنان وبنو قضاعة أربعة آلاف من الشجعان والملك صفوان بن معدان فى خمسة آلاف من السودان واجتمع عليهم من أصدقائهم وحلفائهم أربعة آلاف عنان فصارت عدتهم ستة عشر الف حتى ضاقت بهم تلك الصحارى والوديان ونصبوا للملك الغضنفر وأخيه الجوفران على العلم السعدى رايتهم وصار لهم عز وشأن وقول وإمكان واقامت بنو عبس تصنع الولائم ويرتفع فيها القائم والقاعد وقد اخلف عليهم الزمان عوضاً من عنتر بن شداد وصارت احسن ما كانت ابيات بنى قراد وانضاف إلى عنيترة الخذروف وجريرو زخمة الجواد وزيد بن عروة وسبيع اليمن بن حقرى الوحش وياسر وليث الميدان والديالمينى الغضبان وكان قد نشأ نصوب ولد فى بنى

قضاعة يقال له أسد الفرسان وكان بطلا مداعسا رانضاف إلى عنيترة مع جملة الفرسان لانه كان يعد بجماعة من الأفران وكان كل واحد من هؤلاء الفرسان بخيام ومضارب وخيل وجنائب وأموال ونعم وأصحاب وأحباب وكان بنو زهير قد انقرضوا ولم يبق منهم إلا زهير ابن قيس وكانت عنيترة توقره هي وأخوتها ولا يردون عليه كلمة واحدة ولا يعدره إلا من الملوك الكبار مثل ما فعل مع أبيه قيس إذ كان يوقره غاية الوقار وأما بنو زياد فإنهم انقطعوا عن آخرهم ولم يبق منهم إلا ديار ولا نافخ نار ولم يبق منهم إلا الشمر بن زياد الذي قتل الحسين بن علي بن أبي طالب في أرض كربلاء ومات بدعوة كانت قد سبقت عليه من رسول الله ﷺ وكانت بالمعض فصار يشرب كل يوم عشر راديات ولا يروى حتى انقطعت أمعاؤه وانقطعت بطنه ومات وشرب كاس الممات (قال الراوي) وبقيت هذه الثلاثة حماة لبني عبس وبني قضاعة ومن معهم من العرب الأجواد كما كان أبوهم على بني عبس عنتر بن شداد وقد دار بينهم الكلام والأمير الجوفران يسمع ما جرى على أبيه وعلى قيس وإخوته في بني نبهان والإعادة ليس لها إفادة وكان الذي يقص هذه الأخبار الأمير ورقة بن الملك زهير (قال الراوي) فلما سمع زهير قيس كلام عمه ورقه بكى بكاء شديداً فقالت عنيترة ما لك أيها الملك لا أبكى الله عيناك ولا شمت عداك ولا الحساد وكيف تبكى ونحن حولك مثل الأساد وكلما لك من جملة الغلمان وكل فارس منا مقارع بجماعة من العرسان فدع عنك البكاء والأنين والاشتكاء وسر بنا إلى بني نبهان حتى نأخذ بثار أبيك وأبي سيد الفرسان وأخلي ديارهم مثل أمس كان ثم أن عنيترة التفتت إلى خالها عمرو ذو الكلب وقالت له يا خال خذ أهبتك إلى الطعن والضرب فعند ذلك قال الجوفران لعمه جرير أريدك أن تريني قبر أبي عنتر حتى أنظره وأشاهد مضجعه ومقبره فقال له جرير اتبعني وأنا أريدك ذلك ثم أنه سار قدامه والجوفران وأخونه من ورائه إلى أن وصلوا إلى قبر أبي الفوارس عنتر فعند ذلك نزل الجوفران عن ظهر جواده وقد أكثر من بكائه وتعداده وقال واحزناه عليك يا ولدي ليتك كنت بالحياة وتنظر إلى أخذ ثارك وتنصر ما يجري للعرب ولكن وذمة العرب وشهر رجب والذي إذا طلب ثاب لا آخذ ثار إلا وأنت تشاهد وتبصر حتى تنظر من ينصر منا ومن يخسر ثم أنهم ركبوا وعادوا إلى خيامهم فعند ذلك أقبلت عنيترة على أخيها الجوفران وقالت له ما الذي عولت لأنك أقسمت أن لا تأخذ لأبيك بالثار إلا وهو في جملة النظار فبين هذا الكلام وكيف أقسمت بتلك الأقسام فقال سوف ترون ما أفعل ثم صبر لثاني يوم وركب وسار وإخوته معه إلى أن وصل إلى قبر واخرته بهية مجبوس من فعاله فعند ذلك أمر عمه جرير أن يحفر قبر أبيه فحفره وإذا بها عظام بالية فأمر بقطع من الأديم وأن يدرج فيه عظام ابنه عنتر فعاله إخوته من الخبر فقال لهم أنا أريد أن أجعل أبي قدامنا على جمل وكلما قتل أحد من الأعداء أعرضهم عليه وهو

يشاهد ذلك بعينيه فقالت عنيترة يا أخي هذه عظام بالية لا ندري ما الخبر فقال وحق ذمة العرب إن لم تطاوعوني على ذلك قتلتكم وقتلت روحي بعدكم فعند ذلك سكتوا ولم يجوابه قال الراوي ثم أن عنيترة صرخت في بني قضاعة وقالت للخيل يا أرباب الخيل وأيضاً الجوفران صرخ بالعبيد فقدموا له الجواد الندبة فركب وركبت لركوبه جميع الفرسان وساروا طالبين ديار بني نبهان فقال والله لابد أن أشتت شملهم في جنبات الفلا ثم سار بنو عبس وبنو قضاعة من ورائه وجدوا في المسير من تلك الساعة ومزالوا سائرين الليل والنهار وهم يقطعون البراري والقفار إلى أن وصلوا إلى أرض بني نبهان وأخذوا أهبة الضرب والطعان وباتوا تلك الليلة على رمل عالج وغيرانهم في الرهايج إلى أن أصبح الله بالصباح فعند ذلك لبسوا آلة الحرب والكفار ولما تضاحى النهار وقاربوا المراعي والديار أخذت عنيترة معها ألف فارس وأغارت على أموال بني نبهان وساقت كل ما هناك من الخيل والجمال وجميع ما نظرته أمامها ولم يبق إلا الحجارة الحصنى وكانت في بني نبهان خيول لا توجد عند سائر العربان وألقت عنيترة الضرب في أقفية العبيد وقتلت كل بطل صنديد فعندها وقع الصباح في بني نبهان وقد ركب سائر الفرسان وفي أوائلهم المهاهل أبو زبد الخيل ومعه كل فارس قيل وكان أبو زيد الخيل ضعف ضعفاً شديداً وهو في خال عنيد وكان بنو نبهان في سبعة آلاف فارس وقتلت كل بطل مداعس وضربت عنيترة فيهم يميناً وشمالاً وقد أفنت الأبطال والرجال وحمته تلك الألف فارس كما تحمي اللبوة الأشبال وما زالت كذلك إلى أن أدركتها فرسان بني عبس وبني قضاعة وكانت لهم ساعة يا لها ساعة كشف الموت فيها قناعة بعد ذلك علا الغبار وعمل البتار وقل الانتصار هذا وعنيترة تضرب فيهم ذات اليمين وذات الشمال وحار الأبطال من قتالها ونزالها وقاتلت الفرسان وصبرت الاقران وقل الكلام وثقل اللسان ورأيت فرسان بني نبهان من فرسان بني عبس وقضاعة قتالاً ما نظر وامثله من فرسان ذلك الزمان وقد ملؤا من قتلاهم الميدان وحار من خمرة القتال مركان سكران وقضى عليهم بالفناء من لا يشغله شأن عن شأن الذي إذا قال للشيء كن فكان وتقهقرت بنو نبهان وقد لزمهم بنو عبس إلى ديارهم والاطعان وفعلوا فيهم كما تفعل النسور بالعقوب وقد إذاقوهم كاس الهوان ولم يزالوا إلى أن أظلم الظلام ومنعهم عن ضرب الحسام وقد افترق الجمعان وتحارس الفريقان وجمع المهاهل سادات قومه وأكابر عشيرته وقال لهم اعلموا أن هؤلاء بني عبس كان أسهم بين العربان فرسان المنايا والموت الزؤام وقدمات حاميتهم عنترة وذاقوا بعد موته البلاء المنكر وهجوا في البلاد وشمتت فيهم الحساد والآن قد انتشت فيهم هذه المقطوعة النخاع عنيترة التي هرت كل بطل شجاع وقتلت كل قرم مناع وأسرت ذوالخمار وعمته زرقاء اليمامة وقتلت سبيع الفلاء وردت بني عبس إلى أرض الشربا وما كان تعرضنا لهم صواب وكانوا

اعتر أربعة آلاف وهم الآن فى سبعة آلاف وفيهم عنيترة وعمر ذو الكلب وقناصة الرجال وزيد ابن عروة وزهير بن قيس والخذروف بن شيبوب وجرير الذى ما له فى الأرض نظير ومالنا أوفق من البراز لعلنا نلتقط فرسان الحجاز فلما سمع كبار العشيرة ماقاله المهلهل سيدى القبيلة بقى كل واحد منهم فى حيرة فقالوا له أيها الملك من فى عشائرنا يقاتل عنيترة أو خالها عمرو وزيد بن عروة وعتيبة بن حصن وزهير بن قيس وهؤلاء فرسان البيداء وشجعان الفلاء ولولا أن يكونوا كذلك ما رجعوا إلى أرض الشربة والعلم السعدى وخافتهم جميع العرب ولاقدر أحد منهم أن يعيد ولا يبدى فعند ذلك نهض من بين القوم شاب مليح الثياب اسمه جابر بن وزر الذى قتل عنترة وقال للمهلهل ياسيدى بنى نهيان وحق ذمة العرب إلى غدا برز إلى بنى عبس واقتل حاميتهم عنيترة كما فعل أبى بأبيها واسكنه المقبره واقتل ابن عمها الخذروف وعمها جرير ولابد من قتل أخيها الغضنفر وافعل به فعلا منكر ولا أخلى من ذرية عنترلا كبير ولاصغير فلما سمع ذلك الكلام المهلهل فرح واستبشر وقال من تشبه بأبيه فما ظلم ثم أن القوم تفوقوا المنام إلى أن أصبح الصباح وركبت الفرسان واصطفوا فى الميعاد فأول من برز وطلب القتال وتقدم للحرب والنزال هو جابر بن وزر ونادى برفيع صوته من عرفنى فقد اكفى ومن لم يعرفنى فانا بى خفا أنا جابر بن وزر بن الأسد الرهيص فلا يبرزلى إلا عنيترة بنت عنتر حتى أذيقها الموت الأحمر فما استتم كلامه حتى برزت عنيترة وسارت قدامه وقالت ويلك يا كلبا أجرب وأخس من مد فى البيداء طنب أنت من يطلب فرسان العرب ثم أن عنيترة حملت على جابر وكان من الفرسان المذكور والأبطال المشهورة (قال الراوى) فما وقف جابر بين يدى عنيترة غير ساعة حتى صدمته الأسد وضربته بحسامها المهند فوقعت الضربة على عاتقه طلع السيف يلمع من علائقه وسقط عن جواده إلى وجه الأرض وسار يختبط طولا وعرضا إلى أن فارقت روحه جسده وعنيترة واقفة عنده ولما مات طلبت عنيترة البراز وسألت الانجاز فلم يبرز إليها أحد لا أبيض ولا أسود فعند ذلك أشارت إلى بنى عبس وبنى قضاعة بالحملة فحملت على بنى نهيان وعمل بينهم السيف والسنان والتقت الأقران بالأقران والفرسان بالفرسان وما كنت إلا ساعة من الزمان حتى انهزمت بنو نهيان وطلبت البرارى والغيطان وعمل فيهم الطعن بالسنان وما زالوا بنو نهيان هاربين وبنو عبس لهم طالبين إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وردت بنو عبس وبنو قضاعة فى خيام بنى نهيان وقد ملكوا المال والنوال والنوق والجمال والنساء والعيال وكان قد قتل من بنى نهيان أربعة آلاف من الشجعان وكلهم أبطال وفتيان وجرح المهلهل جرحا رثيثا وقد عدم السعادة والتوفيق ولما أصبح الصباح نهبت بنو عبس وبنو قضاعة جميع ما كان فى ديار بنى نهيان فى أقل من ساعة وما بقى غير بيت مقطوع ووتد مكسور وبقيت منازل بنى نهيان

خراب ومنازل البوم والعقاب قال الراوى ثم رحلت بنو عبس طالبين ديارهم وقد اشفوا غليلهم من أعدائهم وبردت عليهم نارهم وفضالة بن قيس راكب على جواد من خيل بنى نبهان ما يوجد مثله فى هذا الزمان وإلى جانبه عنيترة بنت عنتر وإلى جانبه الآخر عمرو ذو الكلب وزيد بن عروة وعتيبة بن حصن والخذروف بن شيبوب وجريرو هم راكبون على الخيول العربية وهم سائرون ومعهم من الأموال والغنائم ما سد الفضاء فرحين بما أعطاهم الرب القديم من النصر والظفر وما منهم إلا فرح واستبشر وقد هابت العرب فى عين بنى عبس وبنى قضاعة وخافت من عنيترة جميع العربان واذعنوا لها بالطاعة فعند ذلك دارت بينهم المشورة فى الكلام إلى أى عرب يقصدون أولا حتى يأخذوا منهم بالثار ويفنوهم بالصارم البتار ويفعلوا بهم كما فعلوا ببنى نبهان فاتفق رأيهم أن يجعلوا قصدهم إلى بنى جبهان ثم أنهم لم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين حتى أنهم وصلوا إليهم وأغاروا عليهم وساقوا أموالهم من المراعى ولم يتركوا من رجالهم ساعيا ولا راعى فنفرت إليهم بنو جبهان وقد حققوا ذلك عيان وعرفوا أنهم من بنى عبس وعدنان فتقدمت بنو جبهان وفى مقدمتهم زيادة بن عامر الجبهانى الذى ماله فى زمانه ثانى فلما علموا أنهم من بنى عبس والمقدمين عليهم أولاد عنتر تقدمهم أم الزعازع عنيترة بنت عنتر وإخوتها الجوفران والغضنفر لأنهم قد شاع ذكرهم فى القبائل واشتهر فتلقاهم بنو جبهان بحد السيف ورأس السنان والغضنفر قد أخرج يده من جلباب درعه وهو يزعق يا لعبس يا لعدنان الثار الثار هذا يوم كشف العار والطعن بالأسمر الخطار قال الراوى ولما وقعت العين على العين وتقابل رجال الطائفتين انطبقت بنو عبس على بنى نبهان من غير كلام ولا أرزان فالتقاهم القوم بقلوب صلاب وأخذوا فى الطعان والضراب وصار الغضنفر يهبر الرجال هبرا ويجزرهم جزرا ويرميهم إلى الأرض خمسا خمسا وعشرا عشرا حتى فاضت الأرض بالدماء وامتلأت القتلى وكلما قتل قتيل ينادى يا لثارات بنى عبس فإنهم أفديهم بالروح وبالنفس والدماء تسيل من حسامه والأبطال ينهزمون من قدامه وكذلك فعل أخوه الجوفران وقد سطا على الفرسان وأهلك الأقران وأما أختهم عنيترة فكان لها هدير وزمجرة وكان ساعة عمر دراع فيها من الشجعان يصرعه هذا وفرسان بنى عبس أحلوا بنى جبهان التعس والنكس وزيل الأمر كذلك حتى مضى النهار بابتسامه الضاحك وأقبل الليل بظلامه الحالك فعند ذلك افترق الطائفتان وأبعدوا عن بعضهم الطعان وكان قد قتل من بنى جبهان ألف ومائة فارس من الفرسان وهزموهم بنو عبس إلى الخيام ولولا قدوم الظلام ما بقى منهم شيخ ولا غلام فعند ذلك تحارس الجمعان وأوقدوا النيران ولم يزالوا إلى أن أصبح الله بالابلاج وركبت بنو جبهان وقد افترشت فى المصحصحان من خوفهم من الهلاك والقلعان وركبت بنو عبس وبنو قضاعة ومن يقدمهم من الأبطال وقد استعدوا للحرب والقتال

وإذا بزائد من بني جبهان قد برز إلى وسط الميدان واشتهر بين الفريقان وطلب البراز وسال لا مجاز ومانع كلامه إلا والغضور قد صار قدامه وحمل عليه حملة منكرة وصدمه صدمة مذعرة فتلقاه زائد فارس من بني جبهان واقتتلا الاثنين في الميدان وثار الغبار إلى العنان وأخذا في أسباب الضرب والطعان ولم يزالا كذلك ساعة من النهار ثم ان الغضنفر طعنه بالاسمر البتار فخرج من ظهره سبعة أشبار فوقع عن ظهر جواده وقد عدم صلاحه ورشاده وانمحت منه الآثار وبعد قتل مقدمهم لم يكن لهم اصطبار ثبات ولا قرار بل حملت عليهم بنو عبس وحمل الجوفران كانه الاسد الهدار وكذلك أخته عنيترة قد اقتحمت الغبار وأما ياسر فانه مزق الدروع والمغافر وضرب في القوم ضربا وافر وابن مقرى الوحش سبيع اليمن قد أنزل بهم المحن ونثر الرأس عن اليدن وأما ليث الميدان فإنه خيل للفرسان وأباد الشجعان وسقاهم كاس الموت ألوان وأما عمر وذو الكلب فانه قد تجود الضرب والطعن وأدمى الصارم العضب وأما دثار بن روق فانه ساق الفرسان بين يديه سوقا وأي سوق وأما خفاف بن ندبه فانه أحل بالفرسان كل بلية ونكبة وأما الملك زهير فانه قد حمل عليهم سيف النقمة وأما ملوك السودان فانهم أحلوا بهم الذل والهوان فهنالك طارت النفوس وزعقت النفوس وتكاثرت الأبطال والليوث من كل بطل عبوس وليث شروس وكان وقتهم وقتاً منحوس وتقاتلوا بالروح والدبوس ولم يكن غير ساعة حتى قتلوا من الاعداء الفاً أربعمائة قتيل والذين نجوا من الحرب والقتال تفرقوا من بين أيديهم في بطون الأودية والجبال وبعد ذلك تقرر حالهم واتفقوا في المقال على غزو بني هلال فساروا إليهم وهجموا عليهم وأوصلوا الأذية اليهم وحمل الغضنفر في أوائل القوم وينادي القوم ولا كل يوم ففي مثل هذا اليوم يزول العتب واللوم والملك الجوفران صاح وبذل فيهم الطعن بالرماح وحمل زخمة الجواد وحملت معه فرسان بني قرادفلله درهم كما أبروا كفوفا ومعاصم وافلقوا منا كفف جماجم وكم أثاروا من غبار وقتلوا كل فارس كرار وكشف الغضنفر في ذلك اليوم العار وأخذ الجوفران لأبيه عنتر بالثار وفعلت عنيترة فعل الجبابرة الكبار وقتلوا من بني نمير الفين وستمائة فارس كرار فلم يكن لهم على قتالهم اصطبار فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وأخلوا منازلهم والديار وسار بنو عبس من ديار بني نمير هذا ما أحاطوا بهم البلاء والتدمير ولم يزالوا سائرين في ذلك السير الطويل حتى وصلوا إلى بني هزبل فحمل عليهم الغضنفر الاسد الربيا ونادى على بني عبس درتكم وهؤلاء الاذلال ابذلوا فيهم السيوف الصقال فلما سمعوا من بني عبس ذلك المقال أجابتهم الشجعان والابطال وحمل عند ذلك الملك الجوفران وكذا أخته عنيترة قاتلة الفرسان وحمل ياسر بن ميسرة وليث الميدان وسبيع اليمن والدبال بن الغضبان وحمل زخمة الجواد وحمل العباس بن مرداس وخفاف بن ندبة ودثار

ابن زره وقد ساقوا الأعداء سوق وأى سوق وأما دريد بن الصمة فانه فى هذه الوقعة ما كان حاضرا بل الغضنفر كان قد حلف عليه وصرفه وطيب خاطره وقال يا أبا النظر عد من هناك إلى ديارك وأوطانك لأنك قد لقيت من أمرنا ما كفاك فسار إلى دياره وترك عندهم خفاف بن ندبة ودثار بن روق والعباس بن مرادس وهؤلاء الثلاث كما ذكرنا كانوا من أقوى الناس فهنالك اختلط الجمعان وعمل السيف والسنان وحمل الملك الجوفران حملة الأسد الغضبان وضيق على الأعداء الميدان وأبلوا الأعداء بالذل والهوان فعند ذلك اشتد الحذر وصاح كل ليث فسور وعمل الحسام الأبتر والرمح الأسمر وطارت الرؤس مثل الاكر هذا وقد تصاعد الخيل وجرى الدم مثل السيل ولم يزل بنو عبس يقتلون فى بنى هذيل حتى قتلوا منهم ثلاثة آلاف قتيل ولما رأوا أن ليس لهم ببنى عبس طاقة ولا على حربهم استطاقة ولو من بين أيديهم الادبار وركنوا إلى الفرار فعند ذلك رجع بنو عبس عنهم وساروا طالبين ديار بنى زبيد فارتبكوا فى أمرهم وتجمعوا من كل فقر وبيد واجتمعت عليهم بنو طى وبنو مراد وقد ركبوا فى أوائلهم عمرو بن معديكرب البطل الجواد وهو فى أوائل الفرسان وعزموا على ملافاة بنى عبس وعدنان لأنها كانت فرقة من بنى زبيد مقدن ثمانمائة فارس قصدوا إلى بنى عبس وقد تشاركوا فى دمائهم فلما أقبلت التقتهم بنو عبس فى ذلك اليوم بذلك الجمع من العرب والسودان وفى مقدمتهم أم الزعازع عنيترة قتالة الشجعان وأخوتها الغضنفر والملك الجوفران فعند ذلك احتاج عمرو أن يدافع عن نفسه وبنى عمه فعند ذلك برز إلى الصفين واشتهر بين الفريقين وقد طلب البراز وسائل الانجاز فبرز اليه الجوفران وقد انقض عليه بقلب من الحنق ملآن وتلاحما وتكافحا وتحاربا وتباعدا وتطاعنا وتضاربا وأخذا فى الكر والفر والصد والرد والهزل والجد والمطاولة والمجاولة وأوسعا فى الميدان وساقوا الجوادين حتى عابوا عن الأعيان واختلف بينهم طعنتان واصلتان فسكن السابق بالطعنة الملك الجوفران فطعن عمرو فى جانبة فقلبه وقد بذل بتلك الطعنة دمه وكاد أن يعدمه روحه (قال الراوى) ولما رأت بنو زبيد إلى فارسهم وحاميتهم قد تمددفى تلك المهاد أطلقت الاعنة وقومت الأسنة وقد داروا بالجوفران من كل جانب ومكان واشغلوه عن أسر عمرو وخلصوه من بين يديه وقد نصحوا تلك الساعة فى الحرب والجلاد واركبوا عمرو على ظهر الجواد فاخذر محاثانا وحمل على بنى عبس وعدنان فحملت أيضا بنو عبس وبنو ضباعة وكان قدام الفرسان الملك الجوفران وحملت أيضاً السودان وحمل الغضنفر قدام الافران خوفا على أخيه من نكبات الزمان وحملت عنيترة مع جملة الفرسان وحمل عمرو ذو الكلب وزين بن غروة وسبيع البمل وياسر وليث الميدان والديال بن الغضبان وكان لهم ساعة من ساعات مزمان فأبادوا من بنى زبيد الرجال وأفنوا الابطال وعطاة

الزلزال وسطت بنو عبس على بنى زبيد واحلوا بهم البلاء والتنكيل وصارت القتلى بين أطناب الخيام وقد سقوهم كاسات الموت الوان وخرجت المخدرات وقد تشتتن فى الفلوات وعلا منهم الانتحاب على من قتل لهم من الاصحاب وكان لهم ساعة يالها من ساعة وكان بنو زبيد قد بلوا بما لا يطيقوا له طاقة ولم يجدوا لهم على ملاقات فرسان بنى عبس استطاقة فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار وخلفوا غنائمهم وأموالهم ونوقهم وجمالهم فعند ذلك الامر الجوفران برد النسوان والاطفال وأمر بسوق الاموال والجمال قال الراوى وكان الجوفران سيف بنى عبس والمشار اليهم فيهم فى ذلك الزمان وعنيترة هى فارسة الفرسان والغضنفر حاميتهم من عوارل الحدثان وهو المقدم على كل من لهم من الفرسان فهذا كله يجرى من هذا الامر الذى تحرر وجرى الحذر وقفان بالجمل الذى عليه عظام عنتر ويقولان له اسمع يا أبانا ما نقول لك وابصر ان كان لا يرضيك فعالنا فنحن نفعل مثلها وأكثر وهى عظام بالية لا ترد جوابا ولا سؤالا فعند ذلك يقولون أبونا ما رضى بهذه الفعال ولم يقنع بمن قتل من الفرسان وهو إلى الآن لم يزل غضبان ثم يسيرون إلى غزاة العربان (قال الراوى) ثم أنهم بعد ما فعلوا فى بنى زبيد تلك الفعال ساروا طالبين البرارى والجبال وقد تقدم الجوفران قدام الفرسان وهو بما فعلة فرحان فأشار ينشد ويقول هذه الابيات :

إلا بلغ زبيدا وعمرو عنا	بانا كيف نفعل بالرجال
تركناهم على البيداء ترعى	ونسوتهم تردن العوال
وأردفنا الفوارس من زبيد	يجمعهم على ظهر الجمال
وعمرو قد تركناه جريحا	يهج نجيعة تحت العوال
ولولا الليل ماردت زبيد	إلى أبياتها يوم النزال

(قال الراوى) فلما فرغ الجفران من ذلك النظام ساروا يقطعون البرارى والاكام حتى وصلوا إلى ديار بنى همدان وأغاروا عليهم وانزلوا بهم الذل والهوان ولم يزل الغضنفر وعنيترة والجوفران يقتلون منهم الشجعان ويدمرون الاقران وكان لهم ساعات من ساعات الزمان فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار وقد قتلوا منهم الفين فارس كرار وأغاروا من بعدهم على بنى جديلة وأحلوا بهم نوبة وبيلة وقاتلوا فيهم وأظهروا الحتوف حتى تقلدت فى أياديهم السيوف وتجددت المطامع وصمت المسامع هذا وفرسان بنى عبس صارت تضرب الاعداء الضرب الوجيع حتى أسالوا من الفرسان الدم النجيع وجندلوهم على الصعيد حتى أفنوا كل بطن صنديد وأغاروا على فرقة من بنى شيبان وانزلوا بهم الذل والهوان وطرحوهم على الصحصحان وقاتل فيهم الغضنفر وأخوه الملك الجوفران وعنيترة بمن معهم من الرجال والاقران وعملوا فيهم عمل النار فى الخطب وافتخروا بفعلهم على سائر العرب وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفعلوا فى

حقهم فعالا ذميمة وأغاروا من بعدهم على بنى نمير وأنزلوا عليهم العذاب الأليم وتركوا فى ديارهم الأكل رميم وأحلوا بهم الوساس وقتلوا منهم ألفا وستمائة فارس ثم أنهم أغاروا على بنى معاقل وأحلوا بهم البلاء النازل ونظروا منهم العظائم حتى لطمت عليهم اللواطم وقد مددوا الرجال على التراب وقتلوا منهم ألفا وتسعمائة من الأصحاب وأغاروا بعد ذلك على بنى غيلان وأنزلوا بهم الذل والهوان وسقوهم من كاسات العذاب ألوان وقتلوا منهم الف فارس من الشجعان ثم أنهم أغاروا على بنى ضبية وأحلوا بهم الرزية وسقوهم من الموت شربة غير هنية وقتلوا منهم ألفا وثلثمائة وأغاروا بعد ذلك على بنى ضبيان وشتتوهم فى البرازى والقيعان وقتلوا منهم الشيوخ والفتيان (قال الراوى) هكذا كان يجرى والجمل الذى عليه عظام هنتر واقف فى الميدان وكلما قتلوا قبيلة تأتى اليه عنيترة وإخوتها الغضنفر والجوفران وينادون يا أبانا هاقد أفنينا العربان وأبدنا الفرسان يكفى ماترى يا زين الشجعان وإلا نعود على ما كنا عليه فلم ينطق بلسان لأنه عظام بالية من سنين وأزمان فيقولون أن أبانا لم يزل غضبان وأنه ما اشتفى قلبه من العربان إلى هذا الآن سيروا بنا حتى نفنى بقية العربان فهذا كله من جهل جاهلية العرب فى ذلك الزمان وهاز الوافى ضلال وعدم رشاد وطغيان (قال الراوى) ثم أنهم أغاروا على بنى فزع وأحلوا بهم الغم والفزع وفعلوا فيهم فعلا وبيل وقتلوا منهم ألفا وخمسمائة قتيل وبعدهم أغاروا على بنى يربوع واخلوا منهم الأطلال والربوع لان عتبة بن شهاب مخلى عنهم وقال لهم أنتم حضرتم وقعة بنى عبس بجهلكم فخسروا أرواحكم لحربهم ولاقوا مابلاء الذى نزل بكم ثم أنزل عنهم فحملت عليهم بنو عبس وأحلوا بهم النحس والنكس وحملت أوائلهم الغضنفر وعنيترة والجوفران وحمل عمرو وذو الكلب وبقية الفرسان وأنزلوا بهم الذل والهوان هذا وقد ضاقت على الاعداء المواضع وتركوا الطيور فى لحومهم روائع ومكنوا منهم السيوف البواتر وقتلوا منهم ألفين من الفرسان الاكابر ثم أنهم أغاروا على من بقى من بنى عامر وأداروا عليهم الدوائر ومكنوا منهم السيوف البواتر وقتلوا منهم الفا وأربعمائة ثم أنهم أغاروا بنى بارق ومسكوا عليهم المضايق ومكنوا منهم الرماح الخوازق وبان الكاذب من الصادق ودار عليهم الدوائر ولم يدعوا منهم لا باديا ولا حاضر وقتلوا منهم ألف قتيل مشاهر ثم أنهم أغاروا على بنى ضرار وأخلوا منهم الديار فتلقتهم بنو سليم وبنو ضرار فى الف فارس من الابطال لله درهم من الرجال أفيال أجادوا معهم فى القتال واشتد منهم النزال وعظمت الاهوال فعند ذلك سالت الدماء من المناكب وحلت بهم المصائب ودارت على بنى سليم وضرار الدوائر والنوائب وتمكنت منهم المضارب ولم يبق منهم لا ماش ولا راكب فلله در الامير الغضنفر وعنيترة والجوفران وعمرو ذو الكلب وياسر وليث الميدان وزيد بن عروة وسبيع اليمن وأسد الفوارس والديال

ابن الغضبان على ما فعلوا بالفرسان الأخيار من بني سليم وبني ضرار وقتلوا منهم ثلاثة آلاف قتيل من الرجال الأخيار وأغاروا بعد ذلك على بني القين وأنزلوا عليهم العذاب المبين وقتلوا منهم ألفا ومائتين (الأصمعي) وأبو عبيدة الراويان لهذا الكلام ولولا الإطالة لذكرت كل قبيلة بوقعتها وحربها وما جرى عليها من قصتها وكان عدد القبائل الذين أغاروا عليهم وأفنوا رجالهم وقتلوا أبطالهم قد بلغ مائة وسبعين قبيلة ما منهم إلا كل بطل محارس قال ولما تسامعت بهم بقية القبائل وأنهم فعلوا بالعرب هذه الفعائل تعلقوا برؤس الجبال ومنهم من اختفى في بطون الأودية الخوال ولما أشفوا الغليل وفعلوا بالعرب ذلك الفعل الوبيل عادوا راجعين إلى ناحية العلم السعدى وأرض الشربة ليجتمعوا بمن هناك من الأحبة والملك زهير بن قيس بين أيديهم كأنه الأسد الوثاب وقد نشرت على رأسه راية العقاب وإلى جانبه الأميرة عنيتر وإخوتها الغضنفر والجوفران وما منهم إلا كل ليث قسور وهم فرحون بالنصر والظفر وبين أيديهم حريوا الخذروف وبقية الفرسان ومن خلفهم الملك صفوان ولم يزالوا سائرين والخيل بينهم تجرى حتى وصلوا إلى أرض الشربة والعلم السعدى ولما وصلوا إلى أرض الشربة واجتمع الأحباب بالأحبة فعند ذلك نزلوا فيها واستقر بهم القرار وأنست بهم الديار فعند ذلك بسطوا البسط والمفارش وجلسوا بلا مضارب ولا خيام وأقاموا هناك خمسة أيام إلى أن خلا بالهم من الضرب والصدام فعند ذلك أمر الغضنفر والجوفران بحضور جماعة من العبيد الأعيان العارفين بمنازل العربان فحضروا في عاجل الحال إلى بين يديه فأمر زيد بن عروة أن يكتب الكتب ويسلمهم إليهم وأمرهم أن يسيروا بها إلى قبائل العرب وحماتها الذين اشتركوا في دماء بني عبس يوم إقبالها وقد داروا عليها وأخذوا منهم بالثار وكشفوا ما كان عليهم من العار (قال الراوى) وكانت نسخة الكتب وما تقرر بأن أمر الملك الجوفران وأخوه الغضنفر وأختهم أم الزعازع عنيترة بنت عنتر وكذلك الملك زهير بن قيس مالك عبس المفتخر بأن يأتى المقدمون منكم والأبطال وكبار القبائل ويأتوا معهم بالنوق والجمال لأجل أن تنحر على قبر أبي الفوارس عنتر بن شداد وأن تسرعوا في المجيء لأجل الفداء حتى تحضروا العزاء مع جملة من له من الأولاد ولا تعطوا تهاوناً ولا احتجاجاً ولا بعاد وكل من تكبر على المجيء أو اعتذر فنحن نعود بالغزو عليه ونوصل الأذية إليه ونأخذ روحه من بين جنبيه وقد أنذرناكم ومن لا يصدق لا يسأل عما يجرى عليه (قال الراوى) لهذا المقال الذى ما يفعله إلا كل جاهل من الجهال ثم أنهم سيروا الكتب مع العبيد إلى سائر الحلل والقبائل وكلما وصل كتاب إلى قبيلة تجيب بالسمع والطاعة وترحل في عاجل الوقت والساعة ويرحل أميرها في كبراء عشيرته والمقدمين من قبيلته ووصلت الكتب إلى سائر القبائل ورجعت العبيد في أيام قلائل فعند ذلك رحلت القبائل ونهى طالبة أرض البشرية وتلك

الاطلال وقد أكثرت فى صحبتها من النوق والجمال وجمعت من الهدايا والتحف العوال خوفا من أولاد عنتر بن شداد ومنهم من أتى محبة وودادا فكان أول من قدم عليهم دريد بن الصمة وفى صحبته جماعة من كل ليث ذوهمة وأتى سبيع بن الحارث فى سادات بنى حمير وكل منهم يتقرب بالمجىء إلى أولاد عنتر وأقبل بنو عامر وبنو كلاب مع عامر بن الطفيل وأقبلت بنو غبان يقدمها المهلهل وزيد الخيل وأقبل بعدهم الأمير عمرو بن سعد نكرب الزبيدى وأقبلت بنو شيبان يقدمها الأمير هانىء بن مسعود الكريم الآباء والجدود وأقبلت بنو ربوع يقدمها عتبة بن شهاب وأقبلت بنو ذهل وبنو مشاجع وبنو مذحج وبنو عاملة وبنو باهلة وبنو تميم وبنو قشير وبنو ضبية وبنو رياح وبنو وشاح وبنو الطماح وبنو شمراخ وصارت العرب تتلاحق بعضها البعض وتقصد أرض الشربة والعلم السعدى حتى ضاقت بهم تلك الأرض وانفرشوا فيها طولا وعرضا وصارت كل قبيلة إذا قدمت وتوطنت تأخذ بنو عبس عددها وسيوفها وساترماحها وجميع سلاحها (قال الراوى) وكان هذا من جملة تدبير جرير والخذروف لأنهم خافوا عليهم من الأعداء إذا اجتمعوا لكثرتهم أن ينزلوا بهم الحتوف وبما على غفلة منهم يفعلون بهم فعلا يقعوا به فى المهالك وصاروا يأخذون سلاحهم ففرح الفضفر والجوفران بذلك ثم أنهم أقاموا ألف فارس بالسلاح كل يوم بالنوبة تكون زاكبة خيولها مشهرة فى أيديهم السيوف والرماح قائمة فى الخدمة برسم حفظ القبيلة خوفا من المذمة والافتضاح كيلا يبدر من العرب أمر الأسور فتتعب من أجله القلوب والصدور وكانت فرسان بنى عبس الذين عليه المعتمد لابة سلاحها والزردوسيوفها مشتهرة على ركبها فى الميدان مثل الفضفر وعنيترة والجوفران وباسر وليث الميدان وأسد الفوارس والديال بن الغضبان وزيد ابن عروة وصبيح اليمن شجاع الزمان وعمرو ذو الكلب فارس الزمان والملك زهير ملك بنى عبس وعدنان ومن يجرى مجراهم من الأبطال والشجعان وذلك كله لأجل احتقار العربان (قال الراوى) ولم تزل قبائل العرب تتواصل مدة عشرين يوما ثم انقطع المدد وقد علموا أنه لا يقدم عليهم أحد فعند ذلك شرعوا فى حفر قبر عنتر ودفنوا عظامه ووارووه فى الحفرة هذا وقد تقدم قدام القوم الملك زهير بن قيس ونحر مائتى ناقة ولم يقل لا لم ولا ليس ثم بكى بكاء عظيما بدمع مهطول وأنشد وجعل يقول .

أمن الحوادث والمنون الارزع ... وأبيت ليلى كله ما أهجع
لازلت ذا حزن وأبكى عنترا ... ولمثله تبكى العيون وتجزع
ولقد علمت بأن كل مؤخر ... يوما سبيل الأولين سيتبع
حاد ابن شداد الكمى بنفسه ... ولقد ترى أن العزى لاينفع
يا ابن الكرام أولى المفاخر والعلا ... قد كنت فى الفرسان سيفا يقطع

يا آل عبس اجمعوا ثم اندبوا ... من كان يحمينا بأرض تفزع
يا آل عبس قد شفت بكم العدا ... من بعد عنتره الكمى الأروع
يا آل عبس احزنوا طول المدا ... من أجل فارسنا الشديد الأشجع

(قال الراوى) ولما فرغ الملك زهير من أشعاره تأخر وقد بلغ من الأحزان كل اوطار وتقدم من بعده دريد بن الصمة وقد مزق ثيابه وحثا التراب على رأسه وتصاعدت أنفاسه وكسر سيفه وقناته ونحر على قبر عنتر مائتين وخمسين ناقة وياحقه فى ذلك منهاتها ون ولاعاقة وتقدم عند القبر وبكى وأن واشتكى وجعل يقول صلوا على طه الرسول :

وهى جلدى من نزحة أى نزحة ... لقد هام ضيغم ذا خميـــة
لفقد شجاع لو دعى سيدع ... يصول على الأعداء بعزم وهمة
فيا مقلتى جودى عليه بحرقة ... ولا تبخلى بل ساعدينى بدمعة
بكته ملوك الخافقين بأسرها ... وعم الأسى والحزن كل البرية
وبيض الظبا والهند والزرد الذى ... تدرعه فى كل يوم كريهـــة
فقد مات الفخر والجود والعلا ... لفقد الذى قد كان سامى العزيمة
أبا جوفران القيل صبراً لفقده ... فحكم قضاء الله عند المشيـــئة
يعز علينا أن تعازى بسيفه ... وسند قوم كان عزى قبيـــلة
فلا زلت فى عز يدوم ونعمة ... على حالة تعلوا على كل حالة

(قال الراوى) وما فرغ دريد بن الصمه من شعره حتى نهض له زهير بن قيس وشكره وأجلسه فى مرتبته وقام من بعده ذو الخمار وقد باح بالأسرار ونحر من النياق مائتين وعشر أبكار بعد ما فرق ما عليه من الأطمار وكسر سيفه البتار وأجرى دموعه الغزار وتقدم إلى قبر عنتر وجعل يرثيه بهذه الأبيات :

أيا عين أبكى لعنتر بن شداد ... بكا حزين غدا فى شجوه باذى
يا من رأى قاربا قد بت أرمقه ... إذمات ذوالأسد المعروف بالصاد
أبو الفوارس ليث الموت أخوه ... قدكان خصنى وركنى عندأسدادى
جميع أهل رعاة الخيل قد علموا ... زين القرين وخصم الظالم العادى
أيا زبيبة لا تخشى فكل فتى ... يصير رهنا لأسياف وأسوادى
فلا وعينك ما أسلوك يا أمـــلى ... حتى أعود إلى رمس ابن شداد
والله لا زلت أبكى عنترا أبدا ... ما سارت النجبا يجرى بها الحادى

(قال الراوى) وما فرغ ذوالخمار من تلك الأشعار حتى تباكت الحضار وقام إليه الجوفران وأجلسه فى أعز مكان ونهض من بعده عامر بن الطفيل وكان تدقتل جلده والحيل وأجرى

دموعه كأنها السيل ونحر ثلثمائة ناقة وجمل وقد أراد التقرب إلى قلب أولاد عنتر بهذا العمل ومزق أثوابه وعلا بكاؤه وانتحابه وكسر سيفه وقناته وقد تغيرت من البكاء جميع حالاته وتقرب إلى القبر وجعل يقول :

دمع كما حكم التفريق مهتون ... ومغرم قلبه بالبين محزون
ياقبر عنتر ها قد صح ما زعموا ... مات الشجاع وأضحى وهو مرهون
وبلاه ويلاه يامولاى لو نظرت ... عيناك عبدك لا دنيا ولا دين
مات الأمير ومات الجود واندثرت ... عين الشجاع وعين الصدق مغبون
مات الذى لم تزل راياته أبدا ... وسعده بلقاء العز مقرون
مات الذى كان من جود ومن كرم ... كمثل من سبقوا والقلب محزون
أعز أبلج محمود علائقه ... وعزمه المنتنى والوجه ميمون

(قال الراوى) فما أتم عامر إنشاده حتى تقطعت القلوب والأكباد من كثرة البكاء والنواح والتعداد وقام إليه الغضنفر وأجلسه فى مكانه المعتاد وشكره وأثنى عليه وإذا بصوت قد أفزع الكبود فى بكاء له دمدمة ورعود وهو مسربل بأثواب سود قتيبة القيام والقعود وإذا به هانىء بن مسعود الكريم الآباء والجدود وكان قد قدم ومعه مال ممدود حتى ينحره على قبر عنتر الفارس المذكور وشمر عن ساعديه والزند ونحر ثلثمائة ناقة وخمسين قعود ومزق ثيابه وحثا التراب على رأسه وكسر قناته وسيفه وأشار يقول صلوا على طه الرسول .

عم المصاب وطاشت الأحكام ... وتنكست لوفاته الإعلام
فقد كنت أرجو منك عنتر نظرة ... فاذا دهت بوفاتك الأيام
يامن إذا جرت الملوك إلى العلا ... فنصيبه التقديم والاعظام
يا واهب الآلاف مثلك لم نجد ... أبداً وهل يجدى جداك كرام
يامن للعشائر والجيوش إذا انتمى ... يوم الكريهة للكفاح حسام
من للكتائب والمواكب ناصرا ... إذ صالت الاعداء وهو إمام

(قال الراوى) ثم قام من بعده الأمير عمرو بن معديكرب وقد أنشد أبيات تقتضى الحزن والحسرات وما بقى أحد فى ذلك اليوم من الفرسان الأجواد إلا ورثى الأمير عنتر بن شداد تقربا لقلب من له من الأولاد ولولا خوفنا من الإطالة وملال السامع من المقالة لشرحنا ما أنشدت العرب ومارثته به السادات من ذوى الرتب وكان منهم من أنشد ورثى حزناً ومحبة ومنهم من رثاه خوفا وفزعا مما صار لأولاده من الهيبة (قال الراوى) وبعد ما صار لهم من الأشجان قعدوا على بساط العزاء والأحزان والعرب تقدم عليهم من كل جانب ومكان وعنيترة والغضنفر والجوفران لا يقطعون التفجع والبكاء بلا صبر ولا سلوان فبينما هم فى

ذلك الشأن وإذا بغبار قد ثار وبعد ذلك انكشف الغبار وبان عن فرسان كأنهم العقبان فلما عاينوا بني عبس وعدنان وتلك العربان ترجلت في عاجل الحال الفرسان وأشرعت نحو الغضنفر والجوفران وقبلوا الأرض بين أيديهم وسلموا عليهم وقالوا لهم يا ملوك الزمان قل ورد عليهم هرقل بن قيصر حتى يحضر عزاء والدكم عنتر سيد الفرسان قال وكان السبب في قدومه إلى أرض بني عبس وعدنان هو عمرو بن الحارث ملك بني غسان فانه كان كل قليل يأخذ أخبارهم ويكشف آثارهم فسمع أنهم قد أفنوا العرب ونهبوا الفرسان وأما بهم القريب والبعيد وما عاينوا منهم من ذلك الهول الشديد فعند ذلك أرسل أعلم الملك قيصر بجلية ما سمعه من الخبر قال فلما سمع الملك قيصر ما صح له من أخبارهم أرسل ولد هرقل يعزيهم في أبيهم عنتر ويهنيهم بأخذ ثارهم بعد العزاء أن يخلع عليهم جميعاً على قدر أحوالهم وكل واحد منهم على قدره الكبير منهم بكبره والصغير بصغره فاجابه ولده بالسمع والطاعة وخرج بالخزائن والأموال من تلك الساعة واصطحب معه الرجال والهديات والجواري الرومیات والخيول العوال وكان ذلك شيئاً كثيراً ما يبهر البصر ويحير الفكر وسار ليلا ونهاراً إلى أن وصل إلى دمشق الشام وأقام بها أياماً حتى استراح ورحل منها فرحل معه عمرو بن الحارث وتبطنا في تلك البراري والبطاح ثم سار إلى أن قربا من الديار وبانت لهما الآثار فأرسلا هذه الفرسان يخبروا بني عبس بقدومهم قال ولما صح هذا عند الغضنفر والجوفران التقوا بملوك العربان وأمروهم بالركوب إلى ملتقى الملكان فركب شيخ العرب دريد بن الصمه وذو الخمار والعباس بن مرادس وعمرو بن معديكرب والأمير هانيء ابن مسعود وعتبة بن شهاب اليربوعي وكان قد أتى عقب الناس وركب أيضاً زيد الخيل والملعون عامر بن الطفيل وركبت ملوك السودان وفي مقدمتهم خال عنتر الملك صفوان بن معدان وسار إلى لقاهم حماة القبائل وفرسان العربان والتقت الفرسان بالملك عمرو بن الحارث وهرقل بن قيصر ودعو لهما بطول العمر والبقاء واعتذروا لهم عن لسان أولاد عنتر ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى العلم السعدي ونزلت الجيوش ونزل الملك هرقل قريباً من قبر عنتر ومشى حتى صار واقفاً بجانب القبر وانكأ على جانبه وبكى لما وصل إليه بأربعة آلاف ناقة كانوا قد ساقوها معهم لذلك ونحروها عليه (قال الراوي) ثم بعد ذلك بكى بكاء شديداً وأقبل راجلا يمشي على وجه الصعيد ومن خلفه الملك عمرو بن الحارث فعند ذلك جاء إليه الملك زهير والملك الغضنفر والملك الجوفران والأمير عمرو ذو الكلب وزيد ابن عبيدة وياسر وليث الميدان وجميع من كان حاضراً ومنهم من مشى والتقى بالملك هرقل إلى قدام وقد أجلسوهم في أعلى مكان وجلست بين أيديهم جميع الفرسان وأقاموا كذلك اليوم بجميعهم يتحدثون فيما صار لهم من الشأن وما فعلوا في غزو العربان قال ولما أصبحوا

الصباح وأقبلت عليهم العبيد والرعيان وأتوا إليهم من أبعد مكان وأخبروهم أن قد لاح لهم من الشرق غبار حتى سد الأقطار فأرادوا أن يرسلوا من يكشف لهم الأخبار وإذا بمائة فارس قد قصدوهم ولما تقربوا منهم تبينوهم فعرفوا أنهم من بنى لخم وجزام وبنى شيبان ومن ورائهم الملك المنذر بن النعمان فخرج إليهم الملوك والأمراء والفرسان وترجلوا إليهم وتلقوهم من أبعد مكان فعند ذلك أمروهم بالركوب مع جميع الفرسان والأمراء وقالوا لهم اركبوا وسيروا والتقوا بابن الملك كسرى قال وكان لمجيء هؤلاء الملكين سبب عجيب وأمر مطرب غريب وذلك أنه وصل إلى كسرى أخبار خارجى قد خرج على الدولة الكسروية وقد ملك البعض من البلاد الخراسانية فعند ذلك أحضر الوزراء والحجاب واستشارهم فيما يفعل من تلك الأسباب وكان يقال لهذا الخارجى بيرديك بن مردشان فأشار عليه أحد بشىء إلا وزيره الموبذان وقال له ايها الملك الزمان أعلم أن ثبات ملك الأكاسرة كان من قديم العصر والأوان إلا أن أباك كان إذا عصت عليه العرب ردها بالعجم وإذا سطت العجم ردها العرب وأنزل بها النقم والرأى أنك ترسل إلى نائبك على العربان المنذر بن النعمان وتأمره أن يسير إلى سائر البلاد لاسيما وقد سمعنا أن عنتر بن شداد قد ظهر له ثلاثة أولاد فيهم أميرة تسمى عنيترة وقد فاقت على سائر الأقران وقهرت الأبطال وأحدهم يسمى الملك الغضنفر والآخر تسمى الملك الجوفر ان وقد تيسر الأمر وانقضى الشغل وهان فلما سمع الملك كسرى من وزيره ذلك القول والبرهان أمره أن يكتب إلى الملك المنذر بن النعمان أن يسير إلى أولاد عنتر عنيترة والغضنفر والجوفران وكل من فى أرض الحجاز من الفرسان فلما وصل الكتاب إلى المنذر أمر برد الجواب بحسن الايراد بأن جميع فرسان الحجاز عند أولاد عنتر بن شداد ولهم مدة ثلاثة أشهر يعملون فى عزاه وكل من فى تلك البلاد توجهوا إلى النادى فلما وصل الكتاب إلى الملك كسرى وعلم بما تم من ذلك الأمر وما جرى قال وحق النار والنور وتربة جدى سابور يجب علينا أن نعزى غلماننا ونقيم بجاه أصحابنا لأن عنتر كان له علينا خدم كثيرة وعلى آبائنا فقال له الوزير هذا رأى صائب فعند ذلك أمر بتجهيز العشائر والكتائب ورسم لهم بالتشاريف والخيول الخاص والجنائب بمراكب الذهب لأجل أولاد عنتر وخلع خلعا كثيرة لأجل الفرسان ثم أمم ولده وكان يقال له جردبرد بأن يسير إلى الحيرة ويأخذ المنذر ويحيره هو وإياه إلى بنى عبس لأجل العزاء لأولاد عنتر ويهنيهم بأخذ ثارهم ويخلع عليهم الخلع السنية ويهنيهم بما ظهر لهم من علو المنزلة والشجاعة فعند ذلك أجابه بالسمع والطاعة تجهز ورحل من تلك الساعة وقد رفعت على رأسه الأعلام والرايات ودقت وبين يديه الطبول والكاسات ونشرت له الرايات والازدهارات ولم يزل سائراً حتى وصل إلى الحيرة وهو بتلك الصفات فخرج الملك المنذر إلى لقاه وقد دارت من حوله أكابر دولته وترحيب كل به وحياه

ونزل عنده فى قصر المملكة وأقام فيه ثلاثة أيام والملك المنذر يبذل له ولجيشه فى الضيافات والاكرام وبعد ذلك رحل طالبا أرض الحجاز ومنازل بنى عبس وتلك المفازات التى هى موصوفة بأرض الشربة والعلم السعدى ولم يزالوا فى سيرهم مجدين حتى قربوا من ديار بنى عبس وهم على ذلك المعنى وسبق المنذر إليهم وبشرهم كما ذكر نا فقامت الملوك والأمراء وساروا الجميع إلى ملتقى ابن الملك كسرى واقبلت الجيوش والعشائر من العرب والعجم لانه فارس مقدم وملك محتشم (قال الراوى) فعند ذلك دقت الكؤسات والطبول وانزعجت الأرض عرضا وطول وترجلت العالم واصطفوا صفين وتفرقوا فرقتين ثم ترجل الملك هرقل بن قيصر ومشى إليه الملك الجوفران وأخوه الغضنفر فعند ذلك حلف عليهم الملك هرقل أنهم لا يترجلون فابوا عن ذلك وحلفوا عليه أنه لا يسير إلى الخيام إلا وهو راكب معزة فيه وقبلوا يديه فانحنى ابن كسرى إليه وقبل رأس الجوفران وبين عينيه ربا الركوب أشار إليه فعند ذلك ركبت الملوك والفرسان وساروا يمشون المكان وهم راكبون إلى جانب بعضهم فى تلك الفلوات والقيعان إلى أن وصلوا إلى أرض الشربة والعلم السعدى والملوك والامراء والفرسان بين أيديهم ولا أحد منهم بعيد ولا يبدى قال وتقدم ابن الملك كسرى إلى أن وصل إلى قبر عنتر وترجل وكذلك ترجل ابن الملك قيصر وكل من حضر فى ذلك المقام وأمر ابن الملك قيصر أن يذبح على القبر ألف ناقة من النوق العصافيرية وأقبل بعد ذلك على بنى عبس وحياهم الكبير منهم والصغير وسعى إليه الملك زهير بن قيس على أقدامه وقبل الأرض بين يديه ومشى قدامه وكذلك الغضنفر والجوفران وبقية حماة القبائل والفرسان والملوك بالرحب والسعة وأكرموه غاية الاكرام وما منهم إلا من سعى ماشيا على الأقدام بين يديه ونصبوا له كرسيا عاليا فجلس عليه وسائر الفرسان والأمراء واقفون بين يديه وسائر الملوك تتقرب إلى قلب ولاد عنتر بكل ما تصل إليه قال فعند ذلك نهض الملك المنذر على قدميه ومشى إلى عند قبر عنتر وأشار إليه وبكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

حل المصاب ففى الفؤاد راسا ... لرزيه قدمت وحل البؤسا
فقد الشجاع الليث عنتر يالها ... من نكبة وفجيعة زعكوسا
سل من مضى فلكم اسال مدامعا ... حزنا عليه وكم أذاب نفوسا
اسفى على من غاب عنى شخصه ... تحت الثرى فى مهمه مرموسا
بكت السماء لفقده ولموته ... دما واصبح عيشنا منكوسا
هوت النجوم الزهر عند مصابه ... والافق اظلم وانكسفن شموسا
والبدر منكسفا غدا فى تمه ... حزنا وقد امسى باعظم بؤسا

خلت المرا كب والمراكب من فتى عبس وفارق ربعه المأنوسا
يا آل عبس قد فقدتم فارسا كم قد فتى جمعا وفك حبوسا
مردى الفوارس عند مشتجر القنا يوم النزال وقد أطاح رؤسا
قد كان ليثاً فى الحروب غضنفراً حامى العشيرة فارساً محروسا
ويل لعبس ما لقيت من بعده ذلا ونهباً من ليوث شوسا
قد طال ما صان الحريم من العدا من بعد ما تركوا الديار هموسا
أرداهموا بحسامه وسنانه وسقاهمو بالسمهرى كؤسا
قد كان ذا راى مصيب راشد وبقامه بين الرجال نفيسا
فلا بكين على ما هب الصبا بمدامع تجرى وترى العيسا

(قال الراوى) فلما فرغ المنذر من ذلك الشعر والنظم تام إليه شيخ العرب دريد بن الصمة والأمير هانىء بن مسعود وجماعة من الفرسان وأجلسوه إلى جانب ابن كسرى فى أعلى مكان وإلى جانبه الآخر الأمير هرقل بن قيصر والغضنفر والملك الجوفران ثم أنهم بقوا على ذلك مدة أيام وهم فى أكل طعام وشرب مدام وخيرات واتعام ثم أن ابن كسرى أمر باحضار الخلع ليخلع على فرسان العرب فلما حضرت خلع على الملك زهير خلعة سنيه وعممه بعمامة حزكوفية واركبه على جواده بمركب ذهب كذلك دريد بن الصمة لأجل كبره وتوقيره ولأجل تقدمه على الفرسان وخلع على الملك الغضنفر والملك الجوفران وكانت خلعا بالذهب حسان ثم أرسل إلى أختهم الأميره عنيترة خلعاً سنية غالية الأثمان لأنها كانت منعزلة فى غير ذلك المكان وكذلك أمها الهيفاء قناصة الرجال لأنهما كانت مجتمعتين مع الملكتين أم الغضنفر والجوفران اللتين هما كانتا نسماء عنتر فى قديم الزمان وقد طوق الملك الجوفران بطوق من الذهب وبعد ذلك خلع على ملوك العرب وخلع على كل فارس منتخب ولم يدع أحدا من الأمراء ولا من الفرسان حتى شرفه بذلك التشريف وخلع عليهم خلع الحسان قال ولما كان بعد ثلاثة أيام أمر هرقل بن قيصر باحضار الخلع الحسان وما كان أتى معه من الأنعام وخلع على ملوك بنى عبس وقد ابتدأ بالملك زهير والغضنفر والجوفران وبعدهم خلع على بقية الفرسان وعلى ملوك العربان وعلى حماة الجيش وكبراء العشائر على حسب التدريج من الشجعان وكذلك أرسل إلى الأميرة عنيترة خلعة سنية عالية الأثمان وأنفذ لها خلع كثيرة لتخلع على من عندها من النسوان مثل أمها الهيفاء وضرتها بنت أخى الملك قيصر وكذلك أم الملك الجوفران وكل من عندهم من النسوار التى لملوك العرب والفرسان وفعل الملك هرقل كما فعل ابن كسرى أنوشروان وزادهم على ذلك أضعافا لأجل ما بينهم من المعرفة من قديم الزمان وأيضاً فعلت نوابهم ما قدروا عليه من الإحسان وهما المنذر بن النعمان والملك عمرو بن الحارث

الغساني فاستبشرت بذلك جميع العربان ارجال منهم والنسوان وفرحت بذلك جميع الشجعان وخلعوا عنهم ثيابهم الاحزان وكان لهم على ذلك عشرة أيام وقد استغنت من كثرة الاموال الفرسان ورتعت في تلك النعم الامراء والعبيد والغلمان والشيوخ والشبان وفضوا النزاء ومضى كأنه ما كان وتفرقت بعد ذلك الجموع كأنهم لم يكونوا في ذلك المكان قال وبعد ذلك أحضر ابن كسرى إلى بين يديه الغضنفر والجوفران وأظهرهما على أمر الخارجي الذي خرج على أبيه من أرض خرسان وقال لهم إذا أرسل إليكم لا تتخلوا عنه أنتم ومن تقدروا عليه من العربان فأجابوه بالسمع والطاعة هم ومن معهم من الفرسان ثم رحلت الملوك كل واحد طالب أرضه ومن له من الاطلال وأيضا حماة القبائل وما تحت أيديهم من الابطال وبقيت بنو عبس هادئين السر مستريحين من القتال مدة أيام وليال وهم في الولائم يرتعون وقد خافتهم جميع من بعد منها ومن اقترب وعاد عزهم قوى ما كان وأخلف عليهم الزمان بأولاد عنتر وهم عنيترة والغضنفر والجوفران وقد صارت بنو قراد أحسن ما كانت على أيام حاميتهم عنتر بن شداد وكذلك لأجل خلفته لهذه الثلاثة الأولاد الابطال الشداد وأقاموا على ذلك الحال مدة من الزمان وهم في أمان واطمئنان وبعد ذلك اشتاق الملك الجوفران إلى بلاده وما له من الاوطال وكذلك والدته زادبها الهيمان لانه ما أعجبها ذلك الفلاة فقضوا أشغالهم وأرادوا السفر فشاوروا في ذلك إخوته عنيترة والغضنفر فما قدر واحد منهم يعارضه فيما أمر فعند ذلك أراد الغضنفر أن يفعل كما فعل أخوه ولما خطر ذلك الخاطر الذي به قد خطر شاور والدته في ذلك فكانت إليه أسبق وبه أسر لانها قد اشتاقت إلى أرضها وبلادها وقد أخذها القلق وكانت إلى وطنها أشوق فاتفق الامر على ذلك الحال وفي ساعة الحال أمروا بإحضار النوق والجمال وحملوا أموالهما ومتاعهما وما لهما من الاثقال بعد ما شاوروا الملك زهير فلم يتعرض لهما بحال من الاحوال (قال الراوي) ثم أنهم صاروا وقد خرج إلى وداعهما جميع من الحلة من الرجال وسائر الابطال وسار والوداع بهما ثلاثة أيام وبعد ذلك وقف أولاد عنتر في ذلك البر والاكام وحلفوا على بني عبس وردوهم إلى ديارهم والمقام لان آخر الوداع الرجوع والمفارقة بعد الالتمام وصار كل منهم في طريق منازله والاطلال وعادت بنو عبس طايبين ديارهم الرجال منهم والاطفال ولكنهم لم يمروا على حلة إلا نهبوها ولا أموال إلا كسبوها إلى أن اجتمع معهم غنائم كثيرة وكانوا يفعلون تلك الفعال فيمن تبقى من أعدائهم ويرونه فيه الصواب والحيرة ولم يزالوا سائرين وهم يقطعون البراري والقفار إلى أن قربوا من الديار ونزلوا وباتوا على بعض الغدران والانهار وقد كان معهم الغنائم التي غنموها أربعمائة عبد من العبيد الذين لبني عكس وعدنان وأيضا جماعة من بني قضاعة الشجعان قال ولما نزلوا في تلك الارض واستقروا وأكلوا الطعام مع بعضهم بعض واستراحوا إلى الصباح فعزموا بعد ذلك

على السفر والرواح فافتقدت العبيد الموكلون بالخدمة جواد الملك زهير فما وجدوه وإلا عرفوا امر اخذه فقدفقدوه فهاج الجيش واندهل كل احد وتحير فقال الملك زهير والله لقد تم علينا ما يتم على الحضر فقالت عنيترة أيها الملك لا تحزن ولا يأخذنك من ذلك فكر فوحق خالق الخلق ومنبع الماء من الحجر فالذى اخذ الجواد لو طار فى السهل والوعر لأذيقنه الموت الأحمر فعند ذلك نهض جرير وقال للملك زهير لا تحزن فما اخليك نرحل من هذا المكان إلا وجوادك تحتك فأما ان اقع به وبمن اخذه فيكون بسعادتك وبختك ثم ان جريراً تحزم وتعمم وكذلك فعل الخذروف الآخر تعمم وتحزم ثم ان جريرا قال لعنترة يا ابنة الأخ لا ترحلوا من موضعكم حتى آتيكم بالجواد وبمن اخذه ولو طفبا ناثر البلاد ثم انه اخذ معه ابن اخيه الخذروف وسار طالبا الأودية والأوعار وهو مثل الطير إذا طار وإلى جانبه الخذروف وكل من رآهم لا يظن انهما من الانس بل انهما من العمار لانهما كانا ليسا لهما مثاقى وسارا يستقصان الآثار ويقتفيان الأخبار ليلا ونهارا مدة ثلاثة ايام ولما كان فى اليوم الرابع ظهر لهما اثر جواد طالب صوب ديار بنى ضمرة فلما نظر جرير والخذروف ذلك قزعا وعلما انها عليهما سفره مباركة قال فعند ذلك جدا فى المسير وغدوا غدوا يعجز عنه الطير الذى يطير وإذا نفارس سائرا امامهما فلما نظروه تبعاه واخفيا حسهما إلى ان مضى من الليل الأكثر وقد كل ذلك الفارس من المسير والسفر ونزل على بعض الغدران وهو قد امن من نوائب الزمان وعلق على جواده وقد اطمأن قلبه وفؤاده فعند ذلك وثب جرير والخذروف إلى جواده وإذا به جواد الملك زهير والسلال الذى اخذه قاعد على جانب الغدير وهو يغسل فى يديه ورجليه وله وجه مثل القمر المنير فتبينه وإذا به شاب اسمر اعطر كانه فلقة قمر لا نبات بعارضيه فعند ذلك لاست من السلال التفاتة فنظر جرير والخذروف وقد رمقهما بعينه فطار الشرر من منخريه ووثب على قدميه قائما واخذ خنجره بيده وحمل على جرير والخذروف وقلبه عليهما ملهوف (قال الراوى) هذا والخذروف وجرير لما نظرا إلى ذلك السلال انه قد طلبهما قد اخذا هبتهما للهجوم عليه ووصول الأذية إليه واخذ جرير عن يمينه والخذروف عن يساره وكل واحد منهما مجتهد فى قتله ودماره فلما نظر السلال ذلك الحال علم انه فى مقام الخطر مع هؤلاء الأبطال فقال السلال فى نفسه لابد ان اخذه معهما فى القتال إلى ان يصبح الصباح ويبين الأودية والبطاح وانهزم من قدامهما واطلب الرواح وإن نصرت عليهما اكن من الرجال الأوقاح ثم ان السلال خرج عن الاثنين واوسع فى المفدان وجمعهما بين يديه مثل العصافير إذا طردتهما العقبان واخذوا الضرب والطعان وصار يهز قدامهما مثل هزات الغزال وكلما طلبه جرير بضربة لم يجد له خيال وكلما طلبه الخذروف ليضربه لم يجده قدامه ولا رآى مولهما مثال فحار الاثنان فى

سب السلال وهجم عليه هجمة أسد الدحال وانقض عليه كما ينقض الجارح على الحمام وكان مرادهما أن يسقوه كأس الحمام ولما نظر السلال الغدر من الاثنين خرج من بينهما أسرع من لمحة العين وطلب متسع الفضاء وطار بالخافقين فلم يروا أثر غبار وقد اختفى في أقل من ساعة من الأبصار ولم تدركه عين النظار فحار الخذروف وعمه جرير من ذلك الحال وقال ما هذا إلا من الجن وما هو إبدا من الرجال فقال الخذروف لعمه جرير والله يا عم ما هذا من بني آدم بل هذا بلاء مبرم فوحق باري النسيم وموجد الأشياء من العدم لا سمعت ولا رأيت مثل هذا فيمن مضى وتقدم وما بقي في الأمر إلا ان يأخذ جواد الملك زهير ونعود به إلى صاحبه لأنه عنده أعز من أهله وقرابته وهو عنده غاية مراده وبكد اعداءه وحساده فلما سمع جرير كلام ابن اخيه رآه صواب وامر لا يعاب فقال له نعم ما قلت يا ابن الأخ ثم انهما رجعا إلى الجواد وهو واقف يعلك في لجامه وقد انحل حزامه فشدا عليه سرجه وسارا به معهما من وقتهما وساعتهما ولم يركب احد منهما بل سارا مشاة والخذروف ماسك بالجواد وقد اتعبه من المسير في البراري والوهاد ولم يزالا سائرين ليلا ونهارا مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع طلع عليهما غبار حتى سد الأقطار (قال الراوي) وكان السبب في ذلك الغبار ان السلال الذي سرق الجواد من جيش بني عبس وبني قضاعة وطلع في اقل من ساعة كان هو السلال الذي يقال له عمرو ابن امية الضمري وكان قد نشأ في بني ضمرة ولم يعرف له اب وكان قد انتشى في بيت عطارد ملك بني ضمرة وكان عنده بمنزلة عظيمة ولما انتشى وكبر خرج نارا محرقة وصاعقة مبرقة لا يحمد له نار ولا يعد له على عياله وهو فحل جسور وليث صبور ومقدم على الأمور لا يهاب الرجال ولا يبالي الأبطال قال وكان هذا الجواد الذي تخت فضلة كان أخذه من بني نبهان من خيل المهاهل وكان قد وصف بين يدي عطارد سيد بني ضمرة وكان لا يتغافل عنه مرة بعد مرة وكان اسم ذلك الجواد الهطال وكان لا يوجد مثله في سائر الأطلال ولما عيت عطارد الخيل في اخذ ذلك الجواد امتنع الرقاد ووعد السلالين بالأموال والنوق والحال فسارت إلى بني نبهان الرجال فما نال أحد منهم منال ولا بلغ مراد من كثرة العبيد المتولية خدمة ذلك الجواد وقد تعبت السلالون والقصاد وسمع عمرو بن امية ذلك الكلام من الرجال والنسوان والأبطال بأن ملك القبيلة لم يلتذ بمنام على ذلك الجواد فلما سمع ذلك دخل على عطارد وقبل الارض بين يديه فضحك في وجهه وسلم عليه وقال له ما جاء جاءك يا امير عمرو فقال له ايها الملك بلغني من بعض الرجال ان في قلبك اشرا من الجواد الهطال فقال الملك عطارد صحيح ما سمعت رأيا قد حرمت لذة الطعام وامتنع من جفني لذيذ المنام فقال له الملك الحمام وحق من حلل الحلال وحرم الحرام أنا آتيك بالجواد ولو أن حوله قوم ثمود وعاد فقال له عطارد حق ذمة العرب كنت أشاركك في مملكتي وأقاسمك في نعمتي فلما

سمع عمرو ذلك الكلام تحزم واستعد فى عاجل الحال وضرب له لثام وخرج من قدام الملك وشق بين المضارب والخيام ولما توسط البرطلع يجرى مثل ذكر النعام وبقى سائراً يقطع البارى والآكام مدة خمسة أيام وفى اليوم السادس وصل إلى ديار بنى نبهان ونزل على بعض الغدران وأقام ينظر قدوم الليل وفروغ النهار فما لحق يجلس إلا غبار من قدامه قد علا وسد الأقطار وأظلم منه ضوء النهار وكان ذلك الغبار غبار بنى عبس وبنى ضباعة وقد وصلوا إلى ديار بنى نبهان فى تلك الساعة لأنهم بعد ما ودعوا الأمير الغضنفر والجوفران وعادوا راجعين عطفوا على بنى نبهان وكسروهم وقتلوا الرجال منهم وسبوا النسوان ونهبوا العبيد والغلمان وأخذوا المال والخيل والجمال ووقع فى قسم الملك زهير الجواد الحطال فجعله له مركوب وفرح به ونال المطلوب وكان الذى أتى به عنترة فلذلك عنترلا نهار أنه جواد ما ملك مثله كسرى ولا قيصر فلما أخذ زهير الجواد نال غاية القصد والمراد وساروا بعد ذلك طالبين الديار والأوطان فتبعهم عمرو بقوة جنان ولم يزل تابعهم ثلاثة أيام ولما كانت الليلة الرابعة شق عمرو بين المضارب والخيام وتخطى رقاب العبيد والخدام إلى أن وصل إلى المضرب الذى فيه الجواد فرأى حوله خمسة وعشرين عبد أنجاب فذبح منهم عشرة وهم الذين كانوا نائمين فى الطريق وأمدهم الساعدة والتوفيق أو سحب الجواد وتخطى به المضارب والخيام إلى أن صار خارج البيوت وهمز الجواد فطار به كأنه هبوب الرياح ولم يزل سائرا إلى أن أصبح الله بالصباح وقد أمن على نفسه بهلول النهار فى تلك البطاح إلى الليلة الثانية وكذلك الليلة الثالثة ثم لحقه جرير والخذروف وهو على ذلك الحال وقد نزل على الغدير يستريح من المسير وجرى لعمرو ما جرى مع الخذروف وجرير وكان قد قرب من ديار بنى ضمرة فسار عمرو ساعة من النهار حتى وصل إلى الديار وأوقع النفير وحثهم على المسير وسمع عطار ملك القبيلة بما جرى لعمرو من التعسير فصاح الخيل يا أرباب الخيل العجل العجل قبل حلول الأجل فما كانت إلا ساعة حتى ركبت فرسان بنى ضمرة ووكب معها عطارد وسار فى خمسة آلاف فارس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وساروا يجدون المسير خلف الخذروف وجرير مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع لحقوا جريرا والخذروف وهما نزول على بعض الغدران وهما يظنان أنهما نجوا من نوائب الزمان فلما نظروا إلى الخيل دارت بهما من اليمين إلى الشمال وأحاطت بهما الأبطال فى ساعة الحال لم يتم لهما مراد بل إن القوم أسروا الخذروف وعمه جرير وأخذوا منهما الجواد وأقام بنو ضمرة ذلك اليوم ولما كان عند الصباح ركب الملك عطارد ودارت من حواليه بنو ضمرة الأفران وساروا طالبين ديارهم والملك عطارد فرح بأسر جرير والخذروف وأخذه للجواد وهو كأنه ملك الدنيا بطرفيها واحتوى على كل من

فيها وشد جرير والخذروف على جوادين بالعرض وساروا يقطعون الأرض ليلا ونهارا إلى
إلى الديار ونزلوا قريبا من القرار وقد ربط الملك عطارد جرير والخذروف فى بعض
الخيام ووكل بهم العبيد والخدام وأقام فى الشد ثلاث أيام ولما كان فى اليوم الرابع دخل
عليهما بعض النساء وبيدهن واحدة كأنها البدر التمام مليحة القد والقوام (قال الراوى)
ولما دخلت المضرب الذى فيه جرير والخذروف ورأتهما فى ذلك الحال وتبينت وجه الخذروف
لحقها الانذهال وتساقطت دموعها بالانهمار أرمت رؤوسها عليه وقبلته بين عينيه وعشى
عليها فعند ذلك ضمها الخذروف إلى صدره وتبينها وإذا هى زوجته التى كان تزوج بها فى ديار
بنى سعد لما أغار روضة بن رمثيع على بنى ضمرة وأخذ الخذروف أمية بنت الملك عطارد كما
ذكرنا فيما تقدم وكيف أغار بنى ضمره على بنى سعد وأخذ عطارد ابنته وكيف هرب جرير
والخذروف والتقوا ببنى عبس وكانت أمية حملت من الخذروف ولما صارت فى ديارها وقر
قرارها ما مضت عليها غير أيام قلائل حتى وضعت أمية غلاما ذكرا كأنه فلقة قمر فأحبه الملك
عطارد لأنه ابن ابنته واعتنى فى تربيته إلى أن اتنشى ودب ومشى وخرج نارا محرقة وضاغة
مبرقة وكان ساعى معدوم فى زمانه وكان فارس خيل وخائض الليل سلالا محنكا لا وإذا ركب
ظهر الجواد يقهر الأبطال وإن طلبته الخيل لم يلحق له غبار ويسبق فى جريه الطيران إذا طار
أو قام إلى أن سمع جده عطارد بالجواد الحطال وغلب فى سله كل سلال وسمع عمرو بذلك
فسار وأخذ الجواد من بنى عبس لما نهبوا بنى نبهان وسار جرير والخذروف فى طلب الجواد
وأخذوه من عمرو ثم لحقوهما فى الطريق أعده وهما السعادة والتوفيق وساروا بهما إلى ديار
بنى ضمرة وسمعت أمية بذلك فأخذت معها ثلاث جوار ودخلت على الخذروف وجرير فلما
عرفته وقع بها الانده اش والتحير وعرانه معرفة خبير فوقعت على صدره وتطاير الخذروف
فى أمره وحين عرفها الخذروف قال أنت أم عمرو فقالت نعم انا زوجتك وعمرو ولدك وهو
منك وأنت منه ثم أنها خرجت من وقتها وساعتها ودخلت على أبيها وعرفته بالحال وقد شكت
إليه ما عندها من البلبال وكان أبوها قد علم أنها تزوجت فى بنى سعد بالخذروف ولكنه لم
يعرفه فى تلك الأيام وكانت لما ولدت عمرو وكبر أخبرت أن أباه مات فى بعض الغزوات وكانت
أمه تخاف أن تعرفه بأبيه فيخلها ويمضى إليه وتبقى طول عمرها محسورة عليه فكتمته
أمرها إلى أن جرى ما جرى للخذروف وأتى إلى ديارها فهاج عشقها وبلبالها وقد ذكرنا فيما
تقدم أنها أحبت الخذروف محبة عظيمة ولما سمع أبوها بكلامها بعث فى الحال خلف عمرو
وقص عليه ذلك الأمر وقال يا ولدى أن هذا الذى عندنا أسير هو أبوك والثانى عمه وهما من
أفخر العرب حسبا ونسبا هذا الخذروف بن شيبوب أخو عنتر الذى مات وذكره باق ما بقيت
الشمس والقمر فلما سمع عمرو ذلك الكلام من عطارد انذهل وتحير وخرج طالبا المضرب

الذى فيه الخذروف وقد فرح واستبشر ولما دخل عليه ورأى أباه وقع على صدره وقد حار الخذروف فى أمره وبعد ساعة أتت العبيد والخدام ومعهم الخلع والإنعام وقد حلت العبيد الخذروف وعمه جرير وقد لحقهم من ذلك الأمر التحير هذا وقد أركبوهما على ظهور الخيل ومشى عمرو فى ركاب أبيه الخذروف وقلبه فرحان ملهوف ومازال كذلك إلى أن وصلوا إلى مضرب الملك عطارد فخرج بنفسه وتلقاهما ولما رأى جرير والخذروف إلى ذلك الحال ترجلوا وعتنقوا بعضهم البعض ودخل بهم إلى المضرب وأجلسهما إلى جانبه وقد وقفت فى الخدمة أهله وقرائبه وعملوا الولائم ورتع فيها القاعد والقائم وكان عمرو بن أمية الضمرى ساعى ركاب رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو ينسب إلى أمية لأن أباه مارآه إلى أن كبر وكان اسمه بين السعاة عمرو بن أمية الضمرى يعنى يعرف بنى ضمرة وأقام جرير والخذروف عندهما ثلاثة أيام وهو فى نعيم زائد وعيش رافد وبعد ذلك اشتاق جرير إلى أرض الشربة والعلم السعدى فقال لابن أخيه الخذروف يا بنى أبا اشتقت إلى الديار فقال له الخذروف ياعم أنا كل يوم عندى يقوه بعام وحق الملك العلام ثم أن الخذروف دخل على أمية زوجته بنت الملك عطارد وكان أبوها أنزلها هى وبعلها فى أعز مكان وجعل لهما مضارب وخيام وخيولا وجمالا وعبيداً وخدام ونوقاً وفصلان وبقى الخذروف كأنه ملك من ملوك الزمان ولما دخل على زوجته وأعلمها أنه اشتاق إلى أهله وعشيرته وأنه يريد أن يسافر هو وعمه جرير فقالت له زوجته وأنا أروح معك إلى إهلك ووطنك وأعلم الخذروف ولده عمرو بذلك فقال له يا أبت أنا ما بقى لى صبر على فراقك وبقيت كل ساعة أشتاقك (قال الراوى) فلما سمع الخذروف ذلك الكلام من ولده وزوجته خرج من عندهم وأعلم عمه جرير وقال له يا عم أنا شاورت زوجتى وولدى على السفر والمسير فقالا إنا معك لسير ففرح بذلك القول جرير وقال له يا ولدى لا بد لنا أننا نشاور صهرك فى ذلك فقال الخذروف الليلة أخلى ابنة تشاوره فى ذلك الحال ولما كان عند المساء أقبل جرير إلى مضربه وسار الخذروف إلى عند زوجته وقال لها هل أعلمت أباك عن حال السفر فقالت له نعم وقد قلق لأجل فراقك وتحير وقال لى يا ابنتى أنا أعلم ان بعلك فارس الخيل وخائض الليل وكذلك بنو عمه بنو عبس الفرسان الكرام الذين تسميهم العرب فرسان المنايا والموت الزؤام ومامنهم إلا كل فارس همام وبطل ضرغام لاسيما وقد سمعت انه قد انتشى فيهم لعنتر بنت اسمها عنيترة وقد قهرت الشجعان واذلت الأبطال والفرسان واعادت ملك بنى عبس مثل ما كان فاختار زوجك ان يأخذك معه فاهلا وسهلا وقلبى يكون عليك فى امان إذا كنت فى ديار بنى عبس وعدنان وقد اذن لى ابى معك فى السفر والمسير ولا بقى هناك عاقة ولا تقصير (قال الراوى) فلما سمع الخذروف من زوجته ذلك الكلام حصل له فرح واتسع صدره وانشرح وقال يا امية يكون

السفر بعد ثلاثة أيام لأنى لاجل الوطن قد حرمت المنام فقالت زوجته ما بقى لك أبدا عاقة وإن اشتهيت يكون السفر فى هذه الساعة ثم أنها قامت من وقتها وساعتها ودخلت على أبيها وأعلمته بذلك (قال الراوى) فأمر العبيد بالتجهيز إلى ديار بنى عبس وعدنان فأخذت أهبتها وبعد ثلاثة أيام عزموا على الرحيل وخرج الملك عطارد بنفسه وقد حمل جهاز بنته على ستين جملا وجعلها على هودج العظيم من العرعر ومعها اثنا عشر جملا تحمل فوقها البنات والجوار والخدام والاحرار وأرسل معها ألف فارس ما منهم إلا كل مدرع لابس ومعها خمسمائة من النوق والجمال وثلثمائة من خيل وبغال وأربعون جارية وخمسون عبدا وكان لعمرو مقدار ألف مائة ناقة ومائة عبد وخمسين جارية خلاف ما ذكرنا لامية وسار الملك لوداع ابنته وقد ركبت لوداعها أهله مع عشيرته وشدوا الاحمال على الجمال وساروا مدة ثلاثة أيام وليال وحلفوا على الملك عطارد وردوه إلى دياره بعد ما ودع ابنته وابنها الخذروف وجرير عمه وساروا طالبين أرض بنى عبس وقد طلب لهم المسير والخذروف فرحان بما أعطاه الملك المنان الذى يشغله شأن غان إلى أن وصلوا إلى الديار فلما رأى بنو عبس ذلك الغبار الذى قد سد الافق والاقطار من كثرة الخيل والبنات والعبيد والاحرار ظنوا أنه من بعض الاعداء فاعلموا فضالة والامير عنيترة بذلك فصرح زهير فى بنى عبس فما مكنته عنيترة من ذلك بل قالت له يا ملك ما هذا صواب فلا تضيع هيبة الملك بل أنا أركب وأكشف له الخبر فان كانوا أعداءنا أفنيناهم وإن كانوا أصدقاءنا فيا بشراهم فلما سمع فضالة هذا الخطاب رآه فى غاية الصواب أن عنترة ركبت فى عاجل الحال وركب كوبها ألف فارس من الشجعان (قال الراوى) لهذه السيرة الحجازيه العجيبة وما سارت غير ساعة واحدة حتى التقت بعمها جرير وقد تقدم ليعلم بنى عبس بما وصل إليهما من النعمة والمال والجمال وغير ذلك فلما وقعت عينه على عنيترة وقربت منه عرفته وترجلت فى الحال ونزلت عن جوادها ونزل هو الآخر أيضا عن جواده واعتنق الاثنان وسلما على بعضهما بعض وما افترقا حتى وصل إليهما الخذروف وما معه من ذلك المال المدود والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وسلموا على بعضهم البعض وترجلوا على وجه الارض وغادوا بعد ذلك إلى ظهور الخيل ولم يزالوا سائرين إلى أرض الشربة والعلم السعدى وكانت عنيترة أرسلت بعض العبيد ليعلم الملك زهير (قال الراوى) فركب الملك فى ساعة الحال والتقاهم فى أطراف البيوت فتذكر جرير ملتقى الملك لاخيه فقال سبحان الحى الذى لا يموت ودخلت القوم إلى داخل المضارب وقد آمنوا من النوائب والتقت الاحباب بالاحباب وأولمت بنو عبس الولائم ورتع فيها القاعد والقائم وخافتهم جميع البلاد وساروا أحسن ما كانوا فى أيام عنتر بن شداد وأحبوا ذكره بعد ما مات وشاع ذكر عنتر بكل المحلات وصارت عنيترة تركب فى

خدمتها مثل جرير والخذروف وعمرو بن أمية المعروف وبقيت سائر الرجال والنساء إليه تشوف لأجل مانيه من البهاء والجمال وقد افتتن بحسنه النساء والرجال وصار يركب لركوب عشيرة اربعة آلاف فارس من بني قضاعة وعمرو يركب في ألف فارس من بني ضمرة ورحلت من عندهم العربان وقد آمنوا من صروف الزمان وقعدوا في ديارهم وقد قرارهم وداموا على الأفراح والمسرات وانتظام اللذات (قال الراوي) ولما رحلت العرب وأقامت بنو عبس في ديارهم جرير لعمرو اعلم يا بن أخي كبر سني ومرادي اسير إلى مكة المشرفة وأزور البيت الحرام واجدد عهدي برسول الله ﷺ فقال عمرو وانا أسير معك ثم أن عمرو استأذن اباه في المسير مع عمه جرير فأذن له في ذلك قال الراوي فسار الاثنان إلى ان دخلا الى مكة فوجدوها قائمة على قدم وساق وقد زاد فيها الارعاد والابراد ونظروا إلى جميع غزيرة فسألوه عن مسبب الموجب لذلك فقيل ظهر بمكة رجل اسمه محمد ﷺ يدعي النبوة وقد قام عليه اهل مكة وقريش ونفروا عن بكرة ابيهم ومرادهم ان يسيروا إلى عند حبيب بن مالك يشكون له من امره فقال جرير لعمرو سر بنا معه حتى نراه ونعلم السبب وننظر ما يجري له مع العرب فنفروا بجملة من نفر وطلعوا اهل قريش وهم غارقون في السلاح (قال الراوي) وكان السبب في ذلك ان رسول الله ﷺ قبل ان ينزل عليه الوحي في الفلاة كان يتعبد في غار حراء إلى ان بلغ اربعين عاما ونزل عليه امين الوحي سيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام فعلمه اول آية نزلت في القرآن العظيم وهي اقرا باسم الذي خلق فقال لست بقارىء فقال إن سبحانه وتعالى ارسلك رحمة للعالمين وانت رسوله الامين وانا جبريل وان الله تبارك وتعالى يأمرك ان تبلغ قومك وتنذرهم ان يتركوا كل معبود من دون الله تعالى فان كل معبود من دون الله تعالى باطل (قال الراوي) فرجع النبي ﷺ وجميع ما يمر عليه من حجر ومدر وشجر ورمل الجميع يقولون الصلاة والسلام عليك يا رسول الله فيلتفت فلا يرى غير المذكورين فرجع الى بيت خديجة الكبرى رضي الله تعالى عنها واخبرها بذلك فقامت وراحت الى خالها ورقة بن نوفل وكان على دين خليل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان حكيما عارفا فحكت له على ما وقع لرسول الله ﷺ فقال لها يا خديجة ان كان ذلك وقع له فانه هو الرسول الاعظم النبي المكرم المنتظر في جميع الكتب وبشرت به جميع الانبياء فاول من آمن به من النساء خديجة بنت خويلد وصدقت برسالته واول من آمن به من الشيوخ سيدنا ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه واول من آمن به من الصبيان سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه واول من آمن به من العبيد بلال بن حمامة وكان اصله عبداً لأمية بن خلف راس الكفار فلما علم باسلام بلال صار يعذبه بعد ما يكتفه في رمضاء مكة فيمر عليه ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فيسمعه يقول الله احد فيقول له

ميه يا بلال إن لم ترجع عن هذا الكلام و إلا أجعلك نطروحا بالأحكام فلما سمع أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ذلك الكلام توجه إلى سيده أمية بن خلف وقال له إلى متى تعذب هذا المسكين فقال له أعطنى عبداً من عبيدك وخذه وكان عند أبى بكر الصديق عبد زنيم وهو على كفره مقيم فلم يسلم أبداً فدفعه إليه وأخذ بلالا عوضه وأعتقه وكان مؤذن رسول الله (ص) وكان ذا صوت حسن هذا وقد أقام رسول الله (ص) ثلاث سنين وهو يعرض نفسه على قبائل العرب من الموسم إلى الموسم ويقول هل فيكم من يحمى ظهرى حتى أبلغكم رسالة ربى فيأبون عن ذلك نازل الله عليه وأنذر عشيرتك الأقربين (قال الراوى) فجمع النبى (ص) عشيرته وعمومته ودعاهم إلى عبادة الملك الديان وترك ما هم عليه من عبادة الأصنام والأوثان فشاع ذلك الكلام كله بمكة المشرفة وأظهروا له العداوة والحقد والحسد قال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بينما أنا ذات يوم من الأيام خارج من شعب بنى مخزوم إذ لقينى أبو جهل بن هشام لعنة الله فقال لى يا عتيق إن صاحبك محمداً جمع قومه وعشيرته وأهله وقرابته ومن يتبعه من أحبته وليس يقول إنى سيد وأمير حتى ادعى النبوة وقال إنى نبى مبعوث من إله السماء وحق اللات والعزى والحبل الكبير الأعلى لئن دام على قوله هذا ليكونن ذلك وبالا على قومه وعشيرته وكل من يتبعه (قال الراوى) فعند ذلك قال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يا أبا الحكم إنى منذ أمس ما رأيته فقال له أريد منك أن تمضى إليه وتقول أن يرجع عن هذا الكلام وإلا فقد دنا وباله وقرب دماره وأنى قد أعميت له العداوة فقال أبو بكر ها أنا أروح إليه قال ثم إنى سعيت إلى أن أتيت إلى دار خديجة بنت خويلد نازلت وطرقت عليهم الباب وقالوا من بالباب فقلت أبو بكر فاسرعوا وفتحوا الباب فدخلت عليهم ولذا أنا برسول الله (ف) وعنده عمه أبو طالب والفضل بن العباس وجماعة من كبراء قومه وباقى عمومته فسلمت على النبى (ص) وعلى الجماعة الحاضرين وجلست وجعلت أحدثه بما سمعته من أبى جهل بن هشام لعنة الله فوثب أبو لهب وقال لأخيه العباس ما جلوسك هنا قم وخذ متاعك وأدع مالك لأنى أرى أنه ستثور فتنة عظيمة كبيرة يكون لها صياح شرقا وغربا (قال الراوى) فلما سمع رسول الله (ص) قول عمه أبى لهب والعباس أطرق إلى الأرض وقد نزل عرقه على جبينه كاللؤلؤ المنتظم فقالت خديجة رضى الله عنها لا تغم نفسك أنت تعلم أن خزائنى مملوءة من الأموال فقم الآن وشدد عزمك وانفق على الرجال واجمع الأبطال وقاتل من يعاديك فقال أبو بكر هذه أموالى وما أملكه الجميع بين يديك وبحكمك أنا وأهلى وعشيرتى تحت طاعتك فقال لهم النبى (ص) جزاكم الله خيراً أعلموا أنى منتظر أمر ربى عز وجل (قال الراوى) فبينما هو يحدثهم إذ هبط عليه الملوك بالنور جبرائيل عليه الصلاة والسلام فوقف له فى الفضاء والهواء وكان النبى (ص) إذا نزل عليه

الوحى يتطاول عنقه ويشخص بصره وتقع عمامته عن رأسه وأردائه عن منكبيه لأن جبرائيل عليه السلام ربما يهبط عليه فى الصورة التى خلقه الله فيها فنزل عليه مرة وقد نشر أجنحته وعمت أنواره الخافقين فحل عليه هيبة من ذلك من هيبة الله تعالى فناداه السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد ربك يقرئك السلام ويحصك بالتحية والاكرام ويقول لك جل جلاله وتقدست أسماؤه يا حبيبى يا محمد وصفوتى من بين خلقى ما خلقت خلقا أكرم منك على ولا أفضل منك ولا أجل منك أتفزع من مخلوق مثلك وأنا ذلك أنا الله الذى لا إله إلا أنا خلقت جميع الخلق ورزقتهم ولو شئت هديتهم أجمعين فلا تحزن ولا يدخلك رعب وعزتى وجلالى وارتفاعى فى علو مكانى لأمهدن لك ولأبصرنك ولأدخلن لك العقبى حتى يدين بدينك العرب والعد والحر وأخبرك بأن قريشا لا بد أن يخرجوك من مكة ويستعينوا عليك بالعرب ويأتوا بحبيب بن مالك بن ضمضمة وإنه سيقدم إلى مكة فى عشرين ألف عنان وسيدعو بك إليه فاذا دعاك فاخرج إليه من غير جزع ولا فزع فانى سأجعل لك آية عظيمة ومعجزة تفتخر بها على كل من آمن بك وتبعك وتفضل بها على سائر أهل مكة ويتم فخرك ويعلو قدرك وإنه سيقدم ومعه ابنته سطيحة وأنها بلا يدين ولا رجلين ولا سمع ولا بصر وتكون براعتها على يديك وإنه قد زوجها الملك من ملوك الأرض يقال له عياض بن مرة وأنه قد حمل إليها مهرها ألف ناقة وألف حجرة وألف حصان وألف عبد وألف جارية غير الأموال والأثاث وأن ابن مرة قد طالبه بها ويريدان بزفها غليه ويعلم أنها سطيحة بلا يدين ولا رجلين ولا سمع ولا بصر منذ خلقت وقد قال نفسه إنى أريد أن أحملها إلى الكعبة وأطوف بها سبعة وأفيض عليها من ماء زمزم وانظر للكعبة نذرا إن عادت خلقا طويا وكان منذ خطبت بما طال زوجها ويده ويسوفه ويمينه وقد قال فى نفسه أريد أن أحضرها إلى محمد بن عبد الله وأقول له إن كنت نبيا حقا ورسولا أمينا وقولك صدقا فاسأل الملك العلام أن يردها خلقا سويا كسائر النساء فان فعل ذلك آمنت بك وصدقت برسالتك ودعوت قومى إلى إجابتك وكنت لك عونا على كل من خالفك فاذا سألك فأجبه وعده بقضاء حاجته وسل ما شئت فان ربك قريب مجيب قال النبى ﷺ يا أخى يا جبريل ألا تقدر أن تهبط على فى غير هذه الصورة فقال له جبرائيل عليه السلام فى أى صورة تريد أن أهبط عليك فقال له رسول الله ﷺ فى صورة رجل من أصحابى فقال له جبرائيل عليه السلام أنا أهبط عليك فى صورة دحية بن خليفة الكلبى وكان دحية حسن الوجه ذا شعر حسن ووفرة جميلة وهو رجل تام الطول حسن الوجه قال فتهلل وجه النبى ﷺ فرحا وسرى عنه الوحى ولم يخبر أحدا من أصحابه بما أخبره به جبرائيل عليه وخرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه ويده فى يد عمر بن الخطاب ويد عمار بن ياسر رضى الله عنهم فقال عمار لأبى أما تفتح اليوم حانوتك فقال لا والله ما ذا تطيب

نفسه أن يبيع أو يشترى حتى ينظر ما يكون من أمر قريش مع رسول الله ﷺ قال فلما كان من الغد ركبت مشايخ قريش ورؤساؤهم فى مائة وسبعين ألف سيد يقدمهم أبو جهل لعنة الله وبين أيديهم العبيد بالسيوف الهندية والدرق البجاوية والرماح الخطية ومن ورائه الموالى على النجب السباق والخيول العربية العتاق وقد حملوا على المطايا الماء والزاد وهم فى أحسن زينة وأكمل عدة وأجل سلاح فساروا حتى قدموا على بدر وإذا بالملك حبيب بن مالك وهو نازل على ماء بدر وقد طبق الأرض ذات الطول والعرض وهو جالس بالخيم ومن حوله السادات والفرسان فلما نظر إليهم عرفهم حق معرفتهم واقسم وقال وحق اللات والعزى ما قدمت مشايخ قريش وساداتهم بالدساكر والصفوف إلا وهم فى مقام عظيم وخطب جسيم وحق الإله العظيم ما الفوا الألوف واستعدوا بالدساكر والصفوف إلا على محمد بن عبد الله ثم أن القوم لما عبروا فى الجيش تخطوا بين الخيم ووسطوا إلى بساط الملك حبيب ووقفوا على باب المضرب واستأذنوا عليه فى الدخول فأذن لهم فدخلوا على الملك حبيب وهو غارق فى لبس الديباج الأخضر وهو جالس على كرسى من العرعر مصفح بالفضة البيضاء والذهب الأحمر وعلى جسده حلل من الحلل النفيسة لبس الملوك الكبار وهو عظيم البأس شديد المراس عالم فاهم أديب لبيب وكان رجلا طويلا وبطلا نبيلا وكان قد دخل فى دين اليهودى وجادلهم ودخل فى دين النصرانية وجادلهم ودخل فى دين المجوس وجادلهم ودخل فى كل دين وقرأ فى سائر العلوم والحكمة والبيان وكان فصيح اللسان واسع العينين فنظر إلى سادات قريش وهم يخطرون فى حللهم ويجرون حمائل سيوفهم فترحب بهم وقال أهلا وسهلا بسادات الحرام وأرباب الحطيم وزمزم وخير الأمم فيما ذا قدمتم وأى شىء طلبتم فلكم الإكرام والاحترام والاعظام قال فلما سمعوا كلامه وفهموا نظامه قام إليه أبو جهل لعنة الله وقال له أيها الملك الكريم والرئيس العظيم اعلم أن الدين القويم هو دين اللات والعزى وما كان عليه آباؤهم الأولون ومالك ناصر غيرك وما بقى من ذرية جدهم سوى المعاذ والملاذ لأنك تعلم علما يقينا إننا أصحاب البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام وأن آباءنا أهل العز والشرف والرفعة والصلف ونحن بحقهم عارفون ولقدرهم مبجلون وقد ظهر فيهم غلام يتيم كفله جده عبد المطلب فلما مات كفله عمه أبو طالب وأنه من حين انتشا فينا صار يكفر بآلهتنا ويزرأ بنا وبديننا ولقد كنا نكف عنه أذيتنا حفظا لأهله وعشيرته فطمع فينا بالمحال وهو يجتهد على هذه الفعال حتى أنه نجز وقال إننى مبعوث ورسول مرسل قد أرسلنى إله السماء والأرض إلى سائر المخلوقات من أسود وأبيض وأحمر وحر وعبد وأننا نراه فى كل وقت يشخص ببصره إلى السماء ويرتعد وتأخذه رجفة فظن أنه به جنون فسأله عن ذلك فيقول إن جبرائيل الروح الأمين يغشانى فاحتار عقلنا فى ذلك وما قد نحن جئنا إليك قاصدين وبك مستجيرين وإليك مستندين والذى

تريده منك أن تدخل مكة وتنزل الأبطح وتجمع مشايخ قريش ورؤساؤهم وتحضر بني هاشم وتأمر بإحضار هذا الغلام وتجادله بين العرب فإننا نعلم أنه لا يصل إلى علمك ولا يثبت لحجتك فإذا وقف بين يديك وصمت عن جوابك القياه من بيننا وقتلناه فإن طائفة من الناس كبيرة قد صبوا إليه ودخلوا في دينه وأننا قد أحضرنا حلوف المسك والزعفران مع ماء الورد والمسك والعنبر والكافور لوجوه خيلكم وقد أحضرنا الزماد والبول والغم والسخام لمن دخل في دينه وتبعته فإن ذلك مما يزيدهم عاراً. قال فلما سمع الملك حبيب هذا الكلام أجابهم إلى ما طلبوا وضمن لهم ما أرادوا ثم أنهم أقاموا عنده في ضيافته ثلاثة أيام وهم في أكل طعام وشرب مدام فلما كان في اليوم الرابع أمر جيشه بالرحيل وخيامه بالتحويل وساروا مجدين إلى أن وصلوا إلى مكة المشرفة وأشرفوا على الأبطح ونظروا إلى تلك القباب والهوادج ولاحت لهم الأعلام والألوية والعدد الملاح واللمعان والزرد والخود والسلاح والخيل الملاح والجنائب تزف زفا والفرسان من فوقه متونها صفا صفا وقد كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه خرج ذلك اليوم إلى مكة ومعه المغيرة بن شعبة وأبو عبيدة عامر بن الجراح وكان رضي الله عنه خبيراً بالرجال والسادات عارفا بالبطون والفصيلات فكان إذا نظر إلى الفارس عرفه وعرف ما يريد ويعرف سائر الأعلام والرايات وإذا رأى ذلك يقول هذا فلان وهذا فلان وهذه راية فلان وهذا علم فلان ابن فلان ولما نظر القباب والهوادج وكثرة الرجال تميز الجميع فوجدهم عشرين ألف فارس غير الرجالة هذا وقد أقبل الملك حبيب كما تقدم بالأبطح وركز رايته ونصب سريره وجلس عليه وجيوشه وأرباب دولته حواليه ولما علمت قريش بقدومه سارت إليه من كل شعب وواد وانتشرت في البر مثل الجراد أو السيل إذا انحدر على الوادي فسلموا عليه فردوا عليهم السلام وقربهم وأدناهم إلى أعلى مقام وأجلسهم بجانبه في صدر الديوان وقال هل بقي من أهل مكة أحد لم يحضر هذا المحضر فقال أبو جهل لعنه الله لم يبق إلا بنو هاشم وبنو عبد المطلب فإنهم تخلفوا استكباراً على الملك فقال حبيب لقريش أمضوا وأصبحوا على ابن أبي طالب وأخبروا قومكم وعشيرتكم بقدومنا فسار إليه أربعون سيداً من سادات قريش وهم المشار إليهم فيهم راكبين على خيولهم وهم في همة ورياسة وسطوة وحماسة فلما وصلوا إليهم ترقوا الباب فخرج إليهم أبو طالب وفتح الباب ولما نظرهم قال أهلا وسهلا بالأحباب ما شأنكم وما أتى بكم وما حاجتكم فقالوا له أجب الملك حبيب بن مالك أنت وإخوتك وأصحابك ومن يلوذ بك من أحبابك فقال حبا وكرامة ودخل إلى منزله ودعا بثيابه فلبسها وتزين بها فكان منها قميص آدم عليه السلام ثم استدعى بعمامة إسماعيل عليه السلام وحلة إبراهيم الخليل ونعل سليمان ابن داود عليه السلام ثم طلب إخوته كانوا عشرة وهم العباس وحمزة وعجيل وعكرمة والحارث وعقيل وأبو لهب وعلي وجعفر

أولاد أبي طالب فلما حضروا عنده أخبرهم بما أمر الملك فقالوا له سربنا إليه ولما أقبلوا على الأبطح كان مقدمهم أبو طالب ومن حوله من أخوته وأولاد عمه وعشيرته وقد حفتهم السكينة والوقار والهيبة والأنوار وارتفع بمجدهم وعلا قدرهم فلما أتوا إلى الأبطح قامت لهم العرب على الاقدام وفرجوا لهم عن طريقهم ما بين الخيام حتى وصلوا إلى الملك حبيب وطلبوا الإذن في الدخول فاذن لهم فدخلوا وسلموا عليه بأحسن وا وتكلموا فابلغوا وافصحوا فردوا عليه السلام بعد ما أقام لهم على الاقدام وأجلسهم بجانبه ولما استقر بهم الجلوس وكانوا بأحسن زينة وملبوس ابتداهم الملك حبيب بالكلام وقال يا بني هاشم أن جميع العرب لم تنكر شأنكم وفضلكم وإحسانكم وأن الملوك بكم تستجير في كل أمر عسير ويفتخرون بفضلكم وكرمكم إذا مسهم التقصير وإن أكابرهم ورؤساهم قد اجتمعوا إلى وقصوا قصتهم وهم يشكون من ابن أخيكم الذي ظهر فيكم وهو يزعم أن نبي مبعوث ورسول رب السماء وأن الأنبياء والمراسلون يأتون بالعلامات والبراهين ويظهرون الدلائل والمعجزات ويكونون دالين على الخير للخير مخبرين ويجب على ابن أخيكم أن يأتي بالمعجزات في هذا الحضر حتى يشهد له العرب من البدو والحضر ان كان ذلك له قوة قبل أن يتكلم ويدعي النبوة فاذا نظرت العرب إلى معجزاته ودلالاته صدقوا قوله واتبعوه وصاروا حواليه وإن كان مجنوناً أو كذاباً فليجب عليكم أن تأخذوا عنه جانباً وترجموه عن جنونه وتمنعوه عن مراده وتعلموه أن هذا شيء لا يتم على العرب ولا على سائر أهل الرتب من ذرية إبراهيم الخليل فاني وحق الخليل قد منعت العرب عن قتله وعن تبديد شمله وذلك حذراً من سفك دمائهم وترميل نسائهم وحفظاً لكم وإكراماً لانسابكم وقدماء أسلافكم وفضلكم وحسن أوصافكم وأما ما نشأ هذا الغلام عند غيركم من الأقوام وهو يكفر بآلهتكم العظام ويسب آباءكم الكرام ويهزأ بكم وينهاكم عن عبادة أصنامكم لرأيتم ما يجري عليه وكنتم تسارعون بالاذية إليه وتسعون في إهلاكه وتدميره فالواجب عليكم وعلى كباركم أن تحسنوا بين العرب الذين بجواركم وترضوا الناس ما ترضون لأنفسكم ولا تنكروا فضل رحامكم وانسابكم فأجابه أبو طالب وقال أيها السيد الكريم أن ابن أخي لم يأتنا كرهاً ولا جبراً وإنما قال لنا يا بني عمي وأهلي وقومي يجب علي أن أنصحكم اعلموا أني قد جئتكم بآية من ربكم واضحة ودلالة ظاهرة وهو أني أدعوكم إلى عبادة رب العالمين ألا تنظرون إلى السماء كيف رفعها وإلى الأرض كيف سطحها والليل والنهار كيف خلقهما والشمس والقمر كيف أنارهما والنجوم والسحاب كيف سيرهما ومع ذلك أني أقسم عليك أيها الملك بآبائك الكرام وأجدادك العظام أن تسأل الرب عما يعرفون منه من محاسن الصفات وما كانوا يسمعونه من

حصره إلى كبره وما ينقلون لك عنه فعند ذلك سأل الملك حبيب العرب فقالوا له نعم صدق ابن عبد مناف أننا عيناه من صغره الصادق الأمين فلما سمع أبو طالب كلامهم فقال يا ملك الذى من صغره يسمونه الصادق الأمين كيف يكون فى كبره كذا بأمهين فقال الملك حبيب هذا شىء لا يتفق ولا يكون وأنى أحب أن أراه بالعيون وأسمع كلامه وأحقق واسمع ما يقول إن كان عاقلا أن مجنون فقال أبو طالب أرسل إليه حاجبا من حجابك يدعوه إليك بين الأصحاب فاذا حضر فاسأله عن ذلك الارتياب فهو يرد ذلك الجواب ولا يعجز عن الخطاب فدعا الملك حاجب من حجابه وقال له امض إلى دار خديجه بنت خويلد وقف بالباب وأطرقه فاذا أجابك أحد غير محمد فقالى أنى أريد محمداً فاذا خرج إليك فقال له أن عمك متك عند الملك حبيب ويدعونك تحضر عندهم فى الحين قريب وأمر الملك حبيب أراد أن ينظر إلى شخصك وأوصافك ويسمع كلامك وإنصافك فنهض من بين الجماعة أبو جهل ابن هشام لعنه الله وقال أيها الملك لا ترسل إليه الأجمعا كثيراً حتى إذا لم يأتوا به طوعا يأتوا به كرها فقال له حمزة والعباس وسائر أعمامه ويلك يا عادم السياسة ومستهجنا بالرياسة ترى أن مخافة تكون عليه ونحن متقلداً بسيوفنا وإن لم يأت فى هذه الساعة مع الجماعة طوعا فمن يقدر أن يأتى به كرها ونحن له سيوف قاطعة وأسنة لامعة وأسود مانعة وأنه الساعة لا بد أن يحضر قاصر كلامك وإلا يطل أرغامك بما يظهر لك فقدام الملك حبيب وقدام أصحابه فقال الملك لحاجبه امض لما أمرتك فركب الحاجب فرسه وسار إلى نحو خديجة بنت خويلد وتلك الديار فلما وصل طرق الباب طرقا خفيفا فطلت اليه جارية من جوارى خديجة فنظرته وعادت إلى النبى ﷺ وقالت يا مولاى أن رجلا كهلا له وجه يضىء ولباسه حسن وهو يدق بالباب فقال سيما الأحباب امضى اليه واسأليه ما حاجته فخرجت إليه الجارية وسألته فقال لها قولى لمحمد يرينى وجهه فرجعت الجارية وأخبرت النبى ﷺ بما قاله الحاجب فوثب عليه الصلاة والسلام وفتح الباب فلما رآه الحاجب حسك له ارتياب وخفق قلبه وطار لبه وطاش عقله وزاد رغبه فثنى رجله من اشكاب وترجل عن دابته ومسك أذنة وتقدم إلى النبى ﷺ وأخذ يده فقبلها وقبل صدره فقال له النبى ﷺ روح وريحان وكرامة ورضوان فقال له الحاجب يا سيدى أجب عمومتك فان عبد الملك حبيب بن مالك وأنه قد أحب أن يرى جمالك وينظر حسن وجهك وبهاءك ويسمع إلى حسن كلامك وألفاظك ويتمنى منك الرضا فقال ﷺ سمعا وطاعة وحبا وكرامة لله عز وجل ثم أن النبى ﷺ دخل منزله ولبس أثوابه التى كانت جعلها له خديجة وهى قباطى بيض من قباطى مصر وتعمم بعمامة وكان النبى ﷺ يطيب لحيته وعوارضه لأن رائحته كانت أزكى من كل طيب بل كان يأخذ المسك والعنبر ويضعه فى مفرقه وجميع شعر رأسه وتردى برداء مليح فى غاية الرقة هذا وخديجة

رضى الله تعالى عنها تنظر إليه ودمعتها قد بلت خدودها رقية عليه وزينب ورقية وأم كلثوم يبكين لبكائها بكاء غير مكتوم فهبط الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام فى الصورة التى خلقه فيها رب الأنام وبيده حربة الغضب ولها شعبتان عجب شعبة فى المشرق وشعبة فى المغرب ونادى وهو نازل من الهواء السلام عليك يا أحمد يا محمد يا خير مولود وسيد المرسلين أن الله سبحانه وتعالى يقرئك السلام ويقول لك وعزتى وجلالى ما أرسلت إلى قوم أفضل منك ولا أكرم منك ولا أحب الى منك وإنك أنت نبى الرحمة وأمتك المرحومة ها أنا معك من عن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك وعزتى وجلالى لا يخلو منى مكان ولا تتكبر على إنسان امض إلى هذا الرجل من غير فزع ولا جزع ثم أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة أن يسيروا حول النبى ﷺ فقالوا سمعا وطاعة فسمع النبى ﷺ كلام الملائكة الكرام ونظروا اليه وهو البدر التمام يتلألأ وجهه نورا ويتبسم سرورا وأوحى الله سبحانه وتعالى الى أن انكسفى فى وجه حبيبى محمد فانكسفت ولما فى وجهه نور حين علم اهل مكة ولم يبق منزل ولا علو إلا ودخل به هذا النور وأوحى الله تعالى الى الكمال والبهاء والضياء والسناء والعز والفخار والوقار ان اسعوا بين يدى حبيبى محمد ﷺ ثم صار ﷺ ونوره يزيد عن نور الشمس والقمر وجبريل عن يمينه والملائكة يسيرون عن يساره ويقفون لوقوفه ويهللون بالتسبيح والتقديس حامدين شاكرين لله رب العالمين وما زال ﷺ سائرا حتى دخل الكعبة وصلى ركعتين فى مقام الخليل عليه الصلاة والسلام وخرج من الباب المعروف بباب النبى ﷺ فنظر الأبطح وهو مزدحم بالخيل والرجال فعظم ربه ذو الجلال والاكرام وكان لم يبق فى مكة أحد إلا وشاهد هذه المسالك وقد خرج من حبيب ابن مالك لينظر ما يتم بينه وبين ابن هاشم وما يجرى من هذه الأمور العظام وكان الملك حبيب جالسا على سريره والعرعوا كابر قريش بين يديه والعشائر جميعا حواليه فى عشرين ألف غضنفر وكلهم قيام ينظرون قدوم النبى ﷺ وقد سبقت الأنوار وعمت جميع الحضار وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه بين يديه ولما وصل الى القوم جعل يخترق صفوفهم ويتخطى ألوفهم فهابوه ورهبوه تكريما له وتعظيما رقامت اليه قريش اجلالا له وتفخيما فلما رأى الملك حبيب هذا الشان وما كان من القوم وما فعلوه عند اقبال النبى ﷺ فى هذا اليوم تعجب فى نفسه وقال ان هؤلاء القوم أتقى سلاستهم الكرام وأشرافهم العظام وهم جميعا يشكون من هذا الرجل العظيم ويعتدون عليه التحليل والتكريم ومنهم جماعة يسبونه ويؤذونه ولما حضر فيهم رأيتهم يوقرونه وهذه الأشياء والله من علامات النبوة لا محالة ومن دلائل الهداية والرسالة وأنا أشهد أنه نبى حقا ورسول صدقا ثم إن الملك حبيب احضر له كرسيا من الذهب الأحمر مرصعا بأنواع معادن الجوهر ليجلس عليه النبى

(ص) فدفعه بيديه الشريفة وأبى أن يجلس عليه وجلس على الأرض وقال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال الملك حبيب فى نفسه وهذه دلائل أخرى وهذا التواضع وجلس النبى (ص) بجانب الملك حبيب فشخصت إليه الأبصار وسكنت الحركات والاثار ونزلت الهيبة على النبى (ص) والوقار فابتدر الملك حبيب بالكلام إليه وقال يا أبا القاسم وما كان على وجه الأرض من يكنى بهذه الكنية إلا هو (ص) فانه سمى محمداً وكنى بابى القاسم ولا يجوز لاحد أن يكنى بهذه الكنية إلى يوم القيامة وكذلك عتيق كنى بأبى بكر ولقب بالصديق وكذلك على رضى الله تعالى عنه كنى بابى تراب ولقب بحيدرة والكرار والقابه كثيرة مذا تم أن حبيب بن مالك قال يا أبا القاسم أعلم أن هؤلاء الشيوخ من أهل مكة وسادات قريش ذكروا عنك أنت تقول أنك نبى مبعوث بالحق ورسول أرسلك ربك إلى كافة الخلق من بدر وحضر وفرس ودبلم وترك وهجم هل هذا صحيح عنك فقال ﷺ نعم أرسلنى بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فقال حبيب أعلم يا محمد لكل نبى معجزة وحجة وبرهان وآيات تدل على صدقه حتى يجب به الإيمان فأما نوح عليه السلام فانه بعث إلى أهل الأرض وكانت آيته السفينة وصالح إلى الملك جربح وكانت آيته الناقة وإبراهيم بعث إلى النمرود وكانت آيته النار وموسى بعث إلى فرعون وكانت آيته العصا وعيسى كان يبرىء الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذن الله فان أتيت بآية كما أتى الانبياء من قبلك كنت من الصادقين ونتمسك بحبلك فقال ﷺ أطلب ما شئت من الدلائل فربى على كل شىء قدير فقال له حبيب أطلب منك أن تسأل ربك أن يرد الليلة الصاحية ظلمة ويجعلها ذات كواكب وتلك الليلة بعضها فوق بعض من كل ناحية إلى الصباح لا يكاد مخلوق ينظر إلى ضوء مصباح ثم تصعد إلى جبل أبى قبيس وتنادى القمر ويكون فى تمامه وكماله ثم أنك تأمره أن يركض فى السماء ركضا بايطاء من مطلعه إلى أن يقف على سطح الكعبة ثم يطوف بها سبعا ويسجد فى مقام الخليل إبراهيم ثم تأمره أن يقبل عليك ويقف بين يديك ويكلمك بكلام فصيح عربى مبين لا يشكل على إنسان ويسمعه القاصى والدان ويسلم عليك ويشهد أنك نبى حقا ورسول صدقا أرسلك الله تعالى كما زعمت ثم يدخل فى زيقك ويخرج من ذلك ويعود ثانيا ويدخل فى زيقك ويخرج من كمك الايمن نصفه ومن الكم الايسر نصفه ثم يمضى نصفه إلى المشرق والنصف الثانى إلى المغرب ثم يعودان راكضين فى السماء كركض الجوادين المسرعين ثم يلتقيان فيصيران بدراً كاملا مستنيراً كما كان فى ليلة تمامه وكماله فقام أبو جهل لعنة الله عند تمام كلام الملك حبيب وجعل يشير إليه بكمه وهو يقول لله أحسنت أيها الملك الكبير والمولى المشير والسيد الخطير فقد أفرحت القلوب وفرجت الكروب إذ أنت طلبت من محمد بن عبد الله مالا يقدر عليه لا هو ولا كل أبوبه فقال ﷺ

اجلس يا كلب قومه وأخس عشيرته ثم أقبل على حبيب وقال له اطلب مني أقوى من ذلك فان ربي على كل شيء قدير فقال الملك حبيب يا محمد لقد طالبت منك ما فيه بلوغ المنى للسائلين ونيل الحكمة للمعتبرين قال فاتم هذا الكلام حتى هبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد الله عز وجل يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول للملك حبيب عن ابنته السطيحة فأقبل ﷺ على الملك وسأله عنها فقال ومن أعلمك بهذا فقال جبرائيل عليه السلام فقال حبيب يا محمد أيقدر ربك أن يعيدها خلقا سويا فقال نعم إن ربي على كل شيء قدير وقد وعدني أن يعيدها فتكون أحسن نساء قومها وأجملهن وأكملهن فقال له إن فعلت ذلك آمنت بك وأقررت برسالتك وأدعو قومي إلى إجابتك وأكون داعيا لطاعتك فعند ذلك وثب ﷺ وصلى ركعتين ودعا الله سرا بينه وبينه وبعد ما سلم فات اليمين وذات الشمال وبعد ذلك قال للملك قم الآن وادخل إلى بنتك وانظر ما ذا صنع المولى بها الملك حبيب فدخل إلى ابنته فوجدا بنته قائمة على أقدامها وهي كالقمر المنير زائدة المحاسن والأوصاف مسترسلة الشعور سالمة الأطراف وهي تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ فعندها خرج أبوها مسرعا وأتى إلى النبي ﷺ وجعل يقبل رأسه ويديه وأسافل قدميه وقال له يا رسول الله أمهلني حتى تظهر معجزاتك التي طلبتها وبعدها أسلم أنا وقومي على يديك ولكن أوعدني في أي وقت يكون له ذلك فقال له ﷺ يكون ذلك عند غياب الشفق وسواد الأفق وأني ها وعدت وأخلت تطهر قام عليه الصلاة والسلام وسار إلى منزله وتبعه أهله وعشيرته وأعمامه وأبو بكر الصديق أمام القوم تعرق الناس عن رسول الله حتى خرج من الأبطح وما زال سائرا إلى أن وصل إلى الدار ودخل على خديجة فوجدها راكعة لله وساجدة وأدمعها تجري فقال لها لا تبكي يا خديجة فما هذا الخوف والقلق أتظنين أن الله عز وجل يسلمني إلى عدوي كلا بل أنا الظافر بعدوي قالت وبعد ساعة دخل عليه أبو الصديق وهو مندهش فقال له يا سيدي يا رسول الله لا شك أنك قد عاينت هذا الجيش وكثرة العشائر وأنه لم يبق سيد في قومه ولا أمير في عشيرته إلا وقد حضر وشهد عليك بما ضمنت فهل تقدر أن تظهر لهم ما قالوه وطلبوه فإنه أمر عظيم فقال ﷺ يا أبا بكر طب نفسا وقر عينا إن ربي على كل شيء قدير فقال له عمه أبو طالب يا سيدي يا رسول الله سألتك بالله لا تفضح هذه الشيبة فتصبح ذليلة بعدما كانت عزيزة ولا تفضح قومك آل أهل مكة وقبائل العرب فتصير فيهم شهرة ومسبة وقال عمه العباس يا ابن أخي يا محمد اتق الله فينا وفي أهلنا يا محمد احفظنا واحفظ علينا عرضنا فقال لهم النبي ﷺ اسكتوا يا قومي وعشيرتي ويا أهلي ويا أعمامي فاني ما أيست من رحمة ربي ثم قام إلى محرابه وجعل يناجي ربه وهو ساجد راكع فهبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد ارفع الآن رأسك إن الله عز وجل يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك وعزتي وجلالي لم أخلق

خلقا اكرم على منك ولا خلق شمسا ولا قمرا ولا ليلا ولا نهارا ولا فلكا دوارا إلا كرامة لك يا محمد وعزتي وجلالي إني قد أمرت القمر بالطاعة لك من وقت أن خلقته وكونته ثم أن جبرائيل عليه السلام قال وها أنا يا أخي يا محمد واقف عن يمينك والحربة بيدي فإن خالفك وعصاك محوته بها كما محوته أول مرة وكان شمسا فصار قمرا فقام ﷺ ودخل مقام الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام وصلى فيه ركعتين ثم أنه دعا ربه وصعد إلى جبل أبي قبيس فعند ذلك نادت العرب جميعا وقالوا يا محمد قد أقبل الليل وغاب الشفق فمتى تظهر لنا معجزاتك فقال لهم حتى أصلي العشاء الآخيرة وأقضي فرض ربي عز وجل فلما صلى صلاة العشاء وفرغ من صلاته نادى في أهل القبائل وسائر المحافل والجحافل النازلين بالمناهل وكان ﷺ معه أربعة رجال من بني هاشم وهم عمه حمزة والزبير وطالب وعقيل أخوه وقيل إن طالبا معدود بمقنب والمقنب يحسب بعشرة آلاف رجل قوية من الرجال العتية وأنه كان يلقاهم وحده ويكون رابحا عليهم ويلخ منهم ما يريد ويخرج سالما وهو سليم وكان الزبير أيضا سيد بني هاشم فلما نشأ على كرم الله وجهه أغمد سيفه جميع الأسياف وقد أعطاه الله من القوة والبأس والهيبة والوقار ما لا مزيد عليه ولا يعرف له عيار وكان هؤلاء الأربعة الذين ذكرهم محتاطون بالنبي ﷺ خوفا عليه من الأعداء المبغضين ولما أن كان وقت صلاة العشاء أذنوا بها وصلوا الجميع ولم يكن يومئذ بمكة من يوحد الله مع النبي ﷺ غير هؤلاء الرجال كانوا يعبدون الله سرا فنادى عند ذلك حبيب ابن مالك وقال يا أبا القاسم قد صليت العشاء الآخيرة فاظهر الآن ما قلته من الكلام وما ضمنته لنا من هذه العظائم حتى نصدقك جميعا ونؤمن بك وبرسالتك ونقر بفضلك وتشملنا بركتك وتثبت عندنا مقالتك وتأتي بحجتك فمد النبي ﷺ يديه الكريمتين وبسطهما ورفع طرفه إلى السماء قرأ ما تيسر وابتهل إلى الله عز وجل فأوحى الله تبارك وتعالى إلى الملك الموكل بالظلام أن يخرق مقدار سم الخياط فخرج الملك ذلك فاسود منه وجه الأفق وجميع الطرق وقد اظلم المشرق والمغرب وعم الظلام الروابي وسائر الآكام والبر والبحر وسائر السهل والوعر وما بقي أحد ينظر شيئا حتى باطن الكف وقد خمدت النيران واظلم الخافقان فصاح العرب بأجمعهم وقالوا يا محمد يا أبا القاسم اجرنا من شدة الظلمة فأشار النبي ﷺ إلى القمر بيده وقال له بأعلى صوته السلام عليك أيها المخلوق المطيع الدائر في الأفلاك السريع اعلم أني اشهد انك آية من آيات الله عز وجل وعلامة بينة فأظهر لنا الآن ما فيك من المعجزة ومن الكرامة التي لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب نبي الله ورسوله فما اتم النبي ﷺ كلامه حتى رأوا القمر قد استنار واتسع وهاج وارتفع ثم انه جعل يركض في السماء مثل الجواد العربي وما زال يركض حتى وقف على الكعبة شرفها الله ثم انه كر راجعا إلى جهة النبي ﷺ ووقف بين يديه يهز ساعة ثم انه اسلم على النبي ﷺ بلسان فصيح طلق وكلام مليح غير مغلق وقد سمعت

الناس جميعاً مقالته وما أحد منكم ينكر معرفته وهو يقول السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك أبا القاسم السلام عليك يا حبيب الله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً رسول الله ثم أنه بعد ذلك الكلام انقض ودخل زبقه وخرج من زبله وعاد ثانياً ودخل في زبقه والثاني نصفين فخرج نصفه من كمه الأيمن وخرج نصفه الثاني من كمه الأيسر ثم طلع كل نصف من جهة شرقاً وغرباً ثم ركض كل نصف في السماء مثل الجواد العربي ثم اجتمع النصفان على بعضهما وسارا قمراً منيراً كاملاً مستديراً ثم نادى ثانياً بكلام فصيح أفصح من الأول وقال أشهد أنك حبيب رب العالمين وأفضل الأنبياء وجميع المرسلين والشافع لأمتك المذنبين وأنت ذخر للعاجزين والفقراء والمساكين فيا سعد من تبعك وأطاعك ويا شقاوة من عصاك وخالفك وقد فاز بالرضا والرضوان الذي من عرفك ثم ارتفع إلى مكانه ووقف في محله الجليل فقال الناس لأبي جهل لعنه الله أما تنظر لهذه المعجزات الباهرات والآيات العظيمات فكيف تعادي مثل هذا وهذه الفعال تعاله وهذه الأقوال أقواله وهذه الأحوال أحواله فقال لهم أبو جهل اللعين إن هذا لسحر مبين وإما حبيب مالك فإنه قال للعرب الكرام ومرا يتمع في هذا المقام هل بقي لكم على أبي القاسم حجة أخرى أما أنا فقد آمنت به وبرسالته وصدقت بنبوته وأنا أول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ وأسلم في ذلك اليوم سبعون ألفاً وثمانون رجلاً ووقعت المشاجرة بينهم وبين أبي جهل وأصحابه وجردوا السيوف وكادت الحروب أن تقع بينهم فقال لهم النبي ﷺ يا بني هاشم يا بني عبد الله اعلموا أني قد بعثت بالرحمة ولم أبعث بالسيف والفتنة فسكنوا نفوسكم وأخلاقكم وكل من أطاع الله ورسوله يترك من يده السيف والرمح ومن خالف الله ورسوله يفعل كما يشاء ويا قوم امتثلوا إلى أن يظهر لهم الحق المبين فسكنوا لما سمعوا قول النبي ﷺ ثم أنهم انصلوا من ذلك اليوم وكل منهم قد رجع إلى موطنه ومضى حبيب بن مالك إلى منزله بعد أن سلم على رسول الله ﷺ وزف ابنته علياض بعد أن أخذ عليه شرط الإيمان والدخول إلى دين الإسلام فوافقه على ذلك وأخذوا في إصلاح حالهم فهذا ما كان منهم وأما النبي ﷺ فإنه رجع إلى منزله ودخل على خديجة بنت خويلد وأبو بكر الصديق بين يديه فلما وصل إلى منزله تلقته خديجة رضي الله تعالى عنها من باب الدار وقبلت صدره ويديه وقالت له يا سيدي إني رأيت لك معجزة أخرى فقال وما هي قالت لقد خاطبني هذا الجنين الذي أنا حاملة به فقال لها سيدتنا حمزة ما الذي خاطبك به فقالت يا بن الأطيبين كنت فلقة فنادا ني وقال لي ما هذا الجزع والقلق وبعلك محمد حبيب الله ورسوله وصفيه وخليله وهو المنصور المؤيد على أعدائه قال فتبسم ﷺ من كلامها وقال إن الله تبارك وتعالى ما أعطى نبياً معجزة إلا وقد أعطاني مثلها وخصني بها وكذلك أخبرني بها جبرائيل عليه السلام بأن هذا الجنين الذي خاطبك وأنت حامل به هي ابنتي

وأن الله عز وجل سماها فاطمة الزهراء وهذا ما انتهى إليه من معجزاته ﷺ فى انشقاق القمر وقيام السطيحة لسيد مضر عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وأنشد بعضهم يقول:

ألا يا معشر الإسلام يهنيكم الأشرى ... نبيكم شق الإله له البدر
قد امتحنوه الجاهلون بجهلهم ... أرادوا به كيداً فأعقبهم خسرا
وأوحى له الرحمن أن سطيحة ... بدار أمير القوم فادع لها تبرا
فقام رسول الله صلى وقد دعا ... وقال أيامن علم السر والجهرا
إلى إلى قومها فأصبحت ... كعادتها تمشى سويا على القبرا
فقامت بإذن الله تزهو كأنها ... هلال مضيء كامل حسنه بدرا
وإخواننا فى الدين قد آمنوا به ... إماماً أميناً صادقا ناطقا جهرا
وقد كان هذا من ألست بربكم ... سعيد وفى الدنيا شهيدون فى الاخرى
وهذا أبو جهل اللعين بجهله ... رأى معجزات المصطفى ظنها سخرا
وقد قال عنه أن هذا لساحر ... وأسرارهم لا تستطيع له أمرا
وصاروا عليه حاقدين صدورهم ... وصلى عليه الله أعلى له ذكرا
فكم ناله من ربه من كرامة ... فكانت له فتحا وآخرها قصرا
وكان إمام المرسلين وكبيهم ... وأولاهمو فخراً وأعلاهموا قدرا
وأرحمهم قلبا رؤفا بقومه ... إذا أظهروا غيظا يصاحكهم بشرا
وفى يوم بدر والحديبية التى ... أنى مدحهم فى الذكر مذ شاهدوا بشرا
وقد بايعوا المختار عهدا مواثيقا ... له واشترى الرحمن من متثاقهم طرا
وأولاهموا دار السلام فهم بها ... نعيم مقيم لا تجوع ولا تعرى
وأعداؤهم فى النار طرا وكلما ... أتت أمة للنار تلعنها الاخرى
وأمته فى الحشر تحت لوائه ... فلا يمسهم برد ولا تشتكوا حرا
ويدعون بالتسبيح والحمد والثنا ... فشكر هم حمد وحمدهموا شكرا
وتفرج أصحاب النبى إذ غدت ... تسير مع المختار فى جمعهم طرا
ومن غاب منهم يذكر بحمله ... ويسجد تحت العرش سجدته الكبرى
ويكفيه فخرا إذ يقول أنا لها ... ورؤية الرحمن فى ليلة الاسرى
ويشفع فى كل العصاة ولم يدع ... سوى مشرك بالله يتبعه الكفرا
عليه صلاة الله ثم سلامه ... سلاما زكيا فائقا راتقا عطرا
مدى مدة الدنيا وما دام أهلها ... وإن زالت الدنيا فدامت الاخرى
كذا الآل والاصحاب ما الشمس أشرقت ... وما دامت الظلماء يعقبها فجرا

(قال الاصمعى) ولما انتهى الامر من الشقاق وآمن من آمن بسيد البشر قال جرير لعمرو بن أمية الضمرى أنت أبصرت المعجزات وبعينك رأيت وقد عرفت طريق الهدى فاذا شئت اهتديت فهل أنت على ماعزمت عليه من الدخول فى دين الإسلام فقال له عمرو نعم رضيت بذلك وارتضيت فقال جرير وأنا كذلك ثابت عليه وعنه لا أحيد ثم أنه أخذ عمرا فى يده وسارا من وقتهما وساعتهما ودخلا مسجد النبى ﷺ فوجده بين أصحابه وهو البدر بين الكواكب فسلما عليه وقال يا رسول الله قد جئنا اليك لندخل فى دين الإسلام ونبلغ المطالب بين الأنام وكل منا لا يقبل ملام فتبسم النبى ﷺ لهما وقال أهلا وسهلا ومرحبا بمن يصير أخانا فى الاسلام ويعرف الحلال من الحرام ثم مد يده ﷺ ووضعها فى يد جرير ويد عمرو بين أيديهم وقد أسلم جرير وعمر وفرح النبى ﷺ لذلك الأمر ثم أن النبى ﷺ قال يا جرير من هو اليوم ملك بنى عبس وعدنان فقال يا سيدى هو فضالة بن مالك بن زهير فقال أن فضالة من أصحابنا ولنا زمن ما رأيناه وهو من أحبابنا ثم أنه سأل وقاله له ومن هو حامية عبس اليوم فقال يا رسول الله هى بنت أخى عنتر واسمها عنيترة واسم أمها الهيفاء وتكنى بقناصة الرجال أخت عمرو ذرو الكلب القضاعى وأن بنت أخى عنيترة الآن فى شجاعة قوية وفروسية حرية ومروءة أبية وفى حمية وأى حمية فقال له النبى ﷺ تقدم عندى يا أبا الأفراح لان فيك الخير وقد بان لى من فعالك النجابة وقد جعلتك من سعاة المسلمين وقد جعلت عمرو هذا ابن أخيك مقدما على جميع سعاتى لأنى سمعت عن عجائب فى السعى والشطارة والشجاعة والقوة وهو من بعض صفاته ثم مد يده الكريمة ﷺ ومر بها على جسد جرير فازداد بذلك قوة وشطارة ونباسا طاو شدة على السعى جلادة وأكمد بذلك مبغضيه وحساده وصار جرير يغدو مثل الجواد السارح أو الطير البارح وأقام بمكة وعمرو ابن أخيه وهما ملازمان الركوع والسجود فرحا برؤية سيدنا محمد الذى هو فى جميع صفاته محمود ونسبا أهلهما والجنود قال الراوى فهذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من حديث الخذروف بن شيبوب فإنه كان مقيما عند بنى عبس هو وزوجته أمية أم عمرو بنت عطارد أمير بنى ضمرة وكان قد سافر ولدها عمه وصحبة عمه إلى مكة كما ذكرنا فطال غياب ولدها عنها وشكت ذلك وبان هذا الأمر منها وذكرنا أن من شدة فرح جرير وعمرو بدين نبى الهدى لم يقدرا أن يفارقا رؤية وجه النبى ﷺ اليوم أو غدا وكانا فى كل ساعة ينظران إلى وجه المظلل بالغمام وقد رسخ فى قلوبهما حب الاسلام وأنساهما ذلك أهاليهما والقرائب وسائر عشائرهما والحبائب وأقاما فى أهنى عيش وسرور ولذة وحبور بلغ منهما طلبه ومناه وشكر على ذلك مولاه (قال الراوى) ولما زاد بأمية زوجة الخذروف الفراق والنكد والحسرة على الولد واشتد الأمر بها شكت إلى بعلها الخذروف غياب ولدها

عمرو وصار فى قلبها لهيب النار وصارت تبكى الليل والنهار (قال الراوى) فلما رأى الخذروف منها ذلك أخذه عبيده الدين أو امر زوجته أمية وتجهز للسفر إلى مكة شرفها الله تعالى وجد وسار وتبطن فى البرارى والقفار ليلا ونهارا مدة خمسة أيام وفى اليوم السادس أشرف الخذروف على مكة ودخل واجتمع بولده عمرو وبعد جرير وشكا لهم شوقه اليهما بعد ما سلم عليهما وقد لام عمرو جريرا ولده على كثرة الغيبة وكيف طول أمية على غياب ولدها بالحسرة والخيبة فقال له جرير يا ابن الأخ قد أشعلنا عنكم الدخول فى دين الاسلام والنظر إلى وجه المظلل بالغمام ومشاهدة زمزم والمقام وكل من أسلم فاز بالجنة دار السلام ويبقى فى النعيم الأكبر والعز الأوفر والرأى عندى يا ابن الأخ أنك تبادر الدين القويم والصراط المستقيم والفضل العظيم (قال الراوى) فلما سمع الخذروف مقال جرير وفتحت فى وجه أبواب السعادة والتيسير والشرح صدره للاسلام بلا تعسير وقد اشتاق إلى رؤية المظلل بالغمام البشير النذير وبعد ما كان عمى عن ذلك عاد بصيرا وباتوا تلك الليلة والخذروف يهتف بالإسلام فى يقظته والمنام ومازال كذلك إلى أن انفجر الصبح بالإبتسام وقام جرير والخذروف وعمرو قصدوا مسجد رسول الله ﷺ ودخلوا عليه المسجد وسلم جرير على رسول الله ﷺ فتقدم عمرو بن أمية الضمرى وقال له يا رسول الله هذا أبى الخذروف قد جاء اليك وهو على دين الاسلام ملهوف فقال له رسول الله ﷺ مرحبا به ياعمرو (قال الراوى) فتقدم الخذروف واسلم على يدى النبى ﷺ وشاهد وجه المظلل بالغمامة وشرح الله صدره للاسلام وأضاف النبى ﷺ الخذروف إلى سعادته وانزله فى بعض أبياته وقال لعمرو بن أمية الضمرى ولد الخذروف يا عمرو أنت المقدم على جميع السعادة فأمر أباك أن يسير إلى بنى عبس ويأمرهم بالقدوم إلى ليسلموا على يدى وكذلك عشيرة تكون من جملة المهاجرين إلى الدخول فى دين رب العالمين فقال عمرو لرسول الله ﷺ نعم ما قلت وما به علينا أشرت ثم ان عمرو أمر أباه أن يسير إلى بنى عبس ويميل قلوبهم إلى الإسلام (قال الراوى) فسار الخذروف طالبا أرض الشربة والعلم السعدى وبقى جرير حتى يرسله النبى ﷺ لبعض قبائل العرب وبقى عمرو بن أمية الضمرى مقدم السعاة وسار كلما طلب رسول الله حاجة يرسله فيها حتى افتخر على أبناء جنسه (قال الراوى) وأما الخذروف بن شيبوب فانه سار حتى وصل إلى أرض الشربة والعلم السعدى ودخل إلى زوجته أمية وطمن فيها على ولدعمرو وحكى لها على ما صار لهم من الأمر وعن إسلامه هو وجرير وولد عمرو وقال لها أنا ما جئت إلا لكى آخذك وأسير إلى مكة ونقيم فيها باقى اعمارنا بما لنا وعيالنا وجمالنا وتوقنا ومتاعنا فعند ذلك فرحت أمية بذلك الكلام وأكثرت الضحك والابتسام وقالت له نعم ما فعلت

بدخولك فى دين الإسلام واسلمت من وقتها وساعتها وفرح الخذروف بتلك الهداية والانابة واجتمع بابنة عمه عنيترة وحكى لها على ما جرى له من الأمور العظام ودخوله فى دين الاسلام وأعلمها باسلام جرير وإسلام عمرو وإسلام جميع العرب وأنهم قد أتوا من كل قفر وسبسب إلى خدمة النبى ﷺ المنتسب والرسول المنتخب صاحب الحسب والنسب وأنه قد أطاعته رباب المعالى والرتب وفرحوا باسلامهم على يد خير الانام عليه أفضل الصلاة والسلام (قال الراوى) وقد علم بذلك فضالة وعمرو وذو الكلب وعتيبة بن حصن ومالك وزخمة الجواد ومن بقى من أعمام فضاله الأمجاد ومن جماعة بنى عبس وبنى قراد الاجواد (قال الراوى) ولما سمعوا بحديث الاسلام من الخذروف بن شيبوب مالت إليه منهم القلوب واجتمعوا بعنيترة واشتشاروها ليعرفوا رأيها وقال لها يا أم الوعازع ولبوة الوقائع ما عندك من الرأى وبماذا تأمرينا فقالت لهم الرأى عندك أننا نسير إلى حضرة هذا النبى العربى وهو أجل نبى وأعلى مطلبى فعند ذلك قال فضالة بن قيس بن زهير وعتيبة بن حصن بن مالك وزخمة الجواد وورقة وجماعة قليلة من بنى عبس الذين حضروا بمكة فى أول الأمر وكتموا إسلامهم كما ذكرنا فيما تقدم فلما تحقق الخبر من الخذروف وارتضت عنيترة دين الاسلام قالوا لها والله يا أميرة نحن على دينه من مدة طويلة وأيام معدودة ولنا زمان نكتم أمرنا فوافقينا على ذلك لننجوا من الشرك والمهالك فلما سمعت عنيترة ذلك مال قلبها للاسلام واشتاقت للنظر إلى وجه المظلل بالغمام فعندما أجابتهم فى الوقت والساعة وفرح بذلك الجماعة وأسلم عمرو ذو الكلب وأخته قناصة الرجال وأسلم أكثر بنى قضاعة وأسلمت بنو عبس عن بكرة أبيهم وأسلم معهم جماعة من بنى غطفان وفرسان كثيرة من بنى ذبيان أسلم فى تلك الساعة خلق كثيرة وقد عولوا الجميع على المسير (قال الراوى) فبينما هم كذلك وإذا هم بجرير قد أقبل من نحو البر أسرع من الطير الذى يطير وأقبل على بنى عبس وهو ينادى البراز البراز أيها الأخيار إلى مكة والاسلام على يد المختار صاحب المعجزات والأنوار فهو سيد زمزم والمقام والمشاعر العظام والبيت الحرام (قال الراوى) فلما سمعوا قوله عرفوه الجميع الرفيع منهم والوضيع (قال الراوى) وكان السبب فى مجىء جرير إلى أرض بنى عبس هو حديث عجيب وأمر مطرب بديع غريب وذلك ان رسول الله ﷺ كان قد أرسل جريرا إلى بعض قبائل العرب لكى يدعوهم إلى الاسلام ويأمرهم أن يحضروا كلهم إلى عند زمزم والمقام وليعرفوا الحلال من الحرام فسار جرير من وقته وساعته وطاف فى قبائل العرب وشوقهم إلى نظر النبى المنتسب والرسول المنتخب وسار إلى بنى هوزان وجشم وسليم وصار العباس بن مرداس السلمى طالب بنى عبس ومعه خفاف بن ندبه ودثار بن روق وأما دريد بن الصمة فانه أبى أن يسير معهم لما سبق له من الشقاوة وقال أكون شيخ العرب من بعدهما ومن اقترب وأحول

عن مذهب العرب فهذا لا يكون أبدا ولا يشمت بى أحد من العدى وكان قوله هذا لأجل شقاوته وعمى قلبه لأن الله تعالى قد أضله وجعل النار مستقره وموطنه وموطن كل من طاوعه على كفره وجهله (قال الراوى) هذا ولما سار جرير يطلب قبيلة بنى عامر لم يجبه أحد منهم ولا تبع مقاله لأننا قدمنا ذكر كفر عامر بن الطفيل وكيف أنه طلب قتل النبى ﷺ ودعا عليه ومات عامر لعنه الله وجعل النار مثواه (قال الراوى) ثم سار جرير بعد ذلك من ديارهم يريد بنى عبس لأنهم قد قربوا منه ومازال كذلك سائرا حتى أتى فى ذلك الوقت الذى أسلم فيه الجماعة ولما وصل جرير إلى بنى عبس وجد عندهم العباس بن مرداس السلمى وثار بن روق وخفاف بن ندبة وكانوا قد سبقوه إلى بنى عبس واستبشرت بنو عبس لما نظروه وفرحوا به غاية الفرح واتسع صدر كل واحد منهم والشرح واعلم بنو عبس وبنو قضاعة جريرا ان سائرا العرب أسلموا الجميع الرفيع منهم والوضيع (قال الراوى) فعند ذلك أخبروا جريرا أن الخذروف أخبروهم عن الاسلام وأنهم ففرح جرير بذلك وأثنى عليه وقالوا لهم جرير خذوا أهبتكم الآن للمسير وسرعة التشمير فعندها أخذا الجميع أهبتهم للسفر وكل منهم قد فرح واستبشروا وأقاموا يجهزون حالهم ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع استقبلوا الطريق وما بقى لهم عائق يعيق ولم يبق فى العلم السعدى وأرض الشربة لا ديار ولا من ينفخ النار وساروا الجميع طالبين مكة والخذروف قد شد لزوجته أمية على بعض الجمال هودج وهو بالزينة يرمح وقد دارت بالهودج العبيد والغلمان والخدم وكل فارس محتشم والخذروف راكب على جواد أدهم أدق أرخم بغرة كالدرهم وفى خدمه جماعة من عبيده وكذلك ركب جرير على جواد أحمر له غرة كأنها كوكب الصبح إذا أسفر فقال جرير والله ما أركب على جواد وأنا فى خدمة رسول الله ﷺ وسيد العباد الهادى إلى طريق الرشاد فقال له الخذروف يا عماه اركب إلى أن تصير بالقرب فتقدم أمامنا واعلم رسول الله ﷺ يقدومنا قال الراوى فاستحسن جرير ذلك من الخذروف بن شيبوب وركب ذلك الجواد وسار جميع بنى عبس بالأموال والعيال والنياق ومازالوا سائرين حتى وصلوا إلى رسول الله ﷺ وسمعوا منه ما أتى به من الأحكام وهو يبين لهم الحلال من الحرام وسمعوا ما يقول من الأقوال وهم قيام خاضعون بين يدى رسول الله ﷺ فى مكة المشرفة حماها الله تعالى وزادها حرمة وإكراما فنظروا إلى الأصنام وقد اندثرت والأوثان قد رمت فعندها دخلوا فى الاسلام رغبة فيه وأحبوه غاية المحبة وكان رسول الله ﷺ فى المسجد الحرام جالسا بين أصحابه كأنه البدر بين الكواكب وكل أحد منهم إليه وهو له طالب فى تقبيل أيادية راغب فتبسم النبى ﷺ وفرح بإسلامهم وقد جددوا إسلامهم وأظهروه بين يديه وأسلم فى ذلك العباس بن مرداس السلمى وخفاف بن ندبة وثار بن روق وجميع من وصل من بنى

عبس وعدنان وبني قضاعة اشجعان وأسلمت عنيترة وجددت إسلامها هي وخالها عمرو ذو الكلب وأمها وأعمامها وتعجب رسول الله ﷺ من عظم صورتها وكثرة هيبتها مع ما سمع عنها من قوتها وشجاعتها وفروسيتها وبراعتها فتبسم النبي ﷺ في وجهها وقال يا عنيترة إن قاتلت في الاسلام مثل ما كنت تقاتلي في الجاهلية ضمنت لك على الله الجنة فقالت يا رسول الله وحرمة دين الاسلام لأقاتلن بين يديك قتالا تقصر عنه الأوهام وتعجز عنه جميع الأنام قدعا لها رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام وقال لها بارك الله فيك يا أم الزعازع ونوالك عنى. فنال الكفرة الثناء في سائر المعامع وضربت بنو عبس خيامهم في مكة في المنزل المعروف بهم طول الزمان وأقاموا في أمان واطمئنان هذا والخذروف قد نظر إلى ابنة عمه عنيترة بعين المحبة فأرادوا زواجها وقد زاد فيها رغبة وأي رغبة ولما زاد به الأمر وهو من مزيد شوقه إليها والعشق يناظي على الجر وأراد أن يتزوج بها على زوجته أمية قصد إلى زهير ابن قيس وأعلمه بذلك القصد وقال له يا ابن العم أريد منك أن تخطب لي عنيترة بنت عنتر لأني قد اشتهيت ذلك قبل أن أموت وأنت أكبر فقال له زهير السمع والطاعة ولا بد أن أدعوها إلى وأشاورها في هذه الساعة فقال له جرير أيها الملك امض أنت ليها واخطبها ورغبها (قال الراوي) فعند ذلك قام زهير ودخل على عنيترة من وقته وساعته وشاورها في زواجها بابن عمها الخذروف وأعلمها على زواجها بالخذروف فقالت له أيها الملك المفضال معاذ الله أن أتزوج أبدا ولو شربت كاس الردى ولا أشمت بي العدا (قال الراوي) فلما سمع الملك زهير ذلك من عنيترة لم يرد عليها جوابا ولا خطابا وخرج من عندها وأعلم الخذروف بذلك فزاد به الأمر وعلم أنه هالك لا محالة ويئس منه العمر فقام من وقته وساعته ودخل على النبي ﷺ وقبل يديه وسلم عليه وعلى كل من كان حواليه وقال رسول الله أريد أن أتزوج بابنة عمي عنيترة على سنة الاسلام فأنني يا رسول الله بها مستهام زائد الغرام فقال له رسول الله ﷺ ما في الحلال من عتب ولا رهبانية في الاسلام ثم أن رسول الله ﷺ أنفذ خلف الأميرة عنيترة عبدة بلال بن حمامة يدعوها إليه فسار بلال في الوقت والساعة ودخل عليها وبدأها بالسلام فردت عليه التحية والاكرام فقال لها أيها الأميرة أن النبي ﷺ يدعوك إليه وأن تحضري بين يديه فقالت له سمعا وطاعة لله ولرسوله ﷺ ثم أنها اقبلت تهرول نحو المسجد وبلال خلفها وهي أمامه وما زالت عنيترة سائرة إلى ان وصلت إلى النبي ﷺ وسلمت عليه وقالت له السلام عليك يا صاحب المعجزات ويا من انزلت عليه الآيات فقال لها رسول الله ﷺ وعليك السلام ورحمة الله وبركاته اجلسي يا أم الزعازع ولبوة المعامع فجلست عنيترة واستقر بها المجلوس فقال لها النبي ﷺ اعلمي يا عنيترة انه لا رهبانية في دين الاسلام واريد ان تقبلي مني نصيحتي وتتزوجي يا بن عمك الخذروف قال

فلما سمعت عنيترة ذلك استحلت من رسول الله ﷺ وقالت يارسول الله افعل ما تحب وتختار فلست أخالف لك أمرا أبدا ياصاحب الأنوار قال فتبسم النبي ﷺ ودعا بالخذروف وزوجه بابنة عمه عنيترة على سنة رسول الله ﷺ وفرح بذلك الخذروف غاية الفرح واتسع صدره والشرح وعمل الخذروف الولائم وأكل منها القاعد والقائم ووقعت عنيترة على الخذروف وحمى منها بذلك الحسن والجمال والبهاء والدلال (قال الراوى) وأما أمية والدة عمرو فانها أقامت بعد هواج الخذروف بعنيترة سبعة أيام وهي مريضة من الغيرة وتوفيت إلى رحمة الله تعالى على دين الاسلام واستمرت بنو عبس وعدنان بمكة حول النبي ﷺ وما عادوا رفعوا لهم راية في البر أبدا ولا أقاموا عمدا ولا ضربوا لهم وتدا وكانوا يحضرون الغزوات مع المسلمين في سائر الأوقات ثم هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة الشريفة ولما فتحت مكة رجعوا إليها وأقاموا فيها (قال الراوى) وأما الأمير عمرو ذو الكلب فانه طلب من رسول الله ﷺ الاذن في المسير إلى دياره والأوطان لينظر أهله والخلان فأذن له بذلك وسار عمرو ذو الكلب ومعه نحو قضاعة الأبطال بعد ما ودع عنيترة وبني عبس وسار بمن معه قبل طلوع الشمس وهو طالب بلاد شريف وسار سيراً عنيف وقد كساهم الاسلام خلعة التشريف وأما قناصة الرجال فانها أقامت مع ابنتها عنيترة في بقية بني قضاعة الأبطال تحضر الغزوات وتصلي الصلوات المفروضة مع الجماعات وقد حسن إسلامها وأكثرت من صومها وقيامها (قال الراوى) ورزق الخذروف من عنيترة خمسة أولاد في دين الاسلام اسم أحدهم شيبوب والثاني عمرو وثالثهم الحطال ورابعهم ميسرة وخامسهم غصوب وكل واحد كأنه ريح الهبوب أو كالماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب وإذا ركب جواد يقاتل قال الأسد لو ثوب ويتأمل مناضلة النمر الصوب وقد تلوا مع والدتهم عنيترة في الاسلام وأقاموا كذلك مدة من الزمان وعدة من الأيام وهم بقاتلون في ركاب سيد الأنام ورسول الله الملك العلام ساقي أهل الكفر كأس الحمام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام ما غدر القمري وما ناح الحمام ثم توفي سجر في بعض الغزوات وأقام الخذروف بعده مدة سنة ومات وقد حزنت عليه عنيترة حزناً عظيما وكانت تقاتل مع النبي ﷺ في سائر الغزوات وتطلب الشهادة في سائر الأوقات وما زالت كذلك إلى أن قتلت في غزوة الأحزاب وماتت شهيدة على السنة والكتاب وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فحزن عليها وقال زملوها في ثيابها لتلقى الله وهو عنها راض يوم القيامة لأنها قد فازت بكل الكرامة وسار عمرو بن أمية الضمري مقدم سعاة رسول الله ﷺ وهو الحاكم على إخوته من أبيه أولاد عنيترة وكل منهم له صولة ومقدرة وصارت بقية بني عبس تقاتل مع رسول الله ﷺ في سائر الغزوات إلى أن قتل الملك زهير بن قيس في بعض الغزوات وقتل ابن حصن في غزوة تبوك ولما قتل زهير تأمر بعده ولده ياسر وكان قد رزقه من امرأة

تزوج بها فى الإسلام من نساء المهاجرين والأنصار فرزق منها ياسر هذا وقد حكم على بنى عبس ومن تبقى منهم وأقام كذلك مدة خمسة أعوام وقتل بعض الغزوات وخلف ياسر ولداً اسمه عمار بن ياسر العبسى وهو من جملة الصحابة المذكورين (قال الراوى) وأما قناصة الرجال فإنها أقامت بعد ابنتها ثلاثة أعوام وماتت على دين الإسلام ودفنت فى بطحاء مكة بقرب البيت الحرام (قال الراوى) فهذا ما جرى هنا من الكلام (وأما) ما كان من عمرو ذو الكلب فانه مسيره من مكة إلى بلاده بثلاثة أعوام اشتاق إلى أرض زمزم والمقام فسار بمن معه من بنى قضاعة إلى أن وصل إلى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وطلب منازل بنى عبس فلما أقبل عليهم سلموا عليه وقبلوا يديه وقد سمع بأولاد عنيترة فأتوا أيضاً إليه وسلموا عليه وبل شوقه بهم وبكوا على والدتهم عنيترة بكاء شديداً مما عليه من مزيد وكذلك بكى على أخته قناصة الرجال ولما شفى عمرو ذو الكلب غليله من البكاء سار إلى المدينة المنورة ودخل على رسوله الله ﷺ إلى أن قتل عمرو ذو الكلب فى بعض الغزوات وقضى نحبه ومات وقدمات أيضاً منهم جماعة وبقى من بنى عبس وبنى قضاعة بعض جماعة وصار الحاكم عليهم الأمير عمار ابن ياسر بن زهير بن قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيض بن عبسى بن غيلان (قال الراوى) وقد صار عمار بن ياسر بن زهير هو الحاكم على الجميع الرفيع منهم والوضيع وأولاد الخذروف الخمسة الذين هم من عنيترة قد صاروا كبراء بنى عبس وعمرو بن الخذروف وهو ابنه من أمية المشهور بأنه عمرو بن أمية الضمرى فانه كان رأس القوم وكبارهم والحاكم على بنى عبس وأميرهم وكان الأمير عمار بن ياسر يستشيره فى كل الأحوال ويستشيره أيضا سائر الأبطال وقد كثر الإسلام واشتهر الإيمان ونكست الأصنام وبان الحلال من الحرام وصار عمرو بن أمية الضمرى عند رسول الله ﷺ فى أعلى مكان وهو المقدم على سائر السعاة والفرسان وأما الأمير عمار بن ياسر فقد صار من كبراء الصحابة ومن يشار إليه وكل من كان من بنى عبس من زمن الجاهلية فانه قد اتبع دين الإسلام وتركوا ما كانوا عليه من الضلالة ومن فعل الحرام وتركوا أيضا شرب المدام ثم تقلبت بهم الدهور والأيام حتى شربوا كاس الحمام بعد أن نالوا ما نالوا من العز والنعمة والقوة والثروة والمجد والرفعة وقد من الله سبحانه على من بقى منهم بالدخول فى دين الإسلام حيث ظهرت بعثة أنوار سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فسبحان من لا تغير الليالى والأيام ولا مرور الشهور ولا توالى الأعوام ولا يغفل ولا ينام وهو الذى يحيى العظام وهى رميم الاقلام وهو الذى خلق الشمس والقمر والليل والنهار وفجر الأنهار وأنبت الأشجار وخلق الوحوش والأطيار وكل شىء عنده بمقدار العالم بما كان وما يكون الذى أمره بين الكاف والنون وبقدرته سقى القرون الماضية كاس المنون وأدار عليهم من الموت كؤس الفنا وأبادهم كغيرهم ممن صاروا سيراً وأنباء وتفرد سبحانه وتعالى بصفة

القدم والبقاء (قال الناقل) لهذه الروايات والفنون فقد رأيت من سير الأولين وأخبار المتقدمين وما نقل عن القرون الماضين ما فيه عبرة لأولى الألباب وحكمة بالغة يدرى المتدبر بها عين الصواب وقد تمت هذه السيرة العنترية كاملة القوافى الشعرية منسجمة النثر خماسية الشعر فكاهية الاخبار بديعة الآثار اللهم صل على سيدنا محمد كما أمرتنا بالصلاة عليه وسلم على سيدنا محمد كما أمرتنا بالسلام عليه يارب العالمين اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا ممن فاز بمتابعته واهتدى بشريعته واقتدى بصحابته واهتدى بسنته اللهم أوردنا حوضه وأرنا وجهه ولا تحرمنا شفاعته واجمع بيننا وبينه فى مستقر الرحمة والرضوان برحمتك يا ذا الجلال والإكرام (قال المؤلف) لهذه السيرة الحجازية وهو الاصمعى رضى الله عنه كان الفراغ من تأليفها يوم الجمعة المبارك فى أواخر جمادى الثانية سنة ٤٧٣ من الهجرة النبويه فى أيام الخليفة أمير المؤمنين هرون الرشيد العباسى وقد أرشدنى إلى تأليفها رغبة فى سماع قولها ونثرها ونظمها وقد جمعت ما عندى من الاوراق مما سمعته من سيرة عنتر ابن شداد المشهور فى سائر الآفاق وأضفت إليه ما رأيته بعينى ورتبت القوافى على بعضها بحسن نظام من غير زيادة ولا نقصان وانتقيتها من زبدة الكلام وهذه السيرة الحجازية قد رويتها بروايات قوية عن الحزة وعن أبى طالب وعن عمرو بن معد يكرب الزبيدى وعن حاتم طى وعن امرئ القيس الكندى وعن هانىء بن مسعود وعن جارم المكى وعن عبيدة وعن عمرو بن ود العامرى وعن دريد بن الصمة وعن عامر بن الطفيل فإنه بعد عنتر تناولت أفعاله على ألسن العرب فالذى رأيته وسمعته ضربت أكتبه عندى بالاوراق من أشعار ومن أفعال والذى ما رأيته ولا سمعته فهو ترتيب القوافى بعضها والله أعلم بالصواب .

تمـــت

Bibliotheca Alexandrina
0694710